www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإعجاز القرآني

في ضوء الاكتشاف العلمي الحديث

دراسة تاريخية وتطبيقات معاصرة

الدكتور
مروان وحيد شعبان التفتنازي

دار المعرفة

بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

کاتب:

مروان وحید شعبان

نشرت فی الطباعة:

دارالمعرفة

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث ----- ۱۶
اشارة ----- ۱۶
الإهداء ----- ۱۶
مقدمة بقلم: الشیخ محمد علی الصابونی ----- ۱۶
مقدمة بقلم: د. إبراهیم الشیخ محمد حسن ----- ۱۷
مقدمة بقلم: الشیخ محمد حکمت المعلم ----- ۱۸
المقدمة ----- ۱۹
اشارة ----- ۱۹
خطّة البحث: ----- ۲۱
الفصل الأوّل مفهوم المعجزة ----- ۲۲
اشارة ----- ۲۲
تمهید ----- ۲۲
المبحث الأول تعریف المعجزة ----- ۲۳
اشارة ----- ۲۳
المعجزة اصطلاحا: ----- ۲۳
المبحث الثانی الفرق بین معجزة النبی و معجزات الأنبیاء السابقین علیهم السّلام ----- ۲۵
أولا: معجزات الأنبیاء علیهم السّلام ----- ۲۵
ثانیا: معجزات نبینا محمد صلّی اللّه علیه و سلّم ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
المعجزات الحسیة: ----- ۲۸
اشارة ----- ۲۸
۱- نبع الماء: ----- ۲۸

۲- تکثیر الطعام: ۲۹
۳- حنین الجذع: ۳۰
۴- انشقاق القمر: ۳۰
المبحث الثالث مراحل التحدی بالقرآن الکریم ۳۲
اشارة ۳۲
المرحلة الأولی: ۳۴
المرحلة الثانیة: ۳۴
المرحلة الثالثة: ۳۵
]القدر المعجز من القرآن الکریم ۳۷
]قدر المعجز عند الأشعریین ۳۷
القدر المعجز عند المعتزلة: ۳۷
المبحث الرابع عجز المشرکین و اعترافهم بعظمة القرآن ۳۸
اشارة ۳۸
۱- اعتراف بلغاء المشرکین بإعجاز القرآن ۳۹
أولا- عتبة بن ربیعة: ۳۹
ثانیا- الولید بن المغیرة: ۴۰
ثالثا- النضر بن الحارث: ۴۱
اشارة ۴۱
أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم: ۴۱
۲- اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن ۴۲
اشارة ۴۲
أولا- عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه: ۴۲
ثانیا- الطفیل بن عمرو الدوسی: ۴۳
ثالثا- لبید بن ربیعة: ۴۴

رابعا- أنيس أخو أبى ذر الغفارى: ۴۴
الفصل الثانى نشأة مصطلح إعجاز القرآن ۴۷
اشارة ۴۷
تمهيد ۴۷
المبحث الأول الصّرفة و القائلون بها ۴۷
اشارة ۴۸
الصّرفة لغة: ۴۸
الصرفة اصطلاحا: ۴۸
القائلون بالصرفة: ۴۹
۱- النّظّام «۱»: ۴۹
۲- الشريف المرتضى من الشيعة «۲»: ۵۰
۳- ابن حزم الأندلسى الفقيه الظاهرى «۴»: ۵۱
۴- ابن سنان الخفاجى «۴»: ۵۲
المبحث الثانى نقد مذهب الصرفة ۵۳
اشارة ۵۳
أولا: الرد على النظام و من حذى حذوه: ۵۳
ثانيا: الرد على المرتضى و من شايعه: ۵۶
المبحث الثالث أوجه إعجاز القرآن ۵۸
اشارة ۵۸
هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و كلامه؟ ۵۸
أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟ ۵۸
أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانى التى تضمنها القرآن الكريم؟ ۵۸
اشارة ۵۸
أولا- وجوه إعجاز القرآن كما حددها الإمام الباقلانى «۱»: ۵۹

ثانیا- القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن «۱»: ۶۲
[الوجوه الالحاقی ۶۲
الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن ۶۴
الفصل الثالث الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین ۶۵
اشارة ۶۵
تمهید ۶۵
المبحث الأول أبرز المؤیّدین من العلماء القدامی ۶۶
اشارة ۶۶
أولا- الإمام أبو حامد الغزالی «۱»: ۶۶
ثانیا- فخر الدین الرازی «۴»: ۶۸
ثالثا- الإمام الزرکشی «۳»: ۶۹
رابعا- الإمام السیوطی «۱»: ۶۹
المبحث الثانی أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین ۷۱
اشارة ۷۱
[القسم الاول: العلماء المثبتون لقضیة الإعجاز بمغالاة] ۷۱
أولا- الإمام محمد عبده «۱»: ۷۱
ثانیا- عبد الرحمن الکواکبی «۳»: ۷۲
القسم الثانی: المثبتون من العلماء المعاصرین باعتدال ۷۴
أولا- وحید الدین خان «۲»: ۷۴
ثانیا- الدکتور محمد جمال الدین الفندی «۳»: ۷۵
ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی: ۷۶
المبحث الثالث أبرز المعارضین من العلماء القدامی و المعاصرین ۷۷
اشارة ۷۷
أولا- المعارضون من العلماء القدامی: ۷۷

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى «۱»: ۷۷
ثانيا- المعارضون من العلماء المعاصرين ۷۸
۱- الشيخ محمود شلتوت «۵»: ۷۸
۲- سيد قطب «۲»: ۷۹
۳- محمد عبد العظيم الزرقانى «۲»: ۸۱
۴- محمد رشيد رضا: ۸۲
المبحث الرابع أدلة الفريقين ۸۳
أولا- من أدلة المؤيدين للتفسير العلمى: ۸۳
ثانيا- من أدلة المعارضين للتفسير العلمى ۸۴
الترجيح: ۸۴
الفصل الرابع الإعجاز القرآنى فى علم الفلك ۸۷
تمهيد ۸۷
المبحث الأول بين الإسلام و العلم ۸۸
اشارة ۸۸
أولا- الإسلام دين العلم ۸۸
ثانيا- الإعجاز العلمى سبيل من سبل الدعوة ۹۰
ثالثا- ضوابط التفسير العلمى للقرآن ۹۱
اشارة ۹۱
۱- الاعتماد فى تفسيرنا العلمى على الحقائق لا الفرضيات: ۹۱
۲- عدم التعارض بين الحقيقة العلمية و القرآن. ۹۲
۳- التمكن من علوم اللغة العربية و علوم الآلة. ۹۲
۴- عدم حصر دلالة الآية على الحقيقة الواحدة. ۹۲
۵- أهمية التخصص العلمى: ۹۳
۶- القرآن الكريم كتاب هداية و نور. ۹۳

المبحث الثانی مولد الکون و نشأته بین القرآن و العلم ---- ۹۴
اشارة ---- ۹۴
مراحل الخلق ---- ۹۴
أولا- مرحلة الرتق و الفتق ---- ۹۵
ثانیا- مرحلة خلق السموات و الأرض ---- ۹۶
ثالثا- مرحلة دحو الأرض ---- ۹۸
الحقائق العلمیة: ---- ۱۰۰
الإعجاز: ---- ۱۰۲
المبحث الثالث تمدد الکون و توسعه ---- ۱۰۳
اشارة ---- ۱۰۳
الحقائق العلمیة: ---- ۱۰۴
الإعجاز: ---- ۱۰۶
المبحث الرابع نهایة الکون بین القرآن و العلم ---- ۱۰۷
اشارة ---- ۱۰۷
الإعجاز: ---- ۱۱۱
الفصل الخامس الإعجاز القرآنی فی الشمس ---- ۱۱۳
اشارة ---- ۱۱۳
تمهید ---- ۱۱۳
المبحث الأول تحرکات الشمس و انتقالاتها ---- ۱۱۳
اشارة ---- ۱۱۳
تحرکات الشمس و انتقالاتها ---- ۱۱۴
الحقائق العلمیة: ---- ۱۱۵
حرکات الشمس ---- ۱۱۵
الدورة المحوریة: ---- ۱۱۵

الدورة الانتقالیة للشمس: ۱۱۶
الحرکة التباعدیة أو الانتشاریة: ۱۱۶
الإعجاز: ۱۱۶
المبحث الثانی الشمس متوهجة ملتهبة ۱۱۷
اشارة ۱۱۷
الحقائق العلمیة: ۱۱۸
الإعجاز: ۱۲۰
المبحث الثالث تعدد الشموس و الأقمار ۱۲۰
اشارة ۱۲۰
الحقائق العلمیّة: ۱۲۲
أقمار نبتون الثمانیة ۱۲۴
الإعجاز: ۱۲۴
المبحث الرابع موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم ۱۲۵
اشارة ۱۲۵
الحقائق العلمیة: ۱۲۶
الإعجاز: ۱۲۷
الفصل السادس الإعجاز القرآنی فی الأرض ۱۲۸
اشارة ۱۲۸
تمهید ۱۲۸
المبحث الأول کرویة الأرض ۱۲۸
اشارة ۱۲۸
الحقائق العلمیة: ۱۳۲
الإعجاز: ۱۳۳
المبحث الثانی حرکة الأرض و دورانها ۱۳۳

اشارة ----- ۱۳۳
الحقائق العلمیة: ----- ۱۳۶
الإعجاز: ----- ۱۳۷
المبحث الثالث جاذبیة الأرض ----- ۱۳۷
اشارة ----- ۱۳۷
الحقائق العلمیة: ----- ۱۳۹
الإعجاز: ----- ۱۴۰
المبحث الرابع الغلاف الجوی و منافذه للأرض ----- ۱۴۱
الحقائق العلمیة: ----- ۱۴۱
الإعجاز: ----- ۱۴۲
الفصل السابع الإعجاز القرآنی فی القمر ----- ۱۴۳
اشارة ----- ۱۴۳
تمهید ----- ۱۴۳
المبحث الأول القمر منیر ----- ۱۴۴
اشارة ----- ۱۴۴
الحقائق العلمیة: ----- ۱۴۵
الإعجاز: ----- ۱۴۶
المبحث الثانی انشقاق القمر ----- ۱۴۶
اشارة ----- ۱۴۶
الحقائق العلمیة: ----- ۱۴۷
الإعجاز: ----- ۱۴۹
المبحث الثالث منازل القمر ----- ۱۵۰
اشارة ----- ۱۵۰
الحقائق العلمیة: ----- ۱۵۰

الإعجاز: ----- ۱۵۲
المبحث الرابع و جمع الشمس و القمر ----- ۱۵۲
اشارة ----- ۱۵۲
الحقائق العلمیة: ----- ۱۵۳
الإعجاز: ----- ۱۵۴
الفصل الثامن الإعجاز القرآنی فی الریاح ----- ۱۵۴
اشارة ----- ۱۵۴
تمهید ----- ۱۵۴
المبحث الأول أنواع الریاح بین القرآن و العلم ----- ۱۵۵
اشارة ----- ۱۵۵
الحقائق العلمیة: ----- ۱۵۷
الإعجاز: ----- ۱۵۹
المبحث الثانی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم ----- ۱۵۹
اشارة ----- ۱۵۹
الحقائق العلمیة: ----- ۱۶۰
أنواع السحب من حیث النشأة: ----- ۱۶۱
اشارة ----- ۱۶۱
السحب البساطیة. ----- ۱۶۱
ثانیا: السحب الرکامیة ----- ۱۶۲
الحقائق العلمیة: ----- ۱۶۴
أنواع الغیوم: ----- ۱۶۴
الإعجاز: ----- ۱۶۵
المبحث الثالث البرق و البرد بین القرآن و العلم ----- ۱۶۶
اشارة ----- ۱۶۶

الحقائق العلمیة: ۱۶۷
الإعجاز: ۱۶۸
الفصل التاسع الإعجاز القرآنی فی الجبال ۱۶۸
اشارة ۱۶۸
تمهید ۱۶۹
المبحث الأول تکوین الجبال ۱۶۹
اشارة ۱۶۹
الحقائق العلمیة: ۱۷۰
الإعجاز: ۱۷۲
المبحث الثانی الجبال تحافظ علی توازن الأرض ۱۷۲
اشارة ۱۷۲
الحقائق العلمیة: ۱۷۳
الإعجاز: ۱۷۴
المبحث الثالث الرواسی الشامخات و الماء الفرات ۱۷۴
اشارة ۱۷۴
الحقائق العلمیة: ۱۷۶
الإعجاز: ۱۷۶
المبحث الرابع حرکة الجبال و تعدّد صخورها ۱۷۷
اشارة ۱۷۷
الحقائق العلمیة: ۱۷۸
الإعجاز: ۱۷۹
الفصل العاشر الإعجاز القرآنی فی البحار ۱۸۰
اشارة ۱۸۰
تمهید ۱۸۰

المبحث الأول ظلمات البحار و تنوع الأمواج ---- ۱۸۰
اشارة ---- ۱۸۰
الحقائق العلمیة: ---- ۱۸۲
الإعجاز: ---- ۱۸۴
المبحث الثانی مرج البحرین یلتقیان ---- ۱۸۴
اشارة ---- ۱۸۴
الحقائق العلمیة: ---- ۱۸۶
الإعجاز: ---- ۱۸۷
المبحث الثالث و البحر المسجور ---- ۱۸۷
اشارة ---- ۱۸۸
الحقائق العلمیة: ---- ۱۸۸
الإعجاز: ---- ۱۸۹
المبحث الرابع اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء ---- ۱۸۹
اشارة ---- ۱۸۹
الحقائق العلمیة: ---- ۱۹۱
الإعجاز: ---- ۱۹۲
الخاتمة ---- ۱۹۲
الفهارس ---- ۱۹۴
اشارة ---- ۱۹۴
فهرس الآیات ---- ۱۹۴
فهرس الأحادیث ---- ۱۹۶
قائمة المصادر و المراجع ---- ۱۹۷
الفهرس ---- ۲۰۵
تعریف المرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۲۰۷

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث

اشارة

نام کتاب: الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث نویسنده: مروان وحید شعبان موضوع: اعجاز علمی تاریخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربی تعداد جلد: ۱ ناشر: دارالمعرفة مکان چاپ: بیروت سال چاپ: ۱۴۲۷ / ۲۰۰۶ نوبت چاپ: اوّل

الإهداء

الإهداء إلی الروح الغالیة التی سهرت اللیالی و السنوات و هی تکافح و تکابد الحیاة لإنشاء أسرة تکتب فی سجل الخادمین لشرع اللّه و دینه ... أمی. إلی الذی أحاطنی بعطفه الحارّ و حنانه الفوّار، صاحب الفضل الکبیر، و القلب الرحیم .. أبی. إلی إخوتی و أخواتی، الذین عشت معهم مرحلة التأسیس فی درب الهدی و الوفاء و الإیمان ... إلی کل من یطوف حول کعبة الحقیقة المقدسة من بنی البشر أهدی هذا العمل المتواضع ... الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷

مقدمة بقلم: الشیخ محمد علی الصابونی

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم مقدمة بقلم: الشیخ محمد علی الصابونی نحمده تعالی و نصلی و نسلم علی رسوله الکریم محمد بن عبد اللّه، خاتم النبیین، و بعد ... فعصرنا الذی نعیش فیه، عصر العجائب و الغرائب، عصر الخوارق و المدهشات! لا تکاد العین تری فیه إلا کلّ طریف و جدید! ما کان مستحیلا و غیر معقول منذ قرون ... أصبح واقعا فی هذه الأیام!! و لا عجب فی ذلک، فهو عصر الازدهار العلمی، و التقدم الحضاری، عصر المکتشفات و المخترعات، عصر الذرة، و عصر الأقمار الصناعیة و المراکب الفضائیة، عصر غزو الفضاء، و یمکننا أن نقول جازمین: إنه عصر (ظهور معجزة القرآن) تحقیقا لقول اللّه العلی الکبیر: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ «۱». اللّه أکبر إن دین محمد و کتابه أهدی و أقوم قیلا لا تذکر الکتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفئ القندیلا لقد أیّد اللّه خاتم الأنبیاء محمدا صلی اللّه علیه و سلم بالمعجزة القرآنیة الخالدة، و جعل هذا القرآن أجلّ و أعظم برهان علی صدق رسالته .. فهو نبی أمیّ لا یعرف القراءة و لا الکتابة، و لا یعرف أن یفکّ حرفا عن حرف حتی آخر حیاته صلوات اللّه علیه، و هذا ما أکده القرآن الکریم فی صفة هذا النبی العظیم حین قال سبحانه: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۴۸) بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما یَجْحَدُ بِآیاتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ (۴۹) «۲»

(۱) سورة فصلت، الآیة: ۵۳. (۲) سورة العنکبوت، الآیتان: ۴۸، ۴۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸ و کأنی بالقرآن یهتف و ینادی أصحاب النهی و العقول فیقول لهم: فکّروا فی شأن هذا النبی الأمی الذی جاءکم بهذا الکتاب المعجز، أ یعقل أن یکون هذا الکتاب من صنعه و تألیفه؟ و هو لم یتتلمذ علی ید أحد، و لم یقرأ کتابا، و لا خطّ بیده حرفا، ثم جاءکم بکتاب حوی العجائب من علوم، و فنون، و قصص، و أخبار، و أمور غیبیّة، و أخبرکم عن مکتشفات لم تعرفوا عنها شیئا إلّا فی عصرکم هذا، أ فلا یکون ذلک أعظم برهان علی عظمته و صدقه!؟ تصوروا أن عشرة أطباء اجتمعوا علی تشخیص داء مریض، و کلّ منهم نابغة فی تخصصه، و عجزوا جمیعا عن معرفة المرض، و وصف العلاج و الدواء له! و جاءهم رجل من البادیة، لا یعرف شیئا عن الطب، و لم یمارس هذه الصنعة مطلقا، و بمجرد إلقاء نظرة علی المریض، و وضع یده علی جسده، عرف المرض و وصف له الدواء، و شفی المریض بتناول العلاج الذی عجز عن معرفته کبار الأطباء، أ لیس هذا الأمر یدعو إلی الدهشة؟ و الإجلال و الإکبار لهذا الذی وصل

إليه نبوغ هـذا الرجل، و الإقرار له بالحذاقة و قوة المعرفة!؟ هذا هو مثل خاتم الأنبياء مع كبار الأطباء!! أتاهم بعلوم و معارف قبل أربعة عشـر قرنا من الزمان، لم يصـلوا إلى معرفة بعضها إلا فى هذا العصر، عصر ظهور (المخترعات و المكتشفات). و حين طلب المشركون من سـيد الخلق معجزة تـدلّ على صـدقه، جاء القرآن يقرّعهم و يوبّخهم على تركهم التدبر لآيات هذا الكتاب الحكيم الذى جاءهم به نبى أمّى من عنـد الرحمن، بأفصح حجة و أوضح بيان، فقال جلّ ثناؤه: أ وَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذلِكَ لَرَحْمَةً وَ ذِكْرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ «۱». نبى أمّى جاءكم بكتاب جمع شـتات العلوم، و كشف لهم عن حقائق علميـة ما عرفها البشـر إلّا منذ زمن قريب، و قال لهم: إن معجزتى إليكم هـذا الكتاب المبين، فاتوا بمثل سورة واحدة منه إن كنتم صادقين. أ لا يكفى هذا أن يكون برهانا قاطعا ساطعا على صـدق دعواه؟ لقـد بهر القرآن العرب برونقه و جماله و عـذوبته و حلاوته و بـذلك الأسـلوب الرائع الخلاب!

(_____ ۱) سـورة العنكبـوت، الآيــة: ۵۱.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۹ و اسـمعوا هـذه القصة: روى عن جبير بن مطعم أنه قال: قدمت المدينة المنورة لأسأل رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فى أسارى بدر، فوافيته يقرأ فى صلاة المغرب وَ الطُّورِ (۱) وَ كِتابٍ مَسْطُورٍ (۲) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (۳) «۱». يقول فلما قرأ: إِنَّ عَـذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ (۷) مـا لَهُ مِنْ دافِعٍ (۸) «۲» شعرت كأنما صدع قلبى .. فأسـلمت خوفا من نزول العذاب، فلما انتهى رسول اللّه صـلى اللّه عليه و سلم إلى هذه الآية: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخالِقُونَ (۳۵) أَمْ خَلَقُوا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ (۳۶) «۳» أحسـست أن قلبى كاد يطير)!! و بهر القرآن «علماء الكون» حين رأوا فيه بعض ما توصلوا إليه بعد جهد جهيـد، من مكتشـفات رائعـة سـبقهم إليها القرآن الكريم، سواء أ كان ذلك فى علوم الطبيعـة، أو الطب، أو الفلك، أو الأجنـة، أو فى علوم (جيولوجيـا الأـرض)!! و قـد اطلعت على بعض فصول، مما كتبه أخونا الفاضل الشـيخ «مروان شـعبان» حفظه اللّه حول: «الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث» فألفيته بحثا قيما، فيه جهد مشـكور ينبغى أن يطبع، و أن يسـتفيد منه من يريد أن يعرف عظمـة هـذا الـدين، و روعـة هـذا القرآن، الذى جاء معجزة خالدة، تنطق بصدق رسالة النبى الأمى (محمد بن عبد اللّه) صـلوات اللّه و سلامه عليه، سواء أ كان المطّلع عليه مسلما أو رجلا لا يدين بالإسلام، فإن ما حواه الكتاب المنير من علوم و معارف، و بدائع و روائع، حرىّ بكل إنسان منصف أن يعرفه و أن يـدرسه ليتبيّن له صـدق معجزة خاتم النبيين، و صـدق اللّه العظيم حيث يقول: قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتـابٌ مُبِينٌ (۱۵) يَهْـدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُـبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَ يَهْدِيهِمْ إِلى صِـراطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۶) «۴». خـادم الكتـاب و السـنة الشـيخ محمـد على الصابونى ۱۴ صـفر الخير سـنة ۱۴۲۱ ه الموافق ۱۶ / ۵/ سـنة ۲۰۰۰ م

(_____ ۱) سـورة الطور، الآيـات: ۱- ۳. (۲) سورة الطور، الآيتان: ۷، ۸. (۳) سورة الطور، الآيتان: ۳۵، ۳۶. (۴) سورة المائدة، الآيتان: ۱۵، ۱۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۰

مقدمة بقلم: د. إبراهيم الشيخ محمد حسن

مقدمة بقلم: د. إبراهيم الشـيخ محمد حسن بسم اللّه الرّحمن الرّحيم الحمد للّه و كفى، و سـلام على عباده الذين اصـطفى، و بعد فقد طلب منى الأخ فى اللّه حقا و المحبّ صدقا الشيخ مروان شعبان إلقاء نظرة سريعة فى كتابه القيم «الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث» و بعد تجوال النظر فى صـفاته وجدت فيه الترتيب و التنسـيق مع التعزيز بأسـرار الإعجاز بثوب جديد فى أسـلوبه أنيقا فى مظهره نـادرا فى مخبره، ليسـتفيد النـاظر فيه بمطـالعته لأنه من أمثل ما جمع فى هـذا الباب، و أن هـذا الأسـلوب الجديـد يلائم حقا مسـتوى العصـر و يراعى ما اتصف به الجيل الجديد من تطلع إلى فهم أسرار الكون و معرفة موقف الإسلام من المكتشفات- التى هى سرّ إبـداع اللّه تبارك و تعالى الخالق العظيم من خلقه على أيدى المسـلمين و غيرهم، و لا يخفى أن علماء الإسـلام كانوا سـباقين إلى مثـل هـذه العلوم و المعـارف. و مـا جهود الرازى و الحسن بن الهيثم و ابن سـينا و القـاسم و اليعقوبى و الإدريسـى- صاحب الكشـف

الجغرافی و اقتحام المحیطات- لیس ببعید، و هذا مما یدل علی أن الإسلام هو مصدر الحضارة الحقیقة، و أن علماء الإسلام ساهموا بأروع ما فی هذه الحضارة للبشریة سائلین اللّه تعالی المزید من التوفیق للباحث لما یحبه و یرضاه، و أن ینفع بجهوده العلمیّة طلاب العلم الشریف، و رواد الحق و الحقیقة فی عصر الشتات و التمزق، إنه سمیع مجیب. د. إبراهیم الشیخ محمد حسن مفتی محافظة الحسکة عضو مجلس الإفتاء الأعلی فی دمشق الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱

مقدمة بقلم: الشیخ محمد حکمت المعلم

مقدمة بقلم: الشیخ محمد حکمت المعلم بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه الذی علم بالقلم، و أوحی بالملک، و هدی بالفطرة. الحمد للّه مستوجب الحمد و الثناء بإنزاله الکتاب علی عبده، الحمد للّه الذی أنزل الکتاب علی عبده و لم یجعل له عوجا قیما و الصلاة و السلام علی النبی الأمی الذی بلغ هذا الکتاب علی أکمل وجه و أدی الرسالة و نصح الأمة فجزاه اللّه عنا خیر الجزاء. و بعد ... فقد اطلعت علی کتاب: «الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث» لمؤلفه مروان وحید شعبان التفتنازی فوجدته کتابا جامعا لمظاهر الإعجاز فی کتاب اللّه، جید فی أسلوبه، جمیل فی تبویبه قیّم فی حسن العرض و الأداء و التشویق. و إذا کان العلماء قد وضعوا لتفسیر کتاب اللّه قواعد و مناهج و ضوابط فقالوا: تفسیر القرآن بالقرآن، ثم تفسیره بالسنة القولیة و الفعلیة المأثورة عن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، ثم بأقوال الصحابة رضوان اللّه علیهم فهذا لا یمنع من التدبیر فی کتاب اللّه و التفکیر بآیاته و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم القائل حین نزلت خواتیم آل عمران: «ویل لمن یقرأها و لا یتدبرها و یتفکر فی معانیها» و القرآن هو المعجزة الأبدیة المتجددة فی کل آن إلی قیام الساعة لأنه دستور البشریة إلی أن یرث اللّه الأرض و من علیها، و وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه متعددة فی التنظیم و الأسلوب و الترکیب و فی إخباره عن المغیبات و فی تشریعاته. نزل القرآن علی قوم برعوا بالفصاحة و البلاغة و قرض الشعر فارتجزوه و علّقوه علی أستار الکعبة و سجدوا له، فلما سمعوا القرآن ذهلوا و أسقط فی أیدیهم و قال کبیرهم: إن لهذا القرآن لحلاوة و إن علیه لطلاوة و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و إنه لیعلو و لا یعلی علیه. و قد ألّف الکثیر من العلماء فی وجوه إعجاز القرآن المؤلفات الکثیرة و جاء فی هذا العصر الفتنة بالعلم فألهوا المادة و أعمتهم الحضارة الحدیثة فوضعوها فی المقام الأول، و ربما قدموا النظریات العلمیة علی الحقائق الدینیة، فإذا عرضت لمسألة دینیة أو حکم شرعی قالوا لک: و لکن هذا لا یقره العلم و لا یوافق علیه و ما دروا أن الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲ الحقائق الدینیة یقینیّة و أن النظریات العلمیة مبنیة علی الظن و الحدس وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۱»، فلا یمکن للنظرة العلمیة أن تتصادم مع الحقائق الدینیّة، لأن مصدر الدین و العلم واحد قال تعالی: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْماءَ «۲» و قال: شَرَعَ لَکُمْ مِنَ الدِّینِ ما وَصَّی بِهِ نُوحاً «۳» فی هذا الجو المحموم من الفتنة بالعلم کان لا بد من التصدی لوثنیة العلم و عولمة الإلحاد فجاء هذا الکتاب لعرض الحقائق العلمیة المبثوثة فی کتاب اللّه ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ «۴» کل آیة من کتاب اللّه لها منطوق و مفهوم و المستفاد بالعبارة و الإشارة و القرآن حمّال معانی إلی قیام الساعة له دلالة بالنص و العبارة و له دلالة بالإشارة بالمنطوق و المفهوم قوله تعالی: وَ عَلَی الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ کِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ «۵» نص بالنفقة علی الوالد و قوله: المولود له مع مولود لهما إشارة إلی أن النسب للأب، و فی قوله تعالی: بَلی قادِرِینَ عَلی أَنْ نُسَوِّیَ بَنانَهُ «۶» فی معرض التحدی و الرد علی منکری البعث، العین أعقد ترکیبا من البنان و لکن المراد إن لکل إنسان بنانه الخاص و بصمته التی تمیزه عن سواه، و من آیاته أیضا اختلاف ألسنتکم و ألوانکم، و إعجاز القرآن یتجلی بأنه کتاب هدایة و علم أدنی العامة فهما یقرأه فیهتدی بمواعظه و أعلی الخاصة فهما یقرأه فیجد فیه الفلسفة العمیقة و العلم الدقیق. و ختاما جزی اللّه المؤلف خیر الجزاء، و نفع به و بمؤلفه المؤمنین و المسلمین، و جعل هذا الکتاب دستور هدایة لکل طالب للحقیقة و بدایة لمزید من الکشف و البحث، فهو الکتاب الذی لا تفنی عجائبه، و لا تنفد غرائبه، و لا یشبع منه العلماء، و لا یمله الحکماء، و لا یبلی علی کثیر و الرد ... و السلام. الشیخ محمد حکمت المعلم

(_____ ۱) سورة النساء، الآیة: ۸۲. (۲) سورة البقرة، الآیة: ۳۱. (۳) سورة الشوری، الآیة: ۱۳. (۴) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. (۵) سورة البقرة، الآیة: ۲۳۳. (۶) سورة القیامة، الآیة: ۴.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳

المقدمة

اشارة

المقدمة بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی المبعوث رحمة للعالمین، سیّدنا محمّد و علی آله و صحبه و من سار علی نهجهم و اتبع هداهم إلی یوم الدین و بعد: لقد تبوّأ القرآن الکریم سدّة الصدارة فی حیاة المسلمین، فتحلّق حوله المسلمون ینهلون من ینابیعه الصافیة و یتزوّدون من معینه الذی لا ینضب، فکان نورا لعقولهم، و مرشدا فی حیاتهم، و قبسا وضّاء لأرواحهم و نفوسهم ... و القرآن الکریم منذ نزل من السماء رسم معالم الطریق للبشریة، و ضبط سلوکهم بتشریعه و إرشاداته، فکان المحور الذی تدور حوله أهداف المفکرین و العباقرة، و الدافع الحیّ لأساطین العلم و التألیف علی الاستمرار و التواصل فی مسیرة الاستنباط و الکتابة و التعلیم ... و هو صمام الأمان من کل زلل، و العصمة الواقیة، و الحجة البالغة، و النور الساطع؛ یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً «۱». و لقد قام جهابذة العلم قدیما و حدیثا بدراسة القرآن الکریم، و تشرفوا بخدمته، فبرع المفسرون لآیات الذکر الحکیم، یعرضون أسباب النزول و یبینون الناسخ و المنسوخ، و یوضحون المحکم منه و المتشابه، فأثرت دراساتهم هذه المکتبة العربیة، بل و فاضت الکتب، تألیفا و تصنیفا و تبویبا و تحقیقا، حول القرآن و علومه ... و لقد فکرت ملیا، و أنا الضعیف القاصر فی آیات کتاب اللّه، فرأیت أن تکون خدمتی لکتاب اللّه فی الوقوف عند الآیات الکونیة فیه «۲»، فهی جدیرة بالبحث و التحلیل و الکشف عن بعض أسرارها، فأسرار القرآن الکریم ذاخرة فی کل آیة من آیاته، و عطاء هذا الکتاب متجدّد علی ممر الأحقاب و ترادف الدهور (_____ ... ۱)

سورة النساء، الآیة: ۱۷۴. (۲) تعنی الآیات القرآنیة التی تتحدّث عن المظاهر الکونیة، کالسماء و النجوم و الأفلاک و الأرض و غیرها.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴ و من أهم الأسباب التی دفعتنی لاختیار هذا الموضوع و للکتابة فیه، أننا نعیش فی عصر الثورة العلمیة، و ینبغی أن نسخّر طاقاتنا و کل ما نملک فی عصر السرعة هذا فی سبیل دعوة الناس إلی اللّه تعالی، و الدعوة إلی اللّه تعالی تتعدّد سبلها و تختلف وسائلها تبعا لاختلاف الزمان و المکان و الحال، و هذا هو السر فی تباین وسائل الدعوة و أدواتها لدی الأنبیاء و المرسلین علیهم السّلام، فکانت بیناتهم تنسجم و تتناسب مع المستوی العلمی و العقلی لأقوامهم، لکن تلک البینات کانت حیاتها مرهونة بحیاة أصحابها من الأنبیاء، فبرحیلهم عن هذا العالم، رحلت معهم بیناتهم، إلا ما خلدته الکتب السماویة و التاریخ. و لئن کان علماؤنا اشترطوا مطابقة الدعوة للحال، فإن أبرز ظاهرة تمیّز بها عصرنا أنه عصر الاکتشافات العلمیة، و الثورة التقنیة التکنولوجیة، فالإعجاز العلمی بناء علی ذلک هو أهم وسیلة دعویة تتلاءم مع معطیات زماننا، ذلک لأن الإیمان باللّه تعالی ما هو إلا ثمرة تحریک العقل و إعمال الفکر قبل أن یکون مسألة عاطفیة شعوریة. و مما لا یخفی علی أحد، أن الداعیة ینبغی أن یتسلّح بسلاح المنطق السلیم و البرهان القویم، لیقیم الحجة و یثبت صدق دعوته، و إن السلاح العلمی المادی یعتبر من أقوی الأدلة المقنّعة للمکلفین، ذلک لأنه مشاهد و مرئی و لا یستطیع أحد أن ینکره ... و إبراز مظاهر الإعجاز العلمی فی هذا الصدد، و التی تتمثل فی عرض الآیات الکونیة العلمیة مقارنة مع المکتشفات العصریة، لهو أعظم أسلوب یتفق مع ما توصل إلیه الإنسان فی هذا العصر، و الذی یمعن النظر فی آی القرآن الکریم، و ما ورد مما صح عن النبی الکریم صلی اللّه علیه و سلم یلاحظ أن عددا لیس بالقلیل من الآیات و الأحادیث توجه عقولنا لدراسة الآیات الکونیة مع معطیات العلوم الإنسانیة، لیقف الإنسان بعد ذلک علی مشاهد الجلال فی کتاب

اللّه تعالی حیث یتضح له السبق القرآنی فی میدان إثبات الحقائق العلمیة، و هذه الحقائق تتضح و تنجلی کلما تقدم العلم، و انکشفت أستار الکون و اتضحت غوامضه و بانت خفایاه، قال تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۱». و یشار إلی أن هناک عددا لیس بالقلیل من الکتب التی استفدت منها، سواء فی الدراسة التاریخیة أم فی التطبیقات المعاصرة، و من هذه الکتب: «مباحث فی إعجاز (_____ ۱)

سورة فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵ القرآن» «۱» للدکتور «مصطفی مسلم»، و «الإعجاز فی دراسات السابقین» «۲» «لعبد الکریم الخطیب»، و «فکرة إعجاز القرآن» «۳» «لنعیم الحمصی»، و «المعجزة الکبری» «۴» «لمحمد أبو زهرة»، و «الشفا بتعریف حقوق المصطفی» «۵» «للقاضی عیاض»، و «إعجاز القرآن» «۶» «للباقلانی»، و فی التطبیقات المعاصرة کتاب «الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة» «۷» «لتاربوک لوتجنز»، و «الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون» «۸» «لستیفن ونبرغ»، و «علم المحیطات» «۹» «لریتشارد فیتر»، و «علم الفلک» «۱۰» «لبیرسی سیمور»، و «الکون» «۱۱» «لسان ساغان»، و غیرها کثیر. إلا- أن ما یلاحظ علی ما کتبه و توصل إلیه السابقون ما یلی: - معظم الذین کتبوا فی هذا المجال، کانوا لا یرجعون إلی المصادر العلمیة (_____ ۱) مباحث فی إعجاز القرآن،

مصطفی مسلم، جدة، دار المنارة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. (۲) الإعجاز فی دراسات السابقین، عبد الکریم الخطیب، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵. (۳) فکرة إعجاز القرآن، للشیخ نعیم الحمصی، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰. (۴) المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفکر العربی، د. ت. (۵) الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق: علی محمد البجاوی، د. ت. (۶) إعجاز القرآن، محمد بن الطیب الباقلانی، بیروت، دار إحیاء العلوم، تعلیق: محمد سکر، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. (۷) الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربوک و لوتجنز، ترجمة: عمر سلیمان حمودة و آخرون، طبع فی مالطا، ۱۹۸۴. (۸) الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون، ستیفن وینبرغ، ترجمة: محمد وائل الأتاسی، دمشق، الدار المتحدة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶. (۹) علم المحیطات، ریتشارد فیتر، ترجمة: میشیل تکلاء القاهرة، مطبوعات کتابی، د. ت. (۱۰) علم الفلک، بیرسی سیمور، ترجمة: أحمد حمادة و محمد حسّان، بیروت، نشر دلمون، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹. (۱۱) عالم المعرفة، الکون، کارل ساغان، ترجمة: نافع أیوب لبس، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶ الأصلیة أعنی العلوم التطبیقیة، فکانوا یتناقلون المعلومات فیما بینهم، و هنا آثرت أن أرجع إلی الکتب العلمیة التی کتبها الغربیون أنفسهم و غیرهم من أهل الاختصاص و أتناول المادة من مصادرها الأصلیة. - کثیر من الکتب تخصّصت فی الحدیث عن العلوم و الاکتشافات العصریة دون الإشارة إلی الناحیة التاریخیة، و قلیل منها تحدث عن الناحیة التاریخیة دون الإشارة إلی القضایا التطبیقیة، لکنی حاولت أن أجمع بینهما. - معظم الذین کتبوا فی هذا المجال لم یلتزموا بالضوابط و الموازین التی وضعها العلماء للتفسیر العلمی، بل اعتمدوا فی بحوثهم علی النظریات و الفرضیات، و أقحموا المعارف الکونیة إقحاما، أو أثنوا أعناق الآیات لتفسیراتهم، و کما هو معلوم أن النظریات تتغیر و تتبدل، و لکننی اعتمدت فی بحثی علی القضایا الیقینیة التی ارتقت إلی مستوی القطعیة و ما أکثرها .. و هذا هو السبب فی أننی لم أخصص الرسالة فی جانب معین، و الذین خصصوا أبحاثهم فی جانب معین تجاوزوا الحدود و الضوابط، فالذی کتب فی الطب القرآنی مثلا، أکثر من ذکر القضایا الطبیة، و کأن الکتاب کتاب طب، و هکذا فی سائر العلوم، فمن أجل المحافظة علی مقاصد الآیات، اکتفیت هنا بالحدیث عن الإشارات القرآنیة، و لم أجعل من القرآن الکریم کتاب علم فقط. و المنهج المعتمد فی هذه الدراسة، هو منهج الاستنباط و المقابلة، فإننا نستنبط من الآیات القرآنیة ما نقف علیه من القضایا الکونیة الثابتة عند المقابلة الدقیقة، و لسوف یکون مجال الدراسة هو ریاض القرآن الکریم و معطیات العلوم الکونیة. و لا یخفی أن أی طالب أو باحث تعتریه خلال خطوات بحثه صعوبات و إشکالات تعرقل له مسیرة بحثه، لکن بفضل اللّه تعالی، ثم بفضل توجیهات الأستاذ المشرف و غیره من أهل العلم و الاختصاص، تذلل هذه الصعوبات و

یتسنّی للطالب القدرة علی ترکیب مفردات القضیة المدروسة ثم بناؤها بالشکل الدقیق. و من أبرز ما استوقفنی من المصاعب خلال مراحل البحث، محاولة هضم القضایا العلمیة و الإحاطة بمصطلحاتها المتنوعة، فکنت أطیل القراءة فی الکتب العلمیة لفهم مصطلح معین أو قضیة ما، و لا شک أن توفر کل وسائل البحث و الکتب المطلوبة أمر صعب للغایة، مما حتّم علیّ السفر و التنقل المستمر للحصول علی المراجع المطلوبة، فضلا عمّا هو متوفر فی المکتبات العامة، و قد سافرت إلی العدید من البلدان، و استفدت بفضل اللّه تعالی من هذه التنقلات. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷ و فی المقابل فإن المستجدات العصریة التقنیة المتطورة سهلت علیّ کثیرا من المشاکل، و من أهمها شبکة (الإنترنت) التی استفدت من مواقعها بشکل کبیر، و خاصة فی الجوانب العلمیة البحتة، کذلک فی الدخول علی مواقع العلماء فی التخصّصات المختلفة و الاستفادة منهم، أضف إلی ذلک القضایا العلمیة المدونة باللغة الإنکلیزیة و التی قمت بترجمتها و الاستفادة منها، متوخیا فی کل ذلک الدقة فی المعلومة و التوثیق لما أسجله من بیانات و اقتباسات من الکتب المعتمدة، و یذکر أن الاستبیانات الشخصیة من العلماء و الالتقاء بهم، کان دافعا للبحث إلی الأمام.

خطّة البحث:

خطّة البحث: الخطة التی وفّقنی المولی عزّ و جلّ لأسیر علیها، تتضمن مقدمة، و عشرة فصول، و خاتمة، و کانت الفصول الثلاثة الأولی عبارة عن دراسة تاریخیة لقضیة إعجاز القرآن الکریم عبر التاریخ، و سبعة فصول عن التطبیقات المعاصرة للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم. المقدمة: و تحدثت فیها عن أهمیة البحث و سبب اختیاری للموضوع، و أشرت إلی من سبق و أن کتب فی هذا الموضوع، و الجهد الذی توصلوا إلیه مبینا نتائج عملهم من مزایا و مآخذ، و ذکرت عددا من أبرز المراجع التی ارتکز البحث علیها، کما أننی أوضحت المنهج المتبع فی هذه الرسالة، و أشرت إلی بعض الصعوبات التی اکتنفت البحث خلال مراحله، و فی المقابل بیّنت ما قدم للبحث من تسهیلات. الفصل الأول: و تضمن الحدیث عن مفهوم المعجزة، و الفرق بین معجزة رسولنا محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء من قبله علیهم السّلام، و عن التسلسل التی مرت به مراحل التحدی بالقرآن الکریم و کیف أن المشرکین أعلنوا عجزهم و اعترافهم بعظمة کتاب اللّه تعالی. الفصل الثانی: و جاء فیه الحدیث عن نشأة الإعجاز فی القرآن الکریم، و ما هی العوامل التی أدّت لظهور مصطلح الإعجاز، و أشرت إلی قضیة «الصرفة» و أبرز القائلین بها، ثم نقد مذهب الصرفة من الناحیة النقلیة و العقلیة، و بیّنت أوجه إعجاز القرآن و آراء العلماء فی ذلک. الفصل الثالث: تعرض للحدیث عن الإعجاز العلمی فی القرآن بین المؤیدین له و المعارضین و ذکرت أبرز العلماء المؤیدین من القدامی و المعاصرین، و کذلک أبرز الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸ العلماء المعارضین من القدامی و المعاصرین، و أوضحت وجهة نظر کل من الفریقین، ثم أوردت أدلة کل منهما، و ذکرت الترجیح بعد مناقشة موضوعیة. الفصل الرابع: صدّر هذا الفصل بمدخل ارتکز علی ثلاثة محاور هی: الإسلام دین العلم و الإعجاز العلمی کسبیل من سبل الدعوة، و الضوابط العلمیة لتفسیر القرآن علی أساس العلم و تضمن هذا الفصل الحدیث عن علم الفلک فی القرآن الکریم، من حیث نشأة الکون، و تمدده، و نهایته، کل ذلک بین النصوص القرآنیة و الحقائق العلمیة. الفصل الخامس: تحدثت فیه عن نجم الشمس و طبیعة تکوینه، و عن حرکات الشمس و تنقّلاتها و تطرقت للحدیث عن هذا النجم المتوهج و الملتهب و سبب ذلک، و عن تعدد الشموس و الأقمار فی هذا الکون الرحیب، و النظام الإلهی الدقیق الذی یلف الکون بأسره. الفصل السادس: و جاء فیه الحدیث عن القمر و لما ذا هو منیر و لیس ملتهبا، و عن حادثة انشقاق القمر ثم رتقه، و مآل القمر أنه سیجمع مع الشمس یوما ما. الفصل السابع: و تضمن الحدیث عن کوکبنا الأرض و ما فیه من آیات، و عن حرکة الأرض و دورانها، و أشرت إلی قوة الجاذبیة الأرضیة و ما فیها من أسرار، کما تعرضت للغلاف الجوی للأرض من أکثر من زاویة، و عن نهایة الأرض و نقصانها و تآکلها بین القرآن و العلم. الفصل الثامن: و تناولت فیه قضیة الریاح، کتلک التی تبشر بالخیر و الرحمة مثل «اللواقح و المبشرات» و أشرت إلی تکوین السحب و أنواعها، و إلی اللفتات العلمیة فی البرد و الرعد. الفصل التاسع: تعرض للحدیث

عن علم الجبال، من حیث کیفیة نشأة و تکوین الجبال، و کیف أن الجبال کانت کالوتد تحافظ علی توازن الکرة الأرضیة و استقرارها، و عن السر فی الربط بین شهوق الجبال و غزارة المیاه، و عن تعدد صخور الجبال و تعدد أنواعها و أشکالها. الفصل العاشر: و جاء للحدیث عن عالم البحار و الماء، و کیف أن الظلمات تتنوع و تتفاوت فی البحار، و أشرت إلی وجود أمواج سطحیة و أخری جوفیة، و عن اختلاط ماء البحر مع ماء النهر دون امتزاج، و أوضحت أن البحار مسجّرة فی قاعها، و لما ذا تهتز الأرض بنزول ماء السماء بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹ الخاتمة: و ضمنتها أهم نتائج البحث مع ذکر بعض التوصیات. و إنی أتوجه بالشکر الجزیل إلی الأساتذة و العلماء و الإداریین فی کل من کلیة الإمام الأوزاعی فی بیروت، و جامعة الشارقة، و جامعة أم درمان الإسلامیة فی الخرطوم، و إلی کل الأساتذة المتخصصین الذین تکرموا بمراجعة الرسالة و ترمیم ما فیها من هنات، کما أشکر الإخوة الکرام الدکتور حسین الأمیری و الأخوین الغالیین أحمد الحسن و رضوان شعبان لإسهامهم فی إخراج هذه الرسالة، فجزی اللّه الجمیع عنی کل خیر. و أخیرا، فإن ما قدمته من جهد متواضع أسأل اللّه العلی القدیر أن ینفع به الناس، و أن یجعله اللّه فی میزان حسناتی، و سببا لمغفرة زلاتی إنه جواد کریم. و أتوجه إلی العلی القدیر، أن یجعلنی بجهدی المتواضع هذا من خدام کتابه المجید، و سنة نبیه الکریم صلی اللّه علیه و سلم إنه ولی ذلک و القادر علیه و الحمد للّه رب العالمین. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱

الفصل الأوّل مفهوم المعجزة

اشارة

الفصل الأوّل مفهوم المعجزة تمهید. المبحث الأول: تعریف المعجزة لغة و اصطلاحا. المبحث الثانی: الفرق بین معجزة النبی محمد صلی اللّه علیه و سلم و معجزات الأنبیاء السابقین. المبحث الثالث: مراحل التحدی بالقرآن الکریم. المبحث الرابع: عجز المشرکین و اعترافهم بعظمة القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳

تمهید

تمهید إن المدقق فی کتاب اللّه المجید، و المتتبع لآیات الذکر الحکیم، لن یقف علی لفظة المعجزة أبدا و کذلک الأمر ذاته فی السنة المطهرة، و فی أقوال الصحابة الکرام، غیر أن القرآن الکریم استعمل ألفاظا أخری تدل علی مفهوم المعجزة، و ذلک فی سیاق إثبات نبوة الأنبیاء علیهم السّلام، فمن تلک الألفاظ التی استعملها القرآن الکریم لغرض إثبات صدق الرسل لفظة: البینة، الآیة، البرهان، و غیرها من الألفاظ الواردة فی ثنایا قصص الأنبیاء أو فی معرض إقامة الحجة و البرهان فی شتی المجالات. یقول ابن تیمیة «۱»: (و الآیات و البراهین الدالة علی نبوة محمد کثیرة متنوعة و هی أکثر و أعظم من آیات غیره من الأنبیاء، و یسمیها من یسمیها من النظار معجزات، و تسمی دلائل النبوة و أعلام النبوة، و هذه الألفاظ إذا سمیت بها آیات الأنبیاء کانت أدل علی المقصود من لفظ المعجزات و لهذا لم یکن لفظ المعجزات موجودا فی الکتاب و السنة و إنما فیه لفظ الآیة و البینة و البرهان) «۲». (و إنما ظهر مصطلح المعجزة، فی وقت متأخر بعض الشیء، عند ما دونت العلوم، و منها علوم العقائد فی أواخر القرن الثانی الهجری و بدایة الثالث) «۳».

(_____ ۱) ابن تیمیة: الشیخ الإمام الحافظ الناقد الفقیه المجتهد المفسر البارع، شیخ الإسلام، أحمد بن المفتی شهاب الدین عبد الحلیم ابن الإمام الحرانی، أحد الأعلام، ولد فی ربیع الأول سنة إحدی و ستین و ستمائة، عنی بالحدیث، و خرّج، و انتقی، و برع فی الرجال، و علل الحدیث، و فقهه، و فی علوم الإسلام، و علم الکلام و غیر ذلک، مات فی العشرین من ذی القعدة، سنة ثمان و عشرین و سبعمائة. طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن

أبی بکر السیوطی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۳ ه، ۱/ ۵۲۰. (۲) الجواب الصحیح لمن بدل دین المسیح، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، الریاض، دار العاصمة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه، تحقیق علی حسن ناصر و آخرون، ۵/ ۴۱۲، و انظر: النبوات، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، القاهرة، المطبعة السلفیة، د. ت، ۱/ ۳. (۳) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص، ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴ و سوف یذکر فی هذا الفصل إن شاء اللّه تعریف المعجزة فی اللغة و الاصطلاح، و بیان الفرق بین معجزة نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم و غیره من الأنبیاء، ثم یعرج للحدیث عن إعجاز القرآن و تحدیه للعرب و الناس جمیعا و یوضح عجز العالم عن مجاراة هذا الکتاب العظیم، و شهادتهم فی ذلک. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵

المبحث الأول تعریف المعجزة

اشارة

المبحث الأول تعریف المعجزة المعجزة لغة: تحدث علماء اللغة عن الفعل: عجز، و مضارعه: یعجز، و المصدر منه: إعجاز، فعند ابن منظور (العجز: نقیض الحزم، عجز عن الأمر یعجز و عجز عجزا فیهما، و عجز فلان رأی فلان إذا نسبه إلی خلاف الحزم، کأنه نسبه إلی العجز، و العجز: الضعف) «۱». و فی معجم مقاییس اللغة: (عجز عن الشیء یعجز عجزا، فهو عاجز، أی ضعیف، و قولهم: إن العجز نقیض الحزم فمن هذا، لأنه یضعف رأیه و یقولون: المرء یعجز لا- محالة، و یقال: أعجزنی فلان إذا عجزت عن طلبه و إدراکه و لن یعجز اللّه تعالی شیء، أی لا- یعجز اللّه تعالی عنه متی شاء، و فی القرآن: وَ أَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِی الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً «۲» «۳»، و یشیر الفیروزآبادی إلی أن معنی العجز هو التثبیط فیقول: (التعجیز: التثبیط، و النسبة إلی العجز، و معجزة النبی صلی اللّه علیه و سلم ما أعجز به الخصم عند التحدی) «۴». و فی «تاج العروس»: (العجوز، بالضم کعقود: الضعف و عدم القدرة، و فی المفردات للراغب و البصائر و غیرهما، العجز: أصله التأخر عن الشیء و حصوله عند عجز الأمر أی مؤخره کما ذکر الدبر، و صار فی العرف اسما للقصور عن فعل الشیء (_____ ۱)

لسان العرب، محمد بن مکرم بن منظور، بیروت، دار صادر، الطبعة الأولی، د. ت، ۵/ ۳۶۹. (۲) سورة الجن، الآیة: ۱۲. (۳) معجم مقاییس اللغة، لأبی الحسین أحمد بن فارس، بیروت، دار الجیل، تحقیق، عبد السلام هارون، د. ت، ۴/ ۲۳۲. (۴) القاموس المحیط، محمد بن یعقوب الفیروزآبادی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۵، ص، ۴۶۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶

و هو ضد القدرة، و فی حدیث عمر: لا تلثّوا بدار معجزة، أی لا تقیموا ببلدة تعجزون فیها عن الاکتساب و التعیش) «۱».

المعجزة اصطلاحا:

المعجزة اصطلاحا: رأینا أن مدلول کلمة: عجز، أعطانا عدة معانی، و إن تباینت بعض الشیء تبعا لاشتقاقاتها إلا أنها تدل بمجملها علی الضعف، و هذا المصطلح مفتقر إلی قرینة تدل علی معناه عند ما یرد فی سیاق الکلام ذلک لأنه مبهم إذا ما جرد عن القرائن، و یتضح هذا الذی نقول عند ما نطلق کلمة العجز علی شخص، فنقول علی سبیل المثال: زید من الناس أصابه عجز، فما هو هذا العجز یا تری؟ هل عجز فی جسده، و ما هو نوعه و صفته، أم أنه عجز مالی، أم أنه عجز فی الإدراک و التفکیر و کذلک الأمر إذا أطلق هذا اللفظ فی شتی جوانب الحیاة، غیر أن علماء الکلام إذا أطلقوا مصطلح «المعجزة» فإنهم یعنون به المعنی الاصطلاحی الذی نثبته هنا، یقول السیوطی: (المعجزة، أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدی، سالم من المعارضة، یظهره اللّه علی ید رسله) «۲». و هکذا عرّف المعجزة ابن خلدون فی مقدمته، حیث یقول: (إن المعجزات هی أفعال یعجز البشر عن مثلها فسمیت بذلک معجزة، و لیست من جنس

مقدور العباد، و إنما تقع فی غیر محل قدرتهم) «۳». و من خلال استعراض تعریف المعجزة، یمکن لنا أن نتبین شروطها، و سترد هذه الشروط کما ذکرها الإیجی «۴» فی المواقف بشکل موجز:

(۱) تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدین السید محمد مرتضی الحسینی الزبیدی، بیروت، دار الفکر، تحقیق: علی شیری ۱۴۱۴ ه، ۸/ ۸۹- ۹۰. (۲) الإتقان فی علوم القرآن، جلال الدین السیوطی، بیروت، عالم الکتاب، د. ت، ۲/ ۱۱۶. (۳) المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، درویش جویدی، ۱۴۲۲ ه، ص، ۹۰. (۴) ت ۷۵۶ ه، عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار قاضی قضاة الشرق و شیخ العلماء بتلک البلاد العلامة عضد الدین الإیجی الشیرازی شارح مختصر ابن الحاجب الشرح المشهور و غیر ذلک من المؤلفات المشهورة فی العلوم الکلامیة و العقلیة، کان إماما فی علوم متعددة محققا مدققا ذا تصانیف مشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب، و المواقف، و الجواهر، و غیرها فی علم الکلام، مولده بإیج بعد سنة ثمان و سبعمائة. انظر: طبقات الشافعیة، لأبی بکر أحمد بن محمد ابن عمر، بیروت، عالم الکتاب تحقیق، الحافظ عبد العلیم خان، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه، ۳/ ۲۷، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷ الشرط الأول: أن یکون فعل اللّه أو ما یقوم مقامه من المتروک، و إنما اشترط ذلک لأن التصدیق من اللّه تعالی لا یحصل بما لیس من قبله، و قولنا: أو ما یقوم مقامه لیتناول التعریف مثل ما إذا قال: معجزتی أن أضع یدی علی رأسی و أنتم لا تقدرون علیه ففعل و عجزوا، فإنه معجز دال علی صدقه، و معنی المتروک، أی عدم الفعل، کعدم إحراق النار لسیدنا إبراهیم علیه السّلام. الثانی: أن یکون المعجز خارقا للعادة، إذ لا إعجاز دونه، فإن المعجز ینزل من اللّه منزلة التصدیق بالقول، و ما لا یکون خارقا للعادة بل معتادا، کطلوع الشمس فی کل یوم، و بدوّ الأزهار فی کل ربیع، فإنه لا یدل علی الصدق لمساواة غیره إیاه فی ذلک. الثالث: أن یتعذر معارضته، فإن ذلک حقیقة الإعجاز. الرابع: أن یکون ظاهرا علی ید مدعی النبوة. الخامس: أن یکون موافقا للدعوی، فلو قال: معجزتی أن أحی میتا ففعل خارقا آخر کنتق الجبل مثلا لم یدل علی صدقه. السادس: أن لا یکون ما دعاه و أظهره من المعجزة مکذبا له فلو قال: معجزتی أن ینطق هذا الضب فقال: إنه کاذب، لم یعلم به صدقه بل ازداد اعتقاد کذبه. السابع: أن لا یکون المعجز متقدما علی الدعوی بل مقارنا لها، لأن المعجز تصدیق من اللّه و رسوله فلا یتصور أن یأتی التصدیق قبل دعوی النبوة «۱». و تجدر الإشارة إلی أهم صفات المعجزة فی القرآن الکریم، حیث إنها من لدن الحق عزّ و جلّ و الله سبحانه و تعالی یؤید بها رسله لتکون آیة علی صدق دعواهم، و برهانا ساطعا علی أن ما أتوا به هو من عند اللّه، و دورهم هو التبلیغ و البیان، فلا یملک رسول من الرسل قدرة علی إیجاد المعجزة من تلقاء نفسه، و لا یستطیع خرق ناموس من نوامیس الحیاة بقوة ذاتیة تصدر من کیانه إلا بأمر اللّه و مشیئته، و هذا المعنی نطق به کتاب اللّه تعالی فی غیر ما موضع، من ذلک علی سبیل المثال، قول اللّه تعالی علی لسان عیسی بن مریم علیه السّلام: وَ رَسُولًا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ

(۱) انظر: شرح المواقف، لعلی بن محمد الجرجانی، القاهرة، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الثانیة، ۱۳۷۳ ه، ۸/ ۲۲۳ و ما بعدها بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ «۱». و فی هذا الصدد یقول الحق عز و جل: وَ ما کانَ لِرَسُولٍ أَنْ یَأْتِیَ بِآیَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِکُلِّ أَجَلٍ کِتابٌ «۲». و یؤکد الحق عز و جل علی نفی طاقة النبی و عجزه عن أن یأتی بمعجزة من عنده و إن کان أشرف الخلق و أکرمهم علی الحق، إلا أن ذلک الشرف لا یتعد طوق البشر لیصل إلی درجة الخلق أو الخرق، و إلی هذا یشیر بیان اللّه بقوله وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَةٍ وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُدی فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ «۳». یعلق الشیخ رشید رضا «۴» علی هذه الآیة فیقول: (... و إن کان شأنک معهم أنه کبر علیک إعراضهم عن الإیمان و عن الآیات القرآنیة و

العقلیة الدالة علیه، و ظننت أن إتیانهم بآیة مما اقترحوا یدحض حجتهم، و یکشف شبهتهم، فیعتصمون بعروة الإیمان عن بینة ملزمة و برهان، فإن استطعت أن تبتغی لنفسک نفقا کائنا فی الأرض، أو معناه تطلبه فی الأرض فتذهب فی أعماقها، أو سلما فی جو السماء ترقی علیه إلی ما فوقها فتأتیهم بآیة مما اقترحوا علیک منهما، فأت بما یدخل فی طوع قدرتک من ذلک. أی و لیس ذلک فی قدرة البشر و إن کان رسولا، لأن الرسالة لا تخرج الرسول عن طور البشر فی صفاتهم البشریة کالقدرة و الاستطاعة، فهم لا یستطیعون إیجاد شیء مما یعجز عنه البشر و لا یقدر علیه إلا الخالق تعالی) «۵».

(_____۱) سورة آل عمران، الآیة: ۴۹. (۲) سورة الرعد، الآیة: ۳۸. (۳) سورة الأنعام، الآیة: ۳۵. (۴) ۱۲۸۲- ۱۳۵۴ ه ۱۸۶۵- ۱۹۳۵ ه، محمد رشید بن علی رضا القلمونی، من العلماء بالحدیث و الأدب و التفسیر، صاحب مجلة المنار و أحد رجال الإصلاح الإسلامی، ولد و نشأ فی القلمون «من أعمال طرابلس الشام» و أنشأ فی مصر مدرسة الدعوة و الإرشاد توفی فی مصر، من مؤلفاته: تفسیر المنار، و الوحی المحمدی، و الخلافة، و غیرها. انظر: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربین و المستشرقین، خیر الدین الزرکلی، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة السادسة، ۱۹۸۴، ۶/ ۱۲۶، بتصرف. (۵) تفسیر المنار، محمد رشید رضا، بیروت، دار الفکر، الطبعة الثالثة، د. ت، ۷/ ۳۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹

المبحث الثانی الفرق بین معجزة النبی و معجزات الأنبیاء السابقین علیهم السّلام

أولا: معجزات الأنبیاء علیهم السّلام

أولا- معجزات الأنبیاء علیهم السّلام من القضایا البدهیة فی تاریخ الأدیان و سیر الأنبیاء و المرسلین، أن الحق تبارک و تعالی جعل لکل نبی من الأنبیاء آیة أو معجزة تدل علی صدق دعواه، و تفتح هذه المعجزة باب التحدی للقوم المرسل إلیهم، لتبرز لهم وجوه الإعجاز التی لم یسبق لهم و أن تعاهدوها فی سالف حیاتهم أو حاضرهم. و من کمال الحکمة أن تکون تلک المعجزة منسجمة و ملائمة لما نبغ فیه القوم و شاع فی أوساطهم، فی مختلف المجالات و شتّی مرافق الحیاة، و الباعث علی هذه الملائمة تعزیز إدراک کنه المعجزة و طبیعتها، و الکشف عن خواصها و حقیقتها، لیتسنّی للقوم المرسل إلیهم معرفة وجه الحق من الباطل، و لن یتمکنوا من اتخاذ موقف حیال هذه الدعوی التی عرضت علیهم إلا بعد معرفتها فإذا ما تجلت لهم و اتضحت، استطاعوا یوم ذاک أن یصدروا الحکم علیها سلبا أو إیجابا لأن الحکم علی الشیء فرع عن تصوره کما هو معلوم. و لا غرابة أن یؤید النبی بأکثر من معجزة، بل إن فی ذلک ترسیخا لصدق مدعیها و تأکیدا علی وجوب الخضوع لسلطانها و الانقیاد لمستلزماتها. (فموسی علیه السّلام قد حمل إلی بنی إسرائیل عصا کانت تتفجّر منها المعجزات ... یلقی بها من یده فتنقلب حیة تسعی، و یضرب بها البحر فینفلق عن طریق یبس بین جبال عالیة من الماء ... و یضرب بها وجه الحجر فیتفجر منه الماء، و تسیل العیون ... ثم کان معه إلی جانب تلک العصا و معجزاتها معجزة أخری هی یده، یدخلها فی جیبه فتخرج بیضاء من غیر سوء ... ثم من معجزاته کذلک سوق آیات النقمة و البلاء علی الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰ فرعون و قومه) «۱». فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمُ الطُّوفانَ وَ الْجَرادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفادِعَ وَ الدَّمَ آیاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَکْبَرُوا وَ کانُوا قَوْماً مُجْرِمِینَ «۲». و کذلک عیسی علیه السّلام کانت معجزاته متنوعة، کما قال الحق عز و جل: وَ رَسُولًا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی قَدْ جِئْتُکُمْ بِآیَةٍ مِنْ رَبِّکُمْ أَنِّی أَخْلُقُ لَکُمْ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ فَأَنْفُخُ فِیهِ فَیَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْیِ الْمَوْتی بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنَبِّئُکُمْ بِما تَأْکُلُونَ وَ ما تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ «۳». و قد تقرن المعجزة بتنزل الوحی من أول مرة، من غیر سابق علم أو معرفة أو سؤال و هذا ما جری لکلیم اللّه موسی علیه السّلام کما أخبر القرآن بذلک، قال تعالی: فَلَمَّا قَضی مُوسَی الْأَجَلَ وَ سارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً قالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی

آتِیکُمْ مِنْها بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّکُمْ تَصْطَلُونَ (۲۹) فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَیْمَنِ فِی الْبُقْعَةِ الْمُبارَکَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ یا مُوسی إِنِّی أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ (۳۰) وَ أَنْ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی أَقْبِلْ وَ لا تَخَفْ إِنَّکَ مِنَ الْآمِنِینَ (۳۱) اسْلُکْ یَدَکَ فِی جَیْبِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ وَ اضْمُمْ إِلَیْکَ جَناحَکَ مِنَ الرَّهْبِ فَذانِکَ بُرْهانانِ مِنْ رَبِّکَ إِلی فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ کانُوا قَوْماً فاسِقِینَ (۳۲) «۴». و یؤید الرسول بالمعجزة بعد دعوة قومه إلی الهدی و الإیمان، فیکذبونه و یعرضون عن دعوته و تعالیم السماء، ثم یطلبون منه المعجزة الدالة علی صدقه فیعطاها، و هذا ما جری لمعظم الأنبیاء و المرسلین علیهم السّلام. قال تعالی: وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً قالَ یا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَکُمْ مِنْ إِلهٍ غَیْرُهُ أَ فَلا تَتَّقُونَ (۶۵) قالَ الْمَلَأُ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَراکَ فِی سَفاهَةٍ وَ إِنَّا لَنَظُنُّکَ مِنَ الْکاذِبِینَ (۶۶) قالَ یا قَوْمِ لَیْسَ بِی سَفاهَةٌ وَ لکِنِّی رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۶۷) أُبَلِّغُکُمْ رِسالاتِ رَبِّی وَ أَنَا لَکُمْ ناصِحٌ (_____ ۱)

الإعجاز فی دراسات السابقین، عبد الکریم الخطیب، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵، ص ۸۹ و انظر: دلائل الإعجاز فی علم المعانی، للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، یاسین الأیوبی، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص، ۴۳۳. (۲) سورة الأعراف، الآیة: ۱۳۳. (۳) سورة آل عمران، الآیة: ۴۹. (۴) سورة القصص، الآیات ۲۹- ۳۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱ أَمِینٌ (۶۸) أَ وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جاءَکُمْ ذِکْرٌ مِنْ رَبِّکُمْ عَلی رَجُلٍ مِنْکُمْ لِیُنْذِرَکُمْ وَ اذْکُرُوا إِذْ جَعَلَکُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَ زادَکُمْ فِی الْخَلْقِ بَصْطَةً فَاذْکُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۶۹) قالُوا أَ جِئْتَنا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَ نَذَرَ ما کانَ یَعْبُدُ آباؤُنا فَأْتِنا بِما تَعِدُنا إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ (۷۰) «۱». و هکذا مع سائر الأنبیاء ... و کیفما کان الحال، فإن المعجزة عطیة من اللّه تعالی لرسوله یختارها له فی الکیفیة التی یشاؤها و لمن یریدها. إذا علمنا هذا، فإننا من خلال عرض و استقراء معجزات الأنبیاء السابقین یتضح أن معجزاتهم علی نوعین: النوع الأول: حسیة، و قد أید جمیع رسل اللّه بها. النوع الثانی: کتب و صحف منزلة، إلا أن هذه الصحف و تلک الکتب منها ما قد اندثر فی غیاهب الزمان، و انحجب عنا فأصبح أثرا بعد عین، کصحف إبراهیم و الزبور و غیره، و منها ما قد تسرب إلیه التبدیل و التحریف و لم یسلم منه إلا القلیل، کالتوراة و الإنجیل. و هذه المعجزات کما علمنا کانت منسجمة مع البیئة و المحیط الذی ظهرت فیه، و متناسبة مع المستوی العقلی و العلمی و الاجتماعی لدی القوم الذین خوطبوا بها، إلا- أن تلک المعجزات المادیة کانت حیاتها مرتبطة بحیاة أصحابها من الأنبیاء، فلما رحل الأنبیاء إلی دار القرار، ذهب وجه الإعجاز لتلک البینات من حیز الواقع المشاهد و المرئی، و لم یبق منها إلا- النقول و الأخبار عبر وحی اللّه تعالی تقریرا و تحقیقا، و عبر التاریخ روایة. و الشواهد کثیرة فی کتاب اللّه تعالی علی ما ذکرنا ... (فالأنبیاء الذین عاشوا فی البلاد العربیة کانت معجزاتهم مناسبة لبیئة العرب الصحراویة، فمعجزة صالح علیه السّلام کانت ناقة غریبة المنشأ و المولد بین نوق أهل البادیة) «۲». قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِینَ (۱۵۳) ما أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنا فَأْتِ بِآیَةٍ إِنْ کُنْتَ مِنَ الصَّادِقِینَ (۱۵۴) (_____ ۱) سورة الأعراف، الآیات ۶۵- ۷۰.

(۲) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم ص ۲۲، و انظر: فکرة إعجاز القرآن، نعیم الحمصی، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰، ص: ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲ قالَ هذِهِ ناقَةٌ لَها شِرْبٌ وَ لَکُمْ شِرْبُ یَوْمٍ مَعْلُومٍ (۱۵۵) وَ لا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَیَأْخُذَکُمْ عَذابُ یَوْمٍ عَظِیمٍ (۱۵۶) «۱». و من الملاحظ أن معجزة صالح کانت من جنس ما شاع فی أرجاء الجزیرة العربیة من تربیة الأنعام و رعیها، فلو أن صالحا أتاهم بمعجزة غریبة عنهم کعصا موسی مثلا، أو کإحیاء الموتی لاستهجنها القوم و استنکروها و لقالوا بلسان واحد: نحن أمة لا نعرف سحرا و لا طبا، و لو کان لدینا علم بأعمال السحرة و أسالیبهم لدحضنا ما جئت به و أبطلنا معجزتک. و هذا موسی علیه السّلام فلقد اشتهر أهل مصر بالسحر و أفانین السحرة، و من هنا کان لزاما أن یؤید موسی بمعجزة من نوع ما تعارف علیه قومه لیقیم الحجة علیهم و یثبت صدق ما ادعاه، و من أبرز معجزاته: العصا و الید، قال تعالی: وَ ما تِلْکَ بِیَمِینِکَ یا مُوسی (۱۷) قالَ هِیَ عَصایَ أَتَوَکَّؤُا عَلَیْها وَ أَهُشُّ بِها عَلی غَنَمِی وَ لِیَ فِیها مَآرِبُ أُخْری (۱۸) قالَ أَلْقِها یا

مُوسی (۱۹) فَأَلْقاها فَإِذا هِیَ حَیَّةٌ تَسْعی (۲۰) قالَ خُذْها وَ لا تَخَفْ سَنُعِیدُها سِیرَتَهَا الْأُولی (۲۱) وَ اضْمُمْ یَدَکَ إِلی جَناحِکَ تَخْرُجْ بَیْضاءَ مِنْ غَیْرِ سُوءٍ آیَةً أُخْری (۲۲) «۲». (فلو أن موسی علیه السّلام ذهب إلی فرعون و قومه بمعجزة لغویة کمعجزة النبی صلی اللّه علیه و سلم فی القرآن و قرأها علیهم، لقالوا له: إن ما جئتنا به کلام عادی، لیس فیه إعجاز، و لا یدل علی صدقک و لو کنا نعرف العربیة أو نتقنها کالعرب، لأتیناک بکلام أبلغ من الکلام الذی جئتنا به و لما أفلحت معهم معجزته البلاغیة، و ما ذاک إلا لأنهم لا یعرفون العربیة، و لو عرفوها لکانت معرفتهم لها معرفة بسیطة لا تمکنهم من الوقوف علی وجه الإعجاز فی القرآن، و لذلک کان لا بد من معجزة تتناسب مع معارفهم و علومهم) «۳». (و بعد موسی علیه السّلام انتشرت الفلسفة الأیونیة، و هی أساس الفلسفة الیونانیة فیما بعد و کانت تقوم علی الأخذ بالأسباب و المسببات، و تولد العلة من المعلول فی انتظام قائم لا یتخلف فجاءت معجزات أنبیاء بنی إسرائیل فی هذا العصر خارقة للأسباب

(_____ ۱) سورة الشعراء، الآیات ۱۵۳- ۱۵۶.

(۲) سورة طه، الآیات ۱۷- ۲۲. (۳) المعجزة القرآنیة، محمد حسن هیتو، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۹، ص: ۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳ و المسببات، لتثبت أن الکون کله بإرادة مختار، لا یفعل إلا ما یرید و لا یصدر عنه بغیر إرادته الثابتة شیء) «۱». و إننا نلحظ هذا المعنی من تعلیم اللّه تعالی نبیه سلیمان علیه السّلام منطق الطیر و الحیوانات الأخری کالنمل مثلا، قال تعالی: وَ وَرِثَ سُلَیْمانُ داوُدَ وَ قالَ یا أَیُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّیْرِ وَ أُوتِینا مِنْ کُلِّ شَیْءٍ إِنَّ هذا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِینُ (۱۶) وَ حُشِرَ لِسُلَیْمانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّیْرِ فَهُمْ یُوزَعُونَ (۱۷) حَتَّی إِذا أَتَوْا عَلی وادِ النَّمْلِ قالَتْ نَمْلَةٌ یا أَیُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَساکِنَکُمْ لا یَحْطِمَنَّکُمْ سُلَیْمانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لا یَشْعُرُونَ (۱۸) فَتَبَسَّمَ ضاحِکاً مِنْ قَوْلِها وَ قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِی أَنْ أَشْکُرَ نِعْمَتَکَ الَّتِی أَنْعَمْتَ عَلَیَّ وَ عَلی والِدَیَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَ أَدْخِلْنِی بِرَحْمَتِکَ فِی عِبادِکَ الصَّالِحِینَ (۱۹) «۲». و تسخیر الریح له، قال سبحانه: وَ لِسُلَیْمانَ الرِّیحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَ رَواحُها شَهْرٌ وَ أَسَلْنا لَهُ عَیْنَ الْقِطْرِ «۳». و فی عصر عیسی علیه السّلام نبغ قومه و برعوا بالطب، فکانت المعجزات التی أجراها الحق تبارک و تعالی علی یده من جنس ما اشتهر به القوم، و لقد کانت حیاة عیسی علیه السّلام حافلة بالمعجزات الربانیة بدءا من حمله و حتی رفعه إلی السماء. فلقد جرت سنة اللّه فی خلقه أن یکون الوالدان سببا فی إنجاب المولود، فجاءت ولادة عیسی علیه السّلام معجزة خارقة لتلک السنن المعتادة، و فی ذلک یقول مولانا تبارک و تعالی: إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ إِنَّ اللَّهَ یُبَشِّرُکِ بِکَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِیحُ عِیسَی ابْنُ مَرْیَمَ وَجِیهاً فِی الدُّنْیا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِینَ (۴۵) وَ یُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا وَ مِنَ الصَّالِحِینَ (۴۶) قالَتْ رَبِّ أَنَّی یَکُونُ لِی وَلَدٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ قالَ کَذلِکِ اللَّهُ یَخْلُقُ ما یَشاءُ إِذا قَضی أَمْراً فَإِنَّما یَقُولُ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ (۴۷) وَ یُعَلِّمُهُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ (۴۸) «۴». و عند الولادة سطّر القرآن الکریم معجزة نطقه فی المهد بالحکمة و فصیح البیان، و کانت کلماته علیه السّلام معجزة فی نطقه، و إلجاما لأفواه الذین أرادوا أن ینالوا من أمه

(_____ ۱) المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفکر العربی، د. ت، ص: ۴۳۷. (۲) سورة النمل، الآیات: ۱۶- ۱۹. (۳) سورة سبأ، الآیة: ۱۲. (۴) سورة آل عمران، الآیات: ۴۵- ۴۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴ العذراء علیها السّلام قال تعالی: فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ قالُوا یا مَرْیَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَیْئاً فَرِیًّا (۲۷) یا أُخْتَ هارُونَ ما کانَ أَبُوکِ امْرَأَ سَوْءٍ وَ ما کانَتْ أُمُّکِ بَغِیًّا (۲۸) فَأَشارَتْ إِلَیْهِ قالُوا کَیْفَ نُکَلِّمُ مَنْ کانَ فِی الْمَهْدِ صَبِیًّا (۲۹) قالَ إِنِّی عَبْدُ اللَّهِ آتانِیَ الْکِتابَ وَ جَعَلَنِی نَبِیًّا (۳۰) وَ جَعَلَنِی مُبارَکاً أَیْنَ ما کُنْتُ وَ أَوْصانِی بِالصَّلاةِ وَ الزَّکاةِ ما دُمْتُ حَیًّا (۳۱) وَ بَرًّا بِوالِدَتِی وَ لَمْ یَجْعَلْنِی جَبَّاراً شَقِیًّا (۳۲) «۱». و من معجزاته التی أجراها اللّه علی یدیه کذلک، ما ذکر الحق بقوله: إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ اذْکُرْ نِعْمَتِی عَلَیْکَ وَ عَلی والِدَتِکَ إِذْ أَیَّدْتُکَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُکَلِّمُ النَّاسَ فِی الْمَهْدِ وَ کَهْلًا وَ إِذْ عَلَّمْتُکَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّینِ کَهَیْئَةِ الطَّیْرِ بِإِذْنِی فَتَنْفُخُ فِیها فَتَکُونُ طَیْراً بِإِذْنِی وَ تُبْرِئُ الْأَکْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِی وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتی بِإِذْنِی وَ إِذْ کَفَفْتُ بَنِی إِسْرائِیلَ عَنْکَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَیِّناتِ فَقالَ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ

مُبِينٌ «۲». و هكذا نرى أن معجزات الأنبياء السابقين عليهم الصلاة و السّلام كانت منسجمة مع ما نبغ فيه قومهم، لتثبت الحجة عليهم و يقوم البرهان على صدق دعوى الرسل، و لكن كما أشرنا سابقا أن هذه المعجزات كانت محصورة فی زمن محدد و مرتبطة بوجود أصحابها من الرسل، و بعد التحاقهم بالرفيق الأعلى، غدت معجزاتهم تاريخا يذكر للعظة و العبرة.

ثانيا: معجزات نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم.

اشارة

ثانيا: معجزات نبينا محمد صلّى اللّه عليه و سلّم. أيّد اللّه سبحانه و تعالى نبيه محمدا صلى اللّه عليه و سلّم بمعجزات حسية مدركة، و بالمعجزة الخالدة القرآن الكريم، و ستذكر لمحة سريعة عن المعجزات الحسية، ليركز بعدها على المعجزة الخالدة.

المعجزات الحسية:

اشارة

المعجزات الحسية: بين معجزة نبينا محمد صلى اللّه عليه و سلم و معجزات الأنبياء السابقين، قاسم مشترك من جهة المعجزات الحسية فلقد أيّد الحق عز و جل رسوله الكريم صلى اللّه عليه و سلم بمعجزات حسية ورد ذكرها فی القرآن الكريم و السّنّة المطهرة، من ذلك نبع الماء من بين أصابعه صلى اللّه عليه و سلم، و تكثير

(_____ ۱) سورة مريم، الآيات ۲۷- ۳۲. (۲) سورة المائدة، الآية: ۱۱۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۵ الطعام القليل، و حنين الجذع، و انشقاق القمر و غيرها، و لنوجز العرض فی الحديث عن هذه المعجزات.

۱- نبع الماء:

۱- نبع الماء: روى البخارى فی صحيحه من حديث أنس بن مالك رضى اللّه عنه أنه قال: (رأيت رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم و حانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه، فأتى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بوضوء، فوضع رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يده فی ذلك الإناء، و أمر الناس يتوضئوا منه فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه حتى توضئوا من عند آخرهم) «۱». و فی رواية، قال قتادة: (قلت لأنس: كم كنتم قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة) «۲». و روى البخارى فی صحيحه كذلك من حديث جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: (عطش الناس يوم الحديبية، و النبى صلى اللّه عليه و سلم بين يديه ركوة فتوضأ، جهش الناس نحوه، فقال: «ما لكم»؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ و لا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده فی الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا و توضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، إنا كنا خمس عشرة مائة) «۳».

(_____ ۱) صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل البخارى، بيروت، دار اليمامة، تحقيق، د. مصطفى البغا، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷/ ۱۹۸۷، باب التماس الوضوء إذا حانت الصلاة، رقم (۱۶۷)، ۱/ ۷۴، و صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، تحقيق، محمد فؤاد عبد الباقى، د. ت، رواه فی الفضائل، باب معجزات النبى صلى اللّه عليه و سلم رقم (۲۲۷۹)، ۴/ ۱۷۸۳، و سنن الترمذى، محمد بن عيسى

الترمذی السلمی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، أحمد شاکر و آخرون، د. ت، رواه فی المناقب رقم: (۳۶۳۱)، ۵/ ۵۹۶، و موطأ مالک، مالک بن أنس الأصبحی، القاهرة، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت رقم (۶۲)، ۱/ ۳۲، و مسند الشافعی، محمد بن إدریس الشافعی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت، ۱/ ۵۱، و سنن البیهقی الکبری أحمد بن الحسین بن علی بن موسی البیهقی، مکة المکرمة، دار الباز، تحقیق، محمد عبد القادر عطا، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴، رقم (۸۷۸) ۱/ ۱۹۳. (۲) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۷۹)، ۳/ ۱۳۰۹. (۳) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۸۰)، ۳/ ۱۳۱۰، و مسند أحمد، أحمد ابن حنبل الشیبانی، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت، فی مسند جابر بن عبد الله، رقم (۱۴۵۶۲)، ۳/ ۳۲۹، و صحیح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التمیمی البستی،- الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶ و نحن نلحظ أن هذه المعجزة العظیمة أقامت الدلیل القاطع علی صدق نبوة محمد ابن عبد اللّه صلی اللّه علیه و سلم ذلک لأنها خرقت قوانین البشر، و ما اعتادوا علیه فی حیاتهم، و أظهرت لهم وجه الإعجاز العظیم، فالماء تراه الأعین کیف ینبع و یفور من بین أصابعه صلی اللّه علیه و سلم و أیدی الصحابة الکرام تغترف منه و تتوضّأ و الناس شربوا منه حتی ارتووا و انطفأ لهیب ظمأهم. یقول القاضی عیاض: (و مثل هذا فی هذه المواطن الحافلة و الجموع الکثیرة، لا تتطرق التهمة إلی المحدث به، لأنهم کانوا أسرع شیء إلی تکذیبه لما جبلت النفوس علیه من ذلک، و لأنهم کانوا ممن لا یسکت علی باطل، فهؤلاء قد رووا هذا، و أشاعوه و نسبوا حضور الجمّاء الغفیر له، و لم ینکر أحد من الناس علیهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوا و شاهدوه، فصار کتصدیق جمیعهم له) «۱».

۲- تکثیر الطعام:

۲- تکثیر الطعام: (عن عبد الرحمن بن أبی بکر رضی اللّه عنهما قال: کنا مع النبی صلی اللّه علیه و سلم ثلاثین و مائة، فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «هل مع أحد منکم طعام»؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل مشرک، مشعان طویل، بغنم یسوقها، فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «بیعا أم عطیة» أو قال: «أم هبة» قال: لا بل بیع، فاشتری منه شاة، فصنعت، و أمر النبی صلی اللّه علیه و سلم بسواد البطن أن یشوی و أیم اللّه، ما فی الثلاثین و المائة إلا قد حز النبی صلی اللّه علیه و سلم له حزة من سواد بطنها، إن کان شاهدا أعطاها إیاه، و إن کان غائبا خبأ له، فجعل منها قصعتین، فأکلوا أجمعون و شبعنا، ففضلت القصعتان فحملناه علی البعیر) «۲ - _____». بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق، شعیب الأرناءوط، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳ رقم: (۶۵۴۱)، ۱۴/ ۴۷۹، و صحیح ابن خزیمة، محمد بن إسحاق بن خزیمة النیسابوری، بیروت، المکتب الإسلامی، تحقیق، محمد مصطفی الأعظمی، ۱۳۹۰ ه رقم: (۱۲۴) ۱/ ۶۵. (۱) الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق، علی محمد البجاوی، د. ت، ۱/ ۴۰۵. (۲) رواه البخاری، فی الهبة، باب قبول الهدیة من المشرکین، رقم (۲۴۷۴)، ۲/ ۹۲۳، و رواه مسلم، فی الأشربة، باب إکرام الضیف رقم (۲۰۵۶)، ۳/ ۱۶۲۶، و الآحاد و المثانی، أحمد ابن عمرو بن الضحاک الشیبانی، الریاض، دار الرایة، تحقیق، باسم فیصل الجوابرة الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه، رقم (۶۵۶)، ۱/ ۴۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷ (و عن إسحاق بن عبد اللّه بن أبی طلحة: أنه سمع أنس بن مالک یقول: قال أبو طلحة لأم سلیم لقد سمعت صوت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ضعیفا، أعرف فیه الجوع، فهل عندک من شیء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصا من شعیر، ثم أخرجت خمارا لها فلفّت الخبز ببعضه ثم دسته تحت یدی و لاثتنی ببعضه، ثم أرسلتنی إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، قال: فذهبت به، فوجدت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی المسجد و معه الناس فقمت علیهم، فقال لی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «أ أرسلک أبو طلحة»؟ فقلت: نعم، قال: «بطعام»؟ قلت: نعم، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لمن معه: «قوموا» فانطلق و انطلقت بین أیدیهم، حتی جئت أبا طلحة

فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم بالناس، و ليس عندنا ما نطعمهم؟ فقالت: اللّه و رسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، فأقبل رسول صلى اللّه عليه و سلم و أبو طلحة معه، فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «هلمى يا أم سليم ما عندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ففتّ، و عصرت أم سليم عكّة فأدمته، ثم قال رسول اللّه فيه ما شاء أن يقول، ثم قال: «ائذن لعشرة»، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأذن لهم، فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا، ثم قال: «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم و شبعوا، و القوم سبعون أو ثمانون رجلا) «۱». و هناك غير هاتين الروايتين فى السنن الصحيحة تدل بمجملها على تكثير الطعام القليل بين يديه صلى اللّه عليه و سلم، و هذه من دلائل نبوته صلى اللّه عليه و سلم، و إلا فهل يعقل عادة أن كسارة خبز من شعير، تكفى لسبعين رجل أشداء أقوياء، و يأكلون حتى يشبعوا و يزيد؟.

۳- حنين الجذع:

۳- حنين الجذع: حديث حنين الجذع حديث مشهور معروف، و قد أخرجه أهل الصحيح و رواه عدد من الصحابة الكرام ... من ذلك ما رواه البخارى من حديث جابر بن عبد اللّه رضى اللّه عنه قال: (كان المسجد (_____۱) رواه البخارى، فى الأطعمة، باب من أكل حتى شبع، رقم (۶۳۱۰)، ۶/ ۲۴۶۱، و مسلم فى الأشربة، باب استحباب الاجتماع على الطعام، رقم (۲۰۴۰)، ۳/ ۱۶۱۲، مسند عبد بن الحميد، عبد بن حميد بن نصر الكسى، القاهرة، مكتبة السنة، تحقيق، صبحى السامرائى و محمود الصعيدى، الطبعة الأولى، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، رقم (۱۲۳۸)، ۱/ ۳۷۱، و المعجم الكبير، للإمام سليمان بن أحمد الطبرانى، الموصل، مكتبة العلوم و الحكم، تحقيق، حمدى السلفى، الطبعة الثانية، د. ت، رقم (۲۷۶)، ۲۵/ ۱۰۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۸ مسقوفا على جذوع من نخل، فكان النبى صلى اللّه عليه و سلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر و كان عليه، فسمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار، حتى جاء النبى صلى اللّه عليه و سلم فوضع يده عليها فسكنت) «۱». و رواية أخرى لجابر بن عبد اللّه (أن النبى صلى اللّه عليه و سلم كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار، أو رجل: يا رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم أ لا نجعل لك منبرا؟ قال: «إن شئتم» فجعلوا له منبرا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى صلى اللّه عليه و سلم فضمه إليه يئن أنين الصبى، الذى يسكن، قال: «كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها» «۲». قال صاحب «فتح البارى» معقبا: (... و فى الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق اللّه لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان، و فيه تأييد لقول من يحمل وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ على ظاهره، و قد نقل ابن أبى حاتم فى مناقب الشافعى، عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعى قال: ما أعطى اللّه نبيا ما أعطى محمدا صلى اللّه عليه و سلم، فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى، قال: أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته، فهل أكبر من ذلك) «۳».

۴- انشقاق القمر:

۴- انشقاق القمر: معجزة انشقاق القمر من أعظم معجزاته الحسية صلى اللّه عليه و سلم التى خلّدها القرآن الكريم و ثبتت فى الصحاح، و هى مكرمة إلهية لرسوله صلى اللّه عليه و سلم، و لم ينشقّ القمر لأحد من قبله من أنبياء اللّه و مرسليه، و قد رآها الناس رأى العين، و شاهدوا انفلاق القمر إلى فلقتين فى كبد السماء، و سألوا أهل البوادى و القوافل الرّحالة عن ذلك فما أنكر منهم أحد،

إلا من رکب رأسه، و آثر الجحود السافر علی دلائل الحق و براهین الهدی.

(۱) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۹۱)، ۳/ ۱۳۱۴، و رواه أحمد، رقم (۱۴۱۵۱)، ۳/ ۲۹۳، و سنن الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق، خالد العلی، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه رقم (۱۵۶۲) ۱/ ۴۴۲. (۲) رواه البخاری، فی المناقب، باب علامات النبوة، رقم (۳۳۹۲)، ۳/ ۱۳۱۴، و البیهقی فی سننه، رقم (۵۴۸۷)، ۳/ ۱۹۵. (۳) فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، القاهرة، دار الریان، تعلیق، محمد فؤاد عبد الباقی، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۸ م، ۸/ ۵۰۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹ و یثبت القرآن هذه المعجزة فی سورة من کتابه العزیز، سماها سورة «القمر» و کان مطلع استهلالها قول الحق: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۱». روی الطبری بسنده فی تفسیره، عن أبی عبد الرحمن السلمی قال: (نزلنا المدائن فکنا منها علی فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبیّ، و حضرت معه، فخطبنا حذیفة فقال ألا إن اللّه یقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعة قد اقتربت، ألا و إن القمر قد انشق، ألا و إن الدنیا قد أذنت بفراق و إن الیوم مضمار و غدا السباق ...) «۲». یقول الحافظ ابن کثیر: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد کان هذا فی زمان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کما ورد ذلک فی الأحادیث المتواترة بالأسانید الصحیحة، و قد ثبت فی الصحیح عن ابن مسعود أنه قال خمس قد مضین، الروم و الدخان و اللزام و البطشة و القمر، و هذا أمر متفق علیه بین العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فی زمان النبی صلی اللّه علیه و سلم و أنه کان إحدی معجزاته الباهرات) «۳». و کما ذکر الحافظ ابن کثیر بأن الأحادیث فی هذه المعجزة ثابتة و کثیرة، و منها ما ورد فی صحیح البخاری من حدیث ابن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: (انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه علیه و سلم، بمنی فقال: اشهدوا، و ذهبت فرقة نحو الجبل) «۴». قال الخطابی کما ورد فی «فتح الباری»: (انشقاق القمر آیة عظیمة لا یکاد یعدلها شیء من آیات الأنبیاء، و ذلک أنه ظهر فی ملکوت السماء خارجا عن جملة طباع ما فی هذا العالم المرکب من الطبائع، فلیس مما یطمع فی الوصول إلیه بحیلة، فلذلک صار البرهان به أظهر) «۵». ثم إن حادثة انشقاق القمر علی الرغم من استفاضة الأخبار حولها، و تخلید القرآن لها و کفی بالقرآن شاهدا علی وقوعها، و ما نقل فی الصحیح عن النبی صلی اللّه علیه و سلم علی الرغم

(۱) سورة القمر، الآیة: ۱. (۲) جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمد بن جریر بن یزید الطبری، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۵ ه، ۱۲/ ۵۱. (۳) تفسیر القرآن العظیم، إسماعیل بن عمر بن کثیر، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۱ ه، ۴/ ۴۲۷. (۴) رواه البخاری، فی فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، رقم (۳۶۵۶)، ۳/ ۱۴۰۴، و أحمد فی مسنده، رقم (۴۳۵۷)، ۱/ ۴۵۶. (۵) فتح الباری، لابن حجر، ۹/ ۴۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰ من هذا کله، فإن العلم یأتی الیوم لیثبت وقوعها، و ذلک عند ما وطأ رواد الفضاء القمر و درسوا خصائصه و ظروفه بکل أنواعها، و کان مما انکشف لهم معجزة انشقاق القمر و سیأتی الحدیث عن هذه القضیة خلال عرضنا للصور التطبیقیة حول الإعجاز العلمی فی مبحث القمر إن شاء اللّه تعالی. و بعد هذا العرض الموجز لطائفة من معجزات رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم الحسیة، هناک معجزات أخری کثیرة وردت فی الصحاح یمکن الرجوع إلیها و الاستزادة و الاستفادة من أخبارها، و من أبرزها معجزة الإسراء و المعراج و غیرها ... و یلفت الانتباه هنا إلی قضیة لها بالغ الأهمیة فی هذا الصدد ألا و هی أن المعجزات التی ذکرنا، منها ما قد جرت مجری إثبات و إظهار صدق رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی دعواه و دون معارضة أو تحد، و منها ما قد تحدی اللّه به القوم، و فی کلتا الحالتین دلیل ساطع علی أن اللّه تبارک و تعالی قد أجری علی ید رسوله الکریم صلی اللّه علیه و سلم معجزات کانت خارقة لنوامیس الکون و ما اعتاده البشر فی حیاتهم، و فی نفس الوقت هی دلیل علی أن ما جاء به محمد صلی اللّه علیه و سلم هو من عند اللّه تبارک و تعالی ... و فی هذا یقول ابن حجر: (... و أما ما عدا القرآن من نبع الماء من بین أصابعه و تکثیر الطعام و انشقاق القمر و نطق الجماد، فمنه ما وقع التحدی به، و منه ما وقع دالا علی صدقه من غیر سبق تحد، و مجموع ذلک یفید

القطع بأنه ظهر على يده صلى اللّه عليه و سلم من خوارق العادات شيء كثير) «۱». ثم إن هذه المعجزات الحسية التى وردت إن وقع بها التحدى للقوم الذين كذبوا النبى كانت معجزة، لأنه يشترط فى المعجزة و كما مرّ معنا التحدى، و إن لم يقع بها التحدى، كتكثير الطعام و نبع الماء من بين أصابعه الشريفة صلى اللّه عليه و سلم، فهذه تدخل فى نطاق دلائل و علامات النبوة، لأنه لا تحدى أى هى مما يعجز القوم عن الإتيان به، فمن من البشر ينبع الماء من بين أصابعه عند ما يشاء؟ و هذا ما أوضحه ابن حجر فى مستهل حديثه عن علامات النبوة فقال: (العلامات جمع علامة و عبر بها المصنف لكون ما يورده من ذلك أعم من المعجزة و الكرامة و الفرق بينهما أن المعجزة أخص و لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبى من يكذبه بأن

(_____ ۱) المصدر نفسه، ۷/ ۴۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱ یقول: إن فعلت کذلک أتصدق بأنی صادق، أو یقول من یتحداه: لا أصدقک حتی تفعل کذا، و یشترط أن یکون المتحدی به مما یعجز عنه البشر فی العادة المستمرة، و قد وقع النوعان للنبی صلی اللّه علیه و سلم فی عدة مواطن، و سمیت المعجزة، لعجز من یقع عندهم ذلک عن معارضتها) «۱». (_____ ۱) فتح الباری، لابن حجر العسقلانی، ۸/ ۴۷۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲

المبحث الثالث مراحل التحدى بالقرآن الكريم

اشارة

المبحث الثالث مراحل التحدى بالقرآن الكريم سبقت الإشارة إلى أن من شروط المعجزة التحدى، و بما أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة و هو الآية الساطعة الناطقة بنبوة محمد صلى اللّه عليه و سلم، فكان لزاما أن يميط اللثام عن مزاعم القوم، و ضعفهم و عجزهم أمام عظمته و إعجازه، فلذلك دخل معهم ساحة التحدى، و ميدان المبارزة ... و نلحظ ذلك فى غير ما موضع من كتاب اللّه تعالى، حيث مهّد للتحدى بآيات عظيمة تعلن أن مصدر هذا القرآن هو من عند اللّه عز و جل، و من المحال أن يصدر من أدمغة البشر مهما ترقوا فى مدارج العبقرة و التأمل ... و ها هو ذا يؤكد هذا المعنى من جهة، و يبدد سحب الظلام التى تغشّت سماء عقول القوم من جهة أخرى حول مصدر القرآن الكريم، قال تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ... «۱». جاء فى «فتح القدير» عند هذه الآية: (أى و ما صح و ما استقام أن يكون هذا القرآن المشتمل على الحجج البينة و البراهين الواضحة يفترى من الخلق من دون اللّه، و إنما هو من عند اللّه عز و جل و كيف يصح أن يكون مفترى، و قد عجز عن الإتيان بسورة منه، القوم الذين هم أفصح العرب لسانا و أدقهم أذهانا وَ لكِنْ كان هذا القرآن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ من الكتب المنزلة على الأنبياء، و نفس هذا التصديق معجزة مستقلة، لأن أقاصيصه موافقة لما فى الكتب المتقدمة، مع أن النبى صلى اللّه عليه و سلم لم يطلع على ذلك و لا تعلمه و لا سأل عنه و لا اتصل بمن له علم بذلك) «۲». ثم يقلب وجوه عموم هذا التحدى، و ذلك من خلال التنبيه على أن هذا الكتاب (_____ ۱) سورة يونس، الآية: ۳۷. (۲) فتح القدير، محمد بن على الشوكانى، بيروت، دار إحياء التراث العربى، د. ت، ۲/ ۶۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳ الذى ضمّ بين دفتيه آيات و سورا كثيرة، و ما انطوت عليه هذه السور من أحكام الحلال و الحرام، و قصص الأقوام الغابرة، و سبل ترسيخ العقيدة فى النفوس، و معالم الآداب و الأخلاق الرفيعة ... كل ذلك ذكر فى القرآن الكريم بدقة بالغة، و حكمة عالية و وضوح لا يعتريه لبس، و إحكام لا يتسرب إليه تناقض قال تعالى: أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۱». و فى موضع آخر يوضح الحق سفور جهلهم، و شدة مغالطتهم لأنفسهم و إنكارهم

لواقعهم و ماضیهم، و ذلک من خلال توصیدهم أبواب الزمن أمام أربعین سنة عاشها رسول اللّه بین ظهرانیهم و الجمیع موقن أنه أمی لا یقرأ و لا یکتب، فأنی له هذا القرآن؟ قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَیْکُمْ وَ لا أَدْراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ «۲». یا سبحان اللّه، لقد کان بوسعه صلی اللّه علیه و سلم أن لا یتلوه علیهم و لا یقرأ شیئا منه إن کان من عنده، و لکنه وحی من عند اللّه تبارک و تعالی، ینبغی أن یبلغه، و یجب علیه أن یبین لهم أحکامه و توجیهاته کما أنزلت، و کما نصّ علیها الحکیم الخبیر سبحانه و تعالی. (لقد شعروا بعجزهم فی قرارة أنفسهم عند ما دعوا إلی معارضة القرآن و الإتیان بمثله، و لکنهم عاندوا و استکبروا و لم یستجیبوا لنداء العقل و أحاسیس الفطرة التی یستشعرونها فی داخلهم، و قالوا عند سماع آیات القرآن تقرع مسامعهم و تتحداهم) «۳»؟ وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا قالُوا قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ «۴». (و هذا کما تری غایة المکابرة، و نهایة العناد، و کیف لا، و لو استطاعوا شیئا من ذلک فما الذی کان یمنعهم من المشیئة، و قد تحدوا عشر سنین و قرعوا علی العجز

(_____ ۱) سورة النساء، الآیة: ۸۲. (۲) سورة یونس، الآیة: ۱۶. (۳) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص ۳۲، و انظر: مباحث فی علوم القرآن، د. صبحی الصالح، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة العشرون، ۱۹۹۷ م، ص: ۳۱۳. (۴) سورة الأنفال، الآیة: ۳۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۴ و ذاقوا من ذلک الأمرّین، ثم قورعوا بالسیف فلم یعارضوا بما سواه مع أنفتهم و فرط استنکافهم أن یغلبوا لا سیما فی باب البیان) «۱». ثم إنهم راحوا یتهمون رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بأنه متقوّل مفتر علی الحق عزّ و جلّ، و ذلک من خلال التدرج فی أحکام القرآن، و النسخ الحکیم الذی لا تکاد تخلو منه شریعة سماویة أو منهج وصفی قال اللّه تعالی: وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ (۱۰۱) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ (۱۰۲) «۲». و للأستاذ المراغی «۳» تعلیق جمیل فی تفسیره لهذه الآیة، یقول: (و إذا نسخنا حکم آیة فأبدلنا مکانه حکم آیة أخری و اللّه أعلم بالذی هو أصلح لخلقه فیما یبدل من أحکامه قال المشرکون المکذبون لرسوله: إنما أنت متقول علی اللّه تأمر بشیء ثم تنهی عنه، و أکثرهم لا یعلمون ما فی التبدیل من حکم بالغة، و قلیل منهم یعلمون ذلک و ینکرون الفائدة عنادا و استکبارا ... ثم یبین لهؤلاء المعترضین علی حکمة النسخ، الزاعمین أن ذلک لم یکن من عند اللّه، و أن رسوله صلی اللّه علیه و سلم قد افتراه) «۴» فقال الحق سبحانه تعالی: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ «۵». (و عند ما ضاقت علیهم الحیلة و سدّت فی وجوههم السبل طرقوا کل باب فی الادعاء و الافتراء و البهتان لشدة حرصهم علی إبطال شأن القرآن و التشکیک فی ربانیة مصدره فقالوا: وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَةً وَ أَصِیلًا «۶»، و لکی

(_____ ۱) إرشاد العقل السلیم تفسیر القرآن الکریم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت، ۴/ ۱۹. (۲) سورة النحل، الآیتان ۱۰۱، ۱۰۲. (۳) (...- ۱۳۷۱ ه ...- ۱۹۵۲، أحمد بن مصطفی المراغی، مفسر مصری، من العلماء، تخرج بدار العلوم سنة ۱۹۰۹، ثم کان مدرس الشریعة الإسلامیة بها، توفی بالقاهرة سنة ۱۹۵۲، له کتب منها: الحسبة فی الإسلام، و الوجیز فی أصول الفقه، و تفسیر المراغی و غیرها). انظر: الأعلام، للزرکلی، ۱/ ۲۵۸، بتصرف. (۴) تفسیر المراغی، أحمد مصطفی مراغی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه، ۱۹۹۸، ۱۴/ ۱۴۳. (۵) سورة النحل، الآیة: ۱۰۲. (۶) سورة الفرقان، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۵ یلقوا ظلالا من الشکوک علی افترائهم لعلها تکون مستساغة عند الجاهلین بواقع الأمور قالوا: إن الذی یعلمه لیس من قریش، و إنما هو رجل لدیه علم لم تعلمه قریش، و لکن أنّی لأعجمی أن یأتی ببیان معجز للعرب الفصحاء) «۱»؟!؟ وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ «۲». و لم یکتف القوم بهذا الهراء البلید، بل إنهم راحوا یروجون علی الملأ، و بشتی وسائل إعلامهم فی ذلک الزمان، أن الذی یجری علی لسان محمد بن عبد اللّه ما هو إلا شعر نسج خیوطه و رتّب قوافیه فی هدأة من اللیل المحندس، أو علی أقل تقدیر هو سحر استقاه من شعوذة الدجالین و الکهنة. و تتنزل

آیات القرآن الکریم، لتمزّق أستار هذا الوهم، و تبدد أوصال هذه السذاجة و تصرخ فی وجوه المبطلین قائلة: وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِیلًا ما تُؤْمِنُونَ (۴۱) وَ لا بِقَوْلِ کاهِنٍ قَلِیلًا ما تَذَکَّرُونَ (۴۲) تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ (۴۳) وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ (۴۴) لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ (۴۵) ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِینَ (۴۶) فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِینَ (۴۷) وَ إِنَّهُ لَتَذْکِرَةٌ لِلْمُتَّقِینَ (۴۸) وَ إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْکُمْ مُکَذِّبِینَ (۴۹) وَ إِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَی الْکافِرِینَ (۵۰) وَ إِنَّهُ لَحَقُّ الْیَقِینِ (۵۱) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ (۵۲) «۳». و لم یکتف الحق بذلک لکنه أعلن التحدی بالقرآن الکریم إعلان المظهر لعجزهم، المسفّه لعقولهم و هی المرحلة الأولی فی التحدی.

المرحلة الأولی:

المرحلة الأولی: کان التحدی فی هذه المرحلة بکل ما تنزل من السماء من القرآن العظیم، قال تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۴». (أی قل لهم متحدیا: و اللّه لئن اجتمعت الإنس و الجن کلهم و اتفقوا علی أن یأتوا (_____ ۱) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص ۳۲، و انظر: بحوث منهجیة فی علوم القرآن، موسی إبراهیم، عمّان، دار عمار الطبعة الثانیة، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۱۲۴. (۲) سورة النحل، الآیة: ۱۰۳. (۳) سورة الحاقة، الآیات ۴۱- ۵۲. (۴) سورة الإسراء، الآیة: ۸۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۶ بمثل ما أنزل علی رسوله بلاغة، و حسن معنی و تصرفا و أحکاما و نحو ذلک، لا یأتون بمثله و فیهم العرب العظماء و أرباب البیان، و لو تعاونوا و تظاهروا، فإن هذا غیر میسور لهم، فکیف یشبه کلام المخلوقین کلام الخالق الذی لا نظیر له و لا مثیل ...) «۱». (إلا أننا وجدنا العرب أرباب الفصاحة و البلاغة و البیان یعجزون جمیعا عن الإتیان بمثل هذا القرآن، الذی تتلی آیة التحدی فیه صباح مساء، علی رءوس الأشهاد، و کأنها تثیر فیهم الحمیة لمجابهة هذا التحدی، إلا أنهم رغم هذا و رغم کل ما یبذلونه من محاولة للقضاء علی القرآن و دعوته لم یجدوا إلی تحدّی القرآن أی سبیل، و لو وجدوا لفعلوا ... إلا أنه العجز البشری، أمام القدرة الإلهیة التی لا تتحدّی ...) «۲». (و فی تقاصر قوی هؤلاء جمیعهم عن ذلک، مع طول الزمن دلیل قاطع علی أنه لیس مما اعتید صدوره عن البشر، بل هو کلام عالم الغیب و الشهادة ...) «۳».

المرحلة الثانیة:

المرحلة الثانیة: و تبدأ المرحلة الثانیة، و هی مرحلة التحدی بعشر سور من القرآن الکریم، فبما أن القوم تعثرت عبقریتهم فی طریقها لتحدی القرآن، و تقوّضت أرکان الفکر و البیان لدیهم و راح العجز یحیطهم من کل مکان عن الإتیان بمثل هذا القرآن، أرخی الحق لهم العنان و طالبهم بعشر سور من مثل هذا البیان، فقال تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۴». و یصف الدکتور مصطفی مسلم هذه المرحلة فیقول: (و لم یبق للمشرکین أرض یقفون علیها و لا حجة یستندون إلیها، فقالوا: إن هذه العلوم و الأمور الغیبیة و الهدایات الواردة فی القرآن لا عهد لنا بها، و هذا سبب عجزنا عن معارضة القرآن، قالوا ذلک و هم لا یدرون أن هذا حجة علیهم لأن محمدا صلی اللّه علیه و سلم ما هو إلا رجل منهم عاش بین أظهرهم و لم یزد فی العلوم الاکتسابیة علیهم بشیء، فأرخی القرآن الکریم لهم العنان (_____ ۱) تفسیر المراغی، أحمد مصطفی المراغی، ۱۴/ ۹۲. (۲) المعجزة القرآنیة، د. محمد حسن هیتو، ص: ۳۳. (۳) محاسن التأویل، محمد القاسمی، بیروت، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۹۷۸، ۱۰/ ۲۹۶. (۴) سورة هود، الآیة: ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۷ و تنازل معهم فی المحاورة إلی مجال یتوهمون إحراز قصب السبق فیه و لم یطالبهم بشیء من حقائق الکون و التاریخ، و من قصص الأنبیاء الغابرین و شأن الألوهیة و کمالاتها و أمهات الأخلاق و مقومات الحضارات و رقیّ المجتمعات، و إنما علیهم أن یأتوا بمثل عشر سور

من سور القرآن، و لیفتروا موضوعاتها کما یشاءون علی أن تکون فی فصاحة القرآن و بلاغته) «۱». و نجد تعلیقا جمیلا علی هذه الآیة فی تفسیر «إرشاد العقل السلیم» (أی، بل یقولون افتراه و لیس من عند اللّه قُلْ إن کان الأمر کما تقولون فَأْتُوا أنتم أیضا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ فی البلاغة و حسن النظم ... مُفْتَرَیاتٍ صفة أخری لسور أخرت عن وصفها بالمماثلة لما یوحی لأنها الصفة المقصودة بالتکلیف إذ بها یظهر عجزهم و قعودهم عن المعارضة، و أما وصف الافتراء فلا یتعلق به غرض یدور علیه شیء فی مقام التحدی و إنما ذکر علی نهج المساهلة و إرخاء العنان، و لأنه لو عکس الترتیب لربما توهم أن المراد هو المماثلة فی الافتراء، و المعنی: فأتوا بعشر سور مماثلة له فی البلاغة، مختلقات من عند أنفسکم إن صح أنی اخلقته من عندی، فإنکم أقدر علی ذلک منی لأنکم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم مبادی ذلک من الخطب و الأشعار و حفظتم الوقائع و الأیام و زاولتم أسالیب النظم و النثر) «۲». و لقد هشمت هذه الآیة کبریاء المشرکین، و فضحت عجزهم، و أردتهم فی مهاوی الذل و الخذلان فما استطاع أحد أن یتفوه ببنت شفه، و لقد استعجمت ألسنتهم عن النطق بمثل هذا الکلام البدیع و ذلکم النظم المتألق الفرید ... (أما زلتم تقیمون علی الزعم بأن محمدا افتری هذا القرآن علی اللّه ...؟ أم أنکم لم تبرحوا تتقوّلون أن القرآن أساطیر الأولین اکتتبها محمد فهی تملی علیه بکرة و أصیلا، لئن دار بعض هذا فی خلدکم فخلوا عنکم أخباره الغیبیة و علومه اللدنیة، فلن یکون أسهل علیکم حسب زعمکم من اختلاق عشر سور تماثله بلاغة أسلوب و فصاحة بیان، فأنتم العرب سادة الفصاحة و البلاغة؟ و قد دعیتم إلی مثله فی النظم فی أی معنی أردتم مطلقا غیر مقید، موسعا غیر مضیق، فلیس إلی معانی القرآن دعیتم، و لکن إلی بلاغة أسلوبه و فصاحة عباراته ... أما و قد عجزتم، و باء جمعکم بالخزی و الخذلان (

---

۱) مباحث فی إعجاز القرآن الکریم، مصطفی مسلم، ص: ۲۳. (۲) إرشاد العقل السلیم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، ۴/ ۱۹۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۸ و لم یبق لدیکم بعد شائبة شبهة فی صدق هذا الرسول، و حقیّة القرآن، و بطلان ما أنتم علیه من شرک، فهل تغادرون المکابرة و العناد و تدخلون الإسلام دین اللّه أفواجا) «۱».

المرحلة الثالثة:

المرحلة الثالثة: و فی هذه المرحلة وسّع لهم الحق عز و جلّ، فتحداهم بسورة واحدة من القرآن الکریم حتی و لو کانت من أقصر سوره، فقال تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۲». و للشوکانی رحمة اللّه کلام نفیس حول هذه الآیة نثبته هنا، یقول: (... و التقدیر، أ یقولون افتراه و الاستفهام للتقریع و التوبیخ، ثم أمره اللّه سبحانه و تعالی أن یتحداهم حتی یظهر عجزهم، و یتبین ضعفهم، فقال: قل: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أی إن کان الأمر کما تزعمون من أن محمدا افتراه فأتوا أنتم علی جهة الافتراء بسورة مثله فی البلاغة، و جودة الصناعة، فأنتم مثله فی معرفة لغة العرب و فصاحة الألسن، و بلاغة الکلام وَ ادْعُوا بمظاهریکم و معاونیکم مَنِ اسْتَطَعْتُمْ دعاءه و الاستعانة به من قبائل العرب، و من آلهتکم التی تجعلونها شرکاء للّه، ثم یقول: و سبحان اللّه العظیم ما أقوی هذه الحجة، و أوضحها و أظهرها للعقول، فإنهم لما نسبوا الافتراء إلی واحد منهم فی البشریة و العربیة، قال لهم: هذا الذی نسبتموه إلیّ و أنا واحد منکم لیس علیکم إلا أن تأتوا و أنتم الجمع الجمّ بسورة مماثلة لسورة من سوره، و استعینوا بمن شئتم من أهل هذه اللسان العربیة علی کثرتهم و تباین مساکنهم، أو من غیرهم من بنی آدم، أو من الجن أو من الأصنام، فإن فعلتم هذا بعد اللتیا و التی فأنتم صادقون فیما نسبتموه إلیّ و ألصقتموه بی ... فلم یأتوا عند سماع هذا الکلام المنصف، و التنزل البالغ بکلمة و لا نطقوا ببنت شفة، بل کاعوا عن الجواب، و تشبثوا بأذیال العناد البارد، و المکابرة المجردة عن الحجة) «۳». و لکی یبرهن الحق تبارک و تعالی علی صدق نبوة محمد بن عبد اللّه صلوات اللّه

---

۱) المعجزة الخالدة، حسن ضیاء الدین عتر، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۹/ ۱۹۸۹، ص: ۱۱۹. (۲) سورة یونس، الآیة: ۳۸. (۳) فتح القدیر، للشوکانی ۲/

۶۴۵- ۶۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۹ و سلامه علیه و یثبت عظمة القرآن، و لقطع (دابر وساوس الشیطان و نزغات أهل الباطن المرجفین، و لکی لا یقال إن محمدا تحدی أهل مکة، و الأمیّة فاشیة فیهم، و لا علم لهم بعلوم الأدیان و بالأنبیاء و الکتب، و لو أنه تحدی غیرهم لأمکنهم أن یأتوا بمثل قرآنه، کرر فی المرحلة المدنیة و بین ظهرانی أهل الکتاب، و سجل العجز المطلق لکل المخلوقین إلی یوم القیامة، و لا زالت أصداؤه فی أذن الزمن علی مرّ العصور لیبرهن علی خلود الرسالة و صدق صاحبها) «۱» وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴) «۲». إنه تحدّ بعد تحد، و من جرّاء تکرار هذا التحدی طبع الحق عز و جلّ علیهم طابع العجز و القصور، لیحولهم إلی کتلة من الذل و الصغار، هیا شمّروا عن ساعد الجد و العنفوان، بکل وسائلکم و حیلکم، و استعینوا بمن شئتم و کیفما شئتم، و أتوا بسورة تماثل هذا الکلام الإلهی الأخّاذ. یقول رشید رضا فی هذا المقام: (یا أیها الناس علیکم بعد أن تنسلوا من مضایق الوساوس و تتسللوا من مآزق الهواجس، و تنزعوا ما طوقکم به التقلید من القلائد و تکسروا مقاطر ما ورثتم من العوائد، أن تهرعوا إلی الحق فتطلبوه ببرهانه، و أن تبادروا إلی ما دعیتم إلیه فتأخذوه بربانه، فإن خفی علیکم الحق بذاته، فهذه آیة من أظهر آیاته و هی عجزکم عن الإتیان بسورة من مثل سور القرآن من رجل أمی مثل الذی جاءکم به، و هو عبدنا و رسولنا محمد صلی اللّه علیه و سلم، و إن عجزتم عن الإتیان بسورة من مثله تساوی سورة فی هدایتها، و تضارعها فی أسلوبها و بلاغتها، و أنتم فرسان البلاغة و عصرکم أرقی عصور الفصاحة، و قد اشتهر کثیر منکم بالسبق فی هذا المیدان، و لم یکن محمد صلی اللّه علیه و سلم ممن یسابقکم من قبل هذا البرهان، لأنه لم یؤت هذا الاستعداد بنفسه و لم یتمرن علیه أو یتکلفه لمباراة أهله، فاعلموا أن ما جاء به بعد أربعین سنة فأعجزکم بعد سبقکم، لم یکن إلا بوحی إلهی و إمداد سماوی لم یسم عقله إلی علمه، و لا بیانه إلی أسلوبه و نظمه) «۳».

(_____ ۱) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص: ۳۴. (۲) سورة البقرة، الآیتان ۲۳. ۲۴. (۳) تفسیر المنار، رشید رضا، ۱/ ۱۹۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۰ و بعد هذا التحدی العظیم الذی قصم الظهور، و أذلّ الأعناق، ما استطاع أحد منهم أن یتجرأ أو یتلفّظ بسورة تشابه کلام اللّه تعالی، بل راحوا یتساقطون و ینهزمون، بعجز سافر و ضعف ذلیل، لقد مدّ الیأس سلطانه علی نفوسهم، و امتلأت أقطار نفوسهم بالإحباط و الفشل، و رأوا أنفسهم ذرة أمام قلعة شماء شامخة، إنها قلعة البیان و صرح القرآن، إنه المعجزة الخالدة علی مرّ العصور و الأزمان، إنه کلام اللّه. تلک هی مراحل التحدی، و لقد أشار الحافظ ابن کثیر إلی ترتیبها، علی النحو الذی ذکرنا عند تفسیره لقوله سبحانه و تعالی: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۱» یقول: (فأتوا أنتم بسورة من مثله، أی من جنس هذا القرآن و استعینوا علی ذلک بکل من قدرتم علیه من إنس و جن، و هذا هو المقام الثالث فی التحدّی، فإنه تعالی تحدّاهم و دعاهم، إن کانوا صادقین فی دعواهم أنه من عند محمد، فلیعارضوه، بنظیر ما جاء به وحده و لیستعینوا بمن شاءوا، و أخیرا أنهم لا یقدرون علی ذلک و لا سبیل لهم إلیه فقال سبحانه تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۲» ثم تقاصر معهم إلی عشر سور منه فقال فی أول سورة هود: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۳». ثم تنازل إلی سورة فقال فی هذه السورة «۴»: أَمْ یَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ «۵». رأینا من خلال هذا العرض، عظمة القرآن و هو یتحدّی العرب، و کیف أنه یطاولهم فی المعارضة ثم إنه قد تنازل لهم فی تحدیهم بجمیع القرآن إلی التحدی بعشر سور مثله، و من ثم إلی التحدی و لو بسورة واحدة، و هم مع ذلک یتقلبون فی أطوار کلیلة هزیلة من عجز إلی عجز و من نکص إلی نکص، و القرآن یتألق فی کل مرحلة و ینتقل من فوز إلی فوز، و من ألق إلی ألق.

(_____ ۱) سورة یونس، الآیة: ۳۸. (۲) سورة

الإسراء، الآیة: ۸۸. (۳) سورة هود، الآیة: ۱۳. (۴) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر ۴/ ۳۰۴، و انظر: لوامع الأنوار البهیة، محمد السفارینی الحنبلی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱، ۱/ ۱۷۰. (۵) سورة یونس، الآیة: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۱ و لکن بعد هزیمة العرب و عجزهم عن تحدی القرآن الکریم، ما هو القدر المعجز من القرآن الکریم؟

[القدر المعجز من القرآن الکریم

[قدر المعجز عند الأشعریین

[قدر المعجز عند الأشعریین أورد القاضی الباقلانی فی کتابه «إعجاز القرآن» خلاف العلماء فی ذلک فقال: (قدر المعجز عند الأشعریین: الذی ذهب إلیه عامة أصحابنا، و هو قول أبی الحسن الأشعری فی کتبه، أن أقل ما یعجز عنه من القرآن السورة، قصیرة کانت أم طویلة، أو ما کان بقدرها، قال: فإذا کانت الآیة بقدر حروف السورة، و إن کانت سورة الکوثر، فذلک معجز. قال: و لم یقم دلیل علی عجزهم عن المعارضة فی أقل من هذا القدر.

القدر المعجز عند المعتزلة:

القدر المعجز عند المعتزلة: و ذهب المعتزلة إلی أن کل سورة برأسها فهی معجزة ... و قد حکی عنهم نحو قولنا، إلا أن منهم من لم یشترط کون الآیة بقدر السورة، بل شرط الآیات الکثیرة و قد علمنا أنه تحداهم تحدیا إلی السور کلها و لم یخص، و لم یأتوا لشیء منها بمثل، فعلم أن جمیع ذلک معجز) «۱». و یری الشیخ الزرقانی «۲» أن (القدر المعجز من القرآن هو ما یقدر بأقصر سورة منه، و أن القائلین بأن المعجز هو کل القرآن لا بعضه، و هم المعتزلة، و القائلین بأن المعجز کل ما یصدق علیه أنه قرآن و لو کان أقل من سورة، کل أولئک بمنأی عن الصواب) «۳». و یؤکد هذا الدکتور مصطفی مسلم فیقول: (و بما أن السورة جاءت بلفظ نکرة بسورة، فهی تشمل کل سورة فی القرآن طویلة أو قصیرة، فیکون القدر المعجز من القرآن هو السورة من القرآن الکریم طویلة أو قصیرة، هذا هو رأی جمهور العلماء، إلا أن بعضهم زاد علی ذلک: أن مقدار السورة القصیرة، هی ثلاث آیات معجز أیضا) «۴».

(_____ ۱) إعجاز القرآن، محمد بن الطیب الباقلانی، بیروت، دار إحیاء العلوم، تعلیق، محمد سکر، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۳۲۴. (۲) (...- ۱۳۶۷ ه ...- ۱۹۴۸، محمد عبد العظیم الزرقانی، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بکلیة أصول الدین، و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحدیث، و توفی بالقاهرة، من کتبه: مناهل العرفان فی علوم القرآن). انظر: الأعلام، للزرکلی، ۶/ ۲۱۵، بتصرف. (۳) مناهل العرفان فی علوم القرآن، محمد عبد العظیم الزرقانی، بیروت، دار الفکر، تحقیق، مکتب البحوث و الدراسات، الطبعة الأولی ۱۹۹۶، ۲/ ۲۳۰. (۴) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص: ۳۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۲ استدراک: هناک استدراک بسیط یلفت الانتباه إلیه هنا، و هو أن الجمهور ذهبوا إلی أن القدر المعجز من القرآن هو السورة، سواء کانت طویلة أم قصیرة کسورة الکوثر، لکن الذی زاد علی هذا الذی ذهب إلیه الجمهور- کما سلف- فقال: أو مقدار السورة القصیرة، و هی ثلاث آیات معجز أیضا، هذا الرأی یحتاج إلی تمحیص و تحقیق ... فالحق سبحانه و تعالی قال: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَداءَکُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ کُنْتُمْ صادِقِینَ (۲۳) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِی وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْکافِرِینَ (۲۴) «۱» فاللّه تبارک و تعالی تحداهم بِسُورَةٍ و هی نکرة فهی تشمل السورة القصیرة و الطویلة، لکنه لم یقل: أو مقدارها، فمقدار أقصر سورة و هی سورة الکوثر ثلاث آیات، هل هو معجز؟. الجواب: نحن نعلم من خلال دراستنا لأسلوب القرآن الکریم فی

عرض السورة، أن السورة لها بناء متكامل، و وحدة موضوعية دقيقة، و تناسق و تساوق فی إبراز معالم القضية المعروضة من مقدمة و لب و خاتمة، و لربما تبسط القضية فتأخذ شوطا واسعا أو تكون مقتضبة، و فی كل الأحوال فإنها تعبر عن شخصية متكاملة، و هذا هو الميزان الذی ينبغی أن نحتكم إليه عند ما نقول: أو ما يماثل السورة من الآيات، فإن كانت هذه الآيات التی تماثل السورة خاضعة لهذا الميزان ففيها الإعجاز و إلا فالقول ما قاله ربنا بِسُورَةٍ، و هذا لا يعنی أن فی مقدور أحد من البشر أن يأتی بمقدار أقصر سورة من الآيات، أی بثلاث آيات، لا و إنما نركز و نقيد قدر السورة بالوحدة الموضوعية، و البناء المت ناسق الذی هو شرط للقول بالإعجاز. (_____ ۱) سورة البقرة، الآيتان، ۲۳ - ۲۴.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۵۳

المبحث الرابع عجز المشركين و اعترافهم بعظمة القرآن

اشارة

المبحث الرابع عجز المشركين و اعترافهم بعظمة القرآن بعد ما استعرض الحق آيات التحدی فی كتابه العظيم، و طلب منهم أن يأتوا بسورة من مثله و فيهم فحول الشعراء و الخطباء الذين ذاع صيتهم و انتشر خبرهم بين الناس، و إذا بالقوم تستعجم ألسنتهم، و تهتز أركان البلاغة و البيان لديهم، فراحوا يتهربون و يتهافتون و منهم من قد تسربل بقناع الأنفة و الاستكبار، فقال هو و أمثاله كما وصفهم ربنا تبارك و تعالی: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جاؤُ ظُلْماً وَ زُوراً (۴) وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلی عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا (۵) «۱». و قولهم: وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ «۲». (و هكذا التمسوا لأنفسهم عذر القعود عن معارضته بأنه أساطير الأولين، أو قول شاعر مجنون أو هو كذب أعانه على اختلاقه أناس آخرون، و اعتبروا اتهامهم هذا عذرا يسوّغ صمتهم، و يبرر عجزهم الفاضح عن المعارضة ... يا للمنطق السديد؟ أ لا ترى أن هذا التهرب من مواجهة التحدی و من تقديم المعارضة ليس فی الواقع إلا إقرارا منهم بالعجز و أی إقرار) «۳»؟ يقول الإمام الباقلانی: (فلو كان هذا القرآن من ذلك القبيل: الشّعر أو من الجنس الذی ألفوه، لم تزل أطماعهم عنه، و لم يدهشوا عند وروده عليهم، فكيف و قد أمهلهم و فسح لهم فی الوقت، و كان يدعو إليه سنين كثيرة، قال عز من قائل: أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ «۴» (_____ ». ۱) سورة الفرقان، الآيتان ۴، ۵. (۲) سورة الحجر، الآية: ۶. (۳) المعجزة الخالدة، حسن ضياء الدين عتر، ص: ۱۲۸- ۱۲۹. (۴) سورة فاطر، الآية: ۳۷.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۵۴ و بظهور العجز عنه بعد طول التقريع و التحدی بان أنه خارج عن عاداتهم، و أنهم لا يقدرون عليه، و قد ذكرنا أن العرب كانت تعرف ما يباين عاداتها من الكلام البليغ لأن ذلك طبعهم و لغتهم، فلم يحتاجوا إلى تجربة عند سماع القرآن، و هذا فی البلغاء منهم دون المتأخرين فی الصنعة) «۱». و يؤكد هذا المعنى الجرجانی فيقول: (و إذا ثبت أنهم- أی العرب- الأصل و القدوة فإن علمهم العلم، فبنا أن ننظر فی دلائل أحوالهم و أقوالهم حين تلی عليهم القرآن و تحدوا إليه، و ملئت مسامعهم من المطالبة بأن يأتوا بمثله، و من التقريع بالعجز عنه، و بت الحكم بأنهم لا يستطيعونه و لا يقدرون عليه، و إذا نظرنا وجدناها تفصح بأنهم لم يشكّوا فی عجزهم عن معارضته و الإتيان بمثله، و لم تحدثهم أنفسهم بأن لهم إلى ذلك سبيلا على وجه من الوجوه، أما الأحوال فدلت من حيث كان المتعارف من عادات الناس التی لا تختلف و طباعهم التی لا تتبدل أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة، و هم يجدون سبيلا- إلى دفعها، و لا ينتحلون العجز و هم يستطيعون قهرهم و الظهور عليهم، كيف و أن الشاعر أو الخطيب أو الكاتب يبلغه أن بأقصى الإقليم الذی هو فيه يبأی «۲» بنفسه، و يدل بشعر يقوله، أو خطبة يقوم بها، أو رسالة يعملها، فيدخله من الأنفة و الحمية ما يدعوه إلى معارضته، و إلى أن يظهر ما عنده من الفضل، و يبذل ما لديه من المنة، حتى إنه

ليتوصل إلى أن يكتب إليه و أن يعرض كلامه عليه ببعض العلل، و بنوع من التمحل «۳»، هذا و هو لم ير ذلك الإنسان قط و لم يكن منه إليه ما يهز و يحرك و يهيج على تلك المعارضة، و يدعو إلى ذلك التعرض، و إن كان المدعى ذلك بمرأى منه و مسمع، كان ذلك أدعى له إلى مباراته و إلى إظهار ما عنده) «۴». (... فكيف يجوز أن يظهر فى صميم العرب، و فى مثل قريش ذوى الأنفس الأبية و الهمم العلية و الأنفة و الحمية، من يدعى النبوة و يخبر أنه مبعوث من اللّه تعالى إلى

(_____ ۱) إعجاز القرآن، للباقلانى، ص: ۲۸۹. (۲) (بأى: البأواء، هى العظمة، و يبأى: فخر، و بأيت عليهم أبأى، فخرت عليهم). لسان العرب، لابن منظور، ۱۴ / ۶۳. (۳) (التمحل: المكر و الاحتيال). لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۱۸۸. (۴) ثلاث رسائل فى الإعجاز، الرسالة الشافية، للجرجانى، تحقيق، محمد خلف الله و محمد سلام، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية ۱۳۸۷ ه/ ۱۹۶۸، ص: ۱۱۸- ۱۱۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۵۵ الخلق كافة، و أنه بشير بالجنة و نذير بالنار، و أنه قد نسخ به كل شريعة تقدمته، و دين دان به الناس شرقا و غربا، و أنه خاتم النبيين، و أنه لا نبى بعده، إلى آخر ما صدع به رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم ثم يقول: و حجتى أن اللّه تعالى قد أنزل علىّ كتابا عربيا مبينا، تعرفون ألفاظه، و تفهمون معانيه، إلا أنكم لا تقدرون على أن تأتوا بمثله و لا بعشر سور منه، و لا بسورة واحدة و لو جهدتم جهدكم، و اجتمع معكم الجن و الإنس، ثم لا تدعوهم نفوسهم إلى أن يعارضوه، و يبينوا شرفه فى دعواه، مع إمكان ذلك، و مع أنهم لم يسمعوا إلا ما عندهم مثله أو قريب منه) «۱»؟ يتضح لنا مما سبق أن القوم قد عجزوا عن مجاراة القرآن، و أن ما أوتوه من بلغة و حنكة و فطنة تذوب و تتضاءل أمام روعة القرآن و بيانه، فمنهم من واجهه بكل قبيح و وقفوا له بكل سبيل، و هم موقنون فى قرارة أنفسهم بعجزهم عن الإتيان و لو بسورة من مثله، و منهم من قد اهتزت مشاعرهم لسماعه، و تفاعلت أحاسيسهم لآياته، و استثارت كلماته من أقاصى أفئدتهم صبابة و كلفا، و هؤلاء على قسمين، فمنهم الذين أخبتوا للّه و حكّموا عقولهم، و نبذوا العصبية الحالكة فآمنوا بالله ربا و بمحمد نبيا و بالقرآن كتابا منزّلا، و منهم من استعبدهم الاستكبار و العناد و ركبوا رءوسهم فعرفوا الحق ثم حادوا عنه، و رأوا النور لكنهم آثروا الظلام، و كلا الفريقين قد أقرّ بعظمة القرآن و لكن شتان بين من قد أقرّ فآمن، و بين من قد أقرّ ثم نكص و كفر و فرّ، و لنستعرض بعض الأمثلة للفريقين.

۱- اعتراف بلغاء المشركين بإعجاز القرآن

أولا- عتبة بن ربيعة:

أولا- عتبة بن ربيعة: روى ابن إسحاق: (أن عتبة بن ربيعة و كان سيدا قال يوما و هو جالس فى نادى قريش و رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش أ لا أقوم إلى محمد فأكلمه و أعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء و يكف عنا؟ و ذلك حين أسلم حمزة و رأوا أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم يزيدون و يكثرون، فقال: بلى يا أبا الوليد قم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم فقال: يا ابن أخى، إنك منا حيث قد علمت من السلطة فى العشيرة، و المكان فى النسب، و إنك أتيت قومك بأمر عظيم

(_____ ۱) المصدر نفسه، ص: ۱۲۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۵۶ فرقت به جماعتهم و سفهت به أحلامهم و عبت به آلهتهم و دينهم و كفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال: فقال له رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم: «قل يا أبا الوليد أسمع»، قال: يا ابن أخى، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، و إن كنت تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك، و إن كنت تريد به ملكا ملّكناك علينا، و إن كان هذا الذى

یأتیک رئیا تراه لا تستطیع رده عن نفسک، طلبنا لک الطب و بذلنا فیه أموالنا حتی نبرئک منه، فإنه ربما غلب التابع علی الرجل حتی یداوی منه أو کما قال له، حتی إذا فرغ عتبهٔ و رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یستمع منه قال: «أ قد فرغت یا أبا الولید» قال: نعم: قال: «فاسمع منی» قال: أفعل، فقال: بسم اللّه الرحمن الرحیم حم (۱) تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحِیم (۲) کِتابٌ فُصِّلَتْ آیاتُهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ (۳) بَشِیراً وَ نَذِیراً فَأَعْرَضَ أَکْثَرُهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُونَ (۴) وَ قالُوا قُلُوبُنا فِی أَکِنَّهٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَیْهِ «۱» ثم مضی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بها یقرؤها علیه فلما سمعها منه عتبهٔ أنصت لها و ألقی یدیه خلف ظهره معتمدا علیهما یسمع منه، ثم انتهی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم إلی السجدهٔ منها فسجد، ثم قال: «قد سمعت یا أبا الولید ما سمعت فأنت و ذاک»، فقام عتبهٔ إلی أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف باللّه لقد جاءکم أبو الولید بغیر الوجه الذی ذهب به، فلما جلس إلیهم قالوا: ما وراءک یا أبا الولید؟ قال: ورائی أنی قد سمعت قولا و اللّه ما سمعت مثله قط، و اللّه ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا بالکهانهٔ یا معشر قریش أطیعونی و اجعلوها لی و خلوا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فو اللّه لیکونن لقوله الذی سمعت منه نبأ عظیم، فإن تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم، و إن یظهر علی العرب فملکه ملککم و عزه عزکم، و کنتم أسعد الناس به، قالوا: سحرک و اللّه یا أبا الولید بلسانه، قال: هذا رأیی فیه فاصنعوا ما بدا لکم) «۲». هذه القصهٔ توضح لنا بکل جلاء اعتراف سید من سادات قریش، أمام صنادید الکفر و صنادید البلاغهٔ و البیان، بإعجاز القرآن و أثره فی النفوس، و وقعه فی القلوب و الأفئدهٔ.

(۱) سورهٔ فصلت، الآیات ۱- ۵. (۲) السیرهٔ النبویهٔ، عبد الملک بن هشام الحمیری، بیروت، دار الجیل، تحقیق، طه سعد، الطبعهٔ الأولی، ۱۴۱۱ ه، ۱/ ۱۳۰- ۱۳۲ و أورده کذلک ابن کثیر فی تفسیره، ۴/ ۹۰- ۹۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۷

ثانیا- الولید بن المغیرهٔ:

ثانیا- الولید بن المغیرهٔ: و هو من أشد المشرکین عداوهٔ لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، و من أکثر الذین ناصبوا رسالهٔ الإسلام العداء فقد أشعل حربا سافرهٔ لاهبهٔ منذ بزوغ فجر الدعوهٔ الإسلامیهٔ، لکنه یوم سمع القرآن الکریم افتتن ببلاغته، و سحر بإعجازه و بیانه، و لنسمع إعلانه الذی یدل علی تأثره أمام قریش، یروی ابن عباس رضی اللّه عنه (أن الولید بن المغیرهٔ اجتمع إلیه نفر من قریش و کان ذا سن فیهم و قد حضر الموسم فقال لهم: یا معشر قریش، إنه قد حضر هذا الموسم و إن وفود العرب ستقدم علیکم فیه، و قد سمعوا بأمر صاحبکم هذا، فاجمعوا فیه رأیا واحدا و لا تختلفوا فیکذب بعضکم بعضا، فقالوا: أنت فقل و أتم لنا به رأیا نقول به، قال: لا- بل أنتم قولوا لأسمع، قالوا: نقول کاهن، قال: ما هو بکاهن، لقد رأینا الکهان فما هو بزمزمهٔ الکهان و لا بسجعهم، قالوا: فنقول مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه ... قالوا: فنقول شاعر، قال: ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر کله رجزه و هزجه و قریضه و مقبوضه و مبسوطه، فما هو بالشعر، قالوا: فنقول ساحر، قال: ما هو بساحر لقد رأینا السحار و سحرهم، فما هو بنفثه، و لا بعقده، قالوا: فما ذا نقول؟ قال: و اللّه إن لقوله لحلاوهٔ، و إن علیه لطلاوهٔ، و إن أصله لعذق، و إن فرعه لجناهٔ، فما أنتم بقائلین من هذا شیئا إلا عرف أنه باطل، و إن أقرب القول أن تقولوا: هو ساحر یفرق بین المرء و أبیه، و بین المرء و أخیه، و بین المرء و زوجته، و بین المرء و عشیرته فتفرقوا عنه بذلک) «۱». یعلق الإمام الزرکشی رحمه اللّه علی هذه القصهٔ فیقول: (... ثمّ صار المعاندون له ممن کفر به و أنکره یقولون مرهٔ: إنه شعر لما رأوه منظوما، و مرهٔ إنه سحر لما رأوه معجوزا عنه غیر مقدور علیه و قد کانوا یجدون له وقعا فی القلب، و قرعا فی النفس یریبهم و یحیرهم، فلم یتمالکوا أن یعترفوا به نوعا من الاعتراف و لذلک قالوا: إن له لحلاوهٔ و إن علیه لطلاوهٔ، و کانوا مرهٔ لجهلهم و حیرتهم یقولون: وَ قالُوا أَساطِیرُ الْأَوَّلِینَ اکْتَتَبَها فَهِیَ تُمْلی عَلَیْهِ بُکْرَهً وَ أَصِیلًا «۲» مع علمهم أن صاحبهم أمی و لیس (۱) الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳، ۵/ ۹۸، و انظر: السیرهٔ الحلبیهٔ، علی بن برهان الدین الحلبی، بیروت، دار

المعرفة، ۱۴۰۰ ه، ۳/ ۳۴۴، و لباب النقول فی أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی، بیروت، دار إحیاء العلوم، د. ت، ۱/ ۲۲۴. (۲) سورة الفرقان، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۸ بحضرته من یملی أو یکتب شیئا و نحو ذلک من الأمور التی أوجبها العناد و الجهل و العجز، و قد حکی اللّه عن بعض مردتهم و هو الولید بن المغیرة المخزومی، أنه لما طال فکره فی القرآن، و کثر ضجره منه، و ضرب له الأخماس من رأیه فی الأسداس، فلم یقدر علی أکثر من قوله: إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ «۱» عنادا و جهلا به و ذهابا عن الحجة و انقطاعا دونها) «۲».

ثالثا- النضر بن الحارث:

اشارة

ثالثا- النضر بن الحارث: قال ابن هشام: (و یقال: النضر بن الحارث بن علقمة بن کلدة بن عبد مناف، قال ابن اسحاق: فقال: یا معشر قریش إنه و اللّه قد نزل بکم أمر ما أتیتم له بحیلة بعد قد کان محمد فیکم غلاما حدثا أرضاکم فیکم، و أصدقکم حدیثا، و أعظمکم أمانة، حتی إذا رأیتم فی صدغیه الشیب، و جاءکم بما جاءکم به، قلتم ساحر؟ لا و اللّه ما هو بساحر، لقد رأینا السحرة و نفثهم و عقدهم، و قلتم کاهن؟ لا و اللّه ما هو بکاهن، لقد رأینا الکهنة و تخالجهم و سمعنا سجعهم، و قلتم شاعر؟ لا و اللّه ما هو بشاعر لقد رأینا الشعر و سمعنا أصنافه کلها هزجه و رجزه، و قلتم مجنون؟ لا و اللّه ما هو بمجنون، لقد رأینا الجنون فما هو بخنقه و لا وسوسته و لا تخلیطه، یا معشر قریش: فانظروا فی شأنکم، فإنه و اللّه لقد نزل بکم أمر عظیم.

أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم:

أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم: و کان النضر بن الحارث من شیاطین قریش و ممن کان یؤذی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ینصب له العداوة، و کان قد قدم الحیرة و تعلم بها أحادیث ملوک الفرس و أحادیث رستم ... فکان إذا جلس رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم مجلسا فذکّر فیه باللّه و حذّر قومه ما أصاب من قبلهم من الأمم من نقمة اللّه، خلفه فی مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا و اللّه یا معشر قریش أحسن حدیثا منه فهلم إلیّ، فأنا أحدثکم أحسن من حدیثه، ثم یحدثهم عن ملوک فارس و رستم ... ثم یقول: بما ذا محمد أحسن حدیثا منی) «۳». هذا هو إقرار و اعتراف کبار بلغاء قریش و فصحائها، و غیر هؤلاء کثیر ممن خفقت

(_____ ۱) سورة المدثر، الآیة: ۲۵. (۲) البرهان فی علوم القرآن، محمد بن عبد اللّه الزرکشی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد إبراهیم، ۱۳۹۱ ه، ۲/ ۱۰۱. (۳) السیرة النبویة، لابن هشام، ۲/ ۱۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۵۹ قلوبهم، و ثارت عواطفهم، و تفاعلت أحاسیسهم بصدی القرآن و وقعه علی مسامعهم فإنهم قد استیقنوا أن هذا الکلام هو کلام اللّه، و لا یمکن أن یکون من تألیف إنس أو جن، لأن الفرق بین کلام البشر و کلام اللّه کالفرق بیننا و بین اللّه، بل إن المشرکین کانوا یتوقون فی کل لحظة لسماع کلام الحق و تضیق علیهم الأرض بما رحبت إن هم انقطعوا عن الاستماع للقرآن. (و لذلک کان النفر من قریش یتعاهدون علی عدم سماع القرآن حتی لا یتأثروا به، و یذهبون إلی بیوتهم، إلا أن الواحد منهم لا یلبث أن یرجع إلی الکعبة لیسمع القرآن، الذی ملک علیه عقله و قلبه فیجد أن صاحبه الذی کان قد عاهده، قد سبقه إلی العودة لسماع القرآن المعجز، ندیا من صوت محمد صلی اللّه علیه و سلم فیجتمعان أمام الکعبة و کل منهم قد نقض ما عاهد علیه صاحبه! و حق لهم هذا ... فمن ذا الذی یری المعجزة و یملک نفسه أن

لا- یتأثر بها ...؟ إذ لو کان الناس یملکون هذا، لما کان للمعجزة ذلک الأثر) «۱». و هذا ما أورده أصحاب السیر فی سیرهم، من أن المشرکین کانوا یتلصصون فی هدأة اللیل، أو هاجرة النهار، لیستمتعوا و ینتشوا بسماع کلام الحیّ القیوم، فقد روی ابن هشام فی سیرته: (قال ابن إسحاق: و حدثنی محمد بن مسلم بن شهاب الزهری، أنه حدث أن أبا سفیان بن حرب و أبا جهل بن هشام و الأخنس بن شریق بن عمرو بن وهب الثقفی حلیف بنی زهرة، خرجوا لیلة لیستمعوا من رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و هو یصلی من اللیل فی بیته فأخذ کل رجل منهم مجلسا یستمع فیه و کل لا یعلم بمکان صاحبه، فباتوا یستمعون له حتی إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطریق فتلاوموا و قال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رآکم بعض سفهائکم لأوقعتم فی نفسه شیئا، ثم انصرفوا حتی إذا کانت اللیلة الثانیة عاد کل رجل منهم إلی مجلسه فباتوا یستمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطریق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة، ثم انصرفوا حتی إذا کانت اللیلة الثالثة أخذ کل رجل منهم مجلسه فباتوا یستمعون له، حتی إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطریق، فقال بعضهم لبعض: لا- نبرح حتی نتعاهد ألا نعود علی ذلک ثم تفرقوا، فأراد الأخنس أن یستفهم عما سمعه فلما أصبح الأخنس بن شریق، أخذ عصاه ثم خرج حتی أتی أبا سفیان فی بیته فقال: أخبرنی یا أبا حنظلة عن رأیک فیما

(_____ ۱) المعجزة القرآنیة، محمد حسن هیتو، ص: ۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۰ سمعت من محمد؟ فقال: یا أبا ثعلبة، و اللّه لقد سمعت أشیاء أعرفها و أعرف ما یراد بها، و سمعت أشیاء ما عرفت معناها و لا ما یراد بها، قال الأخنس: و أنا و الذی حلفت به، قال: ثم خرج من عنده حتی أتی أبا جهل فدخل علیه بیته فقال یا أبا الحکم: ما رأیک فیما سمعت من محمد؟ فقال: ما ذا سمعت تنازعنا نحن و بنو عبد مناف الشرف، أطعموا فأطعمنا، و حملوا فحملنا، و أعطوا فأعطینا، حتی إذا تحاذینا علی الرکب و کنا کفرسی رهان، قالوا: منا نبی یأتیه الوحی من السماء فمتی ندرک مثل هذه و اللّه لا- نؤمن به أبدا و لا- نصدقه، قال: فقام عنه الأخنس و ترکه) «۱». هذه بعض الروایات التی تحکی حال أولئک القوم الذین بهروا بجمال القرآن، و سحروا ببیانه و أقروا بإعجازه، و ترجموا هذه المشاعر بمقولاتهم التی سجّلها التاریخ لهم، و أثبتناها هاهنا، و لکنه العناد السافر الذی أعمی أبصارهم، و غلف قلوبهم فأظلمت و صدئت و قست ثم ماتت، فکانوا أضل من الأنعام الشاردة، و أغواهم الشیطان بمکائده و حباله، فجحدوا الحق و کفروا به بعد ما عرفوه، و سیکون علیهم یوم القیامة حسرة و ندامة.

۲- اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن

اشارة

۲- اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن و سنصغی الآن إلی الذین لامس القرآن الکریم شغاف قلوبهم، و وقعت کلماته الربانیة فی نفوسهم، فملک علیهم عقولهم، و سیطر علی کیانهم، فاستجابت له جوارحهم و انسجمت مع إرشاداته سلوکیاتهم، و سجدت نباهتهم لبلاغته، و طأطئوا الرءوس إجلالا لإعجازه فهداهم اللّه إلی الحق و النور المبین.

أولا- عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه:

أولا- عمر بن الخطاب رضی اللّه عنه: قال ابن إسحاق: (و کان إسلام عمر فیما بلغنی أن أخته فاطمة بنت الخطاب و کانت عند سعید بن زید بن عمرو بن نفیل، و کانت قد أسلمت و أسلم بعلها سعید بن زید، و هما مستخفیان بإسلامهما من عمر، و کان نعیم بن عبد اللّه النحام من مکة رجل من قومه من بنی عدی بن کعب قد أسلم، و کان أیضا یستخفی بإسلامه فرقا من قومه، و کان خباب ابن الأرت یختلف إلی فاطمة بنت الخطاب، یقرئها القرآن، فخرج عمر یوما متوشحا سیفه یرید رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و رهطا

من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فی

(۱) السیرة النبویة، لابن هشام، ۲/ ۱۵۶- ۱۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۱ بیت عند الصفا، و هم قریب من أربعین ما بین رجال و نساء، و مع رسول صلی اللّه علیه و سلم عمه حمزة ابن عبد المطلب، و أبو بکر بن أبی قحافة الصدیق، و علی بن أبی طالب، فی رجال من المسلمین رضی اللّه عنهم ممن کان أقام مع رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم بمکة، و لم یخرج فیمن خرج إلی أرض الحبشة، فلقیه نعیم بن عبد اللّه فقال له: أین ترید یا عمر؟ فقال: أرید محمدا هذا الصابئ و الذی فرق أمر قریش، و سفّه أحلامها، و عاب دینها، و سب آلهتها، فأقتله، فقال له نعیم: و اللّه لقد غرتک نفسک من نفسک یا عمر، أ تری بنی عبد مناف تارکیک تمشی علی الأرض و قد قتلت محمدا! أ فلا ترجع إلی أهل بیتک فتقیم أمرهم، قال: و أی أهل بیتی؟ قال: ختنک و ابن عمک سعید بن زید بن عمرو و أختک فاطمة بنت الخطاب، فقد و اللّه أسلما و تابعا محمدا علی دینه، فعلیک بهما، قال: فرجع عمر عامدا إلی أخته و ختنه و عندهما خباب بن الأرت معه صحیفة فیها: طه یقرئهما إیاها، فلما سمعوا حسّ عمر، تغیب خباب فی مخدع لهم أو فی بعض البیت، و أخذت فاطمة بنت الخطاب الصحیفة فجعلتها تحت فخذها، و قد سمع عمر حین دنا إلی البیت قراءة خباب علیهما، فلما دخل قال: ما هذه الهینمة التی سمعت؟ قالا له: ما سمعت شیئا قال: بلی و اللّه لقد أخبرت أنکما تابعتما محمدا علی دینه و بطش بختنه سعید بن زید، فقامت إلیه أخته فاطمة بنت الخطاب لتکفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلک قالت له أخته و ختنه: نعم لقد أسلمنا و آمنا باللّه و رسوله فاصنع ما بدا لک، فلما رأی عمر ما بأخته من الدم ندم علی ما صنع فارعوی و قال لأخته: أعطینی هذه الصحیفة التی سمعتکم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذی جاء به محمد، و کان عمر کاتبا، فلما قال ذلک، قالت له أخته: إنا نخشاک علیها، قال: لا تخافی، و حلف لها بآلهته لیردنها إذا قرأها إلیها، فلما قال ذلک طمعت فی إسلامه فقالت له: یا أخی إنک نجس علی شرککک و إنه لا یمسها إلا الطاهر، فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحیفة و فیها: طه فقرأها، فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الکلام و أکرمه، فلما سمع ذلک خباب خرج علیه فقال له: یا عمر و اللّه إنی لأرجو أن یکون اللّه قد خصک بدعوة نبیه فإنی سمعته أمس و هو یقول: «اللهم أیّد الإسلام بأبی الحکم بن هشام أو بعمر ابن الخطاب»، فاللّه اللّه یا عمر، فقال له عند ذلک عمر: فدلنی یا خباب علی محمد حتی آتیه فأسلم، فقال له خباب: هو فی بیت عند الصفا معه فیه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سیفه فتوشحه ثم عمد إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و أصحابه، فضرب علیهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السیف الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۲ فرجع إلی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و هو فزع فقال: یا رسول اللّه هذا عمر بن الخطاب متوشحا السیف، فقال حمزة بن عبد المطلب: فأذن له فإن کان جاء یرید خیرا بذلناه له، و إن کان یرید شرا قتلناه بسیفه، فقال رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم: «ائذن له»، فأذن له الرجل، و نهض إلیه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حتی لقیه فی الحجرة، فأخذ حجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه به جبذة شدیدة و قال: «ما جاء بک یا بن الخطاب؟ فو اللّه ما أری أن تنتهی حتی ینزل اللّه بک قارعة»، فقال عمر: یا رسول اللّه جئتک لأومن باللّه و برسوله و بما جاء من عند اللّه، قال فکبر رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم تکبیرة عرف أهل البیت من أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم أن عمر قد أسلم، فتفرق أصحاب رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم من مکانهم، و قد عزوا فی أنفسهم حین أسلم عمر مع إسلام حمزة، و عرفوا أنهما سیمنعان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و ینتصفون بهما من عدوهم) «۱».

ثانیا- الطفیل بن عمرو الدوسی:

ثانیا- الطفیل بن عمرو الدوسی: و ما حدث لعمر بن الخطاب حدث للطفیل بن عمرو الدوسی، و شعره لا یخفی علی العرب و قصائده التی کان یتجمهر الناس فی المحافل العامة و الأسواق لسماعها لیست بخافیة، و مع ذلک عند ما قرع القرآن مغالیق قلبه، خفت شعره و

التهبت مشاعره بالإیمان فکان فی زمرة الموحدین، و ها هو ذا یحدثنا عن تأثیر القرآن و وقعه فی قلبه یوم سمعه غضا طریا ندیا من النبی صلی اللّه علیه و سلم. (... أن الطفیل بن عمرو قال: کنت رجلا شاعرا سیدا فی قومی، فقدمت مکة فمشیت إلی رجالات قریش فقالوا: إنک امرؤ شاعر سید و إنا قد خشینا أن یلقاک هذا الرجل فیصیبک ببعض حدیثه، فإنما حدیثه کالسحر فاحذره أن یدخل علیک و علی قومک ما أدخل علینا، فإنه فرق بین المرء و أخیه، و بین المرء و زوجته، و بین المرء و ابنه، فو اللّه ما زالوا یحدثونی شأنه و ینهونی أن أسمع منه حتی قلت: و اللّه لا أدخل المسجد إلا و أنا ساد أذنی، قال: فعمدت إلی أذنی فحشوتها کرسفا، ثم غدوت إلی المسجد فإذا برسول صلی اللّه علیه و سلم قائما فی المسجد، فقمت قریبا منه و أبی اللّه إلا أن یسمعنی بعض قوله، فقلت فی نفسی: و اللّه إن هذا للعجز و إنی امرؤ ثبت ما تخفی علیّ الأمور حسنها و قبیحها، و اللّه لأتسمعن منه فإن کان أمره رشدا أخذت منه و إلا اجتنبته، فنزعت الکرسفة، فلم أسمع قط کلاما أحسن من کلام یتکلم به فقلت: یا سبحان اللّه ما

(_____ ۱) السیرة النبویة، لابن هشام، ۲/ ۱۸۹- ۱۹۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۳ سمعت کالیوم لفظا أحسن و لا أجمل منه، فلما انصرف تبعته فدخلت معه بیته، فقلت: یا محمد إن قومک جاءونی فقالوا لی کذا و کذا فأخبرته بما قالوا و قد أبی اللّه إلا أن أسمعنی منک ما تقول، و قد وقع فی نفسی أنه حق فاعرض علیّ دینک فعرض علیّ الإسلام فأسلمت ...) «۱».

ثالثا- لبید بن ربیعة:

ثالثا- لبید بن ربیعة: (یعتبر لبید أحد أصحاب المعلقات السبعة، الذین سارت بشعرهم الرکبان، و من أشراف الشعراء المجیدین الفرسان، یفد علی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم و یسمع کلامه، و یسلم، و لکن ما ذا فعل بالشعر الذی جری فی کیانه مجری الدم من عروقه، و جبلت به نفسه، و عرفت به حیاته، و تناقله الناس عنه یتفاخرون به و یتمایلون طربا لسماعه، بل یصل بهم الأمر لدرجة الجنون لأجله ... لقد ذهل هذا الرجل الفصیح البلیغ، الذی فتن الناس بشعره، لقد ذهل عن نفسه و شعره، فلم یعد یتمکن من قول الشعر، إذ أفحمته عظمة القرآن و بلاغته فلم یقل بعد إسلامه إلا بیتا واحدا، و هو قوله: الحمد للّه إذ لم یأتنی أجلی حتی لبست من الإسلام سربالا) «۲» لقد تذوق لبید حلاوة البیان، و تشربت عروقه منه، و فاض الشعر و الأدب فی کیانه منذ نعومة أظافره، و لکنه یوم سمع القرآن تقوضت أرکان البیان لدیه، و امتدت أروقة البلاغة القرآنیة فی داخله حتی ملئت أقطار نفسه، و عرف الحق فوقف عنده، و انصاع لمستلزماته و أوامره، و أصبح یستحی أن ینبث ببنت شفة فی حضرة کلام رب الأرباب ... و یکفی أن نعلم ما للبید من ثقل عظیم فی دنیا الشعر، و ساحات الأدب و البیان، من أن الرسول صلی اللّه علیه و سلم قال فیه مدحا و ثناء و هو علی المنبر: «أشعر کلمة قالتها العرب قول لبید بن ربیعة ألا کل شیء ما خلا اللّه باطل» «۳»، و لیس بعد شهادة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم شهادة، و لا یعرف الفضل إلا ذووه و مع تألق لبید فی بلاغته، و تفرده فی شعره، أیقن أن کلامه یتساقط، و یتناثر أوزاعا، بل و لا یذکر أمام سلطان القرآن و هیمنته علی النفوس و الأرواح.

(_____ ۱) سیر أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق، شعیب الأرناءوط و محمد نعیم العرقسوسی، الطبعة التاسعة، ۱۴۱۳ ه، ۱/ ۳۴۵. (۲) المعجزة القرآنیة، محمد حسن هیتو، ص: ۴۳. (۳) أخرجه أحمد فی مسنده، ۲/ ۴۴۴، رقم: (۹۷۳۵). الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۴

رابعا- أنیس أخو أبی ذر الغفاری:

رابعا- أنيس أخو أبى ذر الغفارى: كذلك الأمر بالنسبة لأنيس و لغيره ممن سمع القرآن، فقد مزق القرآن أستار الغفلة فى كيانه و قشع سحب الظلام التى تلبّدت فى سماء عقله، و رأى نور الحق، و ضياء الهدى ببضع آيات طرقت مسمعه من فم الحبيب صلى اللّه عليه و سلم، علما أن أنيسا كان من أبرز شعراء العرب و خطبائها، و ممن كان لهم صولة و جولة فى ساحات الهجاء و الثناء إذا ما تبارى المتبارون، و ها هو ذا يصف القرآن و ما شعر عند سماع آياته، و الحديث طويل فى صحيح مسلم و نأخذ موطن الشاهد فيه: (... فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث على ثم جاء، فقلت: ما صنعت، قال: لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن اللّه أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون شاعر، كاهن، ساحر، و كان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم، و لقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدى إنه شعر، و الله إنه لصادق و إنهم لكاذبون) «۱». (أ رأيت كيف اعترف المخالفون من المشركين بسموّ مكانة القرآن، و كيف أثنى عليه أناس تحولوا بسببه من الشرك إلى الإسلام بيقين فإنه لم يصدر ثناء هؤلاء و اعتراف أولئك المشركين حين صدر إلا تنويها بأمر يعرفه ذوو الخبرة، فهو إخبار عن شىء باد للعيون لا يرسل أحدهم بصره إلا رآه، فقد أطلق كل من القائلين قوله و هو واثق أنه معلوم للجميع فليس من منصف بصير بمراتب الفضل فى اللغة مؤمنا كان أم جاحدا إلا وجد نفسه مسوقا للاعتراف بإعجازه، شاء أم أبى، لظهوره عند نظرائه لشدة وضوحه، لذا فإن أقوالهم دليل بالغ على إعجاز القرآن) «۲». و يذيّل هذا المبحث بذكر تصريحات أبرز أساطين العلم و المعرفة، و رائدى النهضة الحضارية الغربية المعاصرة الذين قرءوا القرآن بتدبر و روىّ، فأفرزت دراساتهم هذه مجموعة طيبة و كبيرة من شهادتهم بإعجاز القرآن، و بغض النظر عمّن آمن منهم، أو من قال ذلك على سبيل الإنصاف و الحق.

(_____ ۱) رواه مسلم، فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبى ذر رضى اللّه عنه، ۴/ ۱۹۲۰ رقم: (۲۴۷۳)، و الذهبى، سير أعلام النبلاء، ۲/ ۵۱. (۲) الرسالة الشافية، للجرجانى، ثلاث رسائل فى الإعجاز، ص: ۱۱۴- ۱۱۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۶۵ ذيل كتاب «إشارات الإعجاز» بطائفة من الأقوال و الآراء لكبار مفكرى الغرب، يتحدثون و يقرّون بعظمة القرآن و إعجازاته و لنثبت بعضها هنا. يقول: «واشنجون إيرفنج «۱» gnivrl. w»: (كانت التوراة فى يوم ما هى مرشد الإنسان و أساس سلوكه، حتى إذا ظهر المسيح عليه السلام اتبع المسيحيون تعاليم الإنجيل، ثم حلّ القرآن مكانهما فقد كان القرآن أكثر شمولا و تفصيلا من الكتابين السابقين، كما صحّح القرآن ما قد أدخل على هذين الكتابين من تغيير و تبديل، و حوى القرآن كل شىء، و حوى جميع القوانين، إذ أنه خاتم الكتب السماوية ...) «۲». و يقول «بلاشير» «۳»: (لا جرم فى أنه إذا كان ثمة شىء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البيانى و اللفظى و الجرس الإيقاعى فى الآيات المنزلة فى ذلك العهد .. إن خصوم محمد صلى اللّه عليه و سلم قد أخطئوا عند ما لم يشاءوا أن يروا فى هذا إلّا أغانى سحرية و تعويذية، و بالرغم من أننا على علم استقرائيا فقط بتنبؤات الكهان، فمن الجائز لنا الاعتقاد مع ذلك بخطإ هذا الحكم و تهافته، فإن للآيات التى أعاد صلى اللّه عليه و سلم ذكرها فى هذه السور اندفاعا و ألقا و جلالة، تخلّف وراءها بعيدا أقوال فصحاء البشر كما يمكن استحضارها من خلال النصوص الموضوعة التى وصلتنا) «۴».

(_____ ۱) ۱۷۸۳- ۱۸۵۹، واشنجون إيرفنج، قصصى و كاتب سير أمريكى، اعتبره بعضهم أبا الأدب الأمريكى، و اعتبره آخرون مخترع الأقصوصة، من آثاره القصصية: حكايات رحالة، و من كتبه: محمد و خلفاؤه. انظر: معجم أعلام المورد، منير بعلبكى، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ۱۹۹۲، ص: ۷۹، بتصرف. (۲) إشارات الإعجاز فى مظان الإيجاز، سعيد النورسى، بيروت، دار المحراب للطباعة، تحقيق، إحسان قاسم الصالحى د. ت، ص: ۲۵۰. (۳) ۱۳۱۸- ۱۳۹۳ ه، ۱۹۰۰- ۱۹۷۳، بلاشير ريجيس، من علماء المستشرقين و من أعضاء المجمع العلمى العربى بدمشق، و مجمع الفرنسى الأعلى الأنستيتو بباريس، فرنسى، ضليع فى العربية، ولد فى مونروج، من ضواحى باريس، تلقى دروسه الثانوية فى الدار البيضاء بالمغرب و تخرج بكلية الآداب فى الجزائر، ألف بالفرنسية كتبا كثيرة و ترجم بعضها إلى العربية، من كتبه:

ترجمة القرآن الکریم، و تاریخ الأدب العربی، و قواعد العربیة الفصحی. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۲ / ۷۲، بتصرف. (۴) إشارات الإعجاز، سعید النورسی، ص: ۲۵۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۶ و یقول «بکثول» «۱»: (القرآن هو الذی دفع العرب إلی فتح العالم، و مکنهم من إنشاء إمبراطوریة فاقت إمبراطوریات إسکندر الکبیر، و الإمبراطوریة الرومانیة، سعة و قوة و عمرانا و حضارة و دواما ...). و یقول «غوته» «۲»: إذا اتجهنا إلی القرآن نفرنا منه فی البدایة، و لکن سرعان ما یذهلنا ثم یجبرنا علی تقدیره فی النهایة، أما أسلوبه و هدفه فعظیم و رهیب و سام، و لذا سیظل هذا الکتاب ذا تأثیر فعّال علی مدی الأجیال، و القرآن سیحافظ علی تأثیره إلی الأبد، لأن تعالیمه عملیة ... و الإنسان منا إذا قرأ القرآن یری فیه و لأول مرة شیئا جدیدا لم یألفه و لکنه کلما ازداد فی قراءته ازداد حبا له و اجتذابا إلیه، حتی أخیرا یقول إلی إکباره و إجلاله) «۳». هؤلاء المفکرون العالمیون درسوا الإسلام دراسة عمیقة و شاملة، فأحبه بعضهم و آزره و آمن به آخرون و أعلنوا إسلامهم، و إذا رجعنا إلی الوراء قلیلا- فلسوف نجد أن الحروب الصلیبیة کانت من أبرز الدعائم التی نهضت علیها هذه الدراسات و التصورات حول القرآن الکریم، و هی سبب من أهم الأسباب الأولی التی جعلت الکثیر من الغربیین یغیرون وجهة نظرهم فیما یخص الشرق بشکل عام و شامل و الإسلام بشکل خاص، ذلک لأن الغربیین یوم التحموا بالمسلمین رأوا منهم صفات النبل و الشهامة و الأخلاق و السلوک المستقیم و أیقنوا أن دین الشرق لیس کما یصوره الاستعمار من الانحطاط و التخلف، حینها انکب الأوربیون یدرسون و بشکل متسلسل الشرق، الذی کان

(_____ ۱) ۱۸۷۵- ۱۹۳۶، بکثول مارمادوک

ولیم، ولد فی لندن و حال ضعف صحته دون إتمام دراسته، فأرسلته أمه إلی سوریا فتعلم العربیة و درس عادات أهلها و أخلاقهم، ثم استدعاه اللورد کرومر إلی مصر حیث أقام مدة، و صنف فیها کتابیه «أبناء النیل، و النساء المحجبات» و نشر المقالات فی الدفاع عن الإسلام، ثم سافر إلی ترکیا و عند عودته منها أشهر إسلامه، ثم تولی منصب إمام المسلمین فی لندن، و قضی ثلاث سنوات فی ترجمة معانی القرآن الکریم. انظر: المستشرقون، نجیب العقیقی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة د. ت، ۲/ ۱۰۲، بتصرف. (۲) ۱۷۴۹- ۱۸۳۲، غوته جوهان، کبیر شعراء الألمان، و أحد عمالقة الأدب العربی، تمیز بتعدد المواهب، فکان شاعرا و ناقدا و روائیا و کاتبا و مسرحیا و عالما، له روایات شهریة هی أحزان فرتر الشاب. انظر: معجم أعلام المورد، منیر البعلبکی، ص: ۳۰۳، بتصرف. (۳) قالوا فی الإسلام و القرآن و الرسول، حسین سلیم، ص: ۸۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۶۷ لا یحرک فی عقولهم و نفوسهم إلا ما قد تأصّل فیها من عداوة و اشمئزاز، نتیجة ما قد رسمه لهم أشخاص حاقدون. و لا أدل علی هذا الذی نقول من أن الرحلات المتعددة، و الصلة المباشرة المستمرة مع الشرق کانت وثیقة متینة، و کان من نتائجها أنها قشعت الأوهام المظلمة التی تلبّدت فی سماء عقول الغرب تجاه المسلمین و قرآنهم و نبیهم، فمن من کتّاب الغرب الذین یحترمون أقلامهم و أفکارهم، یجرؤ أن یکتب أو یقول بأن محمدا صلی اللّه علیه و سلم هو إله المسلمین کما کان یسوغ هذا لکتّاب غربیین مضوا؟. و عند ما کتب الشیخ رشید رضا مقدمة لکتاب «إعجاز القرآن» کان من جملة ما قال: (فإن من أوتی حظّا من بیان هذه اللغة، و فاز بسهم رابح من آدابها حتی استحکمت له ملکة الذوق فیها لا یملک أن یدفع عن نفسه عقیدة إعجاز القرآن، ببلاغته و فصاحته و بأسلوبه فی نظم عبارته و قد صرّح بهذا من أدباء النصرانیة المتأخرین الأستاذ جبر ضومط مدرّس علوم البلاغة بالجامعة الأمریکانیة فی کتابه الخواطر الحسان) «۱». و الذی یستقصی هذه الأقوال المنصفة من علماء الغرب المنصفین یجدها کثیرة جدا، و تدل بمجملها علی أن هؤلاء حین قرءوا القرآن جذبهم إلیه، و شغل قلوبهم و عقولهم، و قذف فی أعماق فکرهم و ضمیرهم یقینا جازما بأن هذا الکتاب إنما هو کلام اللّه تعالی، و أنه فوق کل المعجزات، و أنه معجزة خالدة تبرهن بنفسها علی نفسها، و لا یمکن أن یصل طوق أحد من البشر مهما أوتی من بلغة و فصل خطاب، إلی شیء یسیر من بیان القرآن و إعجازه. و لکن و بعد هذا العرض الذی عشنا أجواءه و تضاعیفه، لنا أن نتساءل، متی نشأ مصطلح إعجاز القرآن؟ و کیف کانت بدایته؟ و ما هی الدوافع الأساسیة الأولی التی حفّزت علماء المسلمین لئن یکتبوا مدونات فی هذا المجال؟ هذا ما سیبحث فی الفصل القادم إن شاء اللّه تعالی.

(_____۱) مقدمـة کتـاب، إعجـاز القرآن و البلاغـة النبویـة، لمصـطفی صـادق الرافعی، بیروت، دار الکتـاب العربی، د. ت، ص: ۷. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۶۹

الفصل الثانی نشأة مصطلح إعجاز القرآن

اشارة

الفصل الثانی نشأة مصـطلح إعجاز القرآن تمهیـد. المبحث الأول: الصّـرفة و القائلون بها. المبحث الثانی: نقد مذهب الصّـرفة. المبحث الثالث: أوجه إعجاز القرآن. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۱

تمهید

تمهیـد مما لا شک فیه أن للقرآن الکریم جاذبیـة و هیمنة علی النفوس و العقول، کما أن لأسـلوبه و نظمه و بیانه سـحرا یسـتولی علی الأفکـار و الألبـاب، و قـد أدرک ذلـک العرب إبـان نزوله، فالمؤمن منهم کانت النشوة القرآنیـة تنسـکب فی فؤاده، فیشـعر بسـعادة لا تفوقها سعادة، حتی الکافر و الجاحد منهم، کان یدرک و یستیقن أن هناک فرقا کبیرا بین کلام الخالق و کلام المخلوق، و أن ما جاء به محمد صـلی اللّه علیه و سلم إنما هو کلام اللّه تعالی ... و لا غرو و لا عجب من ذلک، فالعرب قد بلغوا من الفصاحة و البیان درجة سامقة باسـقة، اتزنت فیها أسالیبهم الکلامیة إفرادا و ترکیبا، و زودهم اللّه بأدوات لغویة تمکنهم من قول الشـعر البلیغ و رصف الخطب الرنانـة، و الحـذق فی البلاغـة و البیان. فسـلامة الـذوق العربی، و جودة القریحـة، و براعة الاسـتهلال و الأداء، و إدراک کنه الألفاظ و أبعادهـا دفعت العرب بشـعور و إدراک عمیقین، أو بلا شـعور أحیانا إلی تقـدیس القرآن و الخضوع لحسن بیانه و عـذب کلامه ... و ظلت هـذه المعانی ماثلـة فی الأذهان، قائمـة فی الکیان، فی عصـر النبوة و الخلفاء الراشدین و فسـحة من عصـر الدولة الأمویة، غیر أن اتساع رقعـة الإسـلام و دخول الأعاجم فی هـذا الـدین و امتزاجهم بالمجتمع العربی، أثّر فی لغـة العرب، و بـدأت السـلیقة العربیة تفقد رونقهـا و جمالهـا، لأـن المسـلمین من غیر العرب قـد وفـدوا و معهم أفکـار و تیـارات و تصورات مختلفـة حول الإله و الـدین فراحوا یفکّرون بطریقـة منطقیـة عقلیـة مجردة عن التذوق المتألق لمعانی اللغة الصافیة. فی هذه الأثناء و تلکم الأجواء، ظهر الحدیث عن وجه إعجـاز القرآن، و لمـا ذا عجز العرب عن الإتیـان و لو بسورة من مثله، و مـا هو سـرّ قصورهم عن ذلـک، و کـان أول ما بـدأ ذلک فی البصـرة، التی کانت تحتضن مجموعة من المذاهب الکلامیة و الفکریة المتعددة عندها برز مصطلح إعجاز القرآن بین الناس و تداولته الألسنة، و کان أول من قال به الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۲ النّظام و هو من کبار شیوخ المعتزلة عند ما قال: إن إعجاز القرآن لیس بشـیء ذاتی فیه و إنما هو بصـرف اللّه تفکیر الناس عن معارضـته، و هـذا القول الغریب نجد أنه قد ذاع فی البصرة، و عرف هذا القول «بالصّرفة». عندها انبری العلماء للرد علی هذا القول المتهافت، و بدءوا یفنّدونه و یبینون خطأه و خطره و أوضـحوا أن إعجاز القرآن شـیء قائم بـذاته، و أن اللّه تحدی به العرب فعجزوا عن الإتیان و لو بسورة من مثله، و لم یصـرف عقولهم عن التفکیر فی معارضـته ... فکتبوا کتبا کثیرة فی ذلک، و نقـدوا مذهب الصـرفة، و تحدّثوا عن أوجه إعجاز القرآن، إلا أنهم اختلفوا فی تحدیـد أوجه إعجـاز القرآن، کما أنهم اختلفوا فی ثبات الإعجاز العلمی علی التحدیـد إلی مؤیـدین و معارضـین، غیر أنهم اتفقوا جمیعـا علی بطلاـن القول بالصـرفة، و هـذا مجمـل ما سـنجده فی هـذا الفصل إن شاء اللّه تعالی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۳

المبحث الأول الصّرفة و القائلون بها

اشارة

المبحث الأول الصّرفة و القائلون بها سبقت الإشارة إلى أن نشأة مصطلح «إعجاز القرآن» تساورت مع القول بالصرفة، بل إن القول بالصرفة كان هو الباعث الأول للحديث عن وجوه إعجاز القرآن الكريم، و قبل أن نتحدث عمّن صدر هذا القول، و من الذى تبناه و دعا إليه، أود أن أبدأ بتعريف كلمة «الصرفة» فى اللغة و الاصطلاح، خلافا لمعظم الباحثين الذين يخوضون فى الحديث عن الصرفة و مصدرها، دون الاستهلال بتعريفها.

الصّرفة لغة:

الصّرفة لغة: بفتح الصاد و تسكين الراء، يقول ابن منظور: (الصرف: رد الشىء عن وجهه صرفه يصرفه صرفا فانصرف، و صارف نفسه عن الشىء، صرفها عنه، و قوله تعالى: ثُمَّ انْصَرَفُوا رجعوا عن المكان الذى استمعوا فيه، و قيل: انصرفوا عن العمل بشىء مما سمعوا. صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ أى أضلهم اللّه مجازاة على فعلهم، و صرفت الرجل عنى فانصرف، و المنصرف قد يكون مكانا، و قد يكون مصدرا، و قوله عز و جلّ: سَأَصْرِفُ عَنْ آياتِيَ أى أجعل جزاءهم الإضلال عن هداية آياتى، و صرف اللّه عنك الأذى و استصرفت اللّه المكاره، و صرف الشىء، أعمله فى غير وجهه كأنه يصرفه عن وجه إلى وجه، و تصرف هو، و تصاريف الأمور: تخاليفها، و منه تصاريف الرياح و السحاب) «۱ (_____». ۱) لسان العرب، لابن منظور، ۹/ ۱۸۹، و انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبى بكر الرازى، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، تحقيق محمود خاطر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۵، ۱/ ۱۵۲، و الفائق فى غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشرى، بيروت، دار المعرفة، تحقيق: على البجاوى، و محمد إبراهيم، الطبعة الثانية، د. ت، ۲/ ۲۹۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۷۴ و فى «التوقيف على مهمات التعريف»: (الصرف: بالفتح رد الشىء من حالة إلى أخرى، أو إبداله بغيره و تصريف الرياح: صرفها من حال إلى حال، و منه تصريف الكلام و الدراهم، و الصريف اللبن إذا سكنت رغوته كأنه صرفت الرغوة عنه، و الصرف بالكسر: صبغ أحمر خالص، ثم قيل لكل خالص من غيره صرف كأنه صرف عنه ما يشوبه) «۱».

الصرفة اصطلاحا:

الصرفة اصطلاحا: معناها (أن اللّه صرف العرب عن معارضة القرآن، و سلب علومهم، و كان مقدورا لهم، لكن عاقهم أمر خارجى فصار كسائر المعجزات) «۲». هذا معنى الصرفة، و لكن منشأ القول بالصرفة، و ما هى ملامح الجوّ الذى صدر عنه هذا الفكر و العوامل التى كوّنت هذا التصور فى أدمغة أصحابها؟ هذا ما أوضحه الإمام محمد أبو زهرة رحمه اللّه إذ يقول: (إن بعض المتفلسفين من علماء المسلمين اطلعوا على أقوال البراهمة فى كتابهم «الفيدا» و هو الذى يشتمل على مجموعة من الأشعار، ليس فى كلام الناس ما يماثلها فى زعمهم و يقول جمهور علمائهم: إن البشر يعجزون عن أن يأتوا بمثلها، لأن براهما صرفهم عن أن يأتوا بمثلها ... و عند ما دخلت الأفكار الهندية فى عهد أبى جعفر المنصور ثانى خلفاء بنى العباس و من والاه من حكام بنى العباس تلقف الذين يحبون كل وافد من الأفكار، و يركنون إلى الاستغراب فى أقوالهم فدفعتهم الفلسفة إلى أن يعتنقوا ذلك القول «الصرفة» و يطبقوه على القرآن و إن كان لا ينطبق، فقال قائلهم: إن العرب إذ عجزوا عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ما كان عجزهم لأمر ذاتى من ألفاظه و معانيه و نسجه و نظمه، بل كان لأن اللّه تعالى صرفهم عن أن يأتوا بمثله، و إن رواج تلك الفكرة يؤدّى إلى أمرين أولهما: أن القرآن الكريم ليس فى درجة من البلاغة و الفصاحة تمنع محاكاته و تعجز القدرة البشرية عن أن تأتى بمثله، فالعجز ليس من صفات القرآن الذاتية، و ثانيهما: الحكم بأنه ككلام الناس لا يزيد عليه شىء فى بلاغته أو فى معانيه) «۳».

(_____ ۱) التوقیف علی مهمات التعاریف، محمد عبد الرءوف المناوی، دمشق- بیروت، دار الفکر المعاصر، تحقیق، محمد رضوان الدایة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۰ ه، ۱/ ۴۵۴. (۲) الإتقان، للسیوطی، ۲/ ۳۱۴، و البرهان، للزرکشی، ۲/ ۹۵. (۳) المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، ص: ۷۹، و انظر: البیان فی علوم القرآن، محمد علی الحسن، بیروت، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸، ص: ۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۵ و قد ذهب إلی هذا القول النّظّام من المعتزلة، و نسب إلی ابن المرتضی من الشیعة، و ابن سنان الخفاجی، و ابن حزم الظاهری الأندلسی، و هؤلاء هم أبرز من قال بالصرفة، و سوف نقتصر الحدیث علیهم، و عمّا قالوه فی هذا المجال تباعا.

القائلون بالصرفة:

۱- النّظّام «۱»:

۱- النّظّام «۱»: و هو أول من جهر بالقول بالصرفة، و هو من رءوس المعتزلة، و لقد أشار الإمام أبو الحسن الأشعری إلی مقولة النظّام فی الصرفة فی کتابه «مقالات الإسلامیین» فقال: (و قال النظام: فأما التألیف و النظم فقد کان یجوز أن یقدر علیه العباد، لو لا أن اللّه منعهم بمنع و عجز أحدثهما فیهم) «۲». و یحدثنا الإمام أبو منصور البغدادی فی کتابه «الفرق بین الفرق» عن النظام، و عن الظروف و العوامل التی کانت سببا فی تکوین هذا الفکر لدیه، و عن طرف من معتقداته البالیة، و خاصة فی الصرفة، فیقول: (إنما کان ینظم الخرز فی سوق البصرة، و لأجل ذلک قیل له «النّظام» و کان فی زمان شبابه قد عاشر قوما من الثنویة، و قوما من السمنیة القائلین بتکافؤ الأدلة، و خالط بعد کبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هاشم بن الحکم الرافضی، فأخذ عن هاشم و عن ملحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذی لا یتجزأ ثم بنی علیه قوله بالطفرة التی لم یسبق إلیها و هم أحد قبله، و أخذ من الثنویة قوله بأن فاعل العدل لا یقدر علی فعل الجور و الکذب، و أخذ عن هاشم ابن الحکم أیضا قوله بأن الألوان و الطعوم و الروائح و الأصوات أجسام، و بنی علی هذه البدعة قوله (_____ ۱) ت ۲۳۱ ه، إبراهیم بن سیار النظّام، إلیه تنسب فرقة النظامیة، الذین قالوا: إن الله لا یقدر أن یفعل بعباده فی الدنیا ما لا صلاح لهم فیه و لا أن یزید و ینقص من عقاب و ثواب، و کونه مریدا لفعله خالقه و لفعل العبد کونه أمر به، و الإنسان هو الروح و البدن و الأعراض و الأجسام لا تبقی، و الجسم مؤلف من الأعراض، و العلم و الجهل المرکب مثلان، و الإیمان و الکفر کذلک، و أن الله خلق الخلق دفعة و التقدم و التأخر فی الکون و الظهور، و نظم القرآن لیس بمعجز، و التواتر یحتمل الکذب، و الإجماع و القیاس لیس بحجة و أوجبوا النص علی الإمام، و ثبوته لعلی، لکن کتمه عمر. انظر: لوامع الأنوار البهیة، للسفارینی، ۱/ ۷۸، بتصرف. (۲) مقالات الإسلامیین و اختلاف المصلین، أبو الحسن علی بن إسماعیل الأشعری، صیدا- بیروت، المکتبة العصریة، تحقیق، محی الدین عبد الحمید، د. ت، ۱/ ۲۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۶ بتداخل الأجسام فی حیّز واحد، و دوّن مذاهب الثنویة و بدع الفلاسفة و شبه الملحدة فی دین الإسلام و أعجب بقول البراهمة بإبطال النبوات، و لم یجسر علی إظهار هذا القول خوفا من السیف، فأنکر إعجاز القرآن فی نظمه، و أنکر ما روی من معجزات نبینا صلی اللّه علیه و سلم من انشقاق القمر، و تسبیح الحصی فی یده، و نبوع الماء من بین أصابعه، لیتوصل بإنکار معجزات نبینا صلی اللّه علیه و سلم إلی إنکار نبوته، ثم إنه استثقل أحکام شریعة الإسلام فی فروعها و لم یجسر علی إظهار دفعها، فأبطل الطرق الدالة علیها، فأنکر لأجل ذلک حجة الإجماع، و حجیة القیاس فی الفروع الشرعیة ...) «۱». ثم عرض بعد هذا البغدادی سلسلة طویلة من انحرافاته و ضلالاته، و أسماها «بالفضائح» بسط الکلام فیما أوجزناه و أثبتناه هاهنا، و غیر البغدادی کثیر من علماء الإسلام الذین أماطوا اللثام عن زیف و وهم ما ذهب إلیه النظام، و رکّزوا علی الصرفة التی جاهر بها، من ذلک ما أورده الإمام الشهرستانی فی کتابه «الملل و النحل» إذ یقول: (إبراهیم بن سیّار النظّام قد طالع کثیرا من کتب

الفلاسفة، و خلط كلامهم بكلام المعتزلة، و انفرد عن أصحابه بمسائل ... و ذكر ثلاثة عشر مسألة أوضح فيها ضلاله و زيفه، منها قضية الصرفة) «۲». و من خلال استقراء حياة النظام يتبين لنا أنه كان شعلة من الذكاء و النباهة، حتى قال فيه الجاحظ: (قد أنهج- أى للمتكلمين- لهم سبلا، و فتق لهم أمورا، و اختصر لهم أبوابا ظهرت فيها النعمة و شملتهم بها المنفعة) «۳».

(_____ ۱) الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادى، بيروت، دار المعرفة، تحقيق، محمد محى الدين عبد الحميد، د. ت، ص ۱۳۱- ۱۳۲. (۲) الملل و النحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستانى، بيروت، دار المعرفة، تحقيق، محمد كيلانى، ۱۴۰۴ ه، ۱/ ۵۳، و انظر الفصل فى الملل و الأهواء و النحل، على بن أحمد بن حزم الظاهرى، بيروت، دار المعرفة، الطبعة الثانية، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵، ۱/ ۶۷، و انظر: عقائد الثلاث و السبعين فرقة، لأبى محمد اليمنى، المدينة المنورة، مكتبة العلوم و الحكم، تحقيق، محمد الغامدى، الطبعة الثانية ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ ۱/ ۳۳۳ و انظر: معجم الفرق الإسلامية، شريف يحيى الأمين، بيروت، دار الأضواء، الطبعة الأولى، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶ ص ۲۵۰. (۳) الحيوان، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، بيروت، دار الهلال، تحقيق، يحيى الشامى، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷، ۴/ ۶۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۷۷ و قال عنه الجاحظ أيضا: (و كان لا يرتاب بحديث النظّام إذا حكى عن سماع أو عيان) «۱». و وصفه أحمد أمين «۲» بأنه (عقلية قوية سابقة لزمنها، فيها الركنان الأساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة فى أوروبا و هما: الشك و التجربة) «۳». لكن مع كل هذا الثناء و المديح سواء كان مبالغا فيه أم لا (لم يستخدم النظّام قدرته العقلية و طاقاته المعرفية و الذكائية فى خدمة الشريعة الغراء، و الكشف عن أسرارها و حكمها و شموليتها للكون و الحياة و الإنسان، بل على العكس من ذلك تماما، فقد سلط قلمه و لسانه على الشرع السمح و استهتر بقضايا الدين، و طعن فى أصول الشريعة كما طعن فى فتوى أعلام الصحابة ...) «۴». علاوة على ذلك فإنه كان منحرف السلوك، سيّئ الخلق، و هذا وصف ابن قتيبة له يقول: (وجدنا النظّام شاطرا من الشطّار، يغدو على سكر و يروح على سكر، و يبيت على جرائرها، و يدخل فى الأدناس، و يرتكب الفواحش و الشائنات، و هو القائل: ما زلت آخذ الزقّ فى لطف و أستبيح دما من غير مجروح حتى انثنيت و لى روحان فى جسدى و الزقّ مطّرح جسم بلا روح ثم نجد أصحابه يعدون من خطئه قوله: إن اللّه عز و جلّ يحدث الدنيا و ما فيها، فى كل وقت من غير إفنائها ...) «۵». و قد اتفق أكثر المعتزلة على تكفير النّظام كما قال البغدادى: (و قد قال بتكفيره أكثر شيوخ المعتزلة، منهم أبو الهذيل، فإنه قال بتكفيره فى كتابه المعروف «بالرد على

(_____ ۱) المصدر نفسه، ۴ / ۱۰۶. (۲) ۱۲۹۵- ۱۳۷۳ ه ۱۸۷۸- ۱۹۵۴، أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ، عالم بالأدب غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب، مولده و وفاته بالقاهرة، قرأ بالأزهر و تخرج بمدرسة القضاء الشرعى، تولى الكثير من المناصب، من مؤلفاته، فجر الإسلام و ضحى الإسلام، و ظهر الإسلام، و غيرها. انظر: الأعلام، للزركلى، ۱ / ۱۰۱ بتصرف. (۳) ضحى الإسلام، أحمد أمين، القاهرة، النهضة المصرية، الطبعة السابعة، ۱۹۶۱، ۳/ ۱۱۲. (۴) انظر: الملل و النحل، للشهرستانى، ۱/ ۵۷، و لوامع الأنوار، للسفارينى، ۱/ ۷۸، بتصرف. (۵) تأويل مختلف الحديث، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، بيروت، المكتب الإسلامى، تحقيق، محمد الأصفر، الطبعة الأولى، ۱۹۸۹، ص ۲۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۷۸ النظّام»، و فى كتابه عليه فى الأعراض، و الإنسان، و الجزء الذى لا يتجزأ، و منهم الجبائى، فقد كفّر النظام فى قوله: إن المتولدات فى أفعال اللّه بإيجاب الخلقة ... و منهم جعفر بن حرب فقد صنّف كتابا فى تكفير النظّام بإبطاله الجزء الذى لا يتجزأ ... و أما كتب أهل السنة و الجماعة فى تكفيره فالله يحصيها، و لشيخنا أبى الحسن الأشعرى رحمه اللّه فى تكفير النظّام ثلاثة كتب، و للقلانسى عليه كتب و رسائل، و للقاضى أبى بكر محمد بن الطيب الأشعرى رحمه اللّه كتاب كبير فى نقض أصول النظام، و قد أشار إلى ضلالاته فى كتاب، إكفار المتأولين) «۱».

۲- الشريف المرتضى من الشيعة «۲»:

۲- الشریف المرتضی من الشیعة «۲»: و الصرفة عنده هی: أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها فی معارضة القرآن و الإتیان بمثله، أی إنهم قادرون علی أن یأتوا بمثل القرآن، و ذلک بما زودوا من فصاحة و بلغة و بیان، إلا أنهم عاجزون عن ذلک بسبب أن اللّه سلبهم هذه العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاة القرآن و الإتیان بمثله. و هذا قوله کما نقله الرافعی «۳»: (و قال المرتضی من الشیعة: معنی الصرفة أن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاج إلیها فی المعارضة لیجیئوا بمثل القرآن) «۴». و إلیه أشار یاقوت الحموی فی کتابه «معجم الأدباء» إذ یقول: (قرأت بخط عبد اللّه ابن محمد بن سعید بن سنان الخفاجی الشاعر فی کتاب ألفه فی الصرفة، زعم فیه أن

(_____ ۱) الفرق بین الفرق، للبغدادی، ص ۱۳۳. (۲) ۳۵۵- ۴۳۶ ه، ۹۶۶- ۱۰۴۴، علی بن الحسن بن موسی بن إبراهیم أبو القاسم، من أحفاد الحسین بن علی بن أبی طالب نقیب الطالبیین و أحد الأئمة فی علم الکلام و الأدب و الشعر، یقول بالاعتزال، مولده و وفاته ببغداد، له تصانیف کثیرة منها: الغرر و الدرر و یعرف بأمالی المرتضی، و الشهاب فی الشیب و الشباب، و الشافی فی الإمامة، و تنزیه الأنبیاء و الانتصار ... و کثیر من مترجمیه یرون أنه هو جامع «نهج البلاغة» و من طالعه جزم بأنه مکذوب علی أمیر المؤمنین. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۴/ ۲۷۸، بتصرف. (۳) ۱۲۹۸- ۱۳۵۶ ه، ۱۸۸۱- ۱۹۳۷، مصطفی صادق بن عبد الرزاق بن سعید الرافعی، عالم بالأدب، شاعر، من کبار الکتاب أصله من طرابلس الشام، و وفاته فی طنطا بمصر، له دیوان شعر، و تاریخ آداب العرب، و إعجاز القرآن و البلاغة النبویة، و غیرها من الکتب. انظر الأعلام، للزرکلی، ۷/ ۲۳۵، بتصرف. (۴) إعجاز القرآن، للرافعی، ص ۱۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۷۹ القرآن لم یخرق العادة بالفصاحة حتی صار معجزة للنبی صلی اللّه علیه و سلم و أن کل فصیح بلیغ قادر علی الإتیان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلک، لا أن یکون القرآن فی نفسه معجز الفصاحة، و هو مذهب الجماعة من المتکلمین و الرافضة منهم بشر المریسی، و المرتضی أبو القاسم ...) «۱». و یقول السفارینی «۲»: (و کان المرتضی العلوی یقول بالصرفة، یعنی أن اللّه تعالی صرف العرب عن الإتیان بمثله ...) «۳». و هکذا یتضح لنا الفرق الدقیق بین ما ذهب إلیه النظّام فی الصرفة، و ما ذهب إلیه المرتضی فالنظّام یری بأن الصرفة هی: عدم معارضتهم للقرآن مع قدرتهم علیها، لکن اللّه صرفهم عنها، أما عند المرتضی فالصرفة هی: عدم قدرتهم علی الإتیان بمثل القرآن، لأن اللّه سلبهم العلوم التی یحتاجون إلیها لمحاکاة القرآن و الإتیان بمثله، بعد أن کانت متأصّلة فیهم.

۳- ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری «۴»:

۳- ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری «۴»: ابن حزم ممن قال بالصرفة فی کتابه «الفصل فی الملل و الأهواء و النحل» تحت

(_____ ۱) معجم الأدباء، یاقوت بن عبد الله الرومی البغدادی، بیروت، دار صادر، د. ت، ۳/ ۱۳۹. (۲) ۱۱۱۴- ۱۱۸۸ ه، ۱۷۰۲- ۱۷۷۴، محمد بن أحمد بن سالم السفارینی، عالم بالحدیث و الأصول و الأدب، ولد فی سفارین من قری «نابلس» و رحل إلی دمشق و أخذ عن علمائها، و عاد إلی نابلس فدرس و أفتی و توفی فیها، من کتبه: الدراری المصنوعات فی اختصار الموضوعات، و کشف اللثام شرح عمدة الأحکام، و لوامع الأنوار البهیة، و غیرها. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۶/ ۱۴، بتصرف. (۳) لوامع الأنوار البهیة، للسفارینی، ۱/ ۱۷۴. (۴) ۳۸۴- ۴۵۶ ه، ۹۹۴- ۱۰۶۴، علی بن أحمد بن سعید بن حزم الظاهری عالم الأندلس فی عصره، و أحد أئمة الإسلام، کان فی الأندلس خلق کثیر ینتسبون إلی مذهبه، یقال لهم «الحزمیة» ولد بقرطبة، و کانت له و لأبیه من قبله رئاسة الوزارة، و تدبیر المملکة، فزهد بها و انصرف إلی العلم و التألیف، فکان من صدور الباحثین، فقیها حافظا یستنبط الأحکام من الکتاب و السنة بعیدا عن المصانعة و انتقد کثیرا من العلماء و الفقهاء فتمالئوا علی بغضه، و أجمعوا علی تضلیله، و حذروا سلاطینهم من فتنته، و نهوا عوامهم عن الدنوّ منه فأقصته الملوک و طاردته، فرحل إلی بادیة لبلة من بلاد الأندلس، فتوفی فیها ... أشهر مصنفاته: الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، و المحلی و جمهرة الأنساب، و

الناسخ و المنسوخ، و حجة الوداع، و دیوان شعر. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۴/ ۲۵۴، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۰ عنوان: الکلام فی إعجاز القرآن، حیث یذکر عدة أقوال، و العدید من المسائل فی إعجاز القرآن و یناقشها مع انتقاده لأکثرها، و هو یری (أن القرآن فی أعلی درجات البلاغة، حیث إن اللّه قد بلغ به ما أراد، فهو فی هذا المعنی فی الغایة التی لا شیء أبلغ منها، و لیس هو فی أعلی درجات البلاغة فی کلام المخلوقین، لأنه لیس من نوع کلامهم، لا من أعلاه و لا من أدناه و لا من متوسّطه ... ثمّ یعلن الصرفة فیقول: فصحّ أنه لیس من نوع بلاغة الناس أصلا، و أن اللّه تعالی منع الخلق من مثله، و کساه الإعجاز، و سلبه جمیع کلام الخلق ... إذ لم یقل أحد من أهل الإسلام أن کلام غیر اللّه تعالی معجز، لکن لما قاله اللّه تعالی و جعله کلاما له، أصاره معجزا، و منع من مماثلته، و هذا برهان کان لا یحتاج إلی غیره) «۱». (و علی هذا فإن ابن حزم لا یری القرآن معجزا ببلاغته، و أن فی استطاعة الناس أن یأتوا بمثل بلاغته، مع اعترافه بأنه فی أعلی طبقات البلاغة، و نراه من جهة ثانیة یخالف طریقة المتکلمین، فهم یجعلون إعجاز القرآن وسیلة إلی إثبات أنه منزل من عند اللّه و إثبات النبوة، و هو یعکس الأمر فیجعله معجزا لأنه کلام اللّه) «۲». و للشیخ محمد أبو زهرة رحمة اللّه تعقیب نفیس علی کلام ابن حزم الذی أوردناه آنفا یقول: (إن ذلک الکلام یبدو بادی الرأی غریبا من ابن حزم، و لکن المتأمل فیه یجده سائرا علی مذهبه فی نفی الرأی، و الحکم بظاهر القول من غیر تعلیل، فالاتجاه إلی تعلیل الإعجاز بأن السبب فیه بلاغته التی علت عن طاقة العرب، و التی جعلتهم یخرون صاغرین بین یدیه من غیر مراء و لا جدال یعد تعلیلا و هو من باب الرأی الذی ینفیه و التعلیل الذی یجافیه، فلا بد أن یبحث عن سبب غیر ما ذکر اللّه تعالی) «۳».

۴- ابن سنان الخفاجی «۴»:

۴- ابن سنان الخفاجی «۴»: و من الذین قالوا بالصرفة الخفاجی فی کتابه «سرّ الفصاحة» فهو یری أن أسلوب

(_____ ۱) الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، لابن حزم، ۳/ ۲۹. (۲) فکرة إعجاز القرآن، نعیم الحمصی، ص ۸۴. (۳) المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، ص ۸۲- ۸۳. (۴) ۴۲۳- ۴۶۶ ه، ۱۰۳۲- ۱۰۷۳ م، عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجی الحلبی، شاعر، أخذ الأدب عن أبی العلاء المعری و غیره و کانت له ولایة بقلعة «عزاز» من أعمال حلب، و عصی بها، فاحتیل علیه فسمّ فمات، له دیوان شعر، و سر الفصاحة. انظر: الأعلام للزرکلی، ۴/ ۱۲۲، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۱ القرآن لم یبعد کثیرا عن فصیح الکلام المختار من کلام العرب، و أن العرب عند ما عجزوا عن الإتیان بمثله، کان ذلک راجعا إلی أنهم سلبوا العلوم التی کانوا یتمکنون بها من معارضته ... یقول الخفاجی و هو یردّ علی أبی الحسن الرمانی الذی یری أن إعجاز القرآن راجع إلی بلاغته و فصاحته و تلاؤم نظمه ... یقول: (و لا فرق بین القرآن و بین فصیح الکلام فی هذه القضیة، و متی رجع الإنسان إلی نفسه و کان معه أدنی معرفة بالتألیف المختار، وجد فی کلام العرب ما یضاهی القرآن فی تألیفه، و لعل أبا الحسن الرمانی یتخیل أن الإعجاز فی القرآن لا یتم إلا بمثل هذه الدعوی الفاسدة ... ثم یعلن القول بالصرفة فیقول: و إذا عدنا إلی التحقیق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأن سلبوا العلوم التی بها کانوا یتمکّنون من المعارضة فی وقت مرامهم ذلک) «۱». و قد زعم السفارینی أن القاضی عیاض له میل إلی القول بالصرفة فقال: (قلت: و فی شفاء أبی الفضل القاضی عیاض بعض میل للقول بالصرفة، فإنه قال: و ذهب الشیخ أبو الحسن الأشعری إلی أنه مما یمکن أن یدخل مثله تحت مقدور البشر، و یقدرهم اللّه علیه، و لکنه لم یکن هذا، و لا یکون فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) «۲». و الحق أن القاضی عیاض لم یمل إلی الصرفة، لا من قریب و لا من بعید، و إنما استعرض أقوال العلماء فی وجوه الإعجاز، سواء من أثبت الصرفة أو من نفاها، ثم إننا نجده قد بسط الحدیث فی إعجاز القرآن، و تحدیه للعرب و للناس جمیعا، و ذکر آیات التحدی تباعا و أوضح بإسهاب خصائص اللغة العربیة، و ما کان علیه العرب من فصاحة و بلاغة و بیان و مع کل هذا، و القرآن یتحداهم، نجدهم عاجزین ناکصین ... و هذا ما قاله القاضی عیاض و هو یعرض أقوال العلماء فی وجوه الإعجاز یقول: (و قد اختلف

أئمـة أهـل السـنة فی وجه عجزهم عنه، فـأكثرهم يقول: إنه مـا جمع فی قوة جزالته و نصاعـة ألفاظه، و حسن نظمه، و إيجازه، و بـديع تـأليفه و أسـلوبه لاـ يصـح أن يكـون فی مقـدور البشـر و أنـه مـن بـاب الخـوارق الممتنعـة عن إقـدار الخلـق عليهـا، كإحيـاء المـوتی، (_____ ۱) سـر الفصاحـة، عبـد الله بن سـنان الخفـاجی الحلبی، بيروت، دار الكتب العلميـة، الطبعـة الأولی، ۱۴۰ ه/ ۱۹۸۲، ص ۹۹- ۱۰۰. (۲) لوامع الأنوار البهية، للسـفارينی، ۱/ ۱۷۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۸۲ و قلب العصا، و تسبيح الحصی و ذهب الشيخ أبو الحسن إلی أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر و يقدرهم اللّه عليه، و لكنه لم يكن هذا و لا يكون، فمنعهم اللّه هذا و عجزهم عنه) «۱»، فنحن نميل إلی الاعتقاد بأنه قد عرض القولين مجرد عرض، بل إنه قد جزم بإعجاز القرآن بالتحدی لا بالصرفة «۲». هؤلاء هم أبرز من قال بالصـرفة، بل هم الـذين وضـعوا التصور الواضـح لمفهوم الصـرفة، و يتضـح لنا بعد أن تعرفنا علی ما ذهبوا إليه أن آرائهم تتلخص بمـذهبين: أولا: النظّام و من سار علی نهجه، و هؤلاء يرون أن العرب صـرفوا عن معارضـة القرآن و لم يحاولوا معارضـته، و لو حاولوا لاسـتطاعوا أن يـأتوا بمثله. ثانيا: الشـريف المرتضـی و الخفاجی و من سار علی نهجهما، و هؤلاء يرون أن اللّه سـلب من العرب العلوم التی يحتـاجون إليهـا لمعارضـة القرآن الكريم، و لو حاولوا معارضـته لفشـلوا بسـبب سـلب العلوم التی تمكنهم من معارضـته و الإتيان بمثلـه. و كلاـ المـذهبين مردود بأدلـة قاطعـة و واضـحة، و هـذا مـا سـيتناول فی المبحـث القـادم إن شـاء اللّـه تعـالی. (_____ ۱) الشـفا بتعريف حقوق المصـطفی، للقاضـی أبی الفضل عياض بن موسـی بن عياض اليحصبی، بيروت، دار الكتاب العربی، تحقيق مصـطفی عطی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۰، ۱/ ۳۷۳. (۲) و الذی يراجع ما كتبه القاضی عياض فی هذا الصدد فی كتابه الشفا، ص: ۳۷۰ و ما بعدها يجد مصداق ما قلناه. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۸۳

المبحث الثانی نقد مذهب الصرفة

اشارة

المبحث الثانی نقد مذهب الصرفة يتسنّی لنا من خلال ما بسطناه من الحديث عن الصرفة و قائليها، و ما تلخص لنا من مجموع ما ذهبوا إليه أن نركز النقد علی هذا القول الشاذ بما يلی:

أولا: الرد علی النظام و من حذی حذوه:

أولا: الرد علی النظام و من حـذی حـذوه: و الذين قالوا: إن اللّه صـرف العرب عن المعارضة، و لو فكروا و حاولوا لاسـتطاعوا أن يأتوا بمثل هذا القرآن. ۱- بدايـة نقول: يلزم من القول بالصـرفة أن الإعجـاز ليس ذاتيـا فی القرآن، و إنما الإعجاز فی المنع أی فی غيره، و هذا القول باطل لأن اللّه سبحانه و تعالی وصف القرآن بأوصاف تدل علی أنه معجز بذاته و أول و أهم هذه الأوصاف أنه قد تحداهم أن يـأتوا بمثله، كمـا قال تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُـهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۱» و أيضـا قوله تعـالی: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنـا عَلی عَبْـدِنا فَـأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُـهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۲» و قوله جـلّ ثنـاؤه: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْـرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْـتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۳»، فقد قرر سـبحانه و تعالی فی الآية الأولی أن الإنس و الجن مهما تضافرت قواهم، و تآزرت جهودهم ليعارضوه لم و لن يسـتطيعوا أن يـأتوا و لو بسورة من مثله، فلو كان الإعجاز بالصـرفة كما يقولون لاقتضـی سـياق الخطاب أن يأتی هكـذا «لو اجتمع الإنس و الجن علی أن يأتوا بمثله لصرفهم اللّه عن ذلك» و لكن لم يرد مثل هذا أبدا، بل إن الحق جعل التحدی فی الإعجاز بالقرآن ذاته لا بالمنع و

الصـرف (_____ ... ۱) سورة الإسـراء، الآیـة: ۸۸. (۲) سورة البقرة، الآیة: ۲۳. (۳) سورة هود، الآیة: ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۴ کذلک فإن الآیـة الثانیـة و الثالثـة، تـدلان علی أن القرآن معجز بذاته لا بغیره، و ذلک لأن اللّه جل جلاله أودع فیه من المزایا و الصـفات السامیة، التی لا یمکن أن یصل إلی مستواها طوق أحـد من الخلق لیعارضـها و لیجاریها، و من هنا کان التحدی بالقرآن نفسه و نسـتبین ذلک من أن القرآن سلسل آیات التحدی لهم، و سفّه عقولهم و أثار حمیتهم، فلو کان الإعجاز بالصرفة، لما عرض آیات التحدی، إنما کان یکفیه أن یقول لهم: إن دلیل صـدقی هو منعکم عن المعارضـة، فالمعجزة تکون نفس المنع عن المعارضة و لیس القرآن و لکننا نجد أن الحق عرض آیات التحـدی تباعا بصورة جازمة علی أن المتحدی به هو القرآن ذاته، و أنه المعجز لمزایا أودعها فی ذاته، و لیسـت هذه الصفات خاصة عنه. ۲- وردت آیات کثیرة تدل علی أن القرآن معجز بذاته، و ذلک بسـبب قوة تأثیره فی النفوس و هیمنته علی الأفئدة، و من أجل هذا کان الکفرة یهمس بعضهم فی البعض لئلا یصغوا إلی القرآن حتی لا یسحرهم جماله و بیانه، قال تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَغْلِبُونَ «۱» کما أن القرآن کان له تأثیر عجیب فی نفوس المسـلمین الخاشعین و إلی هـذا یشـیر مولانـا تبـارک و تعـالی: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ «۲». یقول الشیخ محمد أبو زهرة: (إن العرب عند ما تلقوا القرآن راعهم بیانه، و أثار إعجابهم أسلوبه و عباراته، و قالوا: ما رأینا مثله شعرا و لا نثرا، فکان العجز لذاته، لا لشـیء خـارج عنه، و مـا لنـا نفترض مـا لم یقولوا، و مـا لم یفعلوا، و ما لم یقـدروا، إلا أن یکون ذلک تمویها و إنکارا للواقع المسـتقر بفرض وهمیّ ... و أیضا فإنه لو کان العجز لأمر خارجی لا لأمر ذاتی فیه، بأن تکون عنـدهم القدرة علی أن یأتوا بمثله و لکن صـرفوا، فإن ذلک یقتضـی أن یثبت أولا أنهم قادرون علی مثله، و هم أولا قـد نفوا ذلک عن قدرهم، و لیس لنا أن نفرض لهم قدرة قد نفوها عن أنفسـهم، و لو کـانوا قـادرین لکـان من کلامـهم قبل نزول القرآن علیهم و ما یکون متماثلا فی نسـقه و نسـجه، و لهم مثل رنینه و صـوره البیانیـة فی شـعر (_____ ۱) سـورة فصلت، الآیة: ۲۶. (۲) سورة الزمر، الآیـة: ۲۳. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۸۵ أو نـثر، و لکن المتتبع للمأثورات العربیـة فی الجاهلیـة و الإسـلام لا یجـد فیها ما یقارب القرآن فی ألفاظه أو معانیه أو صوره البیانیة) «۱». ۳- و أما الرد علی النظّام و من معه فإنا نقول: (کیف یصـح القول أن همتهم لم تتجه للإتیان بمثل القرآن، و هم الذین لم یترکوا سبیلا للقضاء علی دعوة محمد صـلی اللّه علیه و سلم و سلکوا کل طریق شاق، و حاربوه و ناوءوه و قاطعوه، و آذوه مع إبطاله لمعتقداتهم، و إثارته لحفیظتهم، و اسـتفزازه لمشاعرهم، و إلهابه لغیرتهم و أصاب موضع عزتهم و فخارهم، و قـد مکّنهم من نفسه لو اسـتطاعوا فـدعاهم و تحداهم أن یأتوا بمثل سورة من القرآن و لو کان فیهم أدنی قـدرة، أو عرفوا أحدا یملکها فی أقصـی الأرض لبعثوا إلیه کما بعثوا للیهود یسألونهم عمّا یسألون محمـدا صـلی اللّه علیه و سـلم عنه لیحرجوه، فلا یصح بعد هذا أن یقال: إن همتهم لم تتجه للإتیان بمثله) «۲». ثم إن أول من رد علی النظّام تلمیـذه الجاحظ، و الجاحظ کما نعلم معتزلی، و لکنه کان حافلا بالصـیاغة اللغویة، و ممن یجعلون لصـفاء العبارة و رونقها شأنا فی البلاغـة، کـذلک هو کما وصـفه ابن النـدیم فی الفهرست: (بأنه لم یقع بیده کتاب قط إلا اسـتوفی قراءته کائنا ما کان حتی إنه کان یکتری دکاکین الوراقین و یثبت فیها للنظر) «۳». و ها هو ذا الجاحظ یتحدّث عن إعجاز القرآن و نظمه و أسلوبه البیانی، رادّا فی ذلک علی أسـتاذه النظّام یقول: (بعث اللّه محمدا أکثر ما کانت العرب شاعرا و خطیبا، و أحکم ما کانت لغة، و أشد ما کانت عـدّة، فـدعا أقصاها و أدناها إلی توحیـد اللّه و تصدیق رسالته فدعاهم بالحجة، فلما قطع العذر و أزال الشـبهة و صار الذی یمنعهم من الإقرار الهوی و الحمیّة دون الجهل و الحیرة، حملهم علی حظّهم بالسـیف، فنصب لهم الحرب و نصبوا له و قتل من علیتهم و أعلامهم و أعمـامهم و بنی أعمـامهم، و هـو فی ذلک (_____ ۱) المعجزة الکـبری، لمحمـد أبو

زهرة، ص: ۸۳. (۲) دراسات فی علوم القرآن الکریم، د. فهد الرومی، الریاض، مکتبة التوبة، الطبعة السابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ص ۲۷۴، و انظر روح المعانی و السبع المثانی، محمد الألوسی أبو الفضل بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت، ۱/ ۲۹. (۳) الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج الندیم، بیروت، دار المعرفة، ۱۳۹۸ ه/ ۱۹۷۸، ۱/ ۱۶۹، و انظر: أبجد العلوم فی بیان أحوال العلوم، صدیق بن حسن القنوجی، بیروت، دار الکتب العلمیة، تحقیق، عبد الجبار زکار، ۱۹۷۸، ۲/ ۲۶۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۶ یحتجّ علیهم بالقرآن و یدعوهم صباحا و مساء إلی أن یعارضوه إن کان کاذبا بسورة. واحدة أو بآیات یسیرة فکلما ازداد تحدیا لهم بها و تقریعا لعجزهم عنها، تکشّف من نقصهم ما کان مستورا و ظهر منه ما کان خفیا، فحین لم یجدوا حیلة و لا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلک یمکنک ما لا یمکننا، قال فهاتوها مفتریات، فلم یرم ذلک خطیب و لا طمع فیه شاعر و لا- طمع فیه لتکلفه، و لو تکلفه لظهر ذلک، و لو ظهر لوجد من یستجیده و یحامی علیه و یکاید فیه، یزعم أنه قد عارض و قابل و ناقض، فدل ذلک العاقل علی عجز القوم مع کثرة کلامهم، و استحالة لغتهم، و سهولة ذلک علیهم، و کثرة شعرائهم، و کثرة من هجاه منهم، و عارض شعراء أصحابه و خطباء أمته، لأن سورة واحدة و آیات یسیرة کانت أنقض لقوله و أفسد لأمره و أبلغ فی تکذیبه و أسرع فی تفریق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الأموال، و هذا من جلیل التدبیر الذی لا یخفی علی من هو دون قریش و العرب فی الرأی و العقل بطبقات، و لهم القصید العجیب و الرجز الفاخر، و الخطب الطوال البلیغة و القصار الموجزة، و لهم الأسجاع و المزدوج، و اللفظ المنثور ثم یتحدی به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، فمحال- أکرمک اللّه- أن یجتمع هؤلاء کلهم علی الغلط فی الأمر الظاهر و الخطأ المکشوف البین، مع التقریع بالنقص و التوقیف علی العجز، و هم أشد الخلق أنفة، و أکثرهم مفاخرة، و الکلام سید عملهم، و قد احتاجوا إلیه و الحاجة تبعث علی الحیلة فی الأمر الغامض فکیف بالظاهر الجلیل المنفعة، و کما أنه محال أن یطبقوا ثلاثا و عشرین سنة علی الغلط فی الأمر الجلیل المنفعة، فکذلک محال أن یترکوه و هم یعرفونه و یجدون السبیل إلیه و هم یبذلون أکثر منه) «۱». (ذلک هو رأی الجاحظ فی إقامة الحجّة علی وقوع الإعجاز بالقرآن، و هو رأی کما تری تقوم بین یدیه حجج مشرقة، و أدلة قاطعة و إن أکثر الذین أقاموا الحجة علی إعجاز القرآن من هذا الوجه إنما نظروا إلی رأی الجاحظ هذا، و اعتمدوا علیه، و داروا حوله) «۲». ۴- و یرد الزرقانی ردا دقیقا علی من قال بالصرفة، و ذلک بعد ما عرض شبهة القائلین بها و بدأ بتفنیدها فقال: (... فینقضه الواقع التاریخی أیضا، و دلیلنا علی هذا ما

(_____ ۱) انظر: الإتقان، للسیوطی، ۴/ ۳۱۳- ۳۱۴. (۲) الإعجاز فی دراسات السابقین، عبد الکریم الخطیب، ص: ۱۶۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۷ تواترت به الأنباء من أن بواعث العرب إلی المعارضة قد وجدت سبیلها إلی نفوسهم، و نالت منالها من عزائمهم، فهبوا هبّة رجل واحد یحاولون القضاء علی دعوة القرآن بمختلف الوسائل فلم یترکوا طریقا إلا سلکوه، و لم یدعوا بابا إلا دخلوه، لقد آذوه و آذوا أصحابه فسبوا من سبوا، و عذّبوا من عذبوا، و قتلوا من قتلوا، و لقد طلبوا إلی عمه أبی طالب أن یکفه و إلا نازلوه و إیاه، و لقد قاطعوه و قاطعوا أسرته الکریمة، لا یبیعون لهم و لا یبتاعون، و لا یتزوجون منهم و لا یزوجون، و اشتد الأمر حتی أکلت الأسرة الکریمة ورق الشجر و لقد فاوضوه أثناء هذه المقاطعة التی تلین الحدید مفاوضات عدة، و عرضوا علیه عروضا سخیة مغریة، منها أن یعطوه حتی یکون أکثرهم مالا- و أن یعقدوا له لواء الزعامة فلا- یقطعوا أمرا دونه، و أن یتوجوه ملکا علیهم إن کان یرید ملکا، و أن یلتمسوا له الطب إن کان به مس من الجن، کل ذلک فی نظیر أن یترک هذا الذی جاء به، و لما أبی علیهم ذلک، عرضوا علیه أن یهادنهم و یداهنهم فیعبد آلهتهم سنة و یعبدون إلهه سنة، فأبی أیضا، و نزل قول اللّه: قُلْ أَ فَغَیْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّی أَعْبُدُ أَیُّهَا الْجاهِلُونَ «۱» و نزلت کذلک سورة الکافرون، و لقد اتهموه مرة بالسحر و أخری بالشعر و ثالثه بالجنون و رابعة بالکهانة، و کانوا یتعقبونه و هو یعرض نفسه علی قبائل العرب أیام الموسم، فیهتونه و یکذّبونه أمام من لا یعرفونه، و لقد شدّوا وطأتهم علی أتباعه حتی اضطروهم أن یهاجروا من وطنهم و یترکوا أهلهم و أولادهم و أموالهم فرارا إلی اللّه بدینهم، و لقد تآمروا علی الرسول صلی اللّه علیه و سلم أن یثبتوه أو یقتلوه

أو یخرجوه لو لا أن حفظه اللّه و حماه من مکرهم، و أمره بالهجرة من بینهم، و لقد أرسلوا إلیه الأذی بعد ذلک فی مهاجره، فنشبت الحرب بینه و بینهم فی خمس و سبعین موقعة، منها سبع و عشرون غزوة، و ثمان و أربعون سریة، فهل یرضی عاقل لنفسه أن یقول بعد ذلک کله إن العرب کانوا مصروفین عن معارضة القرآن و نبی القرآن، و إنهم کانوا مخلدین إلی العجز و الکسل زاهدین فی النزول إلی هذا المیدان، و هل یصح مع هذا کله أن یقال: إنهم کانوا فی تشاغل عن القرآن غیر معنیین به و لا- آبهین له، و إذا کان أمر القرآن لم یحرکهم و لم یسترع انتباههم فلما ذا کانت جمیع هذه المهاترات و المصاولات مع أن خصمهم الذی یزعمون خصومته قد قصر لهم المسافة، و دلهم علی أن سبیلهم إلی إسکاته هو أن یأتوا بمثل أقصر سورة مما جاءهم به، أ لیس ذلک دلیلا ماديا علی أن قعودهم عن (_____ ۱) سورة الزمر، الآیة:

۶۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۸ معارضة القرآن لیست إلا- بسبب شعورهم بعجزهم عن هذه المعارضة و اقتناعهم بإعجاز القرآن، و إلا فلما ذا آثروا الملاکمة علی المکالمة، و المقارعة بالسیوف علی المعارضة بالحروف) «۱».

۵- کما أن الزرکشی یورد ردا هاما فی هذا الصدد، لأنه یعتبر القول بالصرفة قولا فاسدا لأن القول بالصرفة هو (زوال الإعجاز بزوال زمان التحدی، و خلوّ القرآن من الإعجاز و فی ذلک خرق لإجماع الأمة، فإنهم أجمعوا علی بقاء معجزة الرسول صلی اللّه علیه و سلم العظمی، و لا معجزة له باقیة سوی القرآن، و خلّوه من الإعجاز یبطل کونه معجزة) «۲». هذه مجموعة من الردود الموجزة علی النظّام و من تبعه، و قد تبین من خلال استعراضها بطلان القول بالصرفة التی زعمها هذا الفریق، و أما بالنسبة للرد علی الفریق الثانی الذی یتمثل بالمرتضی و من تبعه، فهاک هو:

ثانیا: الرد علی المرتضی و من شایعه:

ثانیا: الرد علی المرتضی و من شایعه: فهؤلاء زعموا أن اللّه سلب من العرب العلوم التی یحتاجونها فی معارضة القرآن و یتلخّص الرد علیهم بما یلی: ۱- نقول: (و هل انحطت علومهم و عقولهم بعد التحدی کما کانت علیه قبل التحدی؟! إننا إذا قارنا بین أسالیبهم فی الکلام قبل بعثة محمد صلی اللّه علیه و سلم و بعد البعثة، لم نجد تفاوتا بین أسالیبهم، و علی هذا الزعم کان ینبغی أن تسفّه أسالیبهم بعد التحدی، و لو أن العلوم سلبت منهم فلما ذا لم یلجئوا إلی کلام فصحائهم من القدماء الذین لم یحضروا عصر التنزیل، و لم تسلب منهم العلوم، فیأتوا بقطعة شعریة أو خطبة محفلیة فیعارضوا بها القرآن؟ و لما ذا لم ینطقوا بهذا السلب و یشیعوا بأنهم سلبوا علومهم فلا یقدرون علی معارضة القرآن؟ و لا یقال: إن ذلک سیکون حجّة علیهم ملزمة لهم لتصدیقه، لأن باب الافتراء کان مفتوحا عندهم، فکانوا یستطیعون أن یدّعوا أن علومهم_____

(۱) انظر: مناهل العرفان، للزرقانی، ۲/ ۳۰۲ و انظر: الإتقان، للسیوطی، ۲/ ۳۱۴- ۳۱۵، و انظر: تفسیر القرآن العظیم، للإمام ابن کثیر، ۱/ ۶۳. (۲) البرهان فی علوم القرآن، للزرکشی، ۲/ ۹۵، و ۲/ ۱۲۳، و انظر: البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن، کمال الدین عبد الواحد الزملکانی، بغداد، مطبعة العانی، تحقیق، أحمد مطلوب و خدیجة الحدیثی، الطبعة الأولی، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴، ص: ۵۳ و ما بعدها. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۸۹ سلبت بطریق السحر کما افتروا: إن تأثیر القرآن علی الأنفس إنما هو من قبیل السحر) «۱». ۲- ثم إن قوله تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۲» ففی الآیة دلیل علی أن عجزهم کان مع وجود قدرتهم، و إلا فهل یمکن أن یستقیم التحدی و یتمّ مع المنع و العجز، و کذلک فإن إشارة الآیة إلی المظاهرة و المعاونة دلیل آخر علی تکاتف القوی، و تآزر الجموع، و هل یکون هذا إلا مع بقاء القدرة، و فی نفس الوقت دلیل علی العجز مع القدرة، فلو سلبت منهم العلوم کما یزعم المرتضی لما صحّ البتة التحدی لا عقلا و لا شرعا. ۳- ثم إن (استعظام العرب لفصاحة القرآن و بلاغته، و تعجبهم من ذلک لهو دلیل علی بطلان الصرفة، فلو کانوا مصروفین عن المعارضة بنوع من الصرف لکان تعجّبهم للصرف لا للبیان المعجز و کلامهم قبله، کالفرق بین کلامهم بعد التحدی و بین القرآن، و

لمّا لم یکن کذلک بطل القول بالصرفة) «۳»، و التاریخ یثبت أن العرب أبدا لم تفقد عقولهم بعد التحدی، لأن سلب العلوم وقت التحدی یؤدی إلی زوال العقول و إلی الجنون، و لکنّ شیئا من هذا لم یحدث أبدا، بل بقیت العقول بعد التحدی کما کانت قبله، و کذلک العلوم. ۴- و نجد أن للآلوسی فی «روح المعانی» ردا علی المرتضی مختصرا و معبرا یقول: (و هو خاص بمذهب المرتضی أنه لو کان الإعجاز بفقدهم العلوم لتناطقوا به، و لو تناطقوا لشاع إذ العادة جاریة بالتحدث بالخوارق فحیث لم یکن، دلّ علی فساد الصرفة بهذا الاعتبار و استدل بعضهم علی فساد القول بها بقوله تعالی: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۴» فإنه یدل علی عجزهم مع بقاء قدرهم، و لو سلبوا القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم، لأنه بمنزلة اجتماع الموتی، و لیس عجز الموتی مما یحتفل بذکره) «۵».

(۱) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص: ۶۰. (۲) سورة الإسراء، الآیة: ۸۸. (۳) الفوائد المشوق إلی علوم القرآن، محمد بن أبی بکر بن أیوب الزرعی ابن القیم، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۳۸۶. (۴) سورة الإسراء، الآیة: ۸۸. (۵) روح المعانی، للآلوسی، ۱/ ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۰ ۵- و بالنسبة لزعم هذا الفریق بأن علوم العرب سلبت، یشیر الدکتور مصطفی مسلم إلی لفتة هامة هاهنا فیقول: (و إن کان القرآن غیر معجز بشیء ذاتی فیه، و إنما لم یعارضه العرب بصرف دواعیهم عن المعارضة، أو بسلب العلوم منهم، فهل أحسّ النظّام و المرتضی بما وصفوا العرب به من صرف و سلب؟ فلما ذا لم یأتیا بمعارضة للقرآن، و کان النظّام من الأذکیاء و الماهرین کما یشهد له تلمیذه الجاحظ، و المرتضی مشهود له أنه کان من فرسان البلاغة و البیان) «۱». و یذیّل هذا المبحث باستدراکین هامین حول نقد مذهب الصرفة، الأول للباقلانی و الثانی للجرجانی، یقول الباقلانی: (و مما یبطل ما ذکروه من القول بالصرفة، أنه لو کانت المعارضة ممکنة و إنما منع منها الصرفة، لم یکن الکلام معجزا و إنما یکون المنع معجزا، فلا یتضمن الکلام فضیلة علی غیره فی نفسه) «۲». و یقول الجرجانی: (... ثم إن هذه الشناعات التی تقدّم ذکرها، تلزم أصحاب الصرفة أیضا و ذلک أنه لو لم یکن عجزهم عن معارضة القرآن، و عن أن یأتوا بمثله لأنه معجز فی نفسه، لکان لأن أدخل علیهم العجز عنه، و صرفت هممهم و خواطرهم عن تألیف کلام مثله، و کان حالهم علی الجملة حال من أعدم العلم بشیء قد کان یعلمه، و حیل بینه و بین أمر قد کان یتسع له، لکان ینبغی ألا یتعاظمهم، و لا یکون منهم ما یدل علی إکبارهم أمره و تعجبهم منه، و علی أنه قد بهرهم، و عظم کل العظم عندهم، و لکان التعجب للذی دخل من العجز علیهم، و لما رأوه من تغیر حالهم، و من أن حیل بینهم و بین شیء قد کان علیهم سهلا، و أن سد دونه باب کان لهم مفتوحا، أ رأیت لو أن نبیا قال لقومه: إن آیتی أن أضع یدی علی رأسی، و کان الأمر کما قال، ممّ یکون تعجب القوم؟ أ من وضعه یده علی رأسه، أم من عجزهم أن یضعوا أیدیهم علی رءوسهم) «۳». و فی خاتمة المبحث یتضح أن الذی ذهب إلی القول بالصرفة، إنما هو إنسان ماکر مخادع، جاف فی تذوقه لمعانی القرآن العذبة، ذلک لأن من قرأ القرآن بحسه و روحه، و عقله و فکره وجد نفسه یعیش فی روضة من ریاض الجنة، و یشعر أن کلام الحق یثیر فی

(۱) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص: ۶۰، و انظر: مباحث فی علوم القرآن، منّاع القطان، الریاض، مکتبة المعارف الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۲، ص: ۲۶۹. (۲) إعجاز القرآن، للباقلانی، ص: ۵۸. (۳) دلائل الإعجاز، للجرجانی، ص: ۳۷۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۱ أقاصی نفسه مشاعر الحب و الولاء للّه تبارک و تعالی، فضلا عما یساور نفسه من نشوة یجد متعتها و هو یتلو القرآن الکریم ... زیادة علی ذلک فقد صدق من قال: رب ضارّة نافعة، نعم فلقد کان للقول بالصرفة أثر واضح فی دفع العلماء للرد علیه، و ذلک من خلال الاتجاه إلی البحث و الکتابة و التألیف فی میادین البلاغة القرآنیة، و الکمّ الکبیر من کتب البلاغة الذی نراه الیوم، إنما کان انعکاسا واضحا للمجهود الذی قدمه السلف الصالح، و هم یردون علی القول بالصرفة، و ذلک من خلال دراسة أسرار الإعجاز فی کتاب اللّه تعالی، و التأمل فی أسلوبه البیانی، و إیقاعه النفسی ... فکانت هذه الکتب ثروة ذخرت بها

المکتبة العربیة و الإسلامیة، و یعتقد أن أحدا من الناس الیوم لا یمکن أن یجرؤ علی القول بالصرفة أو ینادی به، لأن من نادی به قدیما إنما تذرع بفکرة عدم معارضته من الناحیة البیانیة، أما الیوم، و بعد انکشاف أسرار الکون، و الکشف عن غوامضه و خفایاه، و وقوف العلماء علی الإعجاز العلمی الذی یبرهن علی أن ما توصل إلیه علماء الیوم من کثیر من الحقائق الکونیة، کان القرآن الکریم قد سبقهم لتسطیر أسسها و تسجیل قواعدها قبل أکثر من أربعة عشر قرنا من الزمن و الدارس لهذا الجانب العلمی من القرآن الکریم بدقة و أناة لا بد إلا و أن یطأطأ الرأس إجلالا و إخباتا لعظمة هذا الکتاب، علی أننا نؤکد أن الجانب البیانی إنما هو معجز أبد الدهر و أنه الرباط العام لکل مناحی و أوجه الإعجاز فی کتاب اللّه ... فالقول بالصرفة وهم لا یستند إلی دلیل أو برهان، بل هو مردود بأدلة نقلیة و أخری عقلیة کما ورد ذلک فی ثنایا البحث، کما أنه مردود بتکذیب الواقع التاریخی له، و الذی أوضح سفور الصرفة و بطلانها .... و بإمکاننا الآن و قد طوینا ملف الصرفة و نقدها، أن ننتقل لموضوع أشمل من هذا، ألا و هو: أوجه إعجاز القرآن، و الذی سیدرس فی المبحث القادم إن شاء اللّه تعالی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۲

المبحث الثالث أوجه إعجاز القرآن

اشارة

المبحث الثالث أوجه إعجاز القرآن اتضح من خلال المباحث السابقة، أن القرآن الکریم معجزة الدهر، و أن العرب قد خضعوا لسلطانه، و أقروا بإعجازه، و اعترفوا أنهم قاصرون عن مطاولته، و أنهم عاجزون عن الإتیان بأقصر سورة من مثله، ثم إن هذا الإعجاز نابع من ذاته، و لیس بسبب خارجی عنه ... و إذا کان شأن إعجاز القرآن هذا، فلما ذا نجد أن العلماء اختلفوا قدیما و حدیثا فی تحدید وجوه إعجاز القرآن و الجهات التی منها کان الإعجاز؟. القرآن معجز، نعم، و لا خلاف فی ذلک أبدا، لما دلت علیه البراهین الواضحة، و الدلائل الساطعة، التی سیقت لإشباع الحدیث عن إعجاز القرآن، و لکن لسائل أن یتساءل فیقول: من أیّ جهة یمکن لنا أن نقف علی إعجاز القرآن؟.

هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و کلامه؟

هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و کلامه؟ و لما ذا؟ و کتاب اللّه لم یندّ علی قواعد اللغة العربیة، و لا علی ترکیب عبارات و جمل و أسالیب الکلام العربی الذی استخدموه فیما بینهم، و أقروه علی أنه لغة الخطاب المستعملة فیما بینهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟

أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟ و لما ذا؟ و القرآن کانت صیاغته من نفس الألفاظ التی یستخدمها العرب فی صیاغة خطبهم و أشعارهم و مدائحهم و قصائدهم، و أفانین الکلام الجذّاب لدیهم؟.

أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانی التی تضمنها القرآن الکریم؟

اشارة

أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانی التی تضمنها القرآن الکریم؟ و لما ذا؟ و هل کانت المعانی التی ارتکزت علیها آیات القرآن غریبة علی العرب ...؟ عند ما یتحدث القرآن عمّا سلف من قصص الأمم الغابرة، و ما جری لتلک الشعوب البائدة، فهل یصعب علی

العربی فهم القصة و مغزاها و محتواها؟ و عند ما الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۳ یتحدث عن التربیة و التهذیب فی الأخلاق و السلوک و المعاملات، فهل یتعسّر علی العربی فهم هذه الأخلاقیات المطروحة و المعروفة؟. و هکذا عند ما یتحدث عن باقی الجوانب الحیاتیة و التشریعیة و غیرهما، فإن العرب کانوا بسلیقتهم الصافیة یدرکون و بسهولة کل هذه المعانی القرآنیة ... من أین جاء الإعجاز إذن؟ إن القرآن لم یبعد عن کلام العرب و لغتهم، و المادة التی یتألف منها کلامهم؟ هذا ما یطوف فی أذهان کثیر من الناس، و لکن یقرر أن القرآن معجز ... إنّه معجزة خالدة، مع کل ما ذکر، فإن العرب قد عجزوا عن الإتیان و لو بأقصر سورة من مثله. و لهذا الذی ذکر، فإن العلماء قدیما و حدیثا انکبّوا علی دراسة القرآن، و الکشف عن أسراره و وجوه الإعجاز فیه، فاتجهت أبحاثهم و دراساتهم الغزیرة لکی یقفوا علی السر الذی به کان القرآن معجزة کبری، و تبوّأ مکانة سامیة و عظیمة تنزوی لدیه الرقاب، و تقصر عن مطاولته النفوس و الطمع للوصول إلی عشر معشاره همم جهابذة الناس، مع أنه کلام من جنس کلامهم ... و راح العلماء یکتبون فی وجوه إعجاز القرآن، فمن الذین أفاضوا الحدیث عن إعجاز القرآن الإمام «الباقلانی» فی کتابه «إعجاز القرآن» «۱»، و الإمام البلاغیّ الکبیر «عبد القاهر الجرجانی» فی کتابه «دلائل الإعجاز» «۲»، و کذلک القاضی «عیاض» فی کتابه القیّم «الشفا بتعریف حقوق المصطفی» «۳» فقد تحدث عن وجوه إعجاز القرآن، و الإمام «القرطبی» و غیرهم ... و من المعاصرین الذین تحدثوا عن وجوه إعجاز القرآن، حجة الأدب فی العصر الحدیث «مصطفی صادق الرافعی»، فی کتابه «إعجاز القرآن» «۴»، و قد أفرد الشهید «سید قطب» کتابا کاملا تحدث فیه عن وجه واحد من وجوه إعجاز القرآن هو «التصویر الفنی فی القرآن الکریم» «۵»، و غیر هؤلاء کثیر ممن جنّدوا أقلامهم، و أسهروا لیلهم لیقعوا علی أسرار وجوه الإعجاز فی کتاب اللّه تعالی.

(_____ ۱) إعجاز القرآن، محمد بن الطیب الباقلانی. (۲) دلائل الإعجاز فی علم المعانی، للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی. (۳) الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی. (۴) إعجاز القرآن و البلاغة النبویة، لمصطفی صادق الرافعی. (۵) التصویر الفنی فی القرآن الکریم، لسید قطب، القاهرة، دار الشروق، ۱۹۹۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۴ و سیقتصر الحدیث علی رأی اثنین من العلماء فی وجوه الإعجاز، ثم یبین الراجح من مذاهبهم مع تعقیب و نقد و مناقشة لکل مذهب علی حدة، ثم أقرر و أعدد تعدادا ما قد ألهمنی اللّه إیاه فی تحدید أوجه إعجاز القرآن الکریم.

أولا- وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی «۱»:

أولا- وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی «۱»: ذهب الإمام الباقلانی فی تحدیده لأوجه إعجاز القرآن إلی ثلاثة أوجه و هی: (أ- یتضمن الإخبار عن الغیوب، و ذلک مما لا یقدر علیه البشر، و لا سبیل إلیه، ثم أنه قد أدرج تحت هذا البند نوعین من إعجاز القرآن و هما: غیب المستقبل، و الوفاء بالوعد، و ساق طائفة من الأمثلة التی تدل علی ما ذهب إلیه. ب- ذکر فی هذا الوجه الثانی، ما یدل علی أن القرآن أخبر عن غیوب ماضیة، علما أن الرسول صلی اللّه علیه و سلم کان أمیا لا یکتب و لا یحسن أن یقرأ. ج- فی الوجه الثالث تحدث عن القرآن من حیث أنه بدیع النظم، عجیب التألیف، متناه فی البلاغة إلی الحد الذی یعلم عجز الخلق عنه، ثم إنه قد فصّل الوجه الثالث فی عشرة نقاط نذکرها هنا کما أوردها هو رحمه اللّه تعالی. یقول: منها ما یرجع إلی الجملة و ذلک أن نظم القرآن علی تصرف وجوهه و تباین مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جمیع کلامهم، و مباین للمألوف من ترتیب خطابهم، و له أسلوب یختص به و یتمیز فی تصرفه عن أسالیب الکلام المعتاد، و ذلک أن الطرق التی یتقید بها الکلام البدیع المنظوم تنقسم إلی أعاریض الشعر علی اختلاف أنواعه، ثم إلی أنواع الکلام الموزون غیر المقفّی، ثم إلی أصناف الکلام المعدل المسجع، ثم إلی معدل موزون غیر مسجع، ثم إلی ما یرسل إرسالا فتطلب فیه الإصابة و الإفادة و إفهام المعانی المعترضة علی وجه بدیع و ترتیب لطیف، و إن لم یکن معتدلا فی وزنه و ذلک شبیه بجملة الکلام الذی لا یتعمل فیه، و لا یتصنع له، و قد علمنا أن القرآن خارج عن هذه

الوجـــــــــوه، و مبـــــــــاین لهـــــــــذه الطرق، و یبقی علینـــــــــا أن نـــــــــبین أنـــــــــه لیس من

(_____ ۱) ت ۴۰۳ ه، القاضی أبو بکر محمد بن الطیب الباقلانی، ولـد فی البصـرة، و توفی فی بغـداد، من کبار العلماء فی علوم القرآن و صاحب کتاب «إعجاز القرآن» الذی یعتبر من أبرز و أهم المراجع فی الإعجاز. طبقات المفسـرین، للأدنـهوی، ۱/ ۴۳۹، و انظر مقدمة الشیخ محمد سکر لکتاب: إعجاز القرآن، للباقلانی، ص: ۷، بتصـرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۹۵ باب مسـجع، و لا فیه شـیء منه و کذلک لیس من قبیل الشعر، لأن من الناس من زعم أنه کلام السجع، و منهم من یدعی فیه شعرا کثیرا و الکلام علیهم یذکر بعد هذا الموضع، فهذا إذا تأمله المتأمل تبین بخروجه عن أصـناف کلامهم و أسالیب خطابهم، أنه خارج عن العادة، و أنه معجز و هذه خصوصـیة ترجع إلی جملـة القرآن، و تمیز حاصل فی جمیعه. و منها: أنه لیس للعرب کلام مشـتمل علی هـذه الفصاحـة و الغرابة و التصـرف البدیع، و المعانی اللطیفـة و الفوائد الغزیرة، و الحکم الکثیر، و التناسب فی البلاغة، و التشابه فی البراعة علی هذا الطول و علی هذا القدر، و إنما تنسب إلی حکیمهم کلمات معدودة، و ألفاظ قلیلة، و إلی شاعرهم قصائد محصورة یقع فیها ما نبینه بعد هذا من الاختلال، و یعترضها ما نکشـفه من الاختلاف، و یشـملها ما نبدیه من التعمل و التکلف و التجوز و التعسف، و قد حصل القرآن علی کثرته و طوله متناسـبا فی الفصاحة علی ما وصـفه اللّه تعالی به فقال عز من قائل: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِیثِ کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِینَ یَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِینُ جُلُودُهُمْ وَ قُلُوبُهُمْ إِلی ذِکْرِ اللَّهِ ذلِکَ هُدَی اللَّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ مَنْ یُضْلِلِ اللَّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ «۱» و قـوله: أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۲» فأخبر سـبحانه أن کلام الآدمی إن امتد وقع فیه التفاوت و بان علیه الاختلاـل، و هـذا المعنی هو غیر المعنی الأـول الـذی بـدأنا بـذکره فتأمله تعرف الفصل. و فی ذلک معنی ثالث و هو: أن عجیب نظمه و بـدیع تـألیفه لاـ یتفاوت و لا یتباین علی ما یتصـرف إلیه من الوجوه التی یتصـرف فیها من ذکر قصـص و مواعظ و احتجاج، و حکم و أحکام، و إعذار و إنذار، و وعد و وعید و تبشیر و تخویف، و أوصاف و تعلیم أخلاق کریمة، و شـیم رفیعة، و سـیر مأثورة و غیر ذلـک من الوجوه التی یشـتمل علیها، و نجـد کلام البلیغ الکامل و الشاعر المفلق و الخطیب المصـقع یختلف علی حسب اختلاف هـذه الأمور، فمن الشـعراء من یجود فی المدح دون الهجو، و منهم من یبرز فی الهجو دون المدح، و منهم من یسـبق فی التقریظ دون التـأبین، و منهـم مـن یجـود فی التأبین دون التقریـظ ... و مـتی تـأملت شـعر الشـاعر البلیـغ، رأیـت التفـاوت فی شـعره علی حسـب

(_____ ۱) سورة الزمر، الآیـة: ۲۳. (۲) سورة النساء، الآیة: ۸۲. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۹۶ الأحوال التی یتصـرف فیها، فیأتی بالغایة فی البراعة فی معنی، فإذا جاء إلی غیره قصـر عنه، و وقف دونه، و بان الاختلاف علی شـعره و قد تأملنا نظم القرآن فوجدنا جمیع ما یتصـرف فیه من الوجوه التی قدمنا ذکرها علی حد واحد فی حسن النظم، و بدیع التألیف و الرصف، لا تفاوت فیه و لا انحطاط عن المنزلة العلیا، و لا إسـفاف فیه إلی الرتبـة الـدنیا، و کـذلک قـد تأملنا ما یتصـرف إلیه وجوه الخطاب من الآیات الطویلة و القصـیرة، فرأینا الإعجاز فی جمیعهـا علی حـد واحـد لاـ یختلف. و معنی رابع و هو: أن کلاـم الفصـحاء یتفاوت تفاوتا بیّنا فی الفصل و الوصل، و العلو و النزول و التقریب و التبعیـد، و غیر ذلـک ممـا ینقسم إلیه الخطـاب عنـد النظم و یتصـرف فیه القول عنـد الضم و الجمع، أ لاـ تری أن کثیرا من الشـعراء قـد وصف بالنقص عنـد التنقل من معنی إلی غیره، و الخروج من باب إلی سواه، حتی إن أهل الصـنعة قد اتفقوا علی تقصـیر البحتری مع جودة نظمه و حسن وصـفه فی الخروج من النسـیب إلی المدیـح، و أطبقوا علی أنه لا یحسـنه و لا یأتی فیه بشـیء، و إنما اتفق له فی مواضع معدودة خروج یرتضـی و تنقل یسـتحسن، و کذلک یختلف سبیل غیره عند الخروج من شـیء إلی شیء و التحول من بـاب إلی باب، و نحن نفصل بعـد هـذا، و نفسـر هـذه الجملـة، و نبین أن القرآن علی اختلاف فنونه، و ما یتصـرف فیه من الوجوه الکثیرة، و الطرق المختلفـة یجعل المختلف کالمؤتلف، و المتباین کالمتناسب، و المتنافر فی الأفراد إلی حد الآحاد، و هذا أمر عجیب تبین به الفصاحـة، و تظهر به البلاغـة و یخرج معه الکلاـم عن حـد العـادة، و یتجاوز العرف. و معنی خامس و هو: أن نظم القرآن وقع

موقعا فی البلاغة یخرج عن عادة کلام الجن، کما یخرج عن عادة کلام الإنس، فهم یعجزون عن الإتیان بمثله کعجزنا، و یقصرون دونه کقصورنا، و قد قال اللّه عز و جلّ: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِیراً «۱» فإن قیل هذه دعوی منکم و ذلک أنه لا سبیل لنا إلی أن نعلم عجز الجن عن الإتیان بمثله و قد یجوز أن یکونوا قادرین علی الإتیان بمثله، و إن کنا عاجزین کما أنهم قد یقدرون علی أمور لطیفة و أسباب غامضة دقیقة لا نقدر نحن علیها، و لا سبیل لنا للطفها إلیها، و إذا کان کذلک لم یکن إلی علم ما ادعیتم سبیل؟ قیل: قد یمکن أن نعرف ذلک بخبر اللّه عز و جلّ، و قد

(_____ ۱) سورة الإسراء، الآیة: ۸۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۷ یمکن أن یقال إن هذا الکلام خرج علی ما کانت العرب تعتقده من مخاطبة الجن، و ما یروون لهم من الشعر، و یحکون عنهم من الکلام، و قد علمنا أن ذلک محفوظ عندهم، منقول عنهم، و القدر الذی نقلوه من ذلک قد تأملناه، فهو فی الفصاحة لا یتجاوز حد فصاحة الإنس، و لعله یقصر عنها، و لا یمتنع أن یسمع کلامهم، و یقع بینهم و بینهم محاورات فی عهد الأنبیاء صلوات اللّه علیهم، و ذلک الزمان مما لا یمتنع فیه وجود ما ینقض العادات، علی أن القوم إلی الآن یعتقدون مخاطبة الغیلان، و لهم أشعار محفوظة مدونة فی دواوینهم. و معنی سادس و هو: أن الذی ینقسم علیه الخطاب من البسط و الاقتصاد، و الجمع و التفریق و الاستعارة و التصریح، و التجوز و التحقیق، و نحو ذلک من الوجوه التی توجد فی کلامهم موجودة فی القرآن، و کل ذلک مما یتجاوز حدود کلامهم المعتاد بینهم فی الفصاحة و الإبداع و البلاغة و قد ضمنا بیان ذلک من بعد لأن الوجه هاهنا ذکر المقدمات دون البسط و التفصیل. و معنی سابع و هو: أن المعانی التی تضمنها فی أصل وضع الشریعة و الأحکام و الاحتجاجات فی أصل الدین و الرد علی الملحدین علی تلک الألفاظ البدیعة، و موافقة بعضها بعضا فی اللطف و البراعة مما یتعذر علی البشر و یمتنع و ذلک أنه قد علم أن تخیر الألفاظ للمعانی المتداولة المألوفة، و الأسباب الدائرة بین الناس أسهل و أقرب من تخیر الألفاظ لمعان مبتکرة، و أسباب مؤسسة مستحدثة، فإذا برع اللفظ فی المعنی البارع کان ألطف و أعجب من أن یوجد اللفظ البارع فی المعنی المتداول المتکرر و الأمر المتقرر المتصور، ثم انضاف إلی ذلک التصرف البدیع فی الوجوه التی تتضمن تأیید ما یبتدأ تأسیسه و یراد تحقیقه بأن التفاضل فی البراعة و الفصاحة، ثم إذا وجدت الألفاظ وفق المعنی و المعانی وفقها لا یفضل أحدهما علی الآخر فالبراعة أظهر و الفصاحة أتم. و معنی ثامن و هو: أن الکلام یتبین فضله و رجحان فصاحته بأن تذکر منه الکلمة فی تضاعیف کلام أو تقذف ما بین شعر فتأخذها الأسماع، و تتشوف إلیها النفوس، و یری وجه رونقها بادیا غامرا سائر ما تقرن به، کالدرة التی تری فی سلک من خرز، و کالیاقوتة فی واسطة العقد، و أنت تری الکلمة من القرآن یتمثل بها فی تضاعیف کلام کثیر، و هی غرة جمیعه، و واسطة عقده، و المنادی علی نفسه بتمیزه، و تخصصه برونقه و جماله ... الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۹۸ و معنی تاسع و هو: أن الحروف التی بنی علیها کلام العرب تسعة و عشرون حرفا، و عدد السور التی افتتح فیها بذکر الحروف ثمان و عشرون سورة، و جملة ما ذکر من هذه الحروف فی أوائل السور من حروف المعجم نصف الجملة و هو أربعة عشر حرفا، لیدل بالمذکور علی غیره، و لیعرفوا أن هذا الکلام منتظم من الحروف التی ینظمون بها کلامهم، و الذی تنقسم إلیه هذه الحروف علی ما قسمة أهل العربیة، و بنوا علیها وجوهها. و معنی عاشر و هو: أنه سهل سبیله، فهو خارج عن الوحشی المستکره، و الغریب المستنکر، و عن الصنعة المتکلفة، و جعله قریبا إلی الإفهام، یبادر معناه لفظه إلی القلب، و یسابق المغزی منه عبارته إلی النفس، و هو مع ذلک ممتنع المطلب، عسیر المتناول، غیر مطمع مع قربه فی نفسه، و لا موهم مع دنوه فی موقعه أن یقدر علیه أو یظفر به، فأما الانحطاط عن هذه الرتبة إلی رتبة الکلام المبتذل و القول المسفسف، فلیس یصح أن تقع فیه فصاحة أو بلاغة، فیطلب فیه الممتنع، أو یوضع فیه الإعجاز و لکن لو وضع فی وحشی مستکره، أو غمر بوجوه الصنعة، و أطبق بأبواب التعسف و التکلف لکان لقائل أن یقول فیه، و یعتذر أو یعیب و یقرع و لکنه أوضح مناره، و قرب منهاجه، و سهل سبیله و جعله فی ذلک متشابها متماثلا ...) «۱». نلحظ فی تقسیم الإمام الباقلانی أنه جمع و ألمّ بما قیل فی وجوه الإعجاز حتی زمانه، و تناول أفکارا ذکرت قبله بالنقد و الرد، و

لعلّ الجديد الذى جاء به الباقلانى هو التفريع و التفصيل الذى ذكره هنا، كذلك المناقشة الموضوعية الدقيقة لآراء عرضها ثم بيّن بطلانها، و يتضح هذا لو تأمّلنا فى الموازنة التى أقامها بين الشعر و السجع و القرآن، ثم نفى الشعر و السجع عن القرآن، و كذلك المقارنة بين ما ينسبه العرب إلى الجن من أقوال و بين القرآن ... ثم إننا نأخذ عليه أنه أسهب و بكثرة فى الحديث عن الجانب البيانى و فروعه و شعبه، فى حين أنه أغفل عددا من وجوه القرآن لم يذكر منها إلا الغيبى، و الحق أن كتابه «إعجاز القرآن» يعتبر أول كتاب مستقلّ تحدث عن إعجاز القرآن، و هو من خيرة الكتب، بل من أهم الكتب التى يرجع إليها الدارسون لقضية الإعجاز حتى عصرنا هذا (_____. ۱) انظر: إعجاز القرآن، للباقلانى، ص: ۶۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۹۹

ثانيا- القاضى عياض و وجوه إعجاز القرآن «۱»:

ثانيا- القاضى عياض و وجوه إعجاز القرآن «۱»: أورد القاضى عياض رحمه اللّه فى كتابه «الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى» أوجه الإعجاز فى أربعة ثم أتبع بها وجهين حكم عليهما بالضعف، ثم ساق عدة أوجه و لم يعتد بها. الوجه الأول: (حسن تأليفه، و التئام كلمه، و فصاحته، و وجوه إيجازه، و بلاغته الخارقة لعادة العرب و ذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن، و فرسان الكلام، فقد خصوا من البلاغة و الحكم بما لم يخص غيرهم من الأمم، و أوتوا من دراية اللسان ما لم يؤت إنسان، و من فصل الخطاب، ما يقيد الألباب، جعل اللّه ذلك لهم طبعا و خلقة و فيهم غريزة و قوة ... فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز، أحكمت آياته و فصلت كلماته، و بهرت بلاغته العقول، و ظهرت فصاحته على كل مقول و تظافر إيجازه و إعجازه ...) «۲». الوجه الثانى: (صورة نظمه العجيب، و الأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب و مناهج نظمها و نثرها الذى جاء عليه، و وقفت مقاطع آية، و انتهت فواصل كلماته إليه، و لم يوجد قبله و لا بعده نظير له، و لا استطاع أحد مماثلة شىء منه، بل حارت فيه عقولهم، و تدلهت دونه أحلامهم، و لم يهتدوا إلى مثله فى جنس كلامهم من نثر أو نظم، أو سجع أو رجز أو شعر) «۳». الوجه الثالث: (ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، و ما لم يكن و لم يقع، فوجد كما ورد، و على الوجه الذى أخبر به) «۴». الوجه الرابع: (ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة، و الأمم البائدة، و الشرائع الدائرة، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب الذى قطع (_____ ۱) ت ۵۴۴ ه، عياض بن موسى السبتى، أحد مشايخ العلماء المالكية و صاحب المصنفات الكثيرة المفيدة، منها الشفا، و شرح مسلم و مشارق الأنوار، و له شعر حسن، و كان إماما فى علوم كثيرة كالفقه و اللغة، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبى ۱۲/ ۲۲۵ بتصرف. (۲) الشفا، للقاضى عياض، ۱/ ۳۵۸. (۳) المصدر نفسه، ۱/ ۳۶۹. (۴) المصدر نفسه، ۱/ ۳۷۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۰۰ عمره فى تعلم ذلك، فيورده النبى صلى اللّه عليه و سلم على وجهه و يأتى به على نصه، فيعترف العالم بذلك بصحته و صدقه، و أن مثله لم ينله بتعليم) «۱».

[الوجوه الالحاقى

[الوجوه الالحاقى أما الوجهان اللذان ألحقهما بالأوجه الأربعة فهما: (۱- الروعة التى تلحق قلوب سامعيه و أسماعهم عند سماعه، و الهيبة التى تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله و أناقة خطره، و هى على المكذبين به أعظم، حتى كانوا يستثقلون سماعه و تزيدهم نفورا) «۲». (۲- كونه آية باقية، لا تعدم ما بقيت الدنيا، مع تكفل اللّه بحفظه) «۳». أما الأوجه التى ساقها رحمه اللّه و لم يعتد بها، فهى كما يذكرها هو: (أن قارئه لا يمله، و سامعه لا يمجه، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة، و ترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا ...

و جمعه لعلوم و معارف لم تعهد العرب عامة، و لا محمد صلی اللّه علیه و سلم قبل نبوته خاصة، لمعرفتها، و لا القیام بها و لا یحیط بها أحد من علماء الأمم، و لا یشتمل علیها کتاب من کتبهم، فجمع فیه من بیان علم الشرائع و التنبیه علی طرق الحجج العقلیات، و الرد علی فرق الأمم، ببراهین قویة، و أدلة بینة سهلة الألفاظ موجزة المقاصد ... و جمعه فیه بین الدلیل و مدلوله، و ذلک أنه احتج بنظم القرآن و حسن رصفه، و إیجازه و بلاغته و أثناء هذه البلاغة أمره و نهیه، و وعده و وعیده، فالتالی له یفهم موضوع الحجة و التکلیف معا من کلام واحد، و سورة منفردة. و جعله فی حیز المنظوم الذی لم یعهد، و لم یکن فی حیز المنثور، لأن المنظوم أسهل علی النفوس و أوعی للقلوب، و أسمع فی الآذان، و أحلی علی الأفهام، فالناس إلیه أمیل، و الأهواء إلیه أسرع. و منها تیسیره تعالی حفظه لمتعلمیه، و تقریبه علی متحفظیه، قال اللّه تعالی: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّکِرٍ «۴» و سائر الأمم لا یحفظ کتبها الواحد منهم، فکیف الجمّاء علی مرور السنین علیهم.

(۱) المصدر نفسه، ۱/ ۳۷۹. (۲) الشفا، للقاضی عیاض، ۱ / ۳۸۴. (۳) المصدر نفسه، ۱ / ۳۸۸. (۴) سورة القمر، الآیة: ۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۱ و مشاکلة بعض أجزائه بعضا، و حسن ائتلاف أنواعها، و التئام أقسامها، و حسن التخلص من قصة إلی أخری، و الخروج من باب إلی غیره علی اختلاف معانیه، و انقسام السورة الواحدة إلی أمر و نهی و خبر و استخبار، و وعد و وعید، و إثبات و نبوة، و توحید و تفرید، و ترغیب و ترهیب، إلی غیر ذلک من فوائده دون خلل یتخلل فصوله) «۱». ثم یذیّل القاضی عیاض عرضه لهذه الأوجه بخاتمة ینبه فیها إلی أن کل ما سرده هنا إنما هو من خواص القرآن و فضائله، و القول الفصل هو ما حصره فی الأوجه الأربعة التی سبق و أن قررها، یقول فی ذلک: (و هذا کله و کثیر مما ذکرنا، أنه ذکر فی إعجاز القرآن، إلی وجوه کثیرة ذکرها الأئمة لم نذکرها إذ أکثرها داخل فی باب بلاغته، فلا یجب أن یعد فنّا منفردا فی إعجازه، إلا فی باب تفصیل فنون البلاغة و کذلک کثیرا مما قدمنا ذکره عنهم یعد فی خواصه و فضائله، لا إعجازه) «۲». یتّضح لنا من خلال عرض رأی القاضی عیاض رحمه اللّه فی أوجه إعجاز القرآن أنه لم یأت بجدید و إنما أجمل ما ذکره الإمام الباقلانی فی کتابه «إعجاز القرآن» مع إضافات یسیرة جاء بها کقوله: جمع القرآن علوما و معارف لم یجمعها کتاب قبله علی إیجازه و غیرها ... ثم إننا نجد الوجه الثانی «نظم القرآن العجیب» هو الذی دار حوله أکثر العلماء الذین تناولوا قضیة إعجاز القرآن، و ما انطوی علیه من أسرار، لأن نظم القرآن کان متفردا و بدیعا، بحیث لم یقع العرب علی مثله من قبله أبدا، بخلاف الوجه الأول الذی کان محطة نقاش و خلاف بین العلماء، هل یعتبرونه وجها من أوجه إعجاز القرآن، أم أنه دلیل من دلائل الإعجاز؟. و مما یلاحظ علی القاضی عیاض أنه قد حصر أوجه إعجاز القرآن فی الأربعة المذکورة، و ألحقها بوجوه قالها الأئمة من قبله و لم یعتبرها هو أوجها إنما اعتبرها من خواص القرآن، من هذه الملحقات التی لا نوافقه علی أنها ملحقة إلحاقا، و لیس وجها من أوجه الإعجاز قوله: و منها، أی من وجوه الإعجاز الروعة التی تلحق قلوب سامعیه و أسماعهم عند سماعه، و الهیبة التی تعتریهم عند تلاوته، لقوة حاله ... و الحق أن هذا

(۱) الشفا، للقاضی عیاض، ۱ / ۳۸۹.

(۲) الشفا، للقاضی عیاض، ۱/ ۳۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۲ الوجه یعتبر من أهم و أدق أوجه إعجاز القرآن، لأن الروعة التی تلحق قلوب سامعیه و الهیبة التی تعتریهم عند تلاوته، هی أساس الإعجاز التی قامت و ستبقی قائمة فی القرآن إلی یوم الدین. و لقد أورد المصنفون فی علوم القرآن أقوالا لعلماء هذه الأمة فی إعجاز القرآن، لا مجال لسردها و إنما نکتفی بما قد أورده و نقله السیوطی فی الإتقان عن علماء الأمة یقول: (... اختلف أهل العلم فی وجه إعجاز القرآن فذکروا فی ذلک وجوها کثیرة کلها حکمة و صواب، و ما بلغوا فی وجوه إعجازه جزءا واحدا من عشر معشاره، فقال قوم: هو الإیجاز مع البلاغة، و قال آخرون: هو البیان و الفصاحة، و قال آخرون: هو الرصف و النظم، و قال آخرون: هو کونه خارجا عن جنس کلام العرب من النظم و النثر و الخطب و الشعر، مع کون حروفه فی کلامهم، و معانیه فی خطابهم، و ألفاظه من جنس کلماتهم، و هو بذاته قبیل غیر قبیل

کلامهم، و جنس آخر متمیز عن أجناس خطابهم، حتی إن من اقتصر علی معانیه و غیّر حروفه أذهب رونقه، و من اقتصر علی حروفه و غیّر معانیه أبطل فائدته، فکان فی ذلک أبلغ دلالة علی إعجازه، و قال آخرون: هو کون قارئه لا یکل، و سامعه لا یمل، و إن تکررت علیه تلاوته و قال آخرون: هو ما فیه من الإخبار عن الأمور الماضیة، و قال آخرون هو ما فیه من علم الغیب و الحکم علی الأمور بالقطع، و قال آخرون هو کونه جامعا لعلوم یطول شرحها و یشقّ حصرها) «۱».

الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن

الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن یتبیّن من خلال ما عرض من أقوال العلماء فی أوجه إعجاز القرآن، أن سبب اختلافهم فی تحدید أوجه الإعجاز، هو عدم وجود ضابط أو تعریف لمعنی الوجه فی القرآن، و مرد ذلک إلی أن القرآن حمّال لأوجه کثیرة، و أن هذه الأوجه منها ما هو ظاهر للعیان فی کل عصر من العصور کأسلوب البیان فی القرآن، و منها ما قد یکتشفه و یقع علیه الناس مع مرور الزمن، و تعاقب الأجیال کالإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، ثم إن التباین فی صفاء النفس، و ارتقائها فی مدارج الکمال، و من ثم تفاعلها مع کلام اللّه و العیش فی ظلال القرآن، و الکشف عن وجوهه و أسراره، یعتبر من أهم الدوافع التی تجعل صاحبها یحظی بالتعرف علی وجوه جدیدة فی کتاب اللّه.

(۱) الإتقان فی علوم القرآن، للسیوطی، ۲/ ۳۲۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۳ و سأحاول بعون اللّه أن أصوغ تعریفا لمعنی الوجه القرآنی المعجز، و ذلک من مجموع ما قرأت و أجلت النظر فی کتب علماء البلاغة و البیان و التفسیر و علوم القرآن، و من خلال ما قد استقرّ فی ذهنی من تصور للأبعاد و المسالک التی سلکها علماء المسلمین، و هم یحاولون تقریر وجوه القرآن و کذلک من خلال المرتکزات و القواعد التی نهضوا علیها و هم یشیّدون صرح هذه الوجوه الشامخة بأدلة و براهین تثبت ما ذهبوا إلیه من جهة، و تدحض شبهات المعاندین من جهة أخری. فالوجه القرآنی المعجز هو: کل صفة فی أسلوب القرآن أو لفظه أو معناه قد ندت عن قدرة البشر، فعجزوا عن الإتیان بمثلها. و الذی أعنیه بهذا التعریف، أن الصفة القرآنیة الواحدة قد ینضوی تحت إطارها مجموعة من إعجازات القرآن التی أعلن البشر عجزهم عن مجاراتها، و هذه المجموعة یربطها رابط واحد مشترک یجعلها تندرج تحت هذه الصفة العامة، لیصدق علیها اسم وجه القرآن المعجز ... و لکی أوضح ما أردته من هذا التعریف أضرب مثالا علی ذلک: الأخبار الغیبیة التی وردت فی القرآن الکریم، سواء ما کان منها ماضیا أو مستقبلیا، فإن هذه الأخبار کلها یربطها رابط واحد ألا و هو «الغیب» و بناء علی ذلک فإنها تکون وجها واحدا، لا وجهین کما قسمهما کثیر من العلماء القدامی و المعاصرین، فجعلوا الغیب الماضی وجها، و الغیب المستقبلی وجها آخر، و الحق أن الغیب بمجمله یعتبر وجها واحدا، لأنه یشترک فی وحدة الموضوع، و ذات المقصود، و مجموع ما أخبر عنه القرآن من أخبار غیبیة، فی الماضی و الحاضر و المستقبل نعتبرها وجها واحدا، لأنها تندرج کلها تحت صفة واحدة ألا و هی «الإخبار بالمغیبات» و لم أجد فیما وقفت علیه من مصادر و مراجع للعلماء القدامی الذین أفاضوا الحدیث عن إعجاز القرآن و وجوهه و لو تعریفا واحدا لمعنی الوجه، إذ بالتعریف یتسنّی لنا أن نحدد الضوابط و القیود للقضیة المطروحة ... و بناء علی هذا فإننا نستطیع الآن أن نثبت وجوه إعجاز القرآن کحد وسط بین الذین أکثروا و أسهبوا فی ذکر الوجه، حتی خرجوا عن معنی الوجه القرآنی إلی غیره، و بین الذین أقلوا فی ذکر الوجوه حتی أغفلوا أهمها و أبرزها ... و هی کما یلی: الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۴ ۱) الأسلوب البیانی فی القرآن. ۲) الإخبار عن الغیب فی القرآن. ۳) الإعجاز التشریعی الشامل فی القرآن. ۴) الإعجاز العلمی فی القرآن. ۵) التأثیر النفسی فی القرآن. و هذه أدق وجوه إعجاز القرآن، و هی تعتبر حدا وسطا بین الفریقین، و قبل ذلک فإنها تقوم علی مرتکزات و ضوابط التعریف الذی أثبتناه آنفا، و قد مر معنا فی ثنایا البحث و غضونه شرحا واضحا و أمثلة کثیرة لکل وجه من هذه الوجوه ... علاوة علی المؤلفات الکثیرة التی أفردها العلماء لهذه الأوجه ما عدا الوجه العلمی

الذی سنسهب الحدیث عنه فی التطبیقات المعاصرة من هذه الرسالة إن شاء اللّه تعالی، و لکن هل هو محل اتفاق أی الإعجاز العلمی فی القرآن بین العلماء؟ و من من العلماء قد أقره و ما هی أدلته؟ و من من العلماء رده، و ما هی أدلته؟ و ما هو الرأی الراجح فی هذه المسألة؟ هذا ما سیدرس فی الفصل القادم بعون اللّه تبارک و تعالی. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۵

الفصل الثالث الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین

اشارة

الفصل الثالث الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین تمهید. المبحث الأول: أبرز المؤیدین من العلماء القدامی لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الثانی: أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الثالث: أبرز المعارضین من العلماء القدامی و المعاصرین لإعجاز القرآن الکریم. المبحث الرابع: أدلة الفریقین مع الترجیح فی مسألة إعجاز القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۷

تمهید

تمهید القرآن الکریم کتاب هدایة و نور، أنزله اللّه سبحانه و تعالی لیخرج الناس من الظلمات إلی النور، و من الجهل إلی العلم، و من الفرقة و الشقاق إلی الوحدة و الإخاء، قال تعالی: الر کِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَیْکَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلی صِراطِ الْعَزِیزِ الْحَمِیدِ «۱». و هذه الهدایة القرآنیة عامة و شاملة لکل مناحی الحیاة و الکون و الإنسان، ذلک أن اللّه أودع فی القرآن من الرکائز الإیمانیة و الثوابت الیقینیة ما یحقق اتزان الإنسان، و استقرار نفسیته و سعادتها و أودع فیه من الشرائع و التوجیهات ما یکفل صلاح المجتمع الإنسانی و انضباطه، و سریان أسباب المودة و الرحمة فیه، و أودع فیه من الأخلاقیات و الآداب العامة ما یکفل استمرار الترابط البشری فی أعلی أصعدة الإخاء و المحبة و الوئام، کما أنه أودع فیه من المعارف و الحقائق الکونیة العلمیة التی أخذت شوطا کبیرا فیه ما یکفل خلق جوّ نزیه خلال سعی الإنسان لاکتشاف أسرار الکون و البحث عن غوامضه و خفایاه، لتذلیلها و تسخیرها له. إذن، هدایة القرآن متعددة الأبعاد، کثیرة الجوانب، و ما ینبغی أن تقصر علی جانب دون آخر إلا أن الجانب الأخیر الذی ذکر و هو الحقائق العلمیة فی القرآن، کان میدانا للأخذ و الرد بین العلماء عبر مرور الأزمان و کرّ الأیام، فقد طرح التساؤل التالی: هل النصوص القرآنیة قد اشتملت علی العلوم و المعارف کلها، أی علی علوم الطبیعة، و الفلک، و علم طبقات الأرض (الجیولوجیا) و علوم الحیاة (البیولوجیا) و علم الطب و التشریح، و علم الوظائف (الفسیولوجیا)، و الریاضیات ... أم أن القرآن کتاب هدایة و نور، جاء لیعزز الإیمان فی النفوس، و لیربط الخلق بالخالق و شرعه، و لا علاقة له بهذه المعارف؟.

(_____ ۱) سورة إبراهیم، الآیة: ۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۸ اختلف العلماء إزاء هذه القضیة قدیما و حدیثا إلی طائفتین، الأولی: تری أن العلوم و المعارف قد أخذت مساحة کبیرة من القرآن، و خاصة عند ما یلفت القرآن نظرنا للحدیث عن السماء و الأرض و الجبال و البحار و الأنهار و الإنسان و النجوم و الطیور ... و علی هذا فإن هناک تطابقا بین الثوابت العلمیة التی وصل إلیها علماء العصر، و بین الآیات القرآنیة، غیر أن بعضهم بالغ حتی جعل من القرآن الکریم موسوعة علمیة تشتمل حتی علی المخترعات و المکتشفات بأنواعها. و الثانیة: تری أن القرآن الکریم کتاب هدایة و نور، و ما المعارف العلمیة إلا نتیجة من نتاج العقل البشری، و لا صلة لها بالقرآن. و سوف تعرض بعون اللّه تعالی أبرز هذه الآراء من العلماء القدامی و المعاصرین، سواء من ذهب إلی صحة التفسیر العلمی للقرآن الکریم، أو من عارض تفسیر القرآن علی أساس العلم، و بعد استعراض آراء کل طائفة، ستساق أدلة کل منها علی حدة، ثم یعقد

مبحث ختامی لهذا الفصل یثبت فیه الرأی الذی نمیل و نطمئن إلیه، مع بعض المناقشة و الاستدراکات. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۰۹

المبحث الأول أبرز المؤیّدین من العلماء القدامی

اشارة

المبحث الأول أبرز المؤیّدین من العلماء القدامی أبرز من تبنّی فکرة التفسیر العلمی للقرآن أبو حامد الغزالی، و فخر الدین الرازی، و الزرکشی و السیوطی، و سنستعرض آراء کل من هؤلاء الأئمة فی هذه القضیة علی حدة.

أولا- الإمام أبو حامد الغزالی «۱»:

أولا- الإمام أبو حامد الغزالی «۱»: (الکاتبون فی هذا الموضوع یذهبون إلی أن الإمام أبا حامد الغزالی المتوفّی سنة ۵۰۵ ه کان إلی عهده أکثر من استوفی هذا القول و أیده، و عمل علی ترویجه فی الأوساط العلمیة الإسلامیة مما یدل علی أن هذه الفکرة کانت موجودة قبل الغزالی منذ أن ترجمت العلوم المختلفة إلی اللغة العربیة و دونت العلوم المختلفة، بل إننا نستطیع أن نقول: إن بذورها کانت موجودة فی عصر صحابة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فقد استدل هؤلاء العلماء بقول عبد اللّه بن مسعود رضی اللّه عنه: من أراد علم الأولین و الآخرین فلیتدبر القرآن، و لکنها کانت فی بدایتها) «۲».

(_____۱) ت ۵۰۵ ه، حجة الإسلام و زین الأنام، أبی حامد محمد بن محمد الغزالی، ولد بطوس سنة خمسین و أربعمائة، و ارتحل إلی إمام الحرمین بنیسابور فلازمه حتی صار أنظر أهل زمانه، و کان الإمام یحبه باطنا لما یصدر عنه من سرعة العبارة، و قوة الطبع، و ابتدأ بالتصانیف، و کان محط رجال العلماء و مقصد الأئمة و الفصحاء، و رجع إلی دمشق و أقام بها عشرة سنین بمنارة الجامع و صنف بها کتبا منها الإحیاء، ثم سار إلی القدس و الإسکندریة، ثم عاد إلی وطنه طوس فأقبل علی التصنیف و العبادة و الملازمة للتلاوة و نشر العلم و کانت وفاته بطوس. انظر: طبقات الفقهاء، إبراهیم بن علی بن یوسف الشیرازی، بیروت، دار القلم، تحقیق، الشیخ خلیل المیس د. ت ۱/ ۲۴۸، و شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، عبد الحی بن أحمد ابن العماد الحنبلی الدمشقی، بیروت، دار الکتب العلمیة د. ت ۲/ ۳۸۳، بتصرف. (۲) التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، دمشق، دار قتیبة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱، ص: ۱۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۰ إلا أن الإمام الغزالی یعتبر أول من أثار هذا الموضوع، و طرحه فی الأوساط، و لذلک نجده قد عقد فی کتابه الشهیر «إحیاء علوم الدین» بابا فی آداب تلاوة القرآن و عنونه «فی فهم القرآن و تفسیره بالرأی من غیر نقل» و الذی قال فیه: (الأخبار و الآثار تدل علی أن فی معانی القرآن متسعا لأرباب الفهم، قال علی رضی اللّه عنه: إلا أن یؤتی اللّه عبدا فهما فی القرآن، فإن لم یکن سوی الترجمة المنقولة فما ذلک الفهم؟ و قال: إن للقرآن ظهرا و بطنا و حدّا و مطلعا، ثم یسوق أثرا عن ابن مسعود فیقول: و قال ابن مسعود رضی اللّه عنه: من أراد علم الأوّلین و الآخرین فلیتدبر القرآن و ذلک لا یحصل بمجرد تفسیر الظاهر، ثم یقول: و بالجملة، فالعلوم کلها داخلة فی أفعال اللّه عز و جلّ و صفاته و فی القرآن شرح ذاته و أفعاله و صفاته، و هذه العلوم لا نهایة لها، و فی القرآن إشارة إلی مجامعها و المقامات فی التعمق فی تفصیله راجع إلی فهم القرآن، و مجرد ظاهر التفسیر لا یشیر إلی ذلک، بل کل ما أشکل فیه علی النظار و اختلف فیه الخلائق فی النظریات و المعقولات، ففی القرآن إلیه رموز و دلالات علیه یختص أهل الفهم بدرکها، فکیف یفی بذلک ترجمة ظاهره و تفسیره؟) «۱». و فی کتابه «جواهر القرآن» و الذی ألفه بعد الإحیاء نری الإمام الغزالی عاد إلی نفس الموضوع لیتوسع فیه، و قد ذکر فی الفصل الأول أن القرآن هو البحر المحیط و ینطوی علی أصناف الجواهر و

النفائس یقول: (أ و ما بلغک أن القرآن هو البحر المحیط، و منه یتشعب علم الأولین و الآخرین کما یتشعب عن سواحل البحر المحیط أنهارها و جداولها؟) «۲». و فی الفصل الرابع من نفس الکتاب و الذی عنونه بکیفیة انشعاب العلوم الدینیة کلها عن الأقسام العشرة المذکورة، نجده قد قسّم علوم القرآن إلی قسمین: (القسم الأول: علم الصّدف، و اعتبر الصدف أول ما یظهر، ثم یقف بعض الواصلین إلی الصدف علی الصدف، و بعضهم یفتق الصدف و یطالع الدرّ، فکذلک صدف جواهر القرآن ... و قد جعل منه علوم اللغة و النحو و القراءات، و علم مخارج

(۱) إحیاء علوم الدین، الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۵، ۱/ ۲۷۲. (۲) جواهر القرآن، الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بیروت، دار إحیاء علوم الدین، تحقیق، محمد رشید رضا القبانی، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۱ الحروف، و علم التفسیر الظاهر، ثم رتّبها علی أساس القریب و البعید من القشر و اللب. القسم الثانی: علم اللباب، و هو یتضمّن معرفة قصص القرآن، و ما یتعلق بالأنبیاء، و ما یتعلق بالجاحدین و الأعداء، و علم الکلام، و علم الفقه و أصوله، و العلم بالله و الیوم الآخر، و العلم بالصراط المستقیم ...) «۱». ثم یعنون الفصل الخامس انشعاب سائر العلوم من القرآن فیقول: (و لعلک تقول إن العلوم وراء هذه کثیرة، کعلم الطب، و النجوم، و هیئة العالم، و هیئة بدن الحیوان، و تشریح أعضائه، و علم السحر و الطلسمات و غیر ذلک، فاعلم أنا إنما أشرنا إلی العلوم الدینیة التی لا بد من وجود أصلها فی العالم حتی یتیسّر سلوک طریق اللّه تعالی و السفر إلیه ... ثم هذه العلوم ما عددناها و ما لم نعدها لیست أوائلها خارجة عن القرآن فإن جمیعها مغترفة من بحر واحد من بحار معرفة اللّه تعالی، و هو بحر الأفعال و قد ذکرنا أنه بحر لا ساحل له، و أن البحر لو کان مدادا لکلماته لنفد البحر قبل أن تنفد، فمن أفعال اللّه تعالی، و هو بحر الأفعال مثلا الشفاء و المرض، کما قال اللّه تعالی حکایة عن إبراهیم علیه السّلام: وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفِینِ «۲»، و هذا الفعل الواحد لا یعرفه إلا من عرف الطب بکماله إذ لا معنی للطب إلا معرفة المرض بکماله و علاماته، و معرفة الشفاء و أسبابه، و من أفعاله تبارک و تعالی تقدیر معرفة الشمس و القمر و منازلهما بحسبان، و قد قال اللّه تعالی: الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ «۳» و قال تعالی: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ ما خَلَقَ اللَّهُ ذلِکَ إِلَّا بِالْحَقِّ یُفَصِّلُ الْآیاتِ لِقَوْمٍ یَعْلَمُونَ ... «۴» و لا یعرف حقیقة سیر الشمس و القمر بحسبان و خسوفهما، و ولوج اللیل فی النهار، و کیفیة تکور أحدهما علی الآخر، إلا من عرف هیئات ترکیب السموات و الأرض، و هو علم برأسه، و لا یعرف کمال معنی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ (۶) الَّذِی خَلَقَکَ فَسَوَّاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَةٍ

(۱) المصدر نفسه، ص: ۳۵. (۲) سورة الشعراء، الآیة: ۸۰. (۳) سورة الرحمن، الآیة: ۵. (۴) سورة یونس، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۲ ما شاءَ رَکَّبَکَ «۱» لا من عرف تشریح الأعضاء من الإنسان ظاهرا و باطنا، و عددها و أنواعها و حکمتها و منافعها، و قد أشار فی القرآن فی مواضع إلیها، و هی من علوم الأولین و الآخرین، و فی القرآن مجامع علم الأولین و الآخرین و کذلک لا یعرف کمال معنی قوله تعالی: فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ «۲»، من لم یعلم التسویة و النفخ و الروح و وراءها علوم غامضة یغفل عن طلبها أکثر الخلق، و ربما لا یفهمونها أن سمعوها من العالم بها، و لو ذهبت أفصل ما تدل علیه آیات القرآن من تفاصیل الأفعال لطال، و لا تمکن الإشارة إلا إلی مجامعها، و قد أشرنا إلیه حیث ذکرنا أن من جملة معرفة اللّه تعالی معرفة أفعاله فتلک الجملة تشتمل علی هذه التفاصیل، و کذلک کل قسم أجملناه، لو شعب لا نشعب إلی تفاصیل کثیرة، فتفکّر فی القرآن، و التمس غرائبه، لتصادف فیه مجامع علم الأولین و الآخرین، و جملة أوائله و إنما التفکّر فیه للتوصل من جملته إلی تفصیله، و هو البحر الذی لا شاطئ له) «۳». و یلاحظ أن هذا المنهج الذی سلکه و رسم أطره الإمام الغزالی، إنما هو منهج دقیق و صحیح، ذلک أن من یرید أن یفسر القرآن علی أساس العلوم الکونیة یجب أن یکون جامعا لأصول العلوم الشرعیة و اللغة العربیة علی اختلاف مناحیها، بجانب إلمامه

بالعلوم الطبیعیة و الکونیة و التطبیقیة ... فمن جمع بین هذه العلوم یستطیع أن یوضح إشراقات الهدایة الربانیة فی القرآن الکریم، و بذلک یکون قد أدخل أداة أخری لعلوم الکونیة إلی دائرة الأدوات العلمیة، و التی تتمثّل بالعلوم الشرعیة أصولا و فروعا و علوم اللغة العربیة و فروعها، و علوم الآلة، لفهم مقاصد النصوص القرآنیة.

ثانیا- فخر الدین الرازی «۴»:

ثانیا- فخر الدین الرازی «۴»: ثم جاء بعد الغزالی الإمام الرازی، لیقیم موازنة و مقارنة بین ما انتشر فی وسطه من

(_____ ۱) سورة الانفطار، الآیات ۶- ۸. (۲) سورة الحجر، الآیة: ۲۹. (۳) انظر: جواهر القرآن، للغزالی، ص ۴۴. (۴) ت ۶۰۶ ه، محمد بن عمر بن الحسین بن الحسن بن علی، العلامة سلطان المتکلمین فی زمانه فخر الدین أبو عبد الله القرشی البکری التیمی الطبرستانی الأصل ثم الرازی، المفسّر المتکلم إمام وقته فی العلوم العقلیة و أحد الأئمة فی علوم الشریعة، صاحب المصنّفات المشهورة و الفضائل الغزیرة المذکورة، ولد فی رمضان سنة أربع و أربعین و خمسمائة و قیل سنة ثلاث،- الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۳ علوم و معارف و ثقافة، سواء کانت وافدة و مترجمة عن الأمم الأخری أو من تألیف المسلمین، و بیّن النصوص القرآنیة، و المحور الذی یدور حوله الإمام الرازی من وراء تفسیره للقرآن علی أساس العلم إنما هو ترسیخ فکرة التوحید، و تقویة دعائم الکمال النفسی و الإیمان بالله تعالی، فکان تفسیره «مفاتیح الغیب» فیّاضا بالاستطرادات العلمیة الکونیة. و ها هو ذا الإمام الرازی یرد علی من اعترض علیه بسبب إکثاره من القضایا الکونیة و العلمیة فی تفسیره فیقول: (و ربما جاء بعض الجهال و الحمقی و قال: إنک أکثرت فی تفسیر کتاب اللّه من علم الهیئة و النجوم، و ذلک علی خلاف المعتاد؟ فیقال لهذا المسکین: إنک لو تأملت فی کتاب اللّه حق التأمل لعرفت فساد ما ذکرته، و تقریره من وجوه: الأول: أن اللّه تعالی ملأ کتابه من الاستدلال علی العلم و القدرة و الحکمة بأحوال السموات و الأرض، و تعاقب اللیل و النهار، و کیفیة أحوال الضیاء و الظلام، و أحوال الشمس و القمر و النجوم، و ذکر هذه الأمور فی أکثر السور و کررها و أعادها مرة بعد أخری، فلو لم یکن البحث عنها، و التأمل فی أحوالها جائزا لما ملأ اللّه کتابه منها، و الثانی: أنه تعالی قال: أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها وَ زَیَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۱» فهو تعالی حثّ علی التأمل فی أنه کیف بناها و لا معنی لعلم الهیئة إلا التأمل فی أنه کیف بناها و کیف خلق کل واحد منها، و الثالث: أنه تعالی قال: لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ أَکْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لکِنَّ أَکْثَرَ النَّاسِ لا یَعْلَمُونَ «۲» فبیّن أن عجائب الخلقة و بدائع الفطرة فی أجرام السموات أکثر و أعظم و أکمل مما فی أبدان الناس، ثم أنه تعالی رغب فی التأمل فی أبدان الناس بقوله: وَ فِی أَنْفُسِکُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ «۳»

_____ أتقن علوما کثیرة و برز فیها و تقدّم و ساد، و قصده الطلبة من سائر البلاد، من مؤلفاته: مفاتیح الغیب، و کتاب المحصول، و المنتخب، و نهایة المعقول، و کانت وفاته بهراة یوم عید الفطر. انظر: طبقات الشافعیة، للشیرازی، ۲/ ۶۶، و شذرات الذهب لابن عماد الحنبلی، ۳/ ۲۲، و البدایة و النهایة إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی أبو الفداء، بیروت، مکتبة المعارف، د. ت، ۱۳/ ۵۵، و العبر فی خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قایماز الذهبی، الکویت، مطبعة حکومة الکویت، تحقیق صلاح الدین المنجد، الطبعة الثانیة، ۱۹۴۸، ۴/ ۲۸۵، بتصرف. (۱) سورة ق، الآیة: ۵. (۲) سورة غافر، الآیة: ۵۷. (۳) سورة الذاریات، الآیة: ۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۴ فما کان أعلی شأنا و أعظم برهانا منها أولی بأن یجب التأمل فی أحوالها و معرفة ما أودع اللّه فیها من العجائب و الغرائب، و الرابع: أنه تعالی مدح المتفکرین فی خلق السموات و الأرض فقال: وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا «۱» و لو کان ذلک ممنوعا منه لما فعل) «۲». و الحق أن الإمام الرازی قد توسع فی ذکر القضایا العلمیة فی تفسیره، حتی یخرجک فی بعض الأحیان عن مقاصد النص القرآنی الذی یبحثه بسبب إسهابه فی ذکر المسائل الکونیة و العلمیة، و مع غزارة علم هذا الإمام، و الثروة

العلميـة الهائلـة التى تركهـا لنـا فى تفسـيره، و التى لاـ يسـتغنى عنهـا أى باحث فى علوم القرآن و فهم دقائقه و معانيه، فإن عـددا ليس بالقليل من المسائل العلمية و الكونية التى أوردها فى تفسيره قد أصبحت اليوم بعد الثورة العلمية غير دقيقة، لأنه إنما استقاها مما جدّ من ثقافـة علميـة فى عصـره و بيئته التى عاش فيها، و على كل حال فإن الإمام الرازى يعتبر من أول من طبق هـذا الاتجاه عمليا، بعـد ما أورده الغزالى فى «إحيائه» بشـكل نظرى. و لسـنا بحاجة لإيراد أمثلة من تفسيره تدلنا على التطبيق العملى الذى قام به الرازى من تفسير النصوص القرآنية على أساس العلم، فتفسيره فياض بذلك، و لسوف نستشهد بآرائه و فهمه للنصوص القرآنية فى الجانب التطبيقى من هذه الرسالة بعونه تعالى.

ثالثا- الإمام الزركشى «۳»:

ثالثا- الإمام الزركشى «۳»: ثم يأتى الإمام الزركشـى فى كتابه «البرهان فى علوم القرآن» ليقرّر إمكانية اسـتخراج كل شىء من القرآن الكريـم (_____. ۱) سـورة آل عمران، الآيـة: ۱۹۱. (۲) انظر: التفسير الكبير، محمـد فخر الدين الرازى، بيروت، دار الفكر، ۱۹۹۳، ۱۴/ ۲۷۸. (۳) ت ۷۹۴ ه، محمـد بن عبد الله بن بهادر الزركشـى الموصـلى الشافعى بـدر الـدين، ولد فى سـنة خمس و أربعين و سـبعمائة، و ألّف تصانيف كثيرة فى عدّة فنون، و هو عالم فى الحديث و التفسير، و من مصنّفاته شرح البخارى، و التنقيح على البخارى، و شرح التنبيه و البرهان فى علوم القرآن، و تخريج أحاديث الرافعى. انظر: طبقات المفسـرين، للأدنهوى، ۱/ ۳۰۲ و انظر، كشف الظنون للقسـطنطينى ۱/ ۲۴۰، و الـدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة، أحمد بن على ابن حجر العسـقلانى، بيروت، دار الكتب العلمية، تحقيق، عبد الوارث محمد على، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷، ۱/ ۱۲۴، بتصـرف. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۵ و نراه يستدل على ذلك عند ما عقد فصلا فى كتابه المذكور و عنونه فى حاجة المفسر إلى الفهم و التبحر فى العلوم، و ينقل فيه أقوال بعض الصحابة فى ذلك، كما يسوق آراء الإمام الغزالى من كتابه «الإحياء» مدللا بكل ذلك على ما ذهب إليه. يقول: (كتاب اللّه بحره عميق و فهمه دقيق، لا يصل إلى فهمة إلا من تبحر فى العلوم، و عامل اللّه بتقواه فى السـر و العلانيـة، و أجله عنـد مواقف الشـبهات، و اللطائف و الحقائق لا يفهمها إلا من ألقى السـمع و هو شهيد، فالعبارات للعموم و هى للسمع، و الإشارات للخصوص و هى للعقل، و اللطائف للأولياء و هى المشاهد، و الحقائق للأنبياء و هى الاستسـلام، و للكل وصف ظاهر و باطن، و حد و مطلع فالظاهر التلاوة، و الباطن الفهم، و الحد أحكام الحلال و الحرام، و المطلع أى الإشـراق من الوعـد و الوعيد، فمن فهم هذه الملاحظة بان له بسط الموازنة و ظهر له حال المعاينة ... ثم يقول: و بالجملة فـالعلوم كلهـا داخلـة فى أفعـال اللّه تعالى و صـفاته، و فى القرآن شـرح ذاته و صـفاته و أفعاله، فهـذه الأمور تـدل على أن فهم معانى القرآن مجالا رحبا و متسـعا بالغا، و أن المنقول من ظاهر التفسـير ليس ينتهى الإدراك فيه بالنقل و السـماع، لا بد منه فى ظاهر التفسير ليتقى به مواضع الغلط ثم بعـد ذلك يتسع الفهم و الاسـتنباط، و الغرائب التى لا تفهم إلا باسـتماع فنون كثيرة، و لا بد من الإشارة إلى جمـل منهـا ليسـتدل بهـا على أمثالهـا و يعلم أنه لاـ يجوز التهـاون بحفـظ التفسـير الظاهر أو لا، و لا مطمع فى الوصول إلى الباطن قبل أحكـام الظـاهر، و من ادعى فهم أسـرار القرآن و لم يحكم التفسـير الظـاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صـدر البيت قبـل تجاوز الباب، فظـاهر التفسـير يجرى مجرى تعلم اللغـة التى لاـ بـد منهـا للفهم، و مـا لاـ بـد فيها من اسـتماع كثير ...) «۱». و ممـا يلاحـظ على الإمام الزركشـى أنه أوغـل فى تحميـل النصوص القرآنيـة بجزئيـات المسائـل الحسابيـة و الفلكيـة، مما أخرج نصوص القرآن عن مقاصـدها الأساسـية التى هى هدايـة البشـر، و القرآن ذكر أسـس و قواعـد العلوم و أشـار إليهـا إشـارات، لكنه لم يكن موسوعـة علميـة تتضـمن جزئيـات العلـوم و فروعه (_____. ۱) البرهان فى علوم القرآن، للزركشى، ۲/ ۱۵۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۱۶

رابعا- الإمام السيوطى «۱»:

رابعا- الإمام السیوطی «۱»: ثم جاء الإمام جلال الدین السیوطی لیؤکد فی کتابیه «الإتقان فی علوم القرآن» و «معترک الأقران» ما ذهب إلیه من قبله من العلماء، بأن القرآن یحتوی علی علم الأولین و الآخرین، و نراه یسوق طائفة من الآیات و الأحادیث و الآثار و أقوال العلماء لیدلل علی ما ذهب إلیه. فمن الآیات قوله تعالی: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ «۲» و قوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ «۳». و من الأحادیث ما روی عن علی رضی اللّه عنه أنه قال: (سمعت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم یقول: «إنها ستکون فتنة» فقلت: ما المخرج منها یا رسول اللّه؟ قال: «کتاب اللّه فیه نبأ ما قبلکم، و خبر ما بعدکم و حکم ما بینکم، و هو الفصل لیس بالهزل، من ترکه من جبار قصمه اللّه، و من ابتغی الهدی فی غیره أضله اللّه، و هو حبل اللّه المتین، و هو الذکر الحکیم، و هو الصراط المستقیم، هو الذی لا تزیغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا یشبع منه العلماء، و لا یخلق عن کثرة الرد، و لا تنقضی عجائبه، هو الذی لم تنته الجن إذ سمعته حتی قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا یهدی إلی الرشد فآمنا به، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حکم به عدل، و من دعا إلیه هدی إلی صراط مستقیم خذها إلیک یا أعور) «۴». و من الآثار: (ما روی عن ابن مسعود أنه قال: من أراد العلم فعلیه بالقرآن فإن فیه خبر الأولین و الآخرین، و عن الحسن قال: أنزل اللّه مائة و أربعة کتب أودع علومها

(_____ ۱) ۸۴۹- ۹۱۱ ه، ۱۴۴۵- ۱۵۰۵، عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد الخضیری السیوطی، إمام و حافظ و مؤرخ و أدیب، کان من الأغنیاء و الأمراء نشأ فی القاهرة یتیما، مات والده و عمره خمس سنوات، له نحو ۶۰۰ مصنف منها: الإتقان فی علوم القرآن، و الأرج فی الفرج، و الأشباه و النظائر، و غیرها. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۳/ ۳۰۱، بتصرف، و کشف الظنون، للقسطنطینی، ۱/ ۷۵، بتصرف. (۲) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. (۳) سورة النحل، الآیة: ۸۹. (۴) رواه الترمذی، ۵/ ۱۷۲، رقم: (۲۹۰۶)، و قال: هذا حدیث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول، و ورد فی سنن الدارمی عبد اللّه بن عبد الرحمن الدارمی، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه، تحقیق، خالد العلی ۲/ ۵۲۶، رقم: (۳۳۳۱). الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۷ أربعة منها التوراة و الإنجیل و الزبور و الفرقان، ثم أودع علوم الثلاثة الفرقان، و قال الإمام الشافعی: جمیع ما تقوله الأمة شرح للسنة، و جمیع السنة شرح للقرآن ... و قال أیضا: جمیع ما حکم به النبی فهو مما فهمه من القرآن ... و عن ابن سراقة أنه حکی فی کتاب الإعجاز عن أبی بکر بن مجاهد أنه قال: ما شیء فی العالم إلا و هو فی کتاب اللّه فقیل له: فأین ذکر الخانات فیه، فقال: فی قوله: لَیْسَ عَلَیْکُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُیُوتاً غَیْرَ مَسْکُونَةٍ فِیها مَتاعٌ لَکُمْ وَ اللَّهُ یَعْلَمُ ما تُبْدُونَ وَ ما تَکْتُمُونَ «۱» فهی الخانات، و قال ابن الفضل المرسی فی تفسیره: جمع القرآن علوم الأولین و الآخرین بحیث لم یحط بها علما حقیقة إلا المتکلم بها، ثم رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم خلا ما استأثر به سبحانه و تعالی، ثم ورث ذلک عنه معظم سادات الصحابة و أعلامهم، مثل الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، حتی قال: لو ضاع لی عقال بعیر لوجدته فی کتاب اللّه تعالی، ثم ورث عنهم التابعون بإحسان، و قال ابن سراقة: من بعض وجوه إعجاز القرآن ما ذکر اللّه فیه من أعداد الحساب و الجمع و القسمة و الضرب و الموافقة و التألیف و المناسبة و التنصیف و المضاعفة، لیعلم بذلک أهل العلم بالحساب أنه صادق فی قوله، و أن القرآن لیس من عنده، إذ لم یکن ممن خالط الفلاسفة، و لا تلقی الحساب و أهل الهندسة. ثم یعقب علی ما أورده من أقوال العلماء فیقول: و أنا أقول قد اشتمل کتاب اللّه العزیز علی کل شیء أما أنواع العلوم فلیس منها باب و لا مسألة هی أصل إلا و فی القرآن ما یدل علیها و فیه عجائب المخلوقات و ملکوت السموات و الأرض و ما فی الأفق الأعلی و تحت الثری و بدء الخلق و أسماء مشاهیر الرسل و الملائکة و عیون أخبار الأمم السالفة ...) «۲». هذه آراء أشهر العلماء القدامی الذین أیّدوا تفسیر القرآن علی أساس العلم، و سننتقل فی المبحث القادم إلی أبرز من تناوله من العلماء المعاصرین و دافع عنه.

(_____ ۱) سورة النور، الآیة: ۲۹. (۲) انظر:

الإتقان فی علوم القرآن، للسیوطی، ۲/ ۲۳۰- ۲۳۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۸

المبحث الثانی أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین

اشارة

المبحث الثانی أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین قبل الشروع فی التعرف علی أبرز العلماء المعاصرین و علی رأیهم فی هذا الصدد، یلفت الانتباه إلی أن الهدف الأساسی الذی یسعی المؤیدون للتفسیر العلمی لتحقیقه إنما هو: استنباط بعض المعانی الجدیدة من الآیات القرآنیة علی أساس العلوم الکونیة، لکن ضمن إطار النص القرآنی، و دون جرّ الآیات القرآنیة إلی النظریات بشکل تعسفی، أو تحمیل النص القرآنی ما لا یحتمل، فإذا کان الأمر کذلک فإننا وجدنا فی العصر الحدیث من یحاول تفسیر النصوص القرآنیة تفسیرا تعسفیا قد أخرجها عن مدلولاتها اللغویة و معانیها الشرعیة، فإذا ما سمع بنظریة علمیة أسرع لیجد لها من کتاب اللّه ما یؤکدها و لا ضیر إن ثنی أعناق الآیات و طوعها لهذه النظریة، أو أنه أقحم هذه النظریة إقحاما قسریا فی نصوص القرآن ... و من هنا سیعرض فی هذا المبحث لطائفتین من أقوال العلماء، الطائفة الأولی: و هم العلماء المثبتون لقضیة الإعجاز و لکن بمغالاة و منهم: محمد عبده، عبد الرحمن الکواکبی، طنطاوی جوهری، و الطائفة الثانیة: و هم العلماء المثبتون لقضیة الإعجاز و لکن باعتدال و منهم: مصطفی صادق الرافعی وحید الدین خان، محمد جمال الدین الفندی، مصطفی المراغی، و سنبدأ بالحدیث عن القسم الأول و هم المغالون.

[القسم الاول: العلماء المثبتون لقضیة الإعجاز بمغالاة]

أولا- الإمام محمد عبده «۱»:

أولا- الإمام محمد عبده «۱»: یعتبر الشیخ محمد عبده من رواد هذا الاتجاه فی تفسیر القرآن فی العصر الحدیث،

(_____۱) ۱۲۶۶- ۱۳۲۳ ه، ۱۸۴۹- ۱۹۰۵،

محمد عبده بن حسن خیر الله من آل الترکمانی، مفتی الدیار المصریة، و من کبار رجال الإصلاح و التجدید فی الإسلام، ولد فی شنرا من قری الغربیة فی مصر، تعلم بالأزهر و تصوف و تفلسف، أصدر مع صدیقه جمال الدین الأفغانی جریدة العروة الوثقی، ثم تولی منصب القضاء فی مصر عام ۱۸۸۸، ثم مفتیا للدیار المصریة عام ۱۳۱۷ ه، و استمر إلی أن توفی بالإسکندریة و دفن فی القاهرة، له تفسیر القرآن الکریم، و رسالة التوحید، و الفلسفة و التصوف، و غیرها. انظر: الأعلام، لخیر الدین الزرکلی ۶/ ۲۵۲ بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۱۹ بل من الذین أصدروا فتوی بجواز تفسیر نصوص القرآن بمستجدات العصر و ما یتمخض عنه من اکتشافات و ابتکارات، و إذا ما رجعنا إلی أفکار الشیخ محمد عبده فلسوف نجد المنهج العلمی التطبیقی الذی سلکه فی تحلیل آیات القرآن واضحا فی تفسیره لجزء «عم» و قد طبع فی کتاب منهجی لطلاب المدارس فی المراحل المتوسطة، و مع غزارة علمه و مکانته العلمیة المرموقة إلا أنه لم یترک خلفه سوی تفسیر جزء عم، و تفسیر واسع لسورة العصر، و بعض المقالات الإسلامیة، و نحن إذ نعرض طرفا من تفسیره فی جزء عم، فإننا نجد التجاوز الواضح، بل المغالاة و هو یفسر بعض الآیات الکریمة بما استجد فی عصره من علوم و معارف. فها هو ذا یفسر قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ «۱» فیقول: (أما تسجیر البحار فهو أن یفجر الزلزال ما بینها حتی تختلط و تعود بحرا واحدا، و هو بمعنی الملء فإن کل واحد منها یمتلئ حتی یفیض و یختلط بالآخر، و تسجیر البحار علی هذا المعنی لازم لما سبقه من تقطع أوصال الأرض، و انفصال الجبال و یدل علی رجحان هذا التأویل ظاهر قوله تعالی فی سورة الانفطار وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ «۲» و قد یکون تسجیرها إضرامها، فإن ما فی بطن الأرض من النار إذ ذاک

یظهر بتشقّقها و تمزق طبقاتها العلیا، أما الماء فیذهب عند ذلک بخارا، و لا یبقی فی البحار إلا النار) «۳». و فی تفسیر قوله تعالی: إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ «۴» یقول: (انشقاق السماء ... هو فساد ترکیبها و اختلال نظامها عند ما یرید اللّه خراب هذا العالم الذی نحن فیه، و هو یکون بحادثة من الحوادث التی قد ینجر إلیها سیر العلم، کأن یمر کوکب فی سیره بالقرب من الآخر فیتجاذبا فیتصادما، فیضطرب نظام الشمس بأسره، و یحدث من ذلک غمام و أی غمام! یظهر فی مواضع متفرقة من الجوّ و الفضاء الواسع، فتکون السماء قد تشققت بالغمام و اختل نظامها حال ظهوره) «۵». (و قد انتقده بعض العلماء فی هذا التفسیر لخراب العالم، لأن الکون أعظم من أن یختل نظامه بمجرد ضرب کوکب فی آخر من المجموعة الشمسیة، فما أکثر

(_____ ۱) سورة التکویر، الآیة: ۶. (۲) سورة الانفطار، الآیة: ۳. (۳) تفسیر جزء عمّ، محمد عبده، بیروت، دار الهلال، ۱۹۸۵، ص ۳۰. (۴) سورة الانشقاق، الآیة: ۱. (۵) تفسیر جزء عمّ، محمد عبده، ص ۳۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۰ المجموعات الشمسیة التی تتجاوز الأرقام الحسابیة التی عرفها البشر! و ما أصغر أفکار البشر فی شأن مستقبل العالم خرابا أو عمارا فمثل ذلک یجب تفویض الأمر فیه إلی اللّه تعالی فهو علام الغیوب) «۱». و عند ما یفسر سورة الفیل نجد تجاوزا و تعسفا شدیدین فی تفسیر هذه السورة، یقول: (و فی الیوم الثانی فشا فی جند الحبش داء الجدری و الحصبة، قال عکرمة: هو أول جدری ظهر فی بلاد العرب و قال یعقوب بن عتبة: أول ما رؤیت الحصبة و الجدری ببلاد العرب ذلک العام، ثم یقول: و هذا ما اتفقت علیه الروایات و یصح الاعتقاد به، و قد بیّنت لنا هذه السورة أن ذلک الجدری أو تلک الحصبة نشأت من حجارة یابسة سقطت علی أفراد الجیش بواسطة فرق عظیمة من الطیر مما یرسله اللّه مع الریح، فیجوز لک أن تعتقد أن هذا الطیر من جنس البعوض أو الذباب الذی یحمل جراثیم بعض الأمراض ... و أن هذا الحیوان الصغیر الذی یسمونه بالمیکروب لا یخرج عنها، هذا ما یصح الاعتماد علیه فی تفسیر السورة، و ما عدا ذلک فهو مما لا یصح قبوله إلا بتأویل إن صحت روایته) «۲». لا أدری من الذی سوّغ للإمام رحمه اللّه أن یقحم المیکروب فی تفسیر السورة مکان الطیر الأبابیل، و ما أظن أن فی اللغة العربیة و مترادفاتها ما یسوّغ أن نطلق علی لفظة الطیر بالمیکروب، أو بالجدری أو بالحصبة ... ثم إن حماس الشیخ قد دفعه لیجزم قائلا: هذا ما یصح الاعتماد علیه فی تفسیر السورة، و ما عدا ذلک فهو مما لا یصح قبوله إلا بتأویل إن صحت روایته، و هذا کما هو واضح تحمیل للنص القرآنی ما لا یحتمل و ما لا یطیق أبدا، و قد أکثر العلماء فی الرد علیه، و أری أن المسألة من البطلان بحیث لا تستأهل تضییع الوقت فی الرد علی مثل هذه التعسفات.

ثانیا- عبد الرحمن الکواکبی «۳»:

ثانیا- عبد الرحمن الکواکبی «۳»: عند ما یتحدث الکواکبی عن القرآن یصفه بأنه: شمس العلوم و کنز الحکم، و یعلل

(_____ ۱) التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۷۳. (۲) تفسیر جزء عمّ، محمد عبده، ص ۱۶۲. (۳) ۱۲۶۵- ۱۳۲۰ ه، ۱۸۴۹- ۱۹۰۵، عبد الرحمن الکواکبی من الکتاب و الأدباء و من رجال الإصلاح، تعلم فی حلب، و أنشأ فیها جریدة الشهباء فأقفلتها الحکومة، و جریدة الاعتدال فعطلت، و أسندت إلیه مناصب عدیدة، ثم ضیق علیه أعداء الإصلاح فسعوا به فسجن، توفی فی مصر و له من المؤلفات: أم القری، و طبائع الاستبداد. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۳/ ۲۸۹ بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۱ السبب الذی جعل العلماء ینصرفون عن تفسیر قسمی «الآلاء و الأخلاق» من القرآن تفسیرا علمیا هو أنهم: (کانوا یخافون مخالفة رأی بعض السلف القاصرین فی العلم، فیکفرون فیقتلون، و هذه مسألة إعجاز القرآن و هی أهم مسألة فی الدین، لم یقدروا أن یوفوها حقها من البحث، و اقتصروا علی ما قاله بعض السلف قولا مجملا من أنها قصور الطاقة عن الإتیان بمثله فی فصاحته و بلاغته، و أخباره عن أن الروم من بعد غلبهم سیغلبون، مع أنه لو أطلق للعلماء عنان التدقیق و حریة الرأی و التألیف کما أطلق لأهل التأویل و الخرافات، لرأوا فی ألوف

من آیات القرآن ألوف آیات من الإعجاز لرأوا فیه کل یوم آیة تتجدد مع الزمان و الحدثان تبرهن إعجازه بصدق قوله سبحانه و تعالی: وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلَّا فِی کِتابٍ مُبِینٍ «۱» برهان عیان لا مجرد تسلیم و إیمان) «۲». ثم یبدأ بسرد طائفة من الآیات القرآنیة، و یحللها و یفسرها تفسیرا علمیا فیقول: (و مثال ذلک أن العلم کشف فی هذه القرون الأخیرة حقائق و طبائع کثیرة، تعزی لکاشفیها و مخترعیها من علماء أوروبا و أمریکا، و المدقق فی القرآن یجد أکثرها ورد التصریح أو التلمیح به فی القرآن منذ ثلاثة عشر قرنا، و ما بقیت مستورة تحت غشاء من الخفاء إلا لتکون عند ظهورها معجزة للقرآن، شاهدة بأنه کلام رب لا یعلم الغیب سواه، و ذلک أنهم قد کشفوا أن مادة الکون هی الأثیر، و قد وصف القرآن بدء التکوین فقال: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ «۳» و کشفوا أن الکائنات فی حرکة دائمة دائبة و القرآن یقول: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۴» و حققوا أن الأرض منفتقة فی النظام الشمسی و القرآن یقول: السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما «۵» و حقّقوا أن القمر منشق من الأرض، و القرآن یقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۶» ... و حققوا أن طبقات الأرض سبع و القرآن یقول: اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ وَ مِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ «۷» و کشفوا

(_____ ۱) سورة الأنعام، الآیة: ۵۹. (۲) طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، عبد الرحمن الکواکبی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴، ص ۴۷. (۳) سورة فصلت الآیة: ۱۱. (۴) سورة یس، الآیة: ۴۰. (۵) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۰. (۶) سورة القمر، الآیة: ۱. (۷) سورة الطلاق، الآیة: ۱۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۲ وجود المیکروب و تأثیره کالجدری و غیره من المرض و القرآن یقول وَ أَرْسَلَ عَلَیْهِمْ طَیْراً أَبابِیلَ «۱» أی متتابعة مجتمعة، تَرْمِیهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّیلٍ «۲» أی من طین المستنقعات الیابس إلی غیر ذلک من الآیات الکثیرة المحققة لبعض مکتشفات علم الهیئة و النوامیس الطبیعیة، و بالقیاس علی ما تقدم ذکره یقتضی أن کثیرا من آیاته سینکشف سرها فی المستقبل فی وقتها المرهون، تجدیدا لإعجازه ما دام الزمان) «۳». (و إذا کان لنا من تعلیق علی قوله فإننا نقول: إنه قد تأثر بهذا اللون من التفسیر تأثّرا کبیرا حتی وصل به الأمر إلی حد الإفراط و المغالاة، و بسبب ذلک صار یتلمس لکل نظریة نصا من القرآن مدعیا أن هذا وجه من وجوه صدقه و دلائل إعجازه العلمی بعد أن اقتصر علماء السلف علی حد قوله علی أن فصاحته و بلاغته هی سبب إعجازه، فانظر إلی استدلاله علی أن القمر منشق من الأرض بقوله تعالی: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ فإن هذا المعنی المزعوم لا تدل علیه أی من الآیتین، و هو معنی بعید کل البعد عن معناهما، بالإضافة إلی أنه قد یستدل ببعض آیة تارکا ما قبلها و ما بعده) «۴». هذان من أبرز من تناول تفسیر القرآن بمغالاة، و هناک غیرهما کثیر مثل عبد العزیز إسماعیل فی کتابه «الإسلام و الطب الحدیث» و عبد الرزاق نوفل فی عدة کتب له، و من أخطر و أجرأ من تعسف فی هذا الصدد هو طنطاوی جوهری فی تفسیره «الجواهر» الذی جاء فی خمسة و عشرین جزءا، و الذی یتحدث فیه: (لقد وضعت فی هذا التفسیر ما یحتاجه المسلم من الأحکام و الأخلاق و عجائب الکون و أثبت فیه غرائب العلوم، و عجائب الخلق، مما یشوق المسلمین و المسلمات إلی الوقوف علی حقائق معانی الآیات البینات فی الحیوان و النبات و الأرض و السموات و لتعلمنّ أیها الفطن أن هذا التفسیر نفحة ربانیة، و إشارة قدسیة، و بشارة رمزیة، و أمرت به بطریق الإلهام، و أیقنت أن له شأنا سیعرفه الخلق، و سیکون من أهم أسباب رقیّ المستضعفین فی الأرض) «۵». یقول فیه الدکتور حسین الذهبی: (و نجده یضع لنا فی تفسیره کثیرا من صور النباتات

(_____ ۱) سورة الفیل، الآیة: ۳. (۲) سورة الفیل، الآیة: ۴. (۳) انظر: طبائع الاستبداد، للکواکبی، ص ۴۸- ۴۹. (۴) التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۹۲. (۵) الجواهر فی تفسیر القرآن الکریم، طنطاوی جوهری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۲ ه/ ۱۹۹۱، ۱/ ۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۳ و الحیوانات و مناظر الطبیعة، و تجارب العلوم، بقصد أن یوضح للقارئ ما یقول، توضیحا یجعل الحقیقة أمامه کالأمر المشاهد المحسوس، و لقد أفرط فی ذلک، و جاز حد المجاز. و مما یؤخذ علیه: أنه قد یشرح بعض الحقائق الدینیة بما جاء عن أفلاطون فی جمهوریته أو بما جاء عن إخوان الصفا فی رسائلهم، و هو حین ینقلها یبدی

رضاه عنها و تصديقه بها فی حين أنها تخالف فی ظاهرها ما عليه أصحابه السلفيون و الأشاعرة. هذا، و إنا نجد المؤلف يفسر آيات القرآن تفسيرا يقوم على نظريات علمية حديثة غير مستقرة فی ذاتها، و لم تمض فترة التثبت منها، و هذا ضرب من التكلف ارتكبه المؤلف، إن لم يكن يذهب بغرض القرآن أحيانا، فلا أقل من أن يذهب بروائه و بهائه) «۱».

القسم الثانی: المثبتون من العلماء المعاصرين باعتدال

أولا- وحيد الدين خان «۲»:

أولا- وحيد الدين خان «۲»: و سوف نقف مع كتابه «الإسلام يتحدى» و الذی قدم له الدكتور عبد الصبور شاهين. عقد وحيد الدين خان فی كتابه المذكور مبحثا بعنوان: القرآن و الكشوف الحديثة، تحدّث فيه عن قضية الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، و وضع بعض الضوابط لهذا النمط من التفسير، و التی تدل على اعتدال الرجل و اتزانه إزاء هذه القضية، ثم ساق طائفة من الآيات القرآنية و فسّرها بناء على معطيات الحقائق العلمية، و بمنهج دقيق لا إفراط فيه و لا مغالاة. و ها هو ذا يبين أهم قيد من القيود التی يرتكز عليها هذا التفسير فيقول: (إن مطابقة كلمات القرآن و ألفاظه للكشوف العلمية الحديثة مبنية على أن العلم الحديث قد استطاع الكشف عن أسرار الواقعة موضوع البحث، فتوفرت لدينا مواد نافعة لتفسير الإشارات

(_____ ۱) التفسير و المفسرون، محمد حسن الذهبی، القاهرة، دار الكتب الحديثة، الطبعة الأولى، ۱۳۸۱ ه، ۱۹۶۱، ۳/ ۱۸۴. (۲) من كبار علماء الهند و مفكّريها فی العصر الحديث، و من الذين يتولون قضية الإسلام أمام الزحف الفكری المعادی، له عدة مؤلفات منها، الإسلام يتحدى، و الدين. انظر: مقدمة الدكتور عبد الصبور شاهين لكتاب الإسلام يتحدى. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۲۴ القرآنية فی ذلك الموضوع، و لو أن دراسة المستقبل فی موضوع ما تبطل واقعة من وقائع العلم الحديث كليا أو جزئيا فليس هذا بضائر مطلقا صدق القرآن، بل معناه أن المفسر أخطأ فی محاولته لتفسير إشارة مجملة فی القرآن، و إننی لعلی يقين راسخ بأن الكشوف المقبلة سوف تكون أكثر إيضاحا لإشارات القرآن، و أكثر بيانا لمعانيه الكامنة) «۱». و يبدأ بضرب بعض الأمثلة على إعجاز القرآن، و سبقه فی تسجيل الحقائق العلمية التی وصل إليها علماء العصر، لكن بعد جهد جهيد، و عمل مضن و مستمر كلفهم أموالا طائلة فضلا عن سهر الليالی الطويل، فيقول: (۱- ذكر القرآن الكريم قانونا خاصا بالماء فی سورتين هما الفرقان و الرحمن، و جاء فی السورة الأولى قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً «۲» و أما الآية التی وردت فی السورة الأخرى فهی تقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ (۱۹) بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيانِ (۲۰) «۳». إن الظاهرة الطبيعية التی يذكرها القرآن فی هذه الآيات معروفة عند الإنسان منذ أقدم العصور و هی أنه إذا ما التقى نهران فی ممر مائی واحد، فماء أحدهما لا يدخل أی لا يذوب فی الآخر، و هناك على سبيل المثال، نهران يسيران فی «تشاتغام» بباكستان الشرقية إلى مدينة «أركان» فی «بورما» و يمكن مشاهدة النهرين، مستقلا أحدهما عن الآخر، و يبدو أن خيطا يمر بينهما حدا فاصلا، و الماء عذب فی جانب و ملح فی جانب آخر، و هذا هو شأن الأنهار القريبة من السواحل، فماء البحر يدخل ماء النهر عند حدوث المد البحری و لكنهما لا يختلطان، و يبقى الماء عذبا تحت الماء الأجاج، و هكذا شاهدت عند ملتقى نهری «الكنج و الجامونا» فی مدينة «الله‌آباد» فهما رغم التقائهما لم تختلط مياههما و يبدو أن خيطا فاصلا يميز أحدهما عن الآخر ... إن هذه الظاهرة كانت معروفة لدى الإنسان القديم ... و لكنا لم نكشف قانونها إلا منذ بضع عشرات من السنين، فقد أكدت المشاهدات و التجارب أن هناك قانونا ضابطا للأشياء السائلة، يسمى بقانون المط السطحی) ecafrus noisnet (و هو يفصل بين

(_____ ۱) الإسلام يتحدى، وحيد الدين

خان، القاهرة، دار البحوث العلمیـة، ترجمة، ظفر الإسـلام خان، الطبعة الثانیة، ۱۳۹۳ ه/ ۱۹۷۳، ص: ۱۴۱. (۲) سورة الفرقان، الآیة: ۵۳. (۳) سورة الرحمن، الآیتان ۱۹، ۲۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۲۵ السائلین، لأن تجاذب الجزئیات یختلف من سائل إلی آخر، و لـذا یحتفظ کل سائل باسـتقلاله فی مجاله، و قـد اسـتفاد العلم الحدیث کثیرا من هذا القانون، الذی عبر عنه القرآن الکریم بقـوله سـبحانه: بَیْنَهُمـا بَرْزَخٌ لا یَبْغِیـانِ و ملاحظـة هـذا الـبرزخ لم تخـف عن أعین القـدماء، کمـا لم تتعـارض مع المشاهدة الحدیثة. و نسـتطیع بکل ثقة أن نقول إن المراد من البرزخ إنما هو المط أو التمدد السـطحی الذی یوجد فی الماءین و الذی یفصل أحدهما عن الآخر) «۱». ثم یسـتعرض عـددا من الأمثلة فی عدة جوانب من العلوم مقارنا ذلک مع ما ورد فی کتاب اللّه تعالی، بدقة و موضوعیة، ثم یقول: (لسنا نملک أمام هذا التوافق المدهش بین ما ورد فی الماضی البعید و ما اکتشف بالأمس القریب، إلا أن نؤمن بأن هذا الکلام صادر عن موجود یحیط علمه بالماضی و الحال و المستقبل علی السواء) «۲».

ثانیا- الدکتور محمد جمال الدین الفندی «۳»:

ثانیا- الـدکتور محمـد جمال الدین الفندی «۳»: یعرض الـدکتور الفنـدی قضـیة الإعجـاز العلمی فی القرآن لکن بتحفـظ و تثبت دون مغالاة أو تجاوز و یقف عنـد حـدود النص و مـدلولاته اللغویة و الشـرعیة، و یعتمد المنهج الدقیق الصـحیح، و هو: تفسـیر القرآن علی أسـاس الحقائق العلمیـة الثابتـة لا النظریات المتغیرة المتبدلـة، و یسوق مجموعـة من الأمثلـة التی تثبت إعجاز القرآن الکریم، یقول: (و سوف نوضح کیف تمشّـی العلم مع القرآن الکریم منذ نزل و تلک قاعدة عامة طالما کانت التعلیقات العلمیة أو التفسـیرات مبنیة علی حقـائق سـلیمة علمیـة و قاصـرة علی الحقـائق بعیـدا عن النظریـات المتطورة، و من غیر أن نکلف الآیات ما لا طاقـة لها به من مجاز أو کنایة) «۴ (_____». ۱) انظر: الإسلام یتحدی، وحیـد الدین خان، ص: ۱۴۲- ۱۴۳. (۲) المصـدر نفسه، ص: ۱۵۱. (۳) رئیس قسم الفلک و أسـتاذ الطبیعـة الجویـة بکلیة العلوم فی جامعة القاهرة، کما أنه عضو فی المجلس الأعلی للشـئون الإسـلامیة بمصر، له العدید من المؤلفات العلمیة و الدینیة منها: قصة الکون، و الصـعود إلی المریـخ، و الإسـلام و قوانین الوجود. عن مقدمـة دار النشـر لهذا الکتاب، الهیئة المصـریة العامة للکتب. (۴) الإسلام و قوانین الوجود، محمـد جمـال الـدین الفنـدی، القـاهرة، الهیئـة المصـریة العامـة للکتب، ۱۹۸۲، ص: ۵۵. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۶ و یبدأ بعرض أمثلة یوضح فیها سـبق القرآن فی تسـجیل بعض قواعد العلوم و إعجازه فی ذلک و من هذه الأمثلة التی ذکرها تعقیبه علی قوله تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَیْناکُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِینَ «۱». فیقول: (قال الأقدمون فی ظل ما کان متوفرا لدیهم من حقائق العلم أن لَواقِحَ هنا إنما تشـیر إلی تلقیح الریاح لبعض النباتات لکی تثمر أو یوجـد الثمر، و هـذه حقیقـة قائمـة لم تتغیر لأن الریاح کانت و لا زالت و سوف تسـتمر فی تلقیح بعض النباتات لتوجد الثمر، و فی ظل الآفاق الواسـعة التی فتحها أمامنا عصـر العلم اتضـح للعلماء و ثبت لـدیهم أن الریاح هی التی تثیر السـحاب و تکونه، مصدقا لبیانه تعالی: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَـحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ «۲» و القرآن الکریم هو أول کتاب علی الإطلاق قرر تلک الحقیقـة العلمیـة، و فی ظل تلک القضایا العلمیـة الهامـة یسـتمر القرآن الکریم فیفرق بین السـحاب الـذی یمطر و السـحاب الـذی لا یمطر معلنا فی إعجاز علمی أخّاذ أن نزول المطر إنما یتم عن طریق تلقیح الریاح للسـحاب، وَ أَرْسَـلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَیْناکُمُوهُ و لقد ثبت علمیا أن السحب لکی تمطر یجب أن تسـتمر الریاح و تدأب علی تلقیحها أو إمدادها بجسـیمات عناصـر المطر و هی بخار الماء و نوی التکاثف و بخار المـاء عبـارة عن جزئیات منفصـلة من الماء، تحملها الریاح من أسـطح البحار و المحیطات و تصـعد بها إلی مناطق إثارة السـحب لکی تتجمع من جدیـد علی جسـیمات صـغیرة أخری تـذروها الریاح و تعرف باسم «نوی التکاثف». و هـذا التفسـیر الجدیـد إنما یربط بین أجزاء الآیـة الکریمـة و یجعلها واضـحة المعنی، حیث تکون الفـاء فی قوله: فَأَنْزَلْنا هی فاء السـببیة، أی نجم عن هـذا التلقیـح إخصاب

السحاب، و من ثم نزول الماء العذب و هو المطر) «۳». ۲- و عند ما یفسر قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ «۴» یقول: (قال الأقدمون: إن هذه الآیة الکریمة تشیر إلی حقیقة ما لدی الخالق من عظیم القدرة

(_____ ۱) سورة الحجر، الآیة: ۲۲. (۲) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۳) انظر: الإسلام و قوانین الوجود، محمد جمال الفندی، ص: ۵۶. (۴) سورة الذاریات، الآیة: ۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۷ و اتساع الملک رغم ما أودعه فی الکون الفسیح من ألوان المادة و أجرام السماء، أی أن کلمة «موسعون» إنما تشیر إلی الیسر و الغنی ... و بتقدم آلات الرصد عرفت المجرات، و أقرب المجرات إلینا مجرة «المرأة المسلسلة» و هی تبعد عن مجرتنا بنحو ۷۰۰ ألف سنة ضوئیة «۱»، و ما زالت أبعاد الکون تتسع حتی عرف الناس الیوم أن هناک نجوما هی فی الواقع مجرات، تبدو لفرط بعدها عنا علی هیئة نقط مضیئة هی أشباه النجوم و تبعد عنا بنحو ۱۲ ألف ملیون سنة ضوئیة!. إننا مرة أخری نسلم بحقیقة المعنی الأول لکلمة «موسعون» کما أننا نسلم بصحة التفسیر الحدیث الذی سقناه، حیث إنه فعلا اتسعت أبعاد الکون المرئی أمام البشر اتساعا یکاد لا یصدقه العقل بتقدم آلات الرصد و التتبع، علی أن هناک معنی آخر یشیر إلی حقیقة أن الکون یتمدد، أی تزداد أبعاده بمرور الزمن و هذه إحدی نتائج حسابات النسبیة، إلا أن الآیة الکریمة إنما تضم هذه التفسیرات و الحقائق العلمیة السلیمة کلها، و رأینا إذا کیف ساير رکب العلم ما أثاره القرآن الکریم من قضایا العلم العامة ...) «۲».

ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی:

ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی: یعلن الشیخ المراغی فی مقدمة تفسیره عن المنهج الذی سلکه فی تفسیر القرآن الکریم، و یدقق علی أهمیة تلاقح المعرفة، بحیث یستند المفسر لکتاب اللّه فی قضایا العلم علی المختصین فی العلوم الکونیة و الطبیعیة، لیکون لکلامه وزن و ثقل و مصداقیة، و أن یواکب العلوم العصریة و مستجداتها و لا یرکن إلی ما قیل فی قضایا العلم قبل قرون ... یقول المراغی فی مقدمة تفسیره: (و قد سلکنا فی الوصول إلی فهم الآیات التی أشارت إلی بعض نظریات فی مختلف الفنون استطلاع آراء العارفین بها، فاستطلعنا آراء الطبیب النطاسی، و الفلکی العارف، و المؤرخ الثبت، و الحکیم البصیر لیدلی کل برأیه فیما تمهر فیه، لنعلم ما أثبته العلم و أنتجه الفکر، فیکون کلامنا معتزا بکرامة المعرفة التی تشرف بتفهم کتاب اللّه، فرجل الدین حامل لوائها علیه أن یسأل العلم دائما یستبصر بما ثبت لدیه، و یساير عصره ما وجد إلی ذلک سبیلا فإن قعدت به همته

(_____ ۱) السنة الضوئیة: (raey thgil) المسافة التی یقطعها الضوء خلال سنة. موجز فی تاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ، ص: ۲۰۸. (۲) انظر: الإسلام و قوانین الوجود، محمد جمال الفندی، ص: ۵۸- ۵۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۲۸ إلی الموروث من قضایاه لدی الماضین رکب شططا و ازداد بعدا عن الحقیقة، و تضاءل أمام نفسه و أمام قارئی بحوثه و مؤلفاته) «۱». و إذا ما أردنا أن نتبین التطبیق العملی لهذا المنهج فلنستعرض بعض الأمثلة التی أوردها فی تفسیره و کیف وازن بین آیات القرآن الکریم و بین مستجدات العلم. ففی تفسیره لقول اللّه تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ (۳) «۲». یقول المراغی: (وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ أی جعلها متسعة ممتدة فی الطول و العرض لتثبت علیها الأقدام، و یتقلب علیها الحیوان، و ینفع الناس بخیراتها و زرعها و ضرعها ... و لا شک أن الأرض لعظم سطحها هی فی رأی العین کذلک، و هذا لا یمنع کرویتها التی قد قامت علیها الأدلة لدی علماء الفلک، و لم یبق لدیهم فیها ریب ... ثم یقول: وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ أی و جعل فیها من کل أصناف الثمرات زوجین اثنین ذکرا أو أنثی حین تکونها، فقد أثبت العلم حدیثا أن الشجر و الزرع لا یولدان الثمر و الحب إلا من اثنین ذکر و أنثی، و عضو التذکیر قد یکون مع عضو التأنیث فی شجرة واحدة کأغلب الأشجار، و قد یکون عضو التذکیر فی شجرة و عضو التأنیث فی شجرة أخری کالنخل، ما کان العضوان فیه فی شجرة واحدة

إما أن يكونا معا فی زهرة واحدة كالقطن، و إما أن يكون كل منهما فی زهرة كالقرع مثلا) «۳». و فی بيانه تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (۳۸) «۴» يقول: (أی و الشمس تجری حول مركز مدارها الثابت الذی تسير حوله بحسب وضعها النجمی، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدّر بمائتی ميل فی الثانية، و هذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده ... ثم يقول: و علماء الفلك قديما جعلوا الكواكب مركوزة فی الأفلاك علی ما نراه فی كتبهم، فليس للكوكب أن يسبح من تلقاء نفسه، بل لا بد له من حامل يحمله و هو الذی يدور به و كيف يسبح ما لا حرية له، و لا قدرة له علی السير بل هو محمول علی غيره؟ هكذا كان الرأی عندهم، و لكن رأی

(_____۱) تفسير المراغی، أحمد مصطفی المراغی، ۱/ ۱۸. (۲) سورة الرعد، الآية: ۳. (۳) تفسير المراغی، أحمد مصطفی المراغی، ۳۱/ ۶۶. (۴) سورة يس، الآية: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۲۹ علماء الفلك المحدثين: أن جميع الكواكب تسير فی مدارات فی عالم الأثير فهی إذا كأنها سمك فی بحر لجی ... ثم يعقب قائلا: فاعجب أيها القارئ الكريم للقرآن كيف أثبت ما دل علی صحته الكشف الحديث، و دحض تلك الآراء التی كانت شائعة عصر التنزيل لدی علماء الفلك من اليونان و الهند و الصين) «۱». بعد هذه الجولة السريعة فی صفحات كتب المثبتين لقضية الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، من العلماء القدامی و المعاصرين، ننتقل فی المبحث الآتی لنتعرف علی أبرز المعارضين لتفسير القرآن علی أساس العلم من العلماء القدامی و المعاصرين.

(_____۱) تفسير المراغی، أحمد مصطفی المراغی، ۲۳/ ۱۰- ۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۳۰

المبحث الثالث أبرز المعارضين من العلماء القدامی و المعاصرين

اشارة

المبحث الثالث أبرز المعارضين من العلماء القدامی و المعاصرين إذا كان قد وجد من العلماء القدامی من دعا و تبنی قضية التفسير العلمی للقرآن، فإن من العلماء القدامی من قد عارض هذا الاتجاه و رده، و علی رأس هؤلاء العالم الأصولی الكبير، و الذی أخذ كتابه «الموافقات» شهرة كبيرة فی أوساط العلماء منذ قرون، إنه الإمام الشاطبی.

أولا- المعارضون من العلماء القدامی:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسی الغرناطی الشاطبی «۱»:

الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن موسی الغرناطی الشاطبی «۱»: عرض الإمام الشاطبی فی كتابه «الموافقات» لأمية الرسول، و أمية هذه الأمة، و ساق أدلة علی أمية هذه الأمة من القرآن الكريم و السنة المطهرة، و بما أننا أمة أمية فإن الشريعة التی نزلت فينا أمية كذلك؟ علی هذا الأساس كان منطلق رده لقضية التفسير العلمی للقرآن. يقول الإمام الشاطبی: (ما تقرر من أمية الشريعة و أنها جارية علی مذاهب أهلها و هم العرب ينبنی عليه قواعد: ۱- منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا فی الدعوی علی القرآن الحدّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين: من علوم الطبيعيات، و التعاليم و المنطق، و علم الحروف، و جميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون و أشباهها، و هذا إذا عرضناه علی ما تقدم لم يصح، و إلی هذا فإن السلف الصالح من الصحابة و التابعين و من يليهم كانوا

(_____۱) ...- ۷۹۰ ه ... ۱۳۸۸، إبراهيم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، أصولی حافظ، كان من أئمة المالكية، من مؤلفاته، أصول النحو، و الاعتصام بالسنة، و

الاتفاق فی علم الاشتقاق، و الموافقات فی أصول الشریعة، و غیرها. انظر: الأعلام للزرکلی، ۱/ ۷۵، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۱ أعرف بالقرآن و بعلومه و ما أودع فیه، و لم یبلغنا أنه تکلم أحد منهم فی شیء من هذا المدعی، سوی ما تقدم و ما ثبت فیه من أحکام التکالیف و أحکام الآخرة، و ما یلی ذلک، و لو کان لهم فی ذلک خوض و نظر، لبلغنا منه ما یدلّنا علی أصل المسألة؛ إلا أن ذلک لم یکن، فدل علی أنه غیر موجود عندهم، و ذلک دلیل علی أن القرآن لم یقصد فیه تقریر لشیء مما زعموا نعم، تضمن علوما هی من جنس علوم العرب، أو ما ینبنی علی معهودها مما یتعجب منه أولو الألباب، و لا تبلغه إدراکات العقول الراجحة دون الاهتداء بأعلامه، و الاستنارة بنوره، أما أن فیه ما لیس من ذلک فلا) «۱». ثم یشرع الشاطبی رحمة اللّه بذکر أدلة المجیزین لقضیة الإعجاز و یردها، فیقول: (و ربما استدلوا علی دعواهم بقوله تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ «۲» و قوله: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ «۳» و نحو ذلک، و بفواتح السور و هی مما لم یعهد عند العرب و بما نقل عن الناس فیها، و ربما حکی من ذلک عن علی بن أبی طالب رضی اللّه عنه و غیره أشیاء. فأما الآیات فالمراد بها عند المفسرین ما یتعلق بحال التکلیف و التعبد، أو المراد بالکتاب فی قوله تعالی: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ اللوح المحفوظ، و لم یذکروا فیها ما یقتضی تضمنه لجمیع العلوم النقلیة و العقلیة. و أما فواتح السور فقد تکلم الناس فیها بما یقتضی أن للعرب بها عهدا، کعدد الجمل الذی تعرفوه من أهل الکتاب، حسبما ذکره أصحاب السیر، أو هی من المتشابهات التی لا یعلم تأویلها إلا اللّه تعالی، و غیر ذلک. و أما تفسیرها بما لا عهد به فلا یکون، و لم یدّعه أحد ممن تقدم، فلا دلیل فیها علی ما ادّعوا و ما ینقل عن علیّ أو غیره فی هذا لا یثبت، فلیس بجائز أن یضاف إلی القرآن ما لا یقتضیه، کما أنه لا یصح أن ینکر منه ما یقتضیه، و یجب الاقتصار فی الاستعانة علی فهمه علی کل ما یضاف علمه إلی العرب خاصة، فبه یوصل إلی علم ما أودع من

(_____ ۱) الموافقات فی أصول الشریعة، إبراهیم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹، ۲/ ۳۸۹- ۳۹۰. (۲) سورة النحل، الآیة: ۹۸. (۳) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۲ الأحکام الشرعیة، فمن طلبه بغیر ما هو أداة له ضلّ عن فهمه، و تقوّل علی اللّه و رسوله فیه، و اللّه أعلم، و به التوفیق) «۱». (و منطق الشاطبی هنا منطق قوی، و أدلته لا مطعن فیها، إلا ما کان من اعتماده علی أمیة الشریعة، بناء علی أمیة الأمة، ذلک أن أمیة الأمة لیست أمرا مطلوبا و لا مرغوبا فیه، بل بعث اللّه رسوله فی الأمیین لیخرجهم من الأمیة إلی باحة العلم و النور کما قال تعالی: هُوَ الَّذِی بَعَثَ فِی الْأُمِّیِّینَ رَسُولًا مِنْهُمْ یَتْلُوا عَلَیْهِمْ آیاتِهِ وَ یُزَکِّیهِمْ وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَةَ وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ «۲» فهذه مهمة الرسول صلی اللّه علیه و سلم مع الأمیین: التلاوة و التزکیة و تعلیم الکتاب و الحکمة، و لا أعجب أن کانت الآیات الأولی من الوحی تنبئ بذلک اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ «۳» فالأمیة ممدوحة فی حقه صلی اللّه علیه و سلم لأنها أدل علی الإعجاز، و لیست ممدوحة فی حق الأمة، و علی الأمة أن تتحرر منها لتتعلم و تتفقه و تنظر فی ملکوت السموات و الأرض ...) «۴».

ثانیا- المعارضون من العلماء المعاصرین

۱- الشیخ محمود شلتوت «۵»:

۱- الشیخ محمود شلتوت «۵»: لم یخرج شیخ الأزهر محمود شلتوت عن الأطر التی رسمها الشاطبی لمعارضته، فها هو ذا یعلن معارضته الواضحة لتفسیر القرآن علی أساس العلم فی مقدمة تفسیره فیقول: (و أما الناحیة الثانیة: فإن طائفة أخری فهی طائفة المثقفین الذین أخذوا بواف من العلم الحدیث، و تلقنوا أو تلقفوا شیئا من النظریات العلمیة و الفلسفیة و غیرها،

(_____ ۱) الموافقات، إبراهیم بن موسی بن

محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، ۲/ ۳۹۰. (۲) سورة الجمعة، الآیة: ۲. (۳) سورة العلق، الآیة: ۱. (۴) کیف نتعامل مع القرآن العظیم، یوسف القرضاوی، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹، ص ۳۷۷- ۳۷۸. (۵) ۱۳۱۰- ۱۳۸۳ ه، ۱۸۹۳- ۱۹۶۳، محمود شلتوت، فقیه و مفسر ولد فی منیة بنی منصور فی البحیرة، و تخرج بالأزهر عام ۱۹۱۸ و کان داعیة إصلاح نیر الفکر، و من أعضاء کبار العلماء، و من أعضاء مجمع اللغة العربیة، ثم تعین شیخا للأزهر عام ۱۹۵۸، إلی وفاته، له ۲۶ مؤلفا مطبوعا منها: التفسیر، و حکم الشریعة، و القرآن و المرأة، و غیرها. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۷/ ۱۷۳، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۳ أخذوا یستندون إلی ثقافتهم الحدیثة، و یفسّرون آیات القرآن علی مقتضاها، نظروا فی القرآن فوجدوا اللّه سبحانه و تعالی یقول: وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا طائِرٍ یَطِیرُ بِجَناحَیْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثالُکُمْ ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلی رَبِّهِمْ یُحْشَرُونَ «۱» فتأولوها علی نحو زین لهم أن یفتحوا فی القرآن فتحا جدیدا، ففسروه علی أساس من النظریات العلمیة المستحدثة، و طبّقوا آیاته علی ما وقعوا علیه من قواعد العلوم الکونیة و ظنوا أنهم بذلک یخدمون القرآن، و یرفعون من شأن الإسلام، و یدعون له أبلغ دعایة فی الأوساط العلمیة و الثقافیة. نظروا فی القرآن علی هذا الأساس، فأفسد ذلک علیهم أمر علاقتهم بالقرآن، و أفضی بهم إلی صور من التفکیر لا یریدها القرآن، و لا تتفق مع الغرض الذی من أجله أنزله اللّه، فإذا مرت آیة فیها ذکر للمطر أو وصف للسحاب أو حدیث عن الرعد أو البرق تهللوا و استبشروا و قالوا: هذا هو القرآن یتحدث إلی العلماء الکونیین، و یصف لهم أحدث النظریات العلمیة عن المطر و السحاب و کیف ینشأ و کیف تسوقه الریاح، و إذا رأوا القرآن یذکر الجبال أو یتحدث عن النبات أو الحیوان و ما خلق اللّه من شیء قالوا: هذا حدیث القرآن عن علوم الطبیعة و أسرار الطبیعة، و إذا رأوه یتحدث عن الشمس و القمر و الکواکب و النجوم، قالوا: هذا حدیث یثبت لعلماء الهیئة و الفلکیین أن القرآن کتاب علمی دقیق ...) «۲». و بعد استعراضه بعض الآیات التی فسّرت تفسیرا علمیا یقول: (إن هؤلاء فی عصرنا الحدیث لمن بقایا قوم سافلین فکّروا مثل هذا التفکیر، و لکن علی حسب ما کانت توحی به إلیهم أحوال زمانهم فحاولوا أن یخضعوا القرآن لما کان عندهم من نظریات علمیة أو فلسفیة أو سیاسیة) «۳». ثم یبین جوانب الخطأ فی هذا الاتجاه فیقول: (هذه النظرة للقرآن خاطئة من غیر شک، لأن اللّه لم ینزل القرآن لیکون کتابا یتحدث فیه إلی الناس عن نظریات العلوم و دقائق الفنون و أنواع المعارف.

(۱) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. (۲) تفسیر القرآن الکریم، محمود شلتوت، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السادسة، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴، ص ۱۱. (۳) المصدر نفسه، ص: ۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۴ و هی خاطئة: من غیر شک لأنها تحمل أصحابها و المغرمین بها علی تأویل القرآن تأویلا متکلفا یتنافی مع الإعجاز و لا یسیغه الذوق السلیم. و هی خاطئة: لأنها تعرّض القرآن للدوران مع مسائل العلوم فی کل زمان و مکان، و العلوم لا تعرف الثبات و لا القرار و لا الرأی الأخیر، فقد یصح الیوم فی نظر العلم ما یصبح غدا من الخرافات. فلو طبقنا القرآن علی هذه المسائل العلمیة المتقلبة، لعرضناه للتقلب معها، و تحمل تبعات الخطأ فیها، و لأوقفنا أنفسنا بذلک موقفا حرجا فی الدفاع عنه. فلندع للقرآن عظمته و جلاله، و لنحفظ علیه قدسیته و مهابته، و لنعلم أن ما تضمنه من الإشارات إلی أسرار الخلق و ظواهر الطبیعة إنما هو لقصد الحث علی التأمل و البحث و النظر ...) «۱».

۲- سید قطب «۲»:

۲- سید قطب «۲»: موقف سید قطب رحمه اللّه تعالی هو نفس موقف الشاطبی و شلتوت، و لندع لقلمه البلیغ أن یعرب عما یعتقده فی هذا المجال، و سوف نقتبس رأیه من تفسیره «الظلال» عند تعلیقه علی آیة الأهلة یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ مَواقِیتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ وَ لَیْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَ لکِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقی وَ أْتُوا الْبُیُوتَ مِنْ أَبْوابِها وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ «۳». یقول: (القرآن قد جاء لما هو أکبر من تلک المعلومات الجزئیة، و لم یجیء لیکون کتاب علم فلکی أو کیماوی أو طبی کما یحاول بعض المتحمسین

لـه أن يلتمسـوا فيـه هـذه (_____ ۱) تفسير القرآن الكريم، محمود شلتوت، ص: ۱۲. (۲) ۱۳۲۴- ۱۳۸۷ ه، ۱۹۰۶- ۱۹۶۶، الشهيد سيد بن قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامى مصرى من مواليـد قريـة «موشا» فى أسـيوط، تخرج بكليـة دار العلوم بالقاهرة، و عمل فى جريـدة الأهرام، و كتب فى مجلتى الرسالة و الثقافة، أوفـد فى بعثـة لدراسة برامج التعليم فى أمريكا، ثم انضم إلى الإخوان المسـلمين، فترأس قسم نشـر الدعوة و تولى تحرير جريدتهم، و سجن معهم، فعكف على تأليف الكتب و نشـرها و هو فى سـجنه إلى أن صـدر الأمر بإعـدامه فأعدم، كتبه كثيرة و مطبوعة منها، النقد الأـدبى، و العدالـة الاجتماعيـة فى الإسـلام، و التصوير الفنى فى القرآن، و فى ظلال القرآن، و غيرها. انظر: الأعلام، للزركلى ۳/ ۱۴۸، بتصرف. (۳) سورة البقرة، الآيـة: ۱۸۹. الإعجـاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۱۳۵ العلوم، أو كمـا يحاول بعض الطاعنين فيه أن يتلمسوا مخالفاته لهذه العلوم، إن كلتا المحاولتين دليل على سوء الإدراك لطبيعة هذا الكتاب و وظيفته و مجال عمله، إن مجاله هو النفس الإنسانيـة و الحياة الإنسانيـة، و إن وظيفته أن ينشـئ تصورا عاما للوجود و ارتباطه بخالقه، و لوضع الإنسان فى هذا الوجود، و ارتباطه بربه، و أن يقيم على أساس هذا التصور نظاما للحياة يسـمح للإنسان أن يستخدم كل طاقاته، و من بينها طاقته العقلية التى تقوم هى بعد تنشئتها على استقامة، و إطلاق المجال لها لتعمل بالبحث العلمى فى الحدود المتاحة للإنسان و بالتجريب و التطبيق، و تصـل إلى ما تصل إليه من نتائـج ليست نهائيـة و لا مطلقـة بطبيعـة الحال، إن مادة القرآن التى يعمل فيها هى الإنسان ذاته، تصوره و اعتقاده و مشاعره و مفهوماته و سـلوكه و أعماله و روابطه و علاقاته، أما العلوم المادية و الإبداع فى عالم المادة بشتى وسائله و صنوفه فهى موكولـة إلى عقـل الإنسـان و تجـاربه و كشوفه و فروضه و نظريـاته، بمـا أنهـا أسـاس خلافته فى الأرض و بما أنه مهيأ لها بطبيعة تكـوينه، و القرآن يصـحح له فطرته كى لاـ تنحرف و لاـ تفسـد و يصـحح له النظـام الـذى يعيش فيه كى يسـمح له باسـتخدام طاقـاته الموهوبـة له، و يزوده بـالتصور العـام لطبيعـة الكون و ارتبـاطه بخـالقه و تنـاسق تكوينه، و طبيعـة العلاقـة القائمـة بين أجزائه، و هو أى «الإنسـان» أحـد أجزائه، ثم يـدع له أن يعمـل فى إدراك الجزئيـات و الانتفـاع بهـا فى خلافته، و لا يعطيه تفصـيلات لأن معرفـة هـذه التفصـيلات جزء من عمله الذاتى ... و إنى لأعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، و أن يحملوا عليه مـا لم يقصـد إليه، و أن يسـتخرجوا منه جزئيـات فى علوم الطب و الكيميـاء و الفلـك و مـا إليهـا، كأنمـا ليعظموه بهـذا و يكـبروه، إن القرآن كتـاب كامـل فى موضوعه، و موضوعه أضـخم من تلـك العلوم كلهـا، لأـنه هو الإنسـان ذاته الـذى يكشف هـذه المعلومـات و ينتفـع بهـا، و البحث و التجريب و التطبيق من خواص العقـل فى الإنسـان، و القرآن يعالـج بنـاء هـذا الإنسـان نفسه بنـاء شخصـيته و ضـميره و عقله و تفكيره، كما يعالـج بناء المجتمع الإنسانى الـذى يسـمح لهـذا الإنسان بأن يحسن اسـتخدام هذه الطاقات المـذخورة فيه، و بعـد أن يوجـد الإنسان السـليم التصور و التفكير و الشـعور و يوجـد المجتمع الذى يسـمح له بالنشاط، يتركه القرآن يبحث و يجرب و يخطئ و يصيب فى مجـال العلم و البحث و التجريب، و قـد ضـمن له مـوازين التصـور و التـدبر و التفكير الصـحيح كـذلك لاـ يجوز أن نعلق الحقائق النهائيـة التى يـذكرها القرآن أحيانا عن الكون فى طريقه لإنشاء التصور الصـحيح لطبيعـة الوجود و ارتبـاطه بخـالقه و طبيعـة التنـاسق بين الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحـديث، ص: ۱۳۶ أجزائه، لاـ يجوز أن نعلق هـذه الحقائق النهائيـة التى يذكرها القرآن بفروض العقل البشـرى و نظرياته و لا حتى بما يسـميه حقائق علمية مما ينتهى إليه بطريق التجربة القاطعـة فى نظره، إن الحقائق القرآنيـة حقائق نهائيـة قاطعـة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنسانى أيا كانت الأدوات المتاحة له فهى حقائق غير نهائية و لا قاطعة، و هى مقيدة بحدود تجاربه، و ظروف هذه التجارب و أدواتها، فمن الخطأ المنهجى بحكم المنهج العلمى الإنسـانى ذاته، أن نعلق الحقـائق النهائيـة القرآنيـة بحقـائق غير نهائيـة، و هى كل ما يصل إليه العلم البشـرى هـذا بالقياس إلى الحقائق العلميـة و الأمر أوضـح بالقياس إلى النظريات و الفروض التى تسـمى علميـة، و من هذه النظريات و الفروض كل النظريات الفلكية، و كـل النظريـات الخاصـة بنشـأة الإنسـان و أطواره، و كـل النظريـات الخاصـة بنفس الإنسـان و سـلوكه، و كـل النظريات الخاصـة بنشأة المجتمعـات و أطوارهـا، فهـذه كلهـا ليست حقـائق علميـة حتى بالقياس الإنسانى، و إنما هى نظريات و فروض كل قيمتها أنها تصـلح

لتفسیر أکبر قدر من الظواهر الکونیة أو الحیویة أو النفسیة أو الاجتماعیة إلی أن یظهر فرض آخر یفسّر قدرا أکبر من الظواهر أو یفسر تلک الظواهر تفسیرا أدق، و من ثم فهی قابلة دائما للتغییر و التعدیل و النقص و الإضافة؛ بل قابلة لأن تنقلب رأسا علی عقب بظهور أداة کشف جدیدة أو بتفسیر جدید لمجموعة الملاحظات القدیمة و کل محاولة لتعلیق الإشارات القرآنیة العامة بما یصل إلیه العلم من نظریات متجددة متغیرة أو حتی بحقائق علمیة، لیست مطلقة کما أسلفنا تحتوی أولا علی خطأ منهجی أساسی کما أنها تنطوی علی معان ثلاثة کلها لا یلیق بجلال القرآن الکریم. الأولی هی: الهزیمة الداخلیة التی تخیل لبعض الناس أن العلم هو المهیمن و القرآن تابع، و من هنا یحاولون تثبیت القرآن بالعلم أو الاستدلال له من العلم علی حین أن القرآن کتاب کامل فی موضوعه و نهائی فی حقائقه و العلم ما یزال فی موضوعه ینقض الیوم ما أثبته بالأمس، و کل ما یصل إلیه غیر نهائی، و لا مطلق، لأنه مقید بوسط الإنسان و عقله و أدواته، و کلها لیس من طبیعتها أن تعطی حقیقة واحدة نهائیة مطلقة. و الثانیة: سوء فهم طبیعة القرآن و وظیفته، و هی أنه حقیقة نهائیة مطلقة، تعالج بناء الإنسان بناء یتفق بقدر ما تسمح طبیعة الإنسان النسبیة مع طبیعة هذا الوجود و ناموسه الإلهی، حتی لا یصطدم الإنسان بالکون من حوله، بل یصادقه و یعرف بعض أسراره و یستخدم بعض نوامیسه فی خلافته، نوامیسه التی تکشف له بالنظر و البحث و التجریب الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۷ و التطبیق وفق ما یهدیه إلیه عقله الموهوب له لیعمل لا- لیتسلم المعلومات المادیة جاهزة. و الثالثة هی: التأویل المستمر مع التمحل و التکلف لنصوص القرآن کی نحملها و نلهث بها وراء الفروض و النظریات التی لا- تثبت و لا- تستقر و کل یوم یجد فیها جدید، و کل أولئک لا یتفق و جلال القرآن کما أنه یحتوی علی خطأ منهجی کما أسلفنا ...) «۱».

۳- محمد عبد العظیم الزرقانی «۲»:

۳- محمد عبد العظیم الزرقانی «۲»: عقد الشیخ الزرقانی فی کتابه القیّم «مناهل العرفان فی علوم القرآن» بابا بعنوان: موقف القرآن من العلوم الکونیة، و فیه یعلن معارضته للتفسیر العلمی للقرآن الکریم، یقول: (موقف القرآن من العلوم الکونیة ... و معنی هذا أن القرآن روعیت فیه بالنسبة إلی العلوم الکونیة اعتبارات خمسة لا یصدر مثلها عن مخلوق، فضلا عن رجل أمی نشأ فی الأمیین و هو محمد صلی اللّه علیه و سلم. أولها: أنه لم یجعل تلک العلوم الکونیة من موضوعه، و ذلک لأنها خاضعة لقانون النشوء و الارتقاء و فی تفاصیلها من الدقة و الخفاء ما یعلو علی أفهام العامة، ثم إن أمرها بعد ذلک هین بإزاء ما یقصده القرآن من إنقاذ الإنسانیة العاثرة و هدایة الثقلین إلی سعادة الدنیا و الآخرة، فالقرآن کما أسلفنا فی المبحث الأول کتاب هدایة و إعجاز، و علی هذا فلا یلیق أن نتجاوز به حدود الهدایة و الإعجاز حتی إذا ذکر فیه شیء من الکونیات فإنما ذلک للهدایة و دلالة الخلق علی الخالق، و لا یقصد القرآن مطلقا من ذکر هذه الکونیات أن یشرح حقیقة علمیة فی الهیئة و الفلک أو الطبیعة و الکیمیاء، و لا أن یحل مسألة حسابیة أو معادلة جبریة أو نظریة هندسیة، و لا أن یزید فی علم الطب بابا و لا فی علم التشریح فصلا، و لا أن یتحدث عن علم الحیوان أو النبات أو طبقات الأرض إلی غیر ذلک (_____ ... ۱)

فی ظلال القرآن، سید قطب، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الخامسة و العشرون، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶، ۱/ ۱۸۰- ۱۸۲. (۲) ...- ۱۳۶۷ ه ...- ۱۹۴۸ ه، محمد عبد العظیم الزرقانی، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بکلیة أصول الدین، و عمل بها مدرسا لعلوم القرآن و الحدیث، و توفی بالقاهرة، من أشهر کتبه، مناهل العرفان فی علوم القرآن. انظر: الأعلام، للزرکلی، ۶/ ۲۱۰، بتصرف. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۸ و لکن بعض الباحثین طاب لهم أن یتوسّعوا فی علوم القرآن و معارفه، فنظموا فی سلکها ما بدا لهم من علوم الکون، و هم فی ذلک مخطئون و مسرفون، و إن کانت نیتهم حسنة و شعورهم نبیلا، و لکن النیة و الشعور مهما حسنا لا یسوغان أن یحکی الإنسان غیر الواقع، و یحمل کتاب اللّه علی ما لیس من وظیفته ... إن وظیفته فی هدایة العالم أسمی وظیفة فی الوجود، و مهمته فی إنقاذ الإنسانیة أعلی مهمة فی الحیاة، و ما العلوم الکونیة بإزاء الهدایات القرآنیة؟ أ لیس العالم الآن یشقی بهذه

العلوم و یخترب و ینتحر؟ ثم أ لیست العلوم الکونیة هی التی ترمی الناس فی هذه الأیام بالمنایا و تقذفهم بالحمم و تظهر لهم علی أشکال مخیفة مزعجة من مدافع رشاشة و دبابات فتاکة و طائرات أزازة و قنابل مهلکة و غازات محرقة و مدمرات فی البر و البحر و فی الهواء و الماء؟ و ما أشبه هذه العلوم للإنسان بعد تجرده من هدی اللّه و وحی السماء بالأنیاب و المخالب للوحوش الضاریة و السباع الواغلة فی أدیم الغبراء. ثانیها: أن القرآن دعا إلی هذه العلوم ما دعا إلیه من البحث و النظر و الانتفاع بما فی الکون من نعم و عبر، قال اللّه سبحانه و تعالی: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ «۱»، و قال جل شأنه: وَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی السَّماواتِ وَ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً مِنْهُ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ «۲». ثالثها: أن القرآن حین عرض لهذه الکونیات أشعرنا أنها مربوبة له تعالی و مقهورة لمراده، و نفی عنها ما علق بأذهان کثیر من الضالین الذین توهموها آلهة و هی مألوهة و زعموها ذات تأثیر و سلطان بینما هی خاضعة لقدرة اللّه و سلطانه ... رابعها: أن القرآن حین یعرض لآیة کونیة فی معرضة من معارض الهدایة، یتحدّث عنها حدیث المحیط بعلوم الکون، الخبیر بأسرار السموات و الأرض الذی لا تخفی علیه خافیة فی البر و البحر و لا- فی النجوم و الکواکب و لا- فی السحاب و الماء و لا فی الإنسان و الحیوان و النبات و الجماد، و ذلک هو الذی بهر بعض المشتغلین بالعلوم الکونیة و أوقع من أوقع منهم فی الإسراف، و اعتبار هذه العلوم من علوم القرآن. خامسها: أن الأسلوب الذی اختاره القرآن فی التعبیر عن آیات اللّه الکونیة، أسلوب بارع جمع بین البیان و الإجمال فی سمت واحد، بحیث یمر النظم القرآنی الکریم علی (_____ ۱) سورة یونس، الآیة: ۱۰۱. (۲) سورة الجاثیة، الآیة: ۱۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۳۹ سامعیه فی کل جیل و قبیل فإذا هو واضح فیما سبق له من دلالة الإنسان و هدایته إلی اللّه، ثم إذا هو مجمل التفاصیل یختلف الخلق فی معرفة تفاریعه و دقائقه باختلاف ما لدیهم من مواهب و مسائل و علوم و فنون ...) «۱». ثم یعقب قائلا: (و لا أحب أن نتوسع فی هذا، فبین أیدینا أمثلة کثیرة و مؤلفات جمة تموج و تضطرب باستنباط علوم الکون من القرآن أو بتفسیر القرآن و شرحه بعلوم الکون و أحداثها، فیما أعلم کتاب تحت الطبع الآن ألفه شاب فاضل مثقف و سماه بین القرآن و العلم و ضمنه شتیتا من الأبحاث المختلفة فی الاجتماع و علم النفس و علم الوارثة و الزراعة و التغذیة و فیما وراء الطبیعة، مما لا یتسع المقام لذکره، و مما لا نری حاجة إلیه خصوصا بعد أن تبین لنا أن العلوم الکونیة خاضعة لطبیعة الجزر و المد، و أن أبحاثا کثیرة منها لا تزال قلقة حائرة بین إثبات و نفی، فما قاله علماء الهیئة بالأمس ینقضه علماء الهیئة الیوم، و ما قرره علماء الطبیعة فی الماضی یقرر غیره علماء الطبیعة فی الحاضر، و ما أثبته المؤرخون قدیما ینفیه المؤرخون حدیثا، و ما أنکره الملحدون و أسرفوا فی إنکاره باسم العلم أصبحوا یثبتونه و یسرفون فی إثباته باسم العلم أیضا، إلی غیر ذلک مما زعزع ثقتنا بما یسمونه العلم، و مما جعلنا لا نطمئن إلی کل ما قرروه باسم هذا العلم ... ثم هل یلیق بعد ذلک کله أن نحاکم القرآن إلی هذه العلوم المادیة القلقة الحائرة، بینما القرآن هو تلک الحقائق الإلهیة العلویة القارة الثابتة المتنزلة من أفق الحق الأعلی الذی یعلم السر و أخفی، ألا إن القرآن لا یفر من وجه العلم، و لکنه یهفو إلی العلم و یدعو إلیه و یقیم بناءه علیه، فأثبتوا العلم أولا و وفروا له الثقة و حققوه ثم اطلبوه فی القرآن، فإنکم لا شک یومئذ واجدوه، و لیس من الحکمة و لا الإنصاف فی شیء أن نحاکم المعارف العلیا إلی المعارف الدنیا، و لا أن نحبس القرآن فی هذا القفص الضیق الذی انحبست فیه طائفة مخدوعة من البشر، بل الواجب أن نتحرّر من أغلال هذه المادة المظلمة، و أن نطیر فی سماوات القرآن حیث نستشرف المعارف النورانیة المطلقة، و الحقائق الإلهیة المشرقة ...) «۲».

۴- محمد رشید رضا:

۴- محمد رشید رضا: یعتبر محمد رشید رضا الناطق العام، و المدافع الأول عن أفکار شیخه محمد عبده، (_____ ۱) مناهل العرفان فی علوم القرآن،

للزرقانی، ۲/ ۲۵۷- ۲۵۸. (۲) مناهل العرفان فی علوم القرآن، عبد العظیم الزرقانی، ۲/ ۲۵۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۰ لکننا نجده هنا یخالفه و یأخذ بالملامة علی الذین یفسرون القرآن بالعلم، ففی مقدمة تفسیره یقول: (کان من سوء حظ المسلمین أن أکثر ما یکتب فی التفسیر یشغل قارئه عن هذه المقاصد العالیة، و الهدایة السامیة، فمنها ما یشغله عن القرآن بمباحث الإعراب و قواعد النحو، و نکت المعانی و مصطلحات البیان، و منها ما یصرفه عنه بجدل المتکلمین، و تخریجات الأصولیین، و استنباطات الفقهاء المقلدین، و تأویلات المتصوفین، و تعصب الفرق و المذاهب بعضها علی بعض، و بعضها یلفته عنه بکثرة الروایات، و ما مزجت به من خرافات الإسرائیلیات، و قد زاد الفخر الرازی، صارفا آخر عن القرآن هو ما یورده فی تفسیره من العلوم الریاضیة و الطبیعیة، و غیرها من العلوم الحادثة فی الملة علی ما کانت فی عهده کالهیئة الفلکیة الیونانیة و غیرها، و قلده بعض المعاصرین بإیراد مثل ذلک من علوم هذا العصر و فنونه الکثیرة الواسعة، فهو یذکر فیما یسمیه تفسیر الآیة فصولا طویلة بمناسبة کلمة مفردة، کالسماء و الأرض من علوم الفلک و النبات و الحیوان تصد قارئها عما أنزل اللّه لأجله القرآن) «۱». هذا هو رأی المعارضین للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، و سوف یتحدث المبحث القادم بعون اللّه عن أدلة الفریقین مع ذکر الترجیح.

(_____ ۱) تفسیر المنار، رشید رضا، ۱/ ۷.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۱

المبحث الرابع أدلة الفریقین

أولا- من أدلة المؤیدین للتفسیر العلمی:

أولا- من أدلة المؤیدین للتفسیر العلمی: استدل المؤیدون للتفسیر العلمی بأدلة کثیرة نذکر منها: ۱- الاستدلال بظاهر عموم بعض الآیات: کبیانه تعالی: ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ «۱» و قوله سبحانه و تعالی: وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ «۲» و قوله تعالی: أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها وَ زَیَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۳» و قوله سبحانه: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَ وَ لَمْ یَکْفِ بِرَبِّکَ أَنَّهُ عَلی کُلِّ شَیْءٍ شَهِیدٌ «۴»، و غیر ذلک من الآیات الداعیة إلی التفکر و التدبر فی خلق اللّه عز شأنه. ۲- الاستدلال بظاهر عموم بعض الأحادیث و الآثار: کحدیث أن رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم قال: «أنها ستکون فتنة» فقلت: ما المخرج منها یا رسول اللّه؟ قال: «کتاب اللّه فیه نبأ ما قبلکم، و خبر ما بعدکم و حکم ما بینکم، و هو الفصل لیس بالهزل، من ترکه من جبار قصمه اللّه، و من ابتغی الهدی فی غیره أضله اللّه، و هو حبل اللّه المتین، و هو الذکر الحکیم و هو الصراط المستقیم، هو الذی لا یزیغ به الأهواء و لا تلتبس به الألسنة، و لا یشبع منه العلماء، و لا یخلق عن کثرة الرد، و لا تنقضی عجائبه، هو الذی لم تنته الجن إذ سمعته حتی قالوا: إنا سمعنا قرآنا عجبا یهدی إلی

(_____ ۱) سورة الأنعام، الآیة: ۳۸. (۲) سورة النحل، الآیة: ۹۸. (۳) سورة ق، الآیة: ۶. (۴) سورة فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۲

الرشد فآمنا به، من قال به صدق، و من عمل به أجر، و من حکم به عدل، و من دعا إلیه هدی إلی صراط مستقیم خذها إلیک یا أعور» «۱». ۳- (و قالوا: إن اللّه سبحانه و تعالی ملأ کتابه من الاستدلال علی العلم و القدرة و الحکمة بأحوال السموات و الأرض، و تعاقب اللیل و النهار، و کیفیة الضیاء و الظلام، و أحوال الشمس و القمر و النجوم، و ذکر هذه الأمور فی أکثر السور و کررها و أعادها مرة بعد أخری، فلو لم یکن البحث عنها و التأمل فی أحوالهم جائزا لما ملأ اللّه کتابه منها. ۴- أن العلم الحدیث قد یکون ضروریا لفهم بعض المعانی القرآنیة، و لیس هناک ما یمنع من أن یکون فهم بعض الآیات فهما دقیقا متوقفا علی تقدم بعض العلوم، فتکون الحقیقة العلمیة من قواعد الترجیح فی التفسیر إذا کان للآیة أکثر من معنی، فیتعین أن یؤخذ بالمعنی الذی تؤیده الحقائق

العلمیة. ۵- تحقق فوائد کثیرة و منافع کبیرة من التفسیر العلمی منها: أ- إدراک وجوه جدیدة للإعجاز فی القرآن الکریم بإثبات التوافق بین حقائق القرآن الکریم و حقائق العلم. ب- استمالة غیر المسلمین إلی الإسلام و إقناعهم به ببیان إعجاز القرآن العلمی، و إقامة الحجة علیهم بذلک. ج- امتلاء النفوس إیمانا بعظمة اللّه عز و جلّ و عظیم سلطانه و قدرته، بعد الوقوف علی أسرار الکون التی کشفها القرآن) «۲».

ثانیا- من أدلة المعارضین للتفسیر العلمی

ثانیا- من أدلة المعارضین للتفسیر العلمی (و استدل المعارضون للتفسیر العلمی بأدلة منها: ۱- أن للتفسیر شروطا و قیودا قررها العلماء ینبغی الالتزام بها، فلا یکون تفسیر القرآن مباحا لکل من حصّل علما من العلوم و غابت عنه علوم أخری لا بد منها للمفسر، و من ذلک عدم تحمیل ألفاظ القرآن معان و إطلاقات لم توضع لها و لم تستعمل فیها. (_____ ۱) رواه الترمذی، ۵ / ۱۷۲، رقم: (۲۹۰۶)، و قال: هذا حدیث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، و إسناده مجهول، و رواه الدارمی، ۲/ ۵۲۶ رقم: (۳۳۳۱). (۲) انظر: دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد بن عبد الرحمن الرومی، ص ۲۹۱- ۲۹۲، و انظر: التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۰۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۳ ۲- أن القرآن الکریم کتاب هدایة و إرشاد و لیس بکتاب تفصیل لمسائل العلوم و نظریاته و دقائق الاکتشافات و المعارف، و من طلب ذلک من القرآن فقد أساء فهم طبیعة هذا القرآن و وظیفته. ۳- أن التفسیر العلمی مدعاة إلی الزلل لدی أکثر الذین خاضوا فیه من المعارضین، لأن عملیة التوفیق تفترض غالبا محاولة للجمع بین موقفین یتوهم أنهما متعادیان و لا عداء، أو یظن أنهما متلاقیان و لا لقاء. ۴- أن تناول القرآن بهذا المنهج یضطر المفسر إلی مجاوزة الحدود التی تحتملها ألفاظ النص القرآنی لأنه یحس بالضرورة متابعة العلم فی مجالاته المختلفة، فیتعجّل تلمّس المطابقة بین القرآن و العلم تعجلا غیر مشروع. ۵- أن ما یکشف من علوم إنما هو نظریات و فروض قابلة دائما للتغیر و التبدیل و التعدیل و النقض و الإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسا علی عقب و من ثم فلا یصح أن تعلّق الحقائق القرآنیة النهائیة بمثل تلک النظریات حتی نقف محرجین عند ثبوت بطلان تلک النظریة) «۱». هذه هی أدلة المؤیّدین و المعارضین، و من خلال ما ثار بین الفریقین من مدّ و جزر، و أخذ ورد، و نفی و إثبات، یتّضح لنا أن الجمیع یرید أن یثبت أن القرآن الکریم هو کلام اللّه المنزّه عن النقص و التناقض، و أنه منزل من عند اللّه سبحانه و تعالی ...

الترجیح:

الترجیح: بعد التأمل فی وجهة نظر الفریقین و الوقوف علی ما أوجزنا من أدلتهم، یمکن لنا أن نخلص إلی نتیجة فنقول: دراسة الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم لا تقتصر علی الجانب البلاغی و البیانی منه فهو تحدّی العرب إبان نزوله و هم أصحاب الفصاحة و فرسان البلاغة، و طالبهم بأن یأتوا بسورة من مثله فعجزوا و فشلوا ... و القرآن خاطب الإنسانیة جمعاء لأنه منزّل علیها کلها علی اختلاف الألسنة و اللغات، و أمرها بإعلان الدینونة و الولاء له، و لذلک کان لزاما أن نبرز جوانب الإعجاز فی القرآن لکل البشر، و نوضح لهم أسرار القرآن فی الکون و الحیاة، و لکی یتحقق ذلک فإننا نری أن اللّه قد وضع فی القرآن آیات علمیة کونیة یتضح الإعجاز فیها فی کل عصر من العصور (_____ ... ۱) دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد الرومی، ص: ۲۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۴ و خلال عرضنا لنواحی الإعجاز فی القرآن الکریم، ننبه إلی أن عملنا هذا لا یهدف إلی إبراز الحقائق العلمیة الکونیة، و من ثمّ للتدلیل بها علی إثبات مصداقیة القرآن الکریم، و أنه تنزیل الحکیم العلیم، فکتاب اللّه لا یدلل بشیء فی الوجود علی صحته، لأن کل حرف فیه ناطق علی

أنه منزل من لدن حكيم خبير، إنما سيكون عملنا شرحا و تفصيلا لآيات القرآن الكريم، فكما أن المفسرين القدامى فسروا القرآن على ضوء اللغة، أو ما أثر عن الرسول صلى اللّه عليه و سلم و أصحابه الكرام و التابعين، فكذلك نحن نفسر الآيات العلمية بما يتناسب معها و ينسجم مع منطوقها أعنى الكشوفات العلمية، و هذا المنهج لا يلوى أعناق الآيات و يخضعها لحقائق العلم، و لا يحمّل النص القرآنى ما لا يحتمل، و بالمقابل فإنه لا يحاول إقحام المعارف الكونية إقحاما قسريا لشرح آية من كتاب اللّه، معاذ اللّه، لا هذا و لا ذاك، إنما يعتمد هذا المنهج على وضوح الحقيقة العلمية و ثباتها و عند ما نقول: «ثباتها» أى إنها غير قابلة للتغيير أو التبديل، آنذاك نعرض من القرآن ما قد قرره فى هذا الصدد و أثبته فتظهر المعجزة، من ذلك: حداثة الكون و خلقه، إنها حقيقة علمية غير قابلة للتبديل، فلم يعد هناك بعد الكشوفات العلمية أحد يقول بأزلية الكون، إن حداثة الكون أصبحت حقيقة واضحة قطعية، آنذاك و قبل ذلك ندلل على هذه الحقيقة بآيات القرآن الكريم التى يتحدث فيها الخالق على خلق الكون من العدم و إيجاده، و من ذلك دوران الأرض، و انشقاق القمر، و ارتباط وجود الماء بالجبال الشامخات ... الخ، فكل هذه و غيرها كثير، حقائق ارتقت إلى مستوى القطعية و الثبات. و أيضا فإن مما تجدر الإشارة إليه هنا هو أن القرآن الكريم كتاب هداية و نور، و ليس كتاب علوم كونية، فاللّه سبحانه و تعالى جعل الهداية التامة و الحق المبين بين دفّتى القرآن الكريم الذى أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، و من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، و من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة، و من جور العباد إلى عدل الإسلام، و من وهدة الفجور و مستنقعات المعاصى إلى اليقين و الهدى، قال تعالى الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ «۱» و قال تعالى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ

(_____ ۱) سورة إبراهيم، الآية: ۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴۵

الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً «۱» و قال اللّه تبارك و تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ «۲» فالله سبحانه و تعالى جعل القرآن الكريم نورا للقلوب و حياة للنفوس و ضبطا للسلوك و دستورا للمجتمعات، قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ «۳». و منهج الهداية الربانية فى القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية و التهذيب و التقويم و الإصلاح، و هذه الآيات التى تتحدث عن الوعد و الوعيد و الجنة و النار و الدنيا و الآخرة، و تلك التى تتحدث عن أخبار الأمم الغابرة، التى سادت ثم بادت بعد حين من الزمن، و أخرى تتحدّث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض و كيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال و الفناء، و تلك التى تنظّم حياة الفرد و تقوم سلوكه و تضبط معاملاته بضوابط الشرع و أحكامه البينات ... و منها ما فيه حديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم و الأسس التى ينبغى أن تسير وفقها الأمة الإسلامية فى معاملاتها مع غيرها ... و هكذا فإننا نجد أن القرآن الكريم حافل بموضوعات شتّى و متعددة كلها تصب فى النهاية فى بوتقة واحدة ألا و هى هداية الإنسان إلى الحق المبين. لكن مع هذه الهداية فى العقيدة و التشريع و الخلق و السلوك، نجد أن فى القرآن الكريم صنفا آخر من أصناف الهداية، ألا و هو وجود آيات كونية و حقائق علمية وضعها الحق عز و جلّ فى صفحات كتابه المجيد لتكون مؤشرا على عظمة الخالق و لتكون دليلا على أن هذا القرآن هو وحى السماء إلى الأرض و بذلك يزداد المؤمن إيمانا، و يتنبه غير المسلم إلى حقائقه العلمية التى سبقت ركاب العلم و أساطين المعرفة، فيخضع لسلطانها و ينقاد لصدقها فيعلن ولائه للّه سبحانه و تعالى، فالقرآن إذا ليس كتاب فلك و لا كتاب طب أو جيولوجيا ... لا، إنما هو كتاب هداية و نور، و ما الحقائق العلمية فى القرآن و الإشارات الكونية، إلا سبيلا من سبل الهداية، و مدخلا واسعا لرحاب الحق و رياض الإيمان. و من أهم ما ينبغى أن يسترعى انتباهنا و نحن ندعو إلى اللّه فى هذا الميدان، أن

(_____ ۱) سورة الإسراء، الآية: ۹. (۲) سورة النحل، الآية: ۸۹. (۳) سورة الأنفال، الآية: ۲۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۴۶ التفسير العلمى للآيات الكونية فى القرآن الكريم، إنما يخضع لتلك الضوابط و القيود التى نصّ عليها المفسرون و ستذكر فيما بعد. و أعجب فى هذا

الصدد لمن یحاول إنکار قضیة الإعجاز فی القرآن أو السنة و یرید أن یحصر الإسلام فی قضایا التشریع و المعاملات و الخلق ... و خلال التوصیف نقول لمثل هؤلاء الأحباب المخلصین: ثمة آیات کثیرة فی کتاب اللّه نجانب الصواب إن لم نفسرها علی أساس العلم، فعلی سبیل المثال، کیف لنا أن نفسّر قول اللّه تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». لما ذا نرفض أن تفسّر هذه الآیة طبق الواقع المناخی الذی یحدثنا بل و قد صوره لنا علماء المناخ و أرونا الجبال السائرة فی کبد السماء «جبال البرد» و صوّروا لنا السحب الرکامیة و طبقاتها. و کیف لنا أن نفسّر قول اللّه تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ «۲». لقد أثبت العلم صور الأمواج السطحیة و الأمواج الداخلیة و اقتران هذه الأمواج بالبحار التی تلیّدت سماؤها بالغیوم الکثیفة ... لما ذا لا نفسر هذه الآیة بالمعطیات العلمیة التی ارتقت إلی مستوی القطعیة و المشاهدة و الرؤیا؟! و هکذا فی سائر الآیات الکونیة التی اتضحت حقائقها العلمیة. و یلفت النظر إلی أن الذین عارضوا تفسیر القرآن علی أساس العلم، لو سألنا أحدهم أو لو رجعنا إلی تفاسیرهم و نظرنا فیها کیف یفسرون الآیات التی تتحدث عن مظاهر الکون و الحیاة و الإنسان؟ لمعرفة ذلک نفتح تفسیر «فی ظلال القرآن» لشهید الإسلام سید قطب رحمه اللّه، فمما هو معلوم أن سید قطب من المعارضین لقضیة الإعجاز العلمی کما مر معنا، فلقد سلک منهجا فی التفسیر حاول فیه التحفظ و الابتعاد عن الإعجاز

(_____ ۱) سورة النور، الآیة: ۴۳. (۲) سورة النور، الآیة: ۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۷ العلمی فی القرآن، لکننا نجده عند ما یفسر قول اللّه تعالی: فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً «۱» نجده یقول ما نصه: (و هنا یقف الإنسان مدهوشا أمام ما کشف عنه القرآن من حقیقة فی تکوین الجنین لم تعرف علی وجه الدقة إلا أخیرا بعد تقدم علم الأجنة التشریحی، ذلک أن خلایا العظام غیر خلایا اللحم، و قد ثبت أن خلایا العظام هی التی تتکون أولا فی الجنین، و هی الحقیقة التی یسجلها النص القرآنی فَکَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً فسبحان العلیم الخبیر) «۲». و کم وبخ محمد رشید رضا- کما رأینا- الذین یؤیّدون الإعجاز العلمی، و لو رجعنا إلی تفسیره فلسوف نجده مولعا بتفسیر الآیات تفسیرا علمیا!. ففی بیان الحق سبحانه تعالی: إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ فِی سِتَّةِ أَیَّامٍ ثُمَّ اسْتَوی عَلَی الْعَرْشِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ یَطْلُبُهُ حَثِیثاً وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبارَکَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِینَ «۳» یقول: (۱- إن المادة التی خلقت منها السموات و الأرض کانت دخانا، أی مثل الدخان. ۲- إن هذه المادة الدخانیة کانت واحدة فتق اللّه رتقها، أی فصل بعضها من بعض، فخلق منها هذه الأرض و السموات السبع العلی. ۳- إن خلق الأرض کان فی یومین، و تکون الیابسة و الجبال الرواسی فیهما، و مصادر القوت، و هی أنواع النبات و الحیوان فی یومین آخرین تتمة أربعة أیام. ۴- إن جمیع الأحیاء النباتیة و الحیوانیة خلقت من الماء. فیعلم من هذا أن الیوم الأول من أیام خلق الأرض هو الزمن الذی کانت فیه کالدخان حین فتقت من رتق المادة العامة التی خلق منها کل شیء مباشرة، أو غیر مباشرة، و إن الیوم الثانی هو الزمن الذی کانت فیه مائیة بعد أن کانت بخاریة أو دخانیة، و إن الیوم الثالث هو الزمن الذی تکونت فیه الیابسة، و نتأت منها الرواسی فتماسکت بها، و إن الیوم الرابع هو الزمن الذی ظهرت فیه أجناس الأحیاء من الماء و هی النبات و الحیوان، فهذه أزمنة الأطوار من الخلق قد تکون متداخلة و أما السماء العامة، و هی

(_____ ۱) سورة المؤمنون، الآیة: ۱۴. (۲) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۴/ ۲۴۵۹. (۳) سورة الأعراف، الآیة: ۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۸ العالم العلوی بالنسبة إلی أهل الأرض فقد سوی أجرامها من مادتها الدخانیة فی یومین أی: زمنین کالزمنین اللذین خلق منهما جرم الأرض. ثم یقول: هذا التفصیل الذی یؤخذ من مجموع الآیات یتفق مع المختار عند علماء الکون فی هذا العصر، من أن المادة التی خلقت منها هذه الأجرام السماویة، و هذه الأرض کانت کالدخان و یسمونها «السدیم» «۱» و کانت مادة واحدة رتقا، ثم انفصل بعضها

عن بعض، و یصورون ذلک تصویرا مستنبطا مما عرفوا من سنن الخلق، إذا صح کان بیانا لما أجمل فی الآیات، و إذا لم یصح کله أو بعضه لم یکن ناقصا لشیء منها، فهم یقولون: إن تلک المادة السدیمیة کانت مؤلفة من أجزاء دقیقة متحرکة، و أنها قد تجمع بعضها، و انجذب إلی بعض، بمقتضی سنة الجاذبیة العامة، فکان منها کرة عظیمة تدور علی محور نفسها، و أن شدة الحرکة أحدثت فیها اشتعالا فکانت ضیاء، أی نورا ذا حرارة، و هذه الکرة الأولی من عالمنا هی التی نسمیها الشمس، و یقولون أیضا: إن الکواکب الدراری التابعة لهذه الشمس فیما نشاهد من نظام عالمنا هذا قد انفتقت من رتقها، و انفصلت من جرمها و صارت تدور علی محاورها مثلها، و منها أرضنا هذه فقد کانت مشتعلة مثلها ... و بعد استطراد فی ذکر المسائل العلمیة یختم کلامه قائلا: کل ذلک تفصیل لخلق العوالم أطوارا بسنن ثابتة و تقدیر منظم لم یکن منه شیء جزافا، و قد أرشد الکتاب الحکیم إلی هذه الحقائق العامة الثابتة فی نفسها و إن لم یثبت کل ما قالوه من فروعها و مسائلها) «۲». إذا، یتحتّم علی الإنسان عند تفسیره لآیة کونیة أن یفسرها حسب ما یقتضیه حالها، و الجو القرآنی الذی سیقت فیه، و إلا فسیکون تفسیرها بعیدا عن هدفها و مقصدها ... إن هذه اللغة، لغة العلم هی الرابط المشترک بین الناس جمیعا، فلا یستطیع أحد أن ینکرها، و من أجل تحقیق أهداف الدعوة و نجاحها کان لا بد أن نسلک منهج العلم فی زمن العلم، و نخاطب الناس باللغة التی یفهمون و اللهجة التی یعرفون ...

(_____ ۱) السدم، kaluben، و هی عبارة عن لطع مضیئة منتشرة فی عدة أماکن من رقعة السماء علی شکل سحب، غازیة التکوین. انظر: الموسوعة الفلکیة، زینب منصور، عمان، الأهلیة للنشر، الطبعة الأولی، ۲۰۰۱، ص ۲۱، و انظر: المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، بیروت، دار الأمیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۴۱۱. (۲) تفسیر المنار، رشید رضا، ۸/ ۴۴۶- ۴۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۴۹ و إلی هنا نأتی إلی نهایة الحدیث عن الإعجاز القرآنی فی دراسته التاریخیة، و لسوف تکون الفصول القادمة مرکزة علی التطبیقات المعاصرة للإعجاز العلمی فی القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۱

الفصل الرابع الإعجاز القرآنی فی علم الفلک

تمهید

تمهید من أجلّ ما أقرّ به القاصی و الدانی، أن الإسلام دین یحترم العلم و یدعو إلیه، بل یفرض علی معتنقیه أن یتزوّدوا من العلوم النافعة التی تؤهلهم للکشف عن أسرار الکون و الحیاة، و الاستفادة من خیرات الأرض و ما حوت، و ذلک بدراسة العلوم الکونیة، فضلا عن العلوم الشرعیة التی تنور لهم سبل حیاتهم الدنیویة و الأخرویة، و لذلک کان لزاما علی أبناء الأمة أن یعرضوا الإسلام بصورته المضیئة التی تؤکد علی وجود مؤشرات قرآنیة واضحة، تنسجم مع حقائق العلم القطعیة التی یکتشفها العلماء، حتی یتبین للجمیع أن دیننا یدعم مواکبة المستجدات و یؤکدها، طبعا بشروط و ضوابط سترد فی ثنایا هذا الفصل. کما ستتناول مباحث هذا الفصل الحدیث عن تضافر أبحاث علماء الفلک و دراساتهم، حول نشأة الکون و مولده، و حول توسعه و نهایته، و ما أفرزته هذه الدراسات من المؤلفات سواء فی القدیم أو فی الحدیث، و لسنا بصدد استعراض الأفکار التی کانت سائدة لدی الأقوام الغابرة و نظرتهم للکون و الحیاة، و ما شاع بینهم من أساطیر حول الکون و ما حوی، و تشخیص ذلک من خلال مقاییس العلم و موازینه، و لا بتفنید ظاهرة التنجیم التی قد امتدّ سلطانها یومذاک علی تلک الشعوب و خاصة الوثنیة منها، التی کانت تدین بالولاء و الخضوع للکواکب و النجوم، و تربط عقیدتها و مصیرها ارتباطا وثیقا بالأجرام السماویة ... کذلک لن نتعرض إلی المجهود القیّم الذی بذله علماء الفلک فی العصور الوسطی دراسة أو نقدا و تعقیبا، إنما سنحاول الخوض فی علوم الفلک المعاصرة التی تطوّرت تطورا هائلا حتی فاقت معداتها و وسائلها و الاهتمام بها کل میادین الحیاة و مرافق العلم. و لنبدأ الحدیث عن مولد الکون و منشئه من خلال

الآیات القرآنیة الکثیرة، التی تضافرت ألفاظها و معانیها لترسم لنا الصورة الکونیة الأولی، ثم نصغی إلی أقوال الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۴ المفسرین حول هذه الآیات، و إلی دلالات الکلمات القرآنیة و أبعادها من خلال المعاجم، و من ثم نری ما ذا یطالعنا أصحاب العلوم الفلکیة البحتة عن المادة الأولی التی تشکل منها کوننا الواسع الرحیب؟ و ما ذا یحدثنا من امتدت أروقة علومهم فی آفاق السماء الشاسعة، و علی التحدید أولئک الذین یکتشفون أسرار الکون، و تتکشف لهم حقائقه یوما بعد یوم؟ کما سیبین هذا الفصل موضوع انتشار الکون و توسعه، و عن نهایته و فنائه بین معطیات القرآن و حقائق العلم، ثم نقف علی التوفیق و الربط بین الإشارة القرآنیة التی أصّلت الحقیقة المدروسة و سجلتها فی صفحات القرآن الکریم، لتکون بذلک سابقة لأساطین العلم و المعرفة منذ أکثر من أربعة عشر قرنا. إن القراءة الدقیقة فی کتب علماء الفلک هؤلاء تظهر کیف تحدثنا أقلامهم، و تخط فی صفحات کتبهم عظمة اللّه فی خلقه و کونه، و الدقة البالغة فی انسجام الکون و تناسق أجرامه، و النظام الباهر الذی سطع إماضه، و تألّق فی ملکوت اللّه، بعد جولة فی صفحات القرآن الکریم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۵

المبحث الأول بین الإسلام و العلم

اشارة

المبحث الأول بین الإسلام و العلم و یتناول فی هذا المبحث ثلاثة قضایا و هی:

أولا- الإسلام دین العلم

أولا- الإسلام دین العلم إن مما تمیز به الإسلام عن غیره من الشرائع السماویة، أنه توج رسالته بالعلم، و أول کلمة نزلت من السماء إلی الأرض و علی قلب النبی الکریم محمد بن عبد اللّه هی کلمة اقْرَأْ «۱»، فکانت تاجا وضعه الحق تبارک و تعالی فوق رأس هذه الأمة، فکان الإسلام بهذا مفرق الطریق، أو مفصلا فی تاریخ الإنسانیة، لظاهرة العلم التی برزت فیه و حرکة النشاط الفکری التی دفعت المجتمع البشری الذی نزل فیه الإسلام إلی الأمام فضلا عن مزایاه الأخری المتعددة. و المعیار الدقیق لکمال الإنسان أو نقصانه، بیّنه الحق عز و جلّ بقوله: قُلْ هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَ الَّذِینَ لا یَعْلَمُونَ «۲»، و أولی القرآن الکریم العلم و أهله مکانة سامیة بقوله: یَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِینَ آمَنُوا مِنْکُمْ وَ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ «۳». غیر أن الحق تبارک و تعالی وضع تصورا دقیقا و أساسا واضحا ینهض علیه العلم و تشاد علیه رکائزه، و أول هذه الرکائز، التدبر فی معرفة العلم الذی ستأخذه و ذلک عند ما قال وَ لا تَقْفُ ما لَیْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا «۴» و الاقتفاء هو التتبع و ما من أدوات الشمول و العموم، أی عموم ما لم تعلم حقیقته و تدرک کنهه و تتبصر فیه الغث من السمین لا تتبعه، و ما ذلک إلا لأن

(_____ ۱) سورة العلق، الآیة: ۱. (۲) سورة الزمر، الآیة: ۹. (۳) سورة المجادلة، الآیة: ۱۱. (۴) سورة الإسراء، الآیة: ۳۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۶ الأدوات التی تتحصّل من خلالها علی العلوم و المعارف ستسأل عنها یوم القیامة، کما قال تعالی: إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤادَ کُلُّ أُولئِکَ کانَ عَنْهُ مَسْؤُلًا و منهج القرآن متفرد فی هذا الصدد، لأنه یحث الناس علی اقتفاء العلم النافع و هجر ما لا ینفع، و من هنا کان یقول النبی الکریم صلی اللّه علیه و سلم: «اللهم إنی أعوذ بک من علم لا ینفع» «۱». و إذا کان الأمر کذلک، فإن الحق عز و جلّ لا یقبل إیمان عبد قد اکتسبه بوسیلة المحاکاة و التقلید للآباء و الأجداد، دون إدراک حقیقة الإیمان الذی ینبع من معین العلم و العقل و الطاقة المبصرة النیرة و الولاء المطلق لرسالة الإسلام، قال تعالی: وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ قالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَیْنا عَلَیْهِ آباءَنا أَ وَ لَوْ

كانَ آباؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَ لا يَهْتَدُونَ «۲». بل إن القرآن قد جعل الإيمان ثمرة من ثمرات العلم الحق، لأن الأصل فی الطريق إلی اللّه و إلی الإيمان هو العلم، قال تعالی: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ «۳» فالعلم قد تقدم علی التوحيد، لأن صاحب العلم الحق يقوده علمه إلی مراتع الإيمان و رياض التوحيد، أما العلم الذی يجعل صاحبه خاضعا لنزوات الحمأ المسنون لديه، و عقله تبعا لعصبياته و أهوائه، فإنه يوم القيامة من النادمين الذين يقرون و يعترفون أن بعدهم عن الإيمان فی الدنيا ما كان إلا لأنهم ما عقلوا سر الحياة و ما أدركوا قصة وجودهم فی الكون، و بالتالی غابت عنهم حقيقة العبودية للّه عز و جلّ، فأصبحوا أشبه ما يكونوا بالمجانين و فی ذلك يحكی القرآن عن هؤلاء فيقول سبحانه: وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ ما كُنَّا فِی أَصْحابِ السَّعِيرِ «۴» نعم لو أنهم سمعوا الهدی و انقادوا لمستلزماته، و أعملوا عقولهم و فكروا فيها لما تخبّطوا فی أوحال الشرك و دياجير الظلام. يقول ابن القيم: (إن كل ما سوی اللّه مفتقر إلی العلم، و لا قوام له بدونه، فإن الوجود وجودان وجود الخلق و وجود الأمر. و الخلق و الأمر مصدرهما علم الرب و حكمته، فكل ما ضمّه الوجود من خلقه و أمره (

---

۱) رواه مسلم، ۴/ ۲۰۸۸، رقم: (۲۷۲۲)، و رواه الحاكم فی المستدرك، ۱/ ۱۸۵، رقم: (۳۵۴). (۲) سورة البقرة، الآية: ۱۷۰. (۳) سورة محمد، الآية: ۱۹. (۴) سورة الملك، الآية: ۱۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۵۷ صادر عن علمه و حكمته، فما قامت السموات و الأرض و ما بينهما إلا بالعلم، و لا بعثت الرسل و أنزلت الكتب إلا بالعلم، و لا عبد اللّه وحده و حمد و أثنی عليه و مجّد إلا بالعلم، و لا عرف الحلال من الحرام إلا بالعلم، و لا عرف فضل الإسلام علی غيره إلا بالعلم) «۱». و من دأب القرآن الكريم أنه يربی المسلم و ينبه كل الناس علی دوام التفكير، و التبصر فی هذه المكونات التی زجّ الإنسان فی داخلها، فإذا ما حدّق الإنسان البصر و أجال النظر فی هذه المخلوقات و رأی الإبداع فی خلقها، و الدقة فی تناسقها، و التساوق فی ارتباطها، فإنه بلا أدنی شك سينطق بلسان حاله و مقاله: رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ «۲». و لما انقاد الرعيل الأول سلفنا الصالح لمقتضيات هذه الآيات، حفزهم إيمانهم باللّه للعلم و التعليم و العمل بما يتعلمون، و لذلك تجد فی تاريخ الإسلام المجيد قد برز كبار العلماء فی الكونيات و الطبيعة من علماء المسلمين و الفقهاء، و قدم هؤلاء للإنسانية العلوم النافعة فی الطب و الهندسة و الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات و الفلك ... و العالم فی الغرب و الشرق يعترف بفضلهم و ما قدموه كان سببا فی نهضة الغرب و حضارته. (و قد أثبت التقدم الفكری الحديث أن القرآن الكريم كتاب دعا إلی العلم دعوته إلی الدين، و أنه دعا صراحة إلی دراسة مختلف العلوم، و أنه حوی أصول هذه الدراسات فی مختلف قطاعات العلم و يبلغ عدد الآيات العلمية فی القرآن الكريم ما يقرب علی ۷۵۰ آية تشمل مختلف العلوم) «۳». (دين كهذا يكرم العلم و يحض علی التعلم و يدعو إلی معرفة الخالق عن طريق معرفة مخلوقاته كيف وجدت و كيف نشأت، لهو الصراط السوی حيث لا لبس و لا غموض بل دراسة و تعلم و بحث و تفكير ... ثم يقول: و منه يتضح أن الدين الإسلامی و العلم توأمان، و أن الدين لا يقف عقبة فی سبيل العلم بل يدعو إليه و يعتمد عليه، و يشجع علی (

---

۱) فضل العلم و العلماء، لابن قيم الجوزية، جمع و ترتيب صالح الشامی، بيروت، المكتب الإسلامی، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ ص ۳۵. (۲) سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱. (۳) القرآن الكريم أضواء علی الشرق و الغرب، محمد قبيسی، بيروت، مؤسسة الرحاب الحديثة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۶، ص ۱۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۵۸ البحث، و يرغب فی التعلم، بل و يجعل العلم هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة اللّه سبحانه و تعالی، و الوقوف علی عظمته و قدرته) «۱». ثم إن جمال الإسلام يكمن فی أنه حث علی العلم الذی ينفع البشرية، بغض النظر عن المعتقدات و الأديان، و هذه الحقيقة التی نفتخر بها، قد ذابت عند الغربيين و اضمحلت، ذلك أن ما توصلوا إليه من طغيان مادی و علم طبيعی أردی فی كثير من الأحيان بالبشرية إلی الخراب، فقد اخترع لهم علمهم القنابل النووية و الراجمات و الطائرات القاصفة و المدرعات و الدبابات، فكانت أداة للتدمير و التشريد و التقتيل و سفك الدماء البريئة، و هدم البنيان، فأصبح الطفل يقتل و هو رضيع فی حضن أمه و العجوز يذبح و أعين أولاده ترمقه، و مدن بأكملها تشطب معالمها من ساحة الوجود؟!.

ثانیا- الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوة

ثانیا- الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوة إن سبل الدعوة إلی اللّه متعددة و متنوعة، و سبب هذا التعدد أن لکل مقام مقالا ینسجم معه و یتوافق مع الجو الذی یجب أن تحقق فیه الدعوة أهدافها. و یظهر هذا الذی نقول من خلال المناهج التی سلکها الدعاة من رسل و غیرهم، عند ما قاموا بإعلان دعوة الحق و دحض الباطل و الضلال، و لقد سجّلها القرآن الکریم فی صفحاته لتکون الأسوة التی تحتذی، و القدوة التی یسیر وفق برنامجها کل من باع نفسه للّه و لدین اللّه. و لقد أیّد الحق تبارک و تعالی الرسل و الأنبیاء بالدلائل و البیانات التی تثبت صدق دعوتهم و أنهم مبعوثون من عند اللّه، کما أن هذه البیانات تنسجم مع البیئة و المحیط الذی ظهرت فیه، و هی تتناسب مع المستوی العقلی و العلمی لدی القوم الذین خوطبوا بها، قال اللّه تعالی: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَیِّناتِ «۲»، فبینة موسی کانت من جنس ما قد انتشر فی قومه ألا- و هو السحر، و بینة عیسی إبراء الأکمه و الأبرص و إحیاء الموتی بإذن اللّه، و ذلک لأن الطب کان من أبرز ما اشتهر به قوم عیسی علیه السّلام، فأثبت موسی صدق رسالته بمعجزته العصا، لما أبطل عمل السحرة، و أثبت عیسی صدق رسالته لمّا أحیا (_____ ۱) هذا خلق الله، عبد الحلیم کامل، القاهرة، المکتبة الأکادیمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴، ص ۱۵، (۲) سورة الحدید، الآیة: ۲۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۵۹ الموتی بإذن اللّه، و هذا ما عجز عنه قومه، إلا أن تلک المعجزات المادیة کانت حیاتها مرتبطة بحیاة أصحابها من الأنبیاء، فلما رحل الأنبیاء إلی دار القرار، ذهب وجه الإعجاز لتلک البینات من حیز الواقع المشاهد و المرئی، و لم یبق منها إلا النقول و الأخبار عبر کتب السماء. و بأذن الخالق جل جلاله بظهور المعجزة الخالدة القرآن الکریم، المعجزة المتجددة عبر الزمان، فلکل جیل من الأجیال نصیب وافر منها، و مهما تطورت العلوم المادیة و تجددت الاکتشافات العصریة، فإن إعجاز القرآن الکریم مواکب لهذه المستجدات، مبین أنه قد تحدث عن بعض حقائقها وقت نزوله و لم یکن أحد قد أدرکها بعد. (و نظرا لکون عصرنا الحاضر هو عصر العلم و (التکنولوجیا)، و أن لغة العصر الحالی هی لغة العلم، و لکون القرآن الکریم هو کتاب هدایة للناس کافة، و لیس مقتصرا علی العرب فقط أو الناطقین باللغة العربیة الذین یفهمون إعجازه اللغوی و البلاغی، فأصبح من اللازم علی المسلمین إظهار أوجه إعجازه المتعددة الأخری، و خاصة البرهان العلمی الذی أصبح أکثر وضوحا فی الوقت الحاضر نتیجة التقدم الحاصل فی العلم و «التکنولوجیا») «۱». کما أن (تقدیم الخطوط العریضة لشریعة الحیاة من أجل الإنسان، و ما ینضحان به أحیانا من بوارق من الإعجاز العلمی الباهر المتجدّد تجدد الحضارة و الإنسان هی عطایا من اللطیف الخبیر لتطمئن به نفوس المؤمنین و لترعوی نفوس المشککین، و لیتراجع عن غیّهم السادرون، و لیتقاصر غرور المفتونین بنتائج العلم الحدیث ... فالإعجاز القرآنی بکل أنواعه، و لا سیما العلمی منه، بوابة کبیرة مشرعة الأبواب لکل من یبصر الطریق العلمی القرآنی لولوج تلک الأبواب) «۲». إننا دخلنا فی القرن الواحد و العشرین، و نحن أمام إرث علمی هائل قد خلّفه لنا القرن الراحل فلقد ترک لنا ثروة علمیة أو ثورة علمیة عجیبة مدهشة، فهلّما جعلنا تدریس (_____ ۱) العلوم فی القرآن، محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۶. (۲) الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، سلیمان الطراونة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص ۱۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۰ الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم سبیلا من سبل الدعوة إلی اللّه، لا بل من أهم ما ینبغی أن یدرّس و یرکز علیه. إن الآیات الکونیة و العلمیة فی القرآن الکریم تنادینا و تستنهض هممنا و تقول لنا: یا أتباع محمد أنا المعجزة المادیة العلمیة فی عصر المادة، فلئن کان أجدادکم العرب و هم أصحاب الفصاحة و فرسان البلاغة قد ذهلوا عند سماعهم القرآن الکریم لما انطوی علیه من بلاغة و بیان و دقة، فخضعوا لسلطانه و استسلم أکثرهم لأوامره، فمتی یا مسلمون تبینون الجانب الکونی و العلمی فی آیات القرآن؟. فإلی کل

داع إلی اللّه، و إلی کل داعیة إلی الحق المبین، أن تکون دعوته قائمة علی دعائم و رکائز العلم و المعرفة، و أن یبرز الحقائق العلمیة التی قد سجلها القرآن و سبق أصحاب العلوم الذین یدعون أنهم هم أول من اکتشفها و تحدث عنها، عساهم أن ینصاعوا إلی الحق و الإیمان. إن المسئولیة تقع علی عاتق کل مسلم دون استثناء، و أخص منهم العلماء و الحکام، الذین ملکوا زمام أمور المسلمین، و أقول لهم: یا قادتنا إن أصحاب الباطل یروّجون لباطلهم فی اللیل و النهار و کبار رؤساء الدول الغربیة یدعمون حملات التنصیر و الاستشراق دعما باهظا لترویج بضاعة الصلیبیین و أباطیل الماسونیین ... فهلّا قمتم یا حکام العرب و المسلمین بتجهیز الدعاة إلی اللّه و إلی الحق، لعرض أوجه الإعجاز العلمی فی القرآن علی أساطین العلوم فی الغرب، و أن تعلنوا للغرب أن الإسلام لیس دین إرهاب و سفک للدماء، إنما هو دین العلم، دین متابعة التکشفات العلمیة و المستجدات العصریة لتقیموا الحجة و تثبتوا المعجزة؟ إذا کان أصحاب الباطل یدعون لباطلهم، فلما ذا نستحی من دعوتنا إلی الحق؟. إذا کانت وسائل الإعلام غربا قد شوّهت صورة الإسلام، و أقنعت أبناءها هناک أن المسلمین ما تخلفوا إلا بالإسلام، لأنه دین الحرب و التقتیل و الدمار، فأصبح الغربیون یعرضون عن الإسلام إعراض المشمئز الکاره له، فلما ذا لا- نقوم بتصحیح هذه الأفکار المغلوطة، و نبین لهم وجه الحق و الصواب؟ إذا کنا نحن ضعفاء بمقومات حیاتنا المادیة، و بصناعاتنا و إنتاجاتنا المحلیة، و کنا شعبا مستهلکا لما یصدره لنا الغرب فی شتی جوانب الحیاة، فإننا بحمد اللّه أقویاء فی عقیدتنا، أقویاء فی علومنا و معارفنا لکن هل من مبلّغ؟. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۱ إن توجّه الدعاة بهذه البضاعة النضرة المتألقة یعنی فتحا و انتصارا، و إن کل داعیة متسلح بهذه العلوم هو خیر من الأسلحة الثقیلة و أقوی من الصواریخ و الدبابات، و عرضنا لهذه الحقائق نبتغی من ورائه هدایة الناس خاصة أولئک الذین توغّلوا فی المادة فنسوا اللّه و الدار الآخرة، و هدایتهم تعنی إحیاءهم و بث روح الإیمان فی قلوبهم و عقولهم، فالإسلام هو دین الحیاة.

ثالثا- ضوابط التفسیر العلمی للقرآن

اشارة

ثالثا- ضوابط التفسیر العلمی للقرآن وضع العلماء قیودا و ضوابط لتفسیر القرآن علی أساس العلوم العصریة و هی:

۱- الاعتماد فی تفسیرنا العلمی علی الحقائق لا الفرضیات:

۱- الاعتماد فی تفسیرنا العلمی علی الحقائق لا الفرضیات: البعد فی تفسیرنا عن الفرضیات و التخمین و النظریات، لأن الفرضیات هی آراء یحاول أصحابها من الباحثین تفسیر ظاهرة شاهدوها فی مجال الطبیعیات و الکونیات و فی شتّی المیادین و کما هو معلوم أن أی فرض علمی قابل للصحة و البطلان أو التعدیل، و الحکم فی ذلک هو التجربة و الواقع و إذا ما انتقل الفرض إلی حیز النظریة فإنه لا یزال کذلک قابلا للأخذ و الرد، لکن عند ما یرقی إلی مستوی الحقیقة العلمیة و صعید الیقین الجازم یومذاک یکون تفسیرا قویا لآیات القرآن الکریم، و نحن لا نجیز تفسیر الآیات بالنظریات و الفرضیات، بل الدعامة العلمیة التی ننهض علیها هی تفسیر القرآن بحقائق العلم القطعیة، و ذلک توصیدا لباب الشک و الریب هنا، فکم من نظریة ذاع صیتها و راجت بین الناس ثم أهیل علیها التراب فیما بعد و طویت فی صفحات الزمن المنسی و أصبحت من الوهمیات. یقول الدکتور یوسف القرضاوی: (أن نستخدم من نتائج العلوم ما استقر عند أهله، و غدا حقیقة علمیة یرجع إلیها، و یعوّل علیها، و لا نعوّل علی الفرضیات و النظریات التی لم تثبت دعائمها حتی لا نعرض فهمنا للقرآن للتقلب مع هذه الفرضیات، فلیکن اعتمادنا علی الحقائق المقررة، و لا یقال: إن العلم لیس فیه حقائق ثابتة إلی الأبد، فکم من قضایا علمیة کانت یوما ما بل ظلت قرونا و قرونا حقائق مقدسة، ثم ذهبت قدسیتها العلمیة، و أثبت التطور العلمی عکسها، و هذا صحیح و معروف، و لکن حسبنا الثبات النسبی للحقائق، فهذا هو الذی فی مقدورنا بوصفنا بشرا، و قد قیل فی تعریف

التفسیر هو: بیان المراد من کلام اللّه بقدر الطاقة البشریة) «۱».

(_____ ۱) کیف نتعامل مع القرآن العظیم، یوسف القرضاوی، ص ۳۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۲

۲- عدم التعارض بین الحقیقة العلمیة و القرآن.

۲- عدم التعارض بین الحقیقة العلمیة و القرآن. و تجدر الإشارة هنا إلی أنه لا تعارض بین نصوص القرآن و الحقائق العلمیة، فإنه من المستحیل أن یتعارض نص قرآنی قطعی الدلالة مع حقیقة علمیة، لأن القرآن حق، و الحقیقة العلمیة حق و کلاهما مصدرهما واحد و هو الحق تبارک و تعالی القائل: أَ لا یَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ «۱». (و یستحیل التصادم بین الحقائق القرآنیة و بین الحقائق العلمیة لأنهما من مشکاة واحدة، و ینبغی أن یکون من المسلّمات فی أذهاننا أن الحقائق القرآنیة المتعلقة بأیّ جانب من جوانب الکون أو الإنسان و الحیوان و النبات إذا کانت قطعیة الدلالة لا یمکن أن تصادمها حقیقة علمیة توصل الجهد البشری إلیها بناء علی جهود المختصین خلال التاریخ الحضاری للبشریة) «۲». (إن الحقیقة العلمیة إن لم یکن فی القرآن ما یؤیدها فلیس فیه قطعا ما یعارضها، نعم قد یکون هناک خلاف بین القرآن و بین بعض النظریات العلمیة التی لم تبحث و لم تدرس بعد دراسة کاملة و علی ذلک فمن أراد أن یفهم من القرآن مبدءا علمیا فعلیه أن یتخصص فی ذلک العلم و یدرسه دراسة کاملة مستوفیة، ثم بعد ذلک یأتی للقرآن فیجده قد سبق البحث الحدیث و الحقائق العلمیة و أتی بالحقائق الرائعة التی لا تقبل شکا و لا جدلا، لأنه تنزیل الذی یعلم السر فی السموات و الأرض سبحانه) «۳».

۳- التمکن من علوم اللغة العربیة و علوم الآلة.

۳- التمکن من علوم اللغة العربیة و علوم الآلة. بحیث یکون تفسیرنا للآیات القرآنیة خاضعا لدلالات اللغة العربیة و قواعدها، و علم الصرف و أصول الاشتقاق، بالإضافة إلی علم البلاغة و أصول الفقه. (و أن یکون الباحث ملتزما بالمعانی اللغویة فی اللغة العربیة للآیات التی یرید إیضاح إشاراتها العلمیة، لأن القرآن عربی، کما أنه ینبغی أن یراعی التألیف بین الآیات و تناسبها و مؤاخاتها، فیربط بینها لتکون وحدة موضوعیة متکاملة) «۴».

(_____ ۱) سورة الملک، الآیة: ۱۴. (۲) مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، ص ۱۵۵. (۳) التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، ص ۱۱۹. (۴) أصول التفسیر و قواعده، خالد عبد الرحمن العک، ص ۲۲۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۳

۴- عدم حصر دلالة الآیة علی الحقیقة الواحدة.

۴- عدم حصر دلالة الآیة علی الحقیقة الواحدة. العالم الذی زوده اللّه بالعلوم الشرعیة أو الکونیة، مهما ارتقی فی سلم المعرفة و الاستنباط فینبغی أن یعلم أن هناک حدودا ینبغی أن یقف عندها، و أن الإحاطة بمراد کلام اللّه بشکل مطلق أمر محال فالباحث فی هذا المیدان یحاول توأمة الحقیقة العلمیة القاطعة بالآیة القرآنیة بوجه من الوجوه المترجمة و لا یکون جازما بأن مراد اللّه هذا الذی وصل إلیه. (و عند إحاطتنا بالدلالات اللغویة الحقیقیة و المجازیة و استعمالات العرب لها، إن وجدنا أن حقیقة علمیة تؤید إحدی هذه الدلالات، لا بأس عندئذ أن نرجح الدلالة التی أیدتها الحقیقة العلمیة علی أن لا نحکم بالبطلان و الفساد علی الدلالات الأخری للکلمة من جهة، و أن لا نحصر معنی الآیة علی الدلالة التی رجّحناها من جهة أخری، فقد تکون الحقیقة العلمیة التی رجحنا علی

ضوئها هذه الدلالة إحدى وجوه دلالات الآية، و ظلالها ممتدة إلى حقائق أخرى لم نتمكن من التوصل إليها حسب ثقافة عصرنا، إلا أن العلمى و الحضارى كفيل أن يميط اللثام لنا عن جوانب أخرى، فمثلا قوله تعالى: بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ «۱» كان إلى ما يقرب من مائة سنة ينظر إلى دلالة تسوية البنان نظرة تختلف عن نظرتنا لها الآن بعد معرفة قضية البصمات، إلا أننا لا نبطل كلام السلف فى معنى الآية، فالآية تدل على ما قالوه و ما فهموه ... و إن كان فهمنا الآن لدلالة الآية على ضوء معطيات العلم الحديث أعمق و أدل، و كذلك فإن شعورنا فى صنعة كلام الخالق سبحانه و تعالى و حكمته سليم و صحيح، و مع ذلك فإننا لا نستطيع أن نقول: إن معنى الآية هو هذا فحسب، و ليس بعد فهمنا لها فهم آخر، بل قد يكشف لنا المستقبل عن أسرار إلهية فى البنان فوق ما تصورناه و وصلت إليه مداركنا العصرية، و تبقى الآية الكريمة مجال بحث الباحثين، و استنباط المفكرين، و بصمة إعجاز على جبين العصور) «۲».

۵- أهمية التخصص العلمى:

۵- أهمية التخصص العلمى: من الأهمية بمكان أن يكون المتحدث فى قضايا الإعجاز من أهل الاختصاص، بحيث يكون متمكّنا من العلوم الشرعية و اللغوية، و كذلك متمكنا بأساسيات و أبجدية

(_____ ۱) سورة القيامة، الآية: ۴. (۲) مباحث فى إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص: ۱۵۴- ۱۵۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۶۴ العلوم الكونية و الطبيعية التى يفسر بها النصوص القرآنية، أو يكون معتمدا فيما يطرحه على مختصين فى كلا الميدانين، لكى لا يقع فى الزلل و التأرجح، و بسبب عدم الالتزام بهذا القيد فإن كثيرا ممن كتب و تحدث فى قضايا الإعجاز قد تعسف فى تفسيره للنص القرآنى، مما أدى للخروج عن مدلول النص و معناه، كما أنه يأتى بالحقيقة العلمية لكن بشكل معكوس لأنه غير مختص فى هذا المجال، مما دفع كثيرا من العلماء أن ينادوا بمنع هذا النمط من التفسير.

۶- القرآن الكريم كتاب هداية و نور.

۶- القرآن الكريم كتاب هداية و نور. و أيضا فإن مما تجدر الإشارة إليه أن القرآن الكريم كتاب هداية و نور، و ليس كتاب علوم كونية فحسب فالحق سبحانه و تعالى جعل الهداية التامة و الحق المبين بين دفّتى القرآن الكريم الذى أنزله ليخرج الناس به من الظلمات إلى النور، و من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، و من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة و من جور الأديان إلى عدل الإسلام، و من وهدة الفجور و مستنقعات المعاصى إلى اليقين و الهدى، قال تعالى: الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلى صِراطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ «۱» و قال تعالى: إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً «۲» فالله عز و جلّ جعل القرآن الكريم نورا للقلوب و حياة للنفوس و ضبطا للسلوك و دستورا للمجتمعات، قال اللّه تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ «۳». و منهج الهداية الربانية فى القرآن الكريم تبرز عند ما تتناول آياته المباركة نفس الإنسان بالتربية و التهذيب و التقويم و الإصلاح، و هذه الآيات التى تتحدّث عن الوعد و الوعيد و الجنة و النار و الدنيا و الآخرة، و تلك التى تتحدّث عن أخبار الأمم الغابرة، التى سادت ثم بادت بعد حين من الزمن، و أخرى تتحدث عن قصة وجود الإنسان فوق رحب هذه الأرض و كيف أنه لا محالة صائر إلى الزوال و الفناء، و تلك التى تنظم حياة الفرد و تقوم سلوكه و تضبط معاملاته بضوابط الشرع و أحكامه البينات ... و منها ما فيه حديث عن ارتباط الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم و الأسس التى ينبغى أن تسير وفقها (_____ ۱) سورة

إبراهیم، الآیة: ۱. (۲) سورة الإسراء، الآیة: ۹. (۳) سورة الأنفال، الآیة: ۲۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۵ الأمة الإسلامیة فی معاملاتها مع غیرها ... و هکذا فإننا نجد أن القرآن الکریم حافل بموضوعات شتی و متعدّدة، کلها تصب فی النهایة فی بوتقة واحدة ألا و هی هدایة الإنسان إلی الحق المبین، لکن مع هذه الهدایة فی العقیدة و التشریع و الخلق و السلوک، نجد أن فی القرآن الکریم صنفا آخر من أصناف الهدایة، ألا و هو وجود آیات کونیة و حقائق علمیة وضعها الحق جل جلاله فی صفحات کتابه المجید لتکون مؤشرا علی عظمة الخالق و لتکون دلیلا علی أن هذا القرآن هو وحی السماء إلی الأرض و بذلک یزداد المؤمن إیمانا، و یتنبه غیر المسلم إلی حقائقه العلمیة التی سبقت رکاب العلم و أساطین المعرفة، فیخضع لسلطانها و ینقاد لصدقها فیعلن ولائه للّه سبحانه و تعالی، فالقرآن إذا لیس کتاب فلک و لا- کتاب طب أو (جیولوجیا) ... لا، إنما هو کتاب هدایة و نور، و ما الحقائق العلمیة و الاشارات الکونیة إلا- سبیلا- من سبل الهدایة، و مدخلا واسعا لرحاب الحق و ریاض الإیمان. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۶

المبحث الثانی مولد الکون و نشأته بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الثانی مولد الکون و نشأته بین القرآن و العلم الآیات التی تتحدّث عن خلق الکون، و ما بث فی تضاعیفه من مکونات و مخلوقات کثیرة جدا کما أن هناک عددا لیس بالقلیل من هذه الآیات تسترعی انتباه الناس، و تدعوهم إلی التفکیر و التأمل فی خلق السموات و الأرض، و الدافع الحقیقی لهذا التأمل هو التعرف علی عظم هذه المخلوقات و أسرار خلقها، و عجائب تکوینها، و بالتالی الوقوف علی عظمة الخالق، و روعة إبداعه فی صنعه و خلقه یقول تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَوْا کَیْفَ یُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیدُهُ إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللَّهِ یَسِیرٌ «۱» و بقوله سبحانه و تعالی: قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ یُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ «۲» و یقول تعالی: قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما تُغْنِی الْآیاتُ وَ النُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا یُؤْمِنُونَ «۳». هذه الآیات و غیرها تأمرنا أن نستخدم مدرکاتنا، و وسائل الإدراک و النظر التی هی امتداد لمدرکاتنا، و ما منحنا اللّه من مستجدات تقنیة و علمیة لنتعرف علی قضیة الخلق، و مراحل الخلق و کیف بدأ الخلق و ما تنطوی علیه السموات و الأرض من عجائب الخلق و التدبیر، و السبیل الأوحد إلی ذلک هو ما أشار إلیه الحق قُلِ انْظُرُوا فبالنظر و التأمل و الاستدلال یتوصل الإنسان للکشف عن حقائق الخلق. و ما أجمل هذا الحث القرآنی علی دراسة الأرض و مکوناتها لنتعرف من خلال ذلک علی بدایة الخلق و علی النشأة الأولی للکون قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ فَانْظُرُوا کَیْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ یُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ «۴»، و هذا لا- یتنافی أبدا مع

(_____ ۱) سورة العنکبوت، الآیة: ۱۹. (۲) سورة العنکبوت، الآیة: ۲۰. (۳) سورة یونس، الآیة: ۱۰۱. (۴) سورة العنکبوت، الآیة: ۲۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۶۷ قوله تعالی: ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ لا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَ ما کُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّینَ عَضُداً «۱» لأن الحق هنا یقرر ضعفهم و تفرده فی الخلق و الإیجاد، و لکنه لا ینفی أبدا أن یفتش الإنسان عن المفردات العلمیة و الکونیة لیعلم ماهیة بدایة الخلق و التکوین. و لقد عرض لنا القرآن الکریم بدایة خلق الکون و المراحل التی مر بها عرضا بیانیا دقیقا، یصور کل طور من أطوار الخلق بوضوح و جلاء دون لبس أو غموض، و سوف نستعرض الآیات القرآنیة التی تتحدّث عن کل مرحلة، و نزیّلها بفهم علماء التفسیر و اللغة، ثم نحدّد معطیاتها، لنری مدی التوافق الدقیق بینها و بین ما وصل إلیه علماء الفلک و الکون فی عصرنا الحاضر.

مراحل الخلق

أولا- مرحلة الرتق و الفتق

أولا- مرحلة الرتق و الفتق يقول تعالى: أ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أ فَلا يُؤْمِنُونَ «۲». الآية هنا تسترعى انتباه العباد، و تخلق فيهم الباعث الذى يولد فى كينونتهم، و يثير فى ساحة الإدراك و التفكير لديهم حب الاستطلاع و الرغبة فى البحث و التنقيب عن سرّ انتقال هذا الكون العظيم من دنيا الفناء و عالم اللاشىء، إلى طور التخلق فالقرار ثم الحياة، ثم إن انبلاج هذا الكون من تلافيف العدم إلى حيّز الوجود و ميدان الإدراك، ليتطلّب من البشر أن يسخّروا ما أوتوا من قوة عقلية و علمية و مادية، فى سبيل التعرف على خلق هذا الكون، و الوقوف عند المادة الأم التى تشكل الكون منها بأسره. و الآية تشير إلى أن السموات و الأرض، أى الكون و ما بثّ فى أرجائه من نجوم و مجرات و كواكب و شموس و أقمار كان شيئا واحدا، كان مادة واحدة، كتلة واحدة ثم انشطرت هذه المادة و فتقت و تفجرت، فانفصلت السموات عن الأرض، و تباعدت أجزاؤها و أصبحت عالما عظيما مترامى الأطراف، بعيد المدى، واسع الرحاب، و قوله سبحانه و تعالى: كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما تعبير دقيق و مشهد رائع، يأخذ بالألباب (_____ ۱) سورة الكهف، الآية: ۵۱. (۲) سورة الأنبياء، الآية: ۳۰. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۶۸ و العواطف و الأحاسيس، لأنه يصور لنا المشهد الأول، و اللقطة الأولى من الكون ساعة الانفصال. و بجولة سريعة فى كتب المفسرين، يتكامل التصور الدقيق حول هذه المرحلة من خلال شرحهم لهذه الآية الكريمة و معطياتها. ففى «جامع البيان»: (يقول تعالى ذكره: أ و لم ينظر هؤلاء الذى كفروا بالله بأبصار قلوبهم فيروا بها، و يعلموا أن السموات و الأرض كانتا رتقا، يقول: ليس فيهما ثقب، بل كانتا ملتصقتين يقال منه: رتق فلان الفتق إذا شدّه، فهو يرتقه رتقا و رتوقا، و من ذلك قيل للمرأة التى فرجها ملتحم: رتقاء، و وحد الرّتق، و هو من صفة السماء و الأرض، و قد جاء بعد قوله تعالى: كانَتا لأنه مصدر، مثل قول الزّور و الصوم و الفطر، و قوله: وَ جَعَلْنا يقول: فصدعناهما و فرجناهما، ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف اللّه تعالى السموات و الأرض بالرتق، و كيف كان الرتق، و بأىّ معنى فتق؟ قال ابن عباس: كانتا ملتصقتين، فرفع السماء و وضع الأرض ... و كان الحسن و قتادة يقولان: كانتا جميعا ففصل اللّه بينهما بهذا الهواء، و قال آخرون: بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتتقة طبقة، ففتقها اللّه فجعلها سبع سماوات، و كذلك الأرض كانت كذلك مرتتقة، ففتقها فجعلها سبع أرضين) «۱». و فى تفسير «القرطبى»: (و قال: رَتْقاً و لم يقل رتقين، لأنه مصدر، و المعنى كانتا ذواتى رتق ... و الرتق السد ضد الفتق، و قد رتقت الفتق أرتقه فارتتق أى التأم، و منه الرتقاء للمنضمة الفرج، قال ابن عباس و غيره: يعنى أنها كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل اللّه بينهما بالهواء، و كذلك قال كعب: خلق اللّه السموات و الأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحا بوسطها ففتحها بها، و جعل السموات سبعا و الأرضين سبعا) «۲». و فى «الجلالين» (كانتا رتقا، سدّا بمعنى مسدودة: فَفَتَقْناهُما جعلنا السماء سبعا (_____ ۱) جامع البيان، للطبرى، ۱۷/ ۱۳. (۲) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن فرح القرطبى، تحقيق، أحمد عبد العليم البردونى، القاهرة، دار الشعب، الطبعة الثانية، ۱۳۷۲ ه ۱۱/ ۲۸۲، و انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ۵/ ۶۹۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۶۹ و الأرض سبعا و فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت، و فتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت) «۱». و فى «أضواء البيان» عدة أقوال منها: (الأول: أن معنى: رَتْقاً فَفَتَقْناهُما أى كانت السموات و الأرض متلاصقة بعضها مع بعض، ففتقها اللّه و فصل بين السموات و الأرض، فرفع السماء إلى مكانها، و أقر الأرض فى مكانها، و فصل بينهما بالهواء الذى بينهما كما ترى. القول الثانى: أن السموات السبع كانت رتقا، أى متلاصقة بعضها ببعض، ففتقها اللّه و جعلها سبع سماوات، كل اثنتين منها بينهما فصل، و الأرضون كذلك كانت رتقا ففتقها، و جعلها سبعا بعضها منفصل عن بعض) «۲». و نجد نفس المعانى فى تفسير «البيضاوى»: كانَتا رَتْقاً ذات رتق أو مرتوقتين، و هو الضم و الالتحام، أى كانتا شيئا واحدا و حقيقة متحدة، فَفَتَقْناهُما التنويع و التمييز، أو كانت السموات واحدة ففتقت

بالتحریکات المختلفة حتی صارت أفلاکا، و کانت الأرضون واحدة فجعلت باختلاف کیفیاتها و أحوالها طبقات أو أقالیم، و قیل کانَتا بحیث لا- فرجة بینهما ففرج) «۳». و قال الرازی: (الرتق فی اللغة: السد، یقال ارتتق الشیء فارتتق، و الفتق: الفصل بین الشیئین الملتصقین، و الرتق مصدر و المعنی کانتا ذواتی رتق ... و عن ابن عباس رضی اللّه عنه أن المعنی کانتا شیئا واحدا ملتزقتین، ففصل اللّه بینهما، و رفع السماء إلی حیث هی و أقرّ الأرض) «۴». یقول صاحب «الکشاف»: (أی کانتا رتقا، و معنی ذلک أن السماء کانت لاصقة (

۱) تفسیر الجلالین، محمد بن أحمد بن محمد المحلی و جلال الدین السیوطی، القاهرة، دار الحدیث، الطبعة الأولی، د. ت، ص ۴۲۹. (۲) أضواء البیان فی إیضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمین بن محمد المختار الشنقیطی، بیروت، عالم الکتاب، د. ت، ۴/ ۱۰۲. (۳) أنوار التنزیل، عبد الله بن عمر البیضاوی، تحقیق، عبد القادر عرفات، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۴/ ۹۰. (۴) التفسیر الکبیر، للرازی، ۱۱/ ۱۶۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۰ بالأرض لا فضاء بینهما، أو کانت فی القرآن الذی هو معجزة فی نفسه فقام مقام المرئی المشاهد، و أن تلاصق الأرض و السماء و تباینهما کلاهما جائز فی العقل) «۱». و لتوخّی الدقة و زیادة الضبط نفتح المعاجم اللغویة للتعرف علی معانی بعض الکلمات القرآنیة من حیث أصلها اللغوی و اشتقاقاتها، لیصبح وجه الاستدلال بها منسجما مع المقارنة الکونیة للآیة القرآنیة. یقول ابن منظور: کانَتا رَتْقاً (و الرتق ضد الفتق، و الرتق إلحام الفتق و إصلاحه) «۲». و فی «القاموس المحیط»: (الرتق ضد الفتق، ارتتق التأم السموات متلاصقات و کذلک الأرض لا فرج بینها ففتقها اللّه و فرّج بینها ... فإن قلت: متی رأوهما رتقا حتی جاء تقریرهم بذلک؟ قلت: فیه وجهان، أحدهما أنه وارد) «۳». و لربما یخطر فی البال هاهنا سؤال فیقول صاحبه: ما هی المادة التی تکونت الکتلة الکونیة الأولی التی تم رتقها و فتقها؟ هذا السؤال قد حیّر علماء الفلک و المتخصصین فی الفیزیاء الکونیة، فراحوا ینسجون تصورات نظریة حول هذه المادة و طبیعتها إلی أن اتفقوا علی أن أصل المادة عبارة عن سدم، لکننا نجد القرآن الکریم قد أجاب علی هذا السؤال بکل وضوح، و أشار إلی أن المادة الکونیة الأولی للکون إنما هی من «الدخان» کما قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ «۴» فالمادة التی تشکل منها کوننا العظیم إنما هی من الدخان. و لنا أن نستخلص مما سبق، و من خلال التصور القرآنی عن المرحلة الأولی لخلق الکون ما یلی: ۱- أن السموات و الأرض فی لحظة الخلق الأولی و بدایة النشأة، کانتا کتلة واحدة متلاصقة ثم انفصلت و توزعت. ۲- طبیعة هذه المادة التی تشکل الکون منها إنما هی الدخان.

(

۱) الکشاف، محمود بن عمر الزمخشری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۲/ ۵۷۰. (۲) لسان العرب، ابن منظور، ۵/ ۱۳۲. (۳) القاموس المحیط، الفیروزآبادی، ۳/ ۲۴۳. (۴) سورة فصلت، الآیة: ۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۱

ثانیا- مرحلة خلق السموات و الأرض

ثانیا- مرحلة خلق السموات و الأرض قال تعالی: قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ (۹) وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَةِ أَیَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِینَ (۱۰) ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ (۱۱) «۱». کان الحدیث فی الآیة الأولی عن طبیعة المادة الکونیة الأولی و ماهیتها، و کیف أنها کانت کتلة واحدة ثم انفصلت، أما هنا فالآیة تتحدث عن أطوار خلق السموات و الأرض، و المراحل التی اعترتها بعد عملیة انفصال المادة الأولی. و هذه الآیة الکریمة تقرر حقیقة کونیة ثابتة و قطعیة الدلالة و هی، أن الأرض بعد عملیة فتق الرتق خلقت أولا، ثم تمّ تشکیل السماء و بناؤها من الدخان، و هذا ما ذهب إلیه جمهور المفسرین، و لقد وقع فی الخطأ و الخلط من حاول أن یقدم مرحلة خلق السموات علی الأرض، بسبب رغبة شدیدة دفعته إلی توأمة هذا النص القرآنی مع التخمینات النظریة

التی تحدث عنها بعض الفلکیین، من أن السموات خلقت قبل الأرض، و هذا الکلام لا یستند إلی دلیل لا من النصوص القرآنیة و لا من المعطیات العلمیة الثابتة، و هذا ما سیوضح بعد إلقاء نظرة حول هذه الآیة فی کتب التفاسیر. ففی «أنوار التنزیل»: (قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ فی مقدار یومین، أو نوبتین، و خلق فی کل نوبة ما خلق فی أسرع ما یکون، و لعل المراد من الْأَرْضِ ما فی جهة السفل من الأجرام البسیطة و من خلقها فِی یَوْمَیْنِ أنه خلق لها أصلا مشترکا، ثم خلق لها صورا بها صارت أنواعا، ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ قصد نحوها من قولهم: استوی إلی مکان کذا إذا توجه إلیه توجها لا یلوی علی غیره، و الظاهر أن ثم تفاوت ما بین الخلقتین لا- للتراخی فی المدة لقوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها و دحوها متقدم علی خلق الجبال من فوقها: وَ هِیَ دُخانٌ أمر ظلمانی، و لعله أراد به مادتها أو الأجزاء المتصغرة التی کتب منها: فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا بما خلقت فیکما من التأثیر و التأثر و أبرزا ما أودعتکما من الأوضاع المختلفة و الکائنات المتنوعة، أو: أَتَیْنا فی الوجود علی أن الخلق السابق بمعنی التقدیر أو الترتیب للرتبة، أو الإخبار أو إتیان (_____ ۱) سورة فصلت، الآیات ۹- ۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۲ السماء حدوثها و إتیان الأرض أن تصیر مدحوة، و قد عرفت ما فیه أو لتأت کل منکما الأخری فی حدوث ما أرید تولیده منکما) «۱». و فی «روح المعانی»: (الکلام علی التقدیم و التأخیر و الأصل ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ إلخ، فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا إلخ، و هو أبعد عن القیل و القال، إلا أنه خلاف الظاهر، أو کوّنا و أحدثا علی وجه معین و فی وقت مقدّر لکل منکما، فالمراد إتیان ذاتهما و إیجادهما، فالأمر للتکوین علی أن خلق و جعل و بارک و قدر بالمعنی الذی حکیناه عن إرشاد العقل السلیم، و یکون هذا شروعا فی بیان کیفیة التکوین إثر بیان کیفیة التقدیر، و لعل تخصیص البیان بما یتعلق بالأرض و ما فیها لما أن بیان اعتنائه تعالی بأمر المخاطبین و ترتیب مبادئ معایشهم قبل خلقهم ما یحملهم علی الإیمان، و یزجرهم عن الکفر و الطغیان، و خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب علیه متوجه إلیهما معا اکتفاء بذکر تقدیر الأرض و تقدیر ما فیها کأنه قیل: فقیل لها و للأرض التی قدر وجودها و وجود ما فیها کونا و أحدثا، و هذا الوجه هو الذی قدمه صاحب الإرشاد و ذکره غیره احتمالا، و جعل الأمر عبارة عن تعلق إرادته تعالی بوجودهما تعلقا فعلیا بطریق التمثیل من غیر أن یکون هناک آمر و مأمور) «۲». و فی «بحر العلوم»: (ثم استأنف فقال: سَواءً لِلسَّائِلِینَ و من قرأ بالنصب یعنی قدرها سواء صار نصبا علی المصدر، و معناه: استوت استواء ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ أی صعد أمره إلی السماء، و هو قول اللّه: کُنْ و یقال: عمد إلی خلق السماء وَ هِیَ دُخانٌ یعنی بخار الماء کهیئة الدخان، و ذلک أنه لما خلق العرش، لم یکن تحت العرش شیء سوی الماء کما قال تعالی: وَ کانَ عَرْشُهُ عَلَی الْماءِ ثم ألقی الحرارة علی الماء حتی ظهر منه البخار، فارتفع بخاره کهیئة الدخان، فارتفع البخار، و ألقی الریح الزبد علی الماء، فزید الماء، فخلق الأرض من الزبد، و خلق السماء من الدخان) «۳». (_____ ۱) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۵/ ۱۰۵- ۱۰۶، و انظر: جامع البیان، للطبری، ۲۴/ ۲۶. (۲) روح المعانی، للآلوسی، ۲۴/ ۱۱۷- ۱۱۸، و انظر: الدر المنثور، للسیوطی، ۷/ ۳۱۳. (۳) بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندی، تحقیق، محمود مطرجی، بیروت، دار الفکر العربی، ۱۹۹۷، ۳/ ۲۱۷، و انظر: الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی ۱۵/ ۳۴۲، و انظر: أضواء البیان، للشنقیطی، ۷/ ۴۰۶- ۴۰۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۳ و فی «مختار الصحاح»: (الدخان: دخان النار معروف و جمعه دواخن، کعثان و عواثن، علی غیر قیاس، و دخنت النار ارتفع دخانها، و بابه قطع و خضع، و ادخنت مثله، و دخنت النار إذا فسدت بإلقاء الحطب علیها حتی هاج دخانها، و دخن الطبیخ إذا تدخنت القدر، و الدخن الجاورس و الدخنة کالذریرة تدخن بها البیوت) «۱». و فی «مفردات ألفاظ القرآن» نجد أن الدخان هو: (المستصحب للهیب، قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ أی هی مثل الدخان، إشارة إلی أنه لا تماسک لها، و دخنت النار تدخن کثر دخانها، و الدخنة منه، لکن تعورف فیما یتبخر به من الطیب) «۲». و یستخلص من معطیات النص القرآنی ما یلی: ۱- تم خلق الأرض بعد فتقها من الکتلة الدخانیة فی یومین خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ. ۲- تم تسویة السموات السبع فی یومین کما قال تعالی: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ

سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ و ذلک بعد فتقها و الانفجار و الانفصال الذی اعتراها بعد ما کانت دخانا، قال تعالی: ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ. ۳- تمّ تدبیر الأرض و تهیئتها و تسخیرها لتعیش علیها المخلوقات فی یومین وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها أی الجبال التی تساعد علی توازن و استقرار الأرض وَ بارَکَ فِیها أی زاد فیها الخیر و الزرع و الماء و غیر ذلک وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها من أرزاق و أسباب المعیشة. و ینبه إلی أن المقصود بالأیام هنا هی المراحل و الحقب الزمنیة، و لیست الأیام المعروفة لدینا کما أشار إلی ذلک کثیر من المفسرین کما سبق، و لأن الزمن شیء نسبی کما هو معلوم، فیوم الأرض لیس کیوم الشمس و لیس کیوم المجرة و هکذا ...

ثالثا- مرحلة دحو الأرض

ثالثا- مرحلة دحو الأرض قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها (۲۷) رَفَعَ سَمْکَها فَسَوَّاها (۲۸) وَ أَغْطَشَ لَیْلَها وَ أَخْرَجَ ضُحاها (۲۹) وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها (۳۰) «۳».

(۱) مختار الصحاح، للجوهری، ۱/ ۸۴. (۲) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق، دار القلم، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ص: ۳۱۰. (۳) سورة النازعات، الآیات ۲۷- ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۴ هذه هی المرحلة الثالثة من مراحل الخلق حسب تصویر القرآن لذلک، فالمرحلة الأولی کانت مرحلة تفجیر الکتلة الدخانیة «الرتق و الفتق» و المرحلة الثانیة کانت مرحلة خلق الأرض لکنها غیر مدحوة، و تسویة السموات و تشکیلها، ثم جاءت المرحلة الثالثة التی هی مرحلة دحی الأرض. لکن قد یستشکل أحدنا أو یجول فی خاطره سؤال مفاده، أیهما خلق أولا السموات أم الأرض؟ ففی الآیة السابقة عرفنا بنص قرآنی واضح و صریح أن الأرض خلقت قبل السماء قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْداداً ذلِکَ رَبُّ الْعالَمِینَ (۹) وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ مِنْ فَوْقِها وَ بارَکَ فِیها وَ قَدَّرَ فِیها أَقْواتَها فِی أَرْبَعَةِ أَیَّامٍ سَواءً لِلسَّائِلِینَ (۱۰) ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ وَ هِیَ دُخانٌ فَقالَ لَها وَ لِلْأَرْضِ ائْتِیا طَوْعاً أَوْ کَرْهاً قالَتا أَتَیْنا طائِعِینَ (۱۱) «۱» و هنا نجد أن الحق یخبرنا أن الأرض خلقت بعد السماء وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها أی بعد خلق السموات، فکیف یکون ذلک؟. إن الجواب علی هذا السؤال أو الاستشکال سهل للغایة، و قد عرض هذا السؤال علی ابن عباس رضی اللّه عنه و أجاب علیه، کما ورد فی صحیح البخاری: (قال رجل لابن عباس رضی اللّه عنهما: إنی لأجد فی القرآن أشیاء تختلف علیّ ... قال تعالی: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ بَناها إلی قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها فذکر خلق السماء قبل الأرض، ثم قال تعالی: قُلْ أَ إِنَّکُمْ لَتَکْفُرُونَ بِالَّذِی خَلَقَ الْأَرْضَ ... فذکر فی هذه خلق الأرض قبل خلق السماء ... فقال ابن عباس رضی اللّه عنهما: خلق الأرض فی یومین، ثم خلق السماء، ثم استوی إلی السماء فسواهن فی یومین آخرین، ثم دحی الأرض و دحیها أن أخرج منها الماء و المرعی، و خلق الجبال و الرمال و الجماد و الآکام و ما بینهما فی یومین آخرین، فذلک قوله تعالی: دَحاها و قوله: خَلَقَ الْأَرْضَ فِی یَوْمَیْنِ فخلق الأرض و ما فیها من شیء فی أربعة أیام، و خلق السموات فی یومین ... فلا یختلفن علیک القرآن، فإن کلا من عند اللّه عز و جلّ) «۲». و علی هذا النسق سار المفسرون، ففی إرشاد العقل السلیم: (فهی و ما فی سورة البقرة من قوله سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی

(۱) سورة فصلت، الآیات ۹- ۱۱. (۲) رواه البخاری، باب التفسیر، رقم: (۴۵۳۷)، ۴/ ۱۸۱۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۵ السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ «۱» تدلان علی تقدم خلق الأرض و ما فیها علی خلق السماء و ما فیها، و علیه إطباق أکثر أهل التفسیر، و قد روی أن العرش العظیم کان قبل خلق السموات و الأرض علی الماء، ثم إنه تعالی أحدث فی الماء اضطرابا فأزبد فارتفع منه دخان، فأما الزبد فبقی علی وجه الماء، فخلق فیه الیبوسة فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها أرضین، و أما الدخان فارتفع و علا فخلق منه السموات، ... و قیل إن خلق جرم الأرض مقدم علی خلق السموات، لکن دحوها و خلق ما فیها مؤخر عنه لقوله سبحانه و تعالی: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ

ذلِکَ دَحاها و لما روی عن الحسن رحمه اللّه، من أنه تعالی خلق الأرض فی موضع بیت المقدس کهیئة الفهر علیه دخان ملتزق بها، ثم أصعد الدخان و خلق منه السموات و أمسک الفهر فی موضعها، و بسط منها الأرض و ذلک قوله تعالی: کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما و لیس المراد بنظمها مع السماء فی سلک الآمر بالإتیان إنشاءها و إحداثها بل إنشاء دحوها و جعلها علی وجه خاص یلیق بها من شکل معین و وصف مخصوص، کأنه قیل: ائتیا علی ما ینبغی أن تأتیا علیه، ائتی یا أرض مدحوّة قرارا و مهادا لأهلک، و ائتی یا سماء مقبّبة سقفا لهم) «۲». و عند الطبری: (عن ابن عباس، قوله حیث ذکر خلق الأرض قبل السماء، ثم ذکر السماء قبل الأرض، و ذلک أن اللّه خلق الأرض بأقواتها من غیر أن یدحوها قبل السماء، ثم استوی إلی السماء فسوّاهنّ سبع سماوات، ثم دحا الأرض بعد ذلک، فذلک قوله: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها «۳». و عند ابن کثیر: (أن الأرض خلقت قبل خلق السماء، و لکن إنما دحیت بعد خلق السماء، بمعنی أنه أخرج ما کان فیها بالقوة إلی الفعل) «۴». و فی تفسیر القرطبی: (أن اللّه تعالی خلق أوّلا دخان السماء ثم خلق الأرض، ثم استوی إلی السماء و هی دخان فسوّاها، ثم دحا الأرض بعد ذلک، و مما یدل علی أن الدخان خلق أوّلا قبل الأرض ما روی عن ابن مسعود و عن ناس من أصحاب (_____ ۱) سورة البقرة، الآیة: ۲۹. (۲) إرشاد العقل السلیم، لأبی السعود، ۸/ ۵- ۷. (۳) جامع البیان، للطبری، ۳۰/ ۴۶. (۴) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۸/ ۳۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۶ رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی قوله عز و جلّ: هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ اسْتَوی إِلَی السَّماءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ قال: إن اللّه تبارک و تعالی کان عرشه علی الماء و لم یخلق شیئا قبل الماء، فلما أراد أن یخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسما علیه، فسمّاه سماء، ثم أیبس الماء فجعله أرضا واحدة، ثم فتقها فجعلها سبع أرضین فی یومین) «۱». (فالکلمتان «دحاها- طحاها» تدلان علی معنی البسط، دحا الأرض یدحوها، بسطها، قال شمّر: فأنشدتنی أعرابیة: الحمد للّه الذی أطاقا بنی السماء فوقنا طباقا ثم دحا الأرض فما أضاقا و الأدحوّة، مبیض النعام فی الرمل ... و مدحی النعام، موضع بیضها) «۲». هذه هی مراحل الخلق حسب معطیات القرآن الکریم و دلائله، و لا شک أن هذا التفصیل لمراحل خلق الکون عسیر علی العلم بل من المستحیل أن یصل إلیه، لأنه من المغیبات التی لا تخضع لمدرکات الإنسان، لکن یمکن للعلم أن یصل إلی حقائق کونیة ثابتة عن أصل الکون و الخلق، لکنها مجملة و لیست مفصلة بهذه الدقة القرآنیة العجیبة، و الدلیل علی ذلک أنهم حقا توصلوا إلی حقائق علمیة تدل علی أصل الکون و منشئه. و العودة لملف علم الفلک، و النظر فی أقوال علماء الکون، تظهر أن ما توصلوا إلیه من حقائق کونیة علمیة ثابتة بعد جهد جهید من الدراسة و البحث، هی ذاتها التی أشار إلیها القرآن الکریم بوضوح القول و صریح العبارة، و أن ما کشفوا عنه الیوم هو الذی سبقهم إلیه کتاب اللّه تعالی و سطّر ملامحه و أطره فی صفحاته قبل أکثر من أربعة عشر قرنا. الکون الذی یحوی فی ثنایاه النجوم و الکواکب و المجرات، و ما یتبعها من غازات و معادن و صخور و تراب و حیوانات و نباتات و إنسان، و غیر ذلک من المخلوقات الأخری، کان مثار اهتمام لدی الإنسان عبر مرور الأحقاب، سواء کان هذا الاهتمام مبنیا علی الخرافة و الوهم، کما عند بعض الناس فی القدم، و الذین اعتقدوا بأزلیة الکون، و ربطوا تصوراتهم العقائدیة بأجسام عدة من الکون کالشمس و الشجر (_____ ۱) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱/ ۲۵۰. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۳۰۳، و انظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۵۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۷ و النار ... و جعلوها آلهة لهم، أو کان مرتکزا علی الدراسات الصحیحة التی تعتمد علی الرصد و الحسابات الفلکیة و الریاضیة. و إذا ما طوینا صفحة الخیال أو الخرافة التی کانت سائدة و مسیطرة علی عقل الإنسان فی معظم الحضارات القدیمة، و اتجهنا إلی التعرف علی الدراسات الحدیثة التی شهدها الإنسان فی بدایة القرن العشرین، فإننا نجد تطورا هائلا فی مجال الفلک بسبب الاکتشافات الکبیرة لأسرار الکون، عبر المراصد الضخمة، و من خلال النظریات العلمیة الجدیدة. و قبل الشروع فی عرض و بیان آراء العلماء حول مولد الکون و نشأته، ینبه إلی أن هناک العدید من النظریات التی أعلنت حول أصل

الكون، إلا أن معظمها خفت صوتها و غيّبت، عند ما ظهرت أحدث نظرية حول مولد الكون و التى تدعى بالانفجار العظيم (gnab gib) بل و التى أجمع على صحتها جمهور علماء الفلك، مما دفع بعض الفلكيين إلى القول بأنها حقيقة قطعية كما سيأتى. و بوسعنا الآن أن نستعرض طائفة من دراسات الفلكيين حول الانفجار الكونى العظيم، لنرى مدى التوافق بين ما أثبتوه، و بين الحقائق القرآنية التى سبق و أن قرر من خلالها الحق نشأة الكون.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: (توصل عالم الفلك البلجيكى «جورج إدوارد لوميتر» «۱» إلى نتيجة الانفجار العظيم، و أعلنها فى عام ۱۹۲۷، و قد افترض فى مستهل الأمر أن المادة الكونية كانت كلها مضغوطة فى حجم ضئيل للغاية أسماه البيضة الكونية، ثم تعرض ذلك الجسم لتمدد مفاجئ سريع و ما زال يتمدد، و لما طرح «هبل» «۲» قانونه فى عام ۱۹۲۹، و شرح

(_____ ۱) جورج إدوارد لوميتر، ۱۸۹۴- ۱۹۶۶، كاهن بلجيكى كان رائدا فى علم الرياضيات، عمل أستاذا فى جامعة لوفان، أهم أبحاثه التى أدت إلى نظرية الضربة الكونية الكبرى عن تكوين الكون، ظهرت فى عام ۱۹۲۷، خدم فى الجيش البلجيكى، و ربح ميدالية الحرب وقتها. انظر: موسوعة غينيس فى علم الفلك، باتريك موور، ترجمة، مركز التعريب و البرمجة، بيروت، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۲۸۴.

(۲) أدويل هبل، ۱۸۸۹ - ۱۹۵۳، فلكى أمريكى معاصر، قام برصد ملايين النجوم من مرصد جبل بالومار، و قام بتصنيفها فى مجموعات، أعلن أن الكون أكبر مما يتصور العلم آنذاك. الأطلس الفلكى، عصام الميدانى، دمشق، دار دمشق، ۱۹۹۶، ص: ۸۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۷۸ المشاهدات التى استند إليها، بدا واضحا أن ذلك يجسد تماما ما ينبغى أن يكون من شأن كون فى حالة تمدد، و كون كل المجرات تبتعد عنا بمعدل أسرع كلما كانت أكثر بعدا، أمر ليس له أى دلالة خاصة تتعلق بنا و بمجرتنا، فما دام الكون فى حالة تمدد فهذا يعنى أن كل مجراته تتباعد عن بعضها، و قد التقط الفيزيائى «جورج جاموف» «۱» فكرة البيضة الكونية و عممها ثم أطلق على عملية التمدد الأولى اسم (الانفجار العظيم)، و ما زال ذلك الاسم مستخدما حتى الآن و يشير «جاموف» إلى أن الإشعاعات التى صاحبت الانفجار العظيم، لا بد أن يكون لها الآثار حتى الآن ما يمكن رصده من أى اتجاه على هيئة موجات (ميكروويف) ضعيفة، لها من المواصفات ما يمكن تقديره حسابيا، و بهذا الاكتشاف انتهى علماء الفلك إلى الاقتناع بوجود الانفجار العظيم، و من المتفق عليه الآن أن الكون قد بدأ بجسم ضئيل انفجر منذ خمسة عشر بليون سنة، و ما زال تحديد عمر الكون على وجه الدقة قيد البحث، و لكنه يصعب أن يقل عن عشرة بلايين سنة، و لن يزيد على الأرجح على عشرين بليون سنة) «۲». و هذا ما أكّده كثير من علماء الكون (يدرس علماء الكون الزمن الغابر باستقراء خارجى للشروط السائدة فى الكون حاليا، بمعنى أنهم يستعملون قوانين الفيزياء لاستنباط الكيفية التى كان الكون عليها حين نشأته و بداية تكوينه، فلقد تبين أن الكون كان فى بدايته حارا و كثيفا، و كان غازيا و كانت مادته و إشعاعه ممتزجين معا امتزاجا يختلف فيه تماما عما نعرفه عنهما من حيث تميزهما الواضح عن بعضهما، و يعود سبب الامتزاج إلى أنه فى غاز ذى درجة حرارة مرتفعة يحمل الإشعاع طاقة هائلة، الأمر الذى يوفر إمكان تحوله إلى مادة، و هكذا فالإشعاع و المادة فى بداية نشأة الكون سلكا سلوكا لا يكاد يميّز أحدهما عن الآخر ... و هم يعتقدون أن درجة حرارته كانت عالية جدا مما أدى إلى الانفجار العظيم) «۳».

(_____ ۱) جورج جاموف، ۱۹۰۴ - ۱۹۶۸، الأمريكى الروسى الأصل، مؤسس نظرية الانفجار الكبير لنشوء الكون، و صاحب المصطلح الذى أصبح الآن من أكثر الفرضيات إثارة للجدل فى تاريخ العلم، و تنبأ بوفرة عنصر الهيليوم، و بانتشار الأشعة الباردة. انظر: مفكرون من عصرنا، سامى خشبة، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱، ص: ۳۱۱. (۲) الشموس المتفجرة، إسحاق عظيموف، ترجمة السيد عطا، القاهرة، الهيئة

المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴، ص: ۱۲۳- ۱۲۴. (۳) مقدمة فی علم الفلک، توماس آرنی، ترجمة، د. أحمد الحصری، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸، ص: ۷۰۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۷۹ و یؤکد هذا المعنی العالم «جون فایفر» «۱» فیقول: (لقد کانت الظلمات السائدة حینذاک نقطة بدایة لا نقطة نهایة، عند ما تکونت فیها سحابة لا تشبه سحب الیوم أبدا، فقد بدأت المادة تتجمّع بالغریزة کما تتجمع قطعان الأغنام، و هکذا بدأت کثافة السحابة تزداد، و بدأت الظلمة تنقشع و یبدو فیها بصیص من النور، و لقد کان هذا النور بدایة تکون النجوم) «۲». رسم یبین عملیة الانفجار العظیم و توسع الکون و هذا ما أثبته العلماء فی أوائل القرن العشرین و ذکره القرآن الکریم منذ ألف و أربعمائة عام بأن السماء و الأرض کانتا رتقا ففتقناهما. (و فی اللحظات الأولی للکون عند ما کانت الکثافات هائلة، و درجات الحرارة

(_____ ۱) جون فایفر أحد أئمة کتاب العلوم، و قد کرس نفسه أساسا لتقدیم صورة عامة دقیقة عن نتائج البحث العلمی، و کان المحرر العلمی و الطبی لمجلة «نیوزویک» و المدیر العلمی لإذاعة و تلفزیون کولومبیا، له عدة مؤلفات منها: العلم فی حیاتک، و العقل البشری، و الکون الصغیر. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۲. (۲) بدایة الکون، جون فایفر، ترجمة، د. محمد الشحات، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۵، ص: ۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۰ عالیة، لا بد من أن الکون کان معتما، فلم تکن (فوتونات) «۱» أشعة تستطیع التحرک إلا لمسافة قصیرة جدا، و بعدها ترتطم إما بجسیم أو (بفوتون) آخر، و لکن عند ما أخذ الکون بالاتساع أخذت الأطوال الموجیة (للفوتونات) فی الکرة الناریة الأولیة بدورها بالاستطالة شیئا فشیئا، و ازدیاد الأطوال الموجیة یعنی انخفاض الطاقة التی یحملها کل (فوتون)، و بانخفاض الطاقة المحمولة فی کل (فوتون) بدأت درجة حرارة الکرة الناریة بالهبوط و ابتدأ الکون بعدها بالبرودة ... و قد لعبت (الإلکترونات) «۲» الحرة المنطلقة حول الکرة الناریة، عند ما کان الکون فی بدایته ساخنا، دورا مهما فی الإبقاء علی عتمة الکون، فقد کانت (الإلکترونات) الحرة تستطیع بسهولة و کفاءة تشتیت (الفوتونات)، إذ لم یکن لأی (فوتون) المجال للتحرک بعیدا، إذ کان و لا بد أن یرتطم (بالإلکترونات) السائبة) «۳». و یقول صاحب کتاب «قصة الکون»: (إن الکون قد بدأ علی شکل کتلة ساخنة جدا من المادة، و لم یکن شبیها کلیا بالمادة کما نعتقد، بل کانت توجد فیه علی الأقل کتلة من الجسیمات الذریة الأولیة مزدحمة مع بعضها، و قد قدر أن قطر هذه المادة لم یکن یتعدی بضع ملایین من الأمیال، أی أنه کان من الممکن أن یوضع فی مدار الأرض حول الشمس، و لا بد أن کثافة هذه المادة کانت مائة ملیون طن لکل سنتیمتر مکعب،

(_____ ۱) الفوتون: notohp، عبارة عن کمیة الطاقة الضوئیة المرئیة أو غیر المرئیة، و یمتلک الفوتون طاقة و کمیة حرکة، و یتمتع بکتلة تساوی طاقته مقسومة علی مربع سرعة الضوء، غیر أنه لیس له کتلة سکون، فهو دائم الحرکة بسرعة تساوی سرعة الضوء، و هو جسیم لیس له أی شحنة کهربائیة. انظر: الموسوعة الفلکیة، خلیل بدوی، عمّان، عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹، ص ۸۴. (۲) الإلکترون: electron، مشتق من الکلمة الیونانیة، nortktron، و التی تعنی الکهرمان، و هو جسیم ذو شحنة کهربائیة سالبة یدور حول نواة الذرة، توجد الإلکترونات فی الحالة الاعتیادیة فی مدراتها الرئیسیة المستقرة فی الذرات، و بما أن عدد الإلکترونات یساوی عدد البروتونات فی ذرة ما، فإن شحنة الذرة تساوی صفرا. انظر: موسوعة الکویت العلمیة للکیمیاء، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶، ۱/ ۳۲۵، و ۱/ ۶۲۶. (۳) المجرات و الکوازرات، ولیام کاوفمان، ترجمة، عبد الکریم السامرائی، بغداد، دار الشئون الثقافیة العامة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹، ص ۱۳۷- ۱۳۸، و انظر: الانفجار الکبیر، أمید شمشک، ترجمة، أورخان محمد علی، عمّان، دار البشیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ ص ۲۷، و انظر: الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون، ستیفن ونبرغ، ترجمة، وائل الأتاسی، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۶ ص: ۸۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۱ أی أکثف من نواة الذرة، کما کانت درجة حرارتها بلا شک عالیة إلی حوالی عشرة ملایین درجة، و مثل هذه الکتلة یمکن أن تکون غیر مستقرة جدا فتنفجر عند وقت ما، و مع درجة

الحرارة العالیـة لا بد أن الانفجار کان قویا، اندفعت بمقتضاه کل مادة الذرة الضـخمة إلی الخارج، و فی جزء من الثانیة أصـبح للکون وجود) «۱». و یؤکد هذه القضیة «کارل ساغان» «۲» فی کتابه «الکون» فیقول: (و نعلم الآن أن کوننا یبلغ من العمر نحو ۱۵ أو ۲۰ ملیار سنـة، و هـذا الزمن محسوب منـذ ذلک الحدث التفجیری الاسـتثنائی، الذی یعرف بالانفجار الکبیر، و فی بدایة الکون لم تکن هناک مجرات أو نجوم أو کواکب أو أی نوع من الحیاة أو حضارات، بل مجرد کرة ناریة مشعة منتظمة الشکل تملأ الفضاء کله) «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: لا أری داعیا فی سـرد المزیـد من دراسات علماء الفلک و الکون، و التی تصور بمجملها أصل الکون و مولده، و تؤکد علی أن الکـــــــون کـــــــان کتلـــــــة متماســـــــکة حـــــــارّة، ثـــــــم بـــــــدأ (_____ ۱) قصـة الکـون عجـب و بهـاء، کلیفورد سـیماک، ترجمـة، د. عبـد القوی عیاد، القاهرة، الهیئـة المصـریة العامـة للکتاب، ۱۹۷۵ ص ۱۹۵ و انظر: آفـاق فلکیـة، فوزیة محمـد الرویح، الکویت، جامعة الکویت، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷، ص: ۲۸۱. (۲) کارل ساغان، أستاذ الفلک و علم الفضاء بمعهد دافید دنکان، و مـدیر معمل دراسات الکواکب بجامعـة کورنیل، قام بدور بارز فی رحلات سـفن الفضاء، له نحو سـتمائة ورقة بحثیة علمیة، بالإضافـة للعدید من الکتب. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۳، و انظر: الفضاء و الشـهب، محمد فتحی عوض الله، القاهرة، الهیئة المصـریة العامة للکتب، ۱۹۷۳، ص: ۲۰، و انظر: بلوغ سنّ الرشـد فی المجرة، تمـثی فرس، ترجمـة، هنری مطر، عمّـان، مرکز الکتب الأـردنی، ۱۹۹۰، ص ۳۸۳، و انظر: الکون البحث عن لحظة المیلاد، هوبرت ریفز، ترجمة، درویش الحلّوجی، القاهرة، المسـتقبل العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۶، ص: ۷۱، و انظر: أجمل تاریـخ للکون، جویل دورونی و آخرون، ترجمة، موسـی خوری، بیروت، دار الکتاب العربی، ۱۹۹۶، ص: ۲۲. (۳) عالم المعرفـة، الکون، کارل ساغان، ترجمة، نافع أیوب لبس، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳، ص: ۳۶، و انظر رحلـة فی الکون و الحیاة، أحمد محمد عوف، القاهرة، الهیئة المصـریة العامة للکتاب، ۱۹۹۶، ص: ۱۲۳، و انظر: نشأة الکون، السـموات السبع، محمـد جمال الدین الفندی، القاهرة، الهیئة المصـریة العامة للکتاب، ۱۹۷۳، ص: ۱۴۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۲ بانفجار مـدو عظیم أدی إلی انفصال الکتلة الملتحمة، و تفرقت أجزاؤها فی أنحاء الفضاء، و کـانت درجـة الحرارة وقتها عالیـة جـدا ثم تبردت و انخفضت ... هـذا ما توصل إلیه علماء الکون «۱» بعد دراسات حثیثة و مضـنیة، کلفتهم ما اللّه به علیم من الجهـد و الوقت و المال، لکننا نجـد أن القرآن الکریم قد سـبقهم لتسـطیر هذه الحقیقة حول أصل الکون و مولـده، قبـل أکثر من أربعـة عشـر قرنـا، حیث قال اللّه جل جلاله: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ «۲»، ما أعظمها من آیة و ما أدق بیان الحق فیها، فهی تصور لنا أن السموات و الأرض کانتا رَتْقـاً أی کتلـة واحـدة ملتصـقة متماسـکة فَفَتَقْناهُمـا أی فصـلنا أجزائهمـا من مجرات و کواکب و نجوم ... و هـذا مـا کشف عنه العلم المعاصـر الیوم، أو لیس هـذا التوافق داعیا البشـر لیطأطئوا الرءوس إجلالا و تعظیما لهـذا الکتاب الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا مـن خلفـه (_____ ۱) مـا یؤخـذ علی القـول (بالانفجار العظیم) و نرده و لا نقبله هو (الانفجار) لأن الانفجار یدل علی العشوائیة و عدم الرتابة و الانضـباط، لذلک نری أن تسـتبدل هـذه اللفظـة، و هـذا المصـطلح بالمصـطلح القرآنی (الرتق و الفتق) لأنه أدق فی التعبیر عن بدایة خلق الکون، و أفصح و أوضح لغة و حقیقة. (۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۱۸۳ صورة رقم: (۲) (مجرة إم ۱۰۱ أو مجرة المروحـة) إحدی أضـخم و ألمع المجرات المعروفة و التی تسـمی إم ۱۰۱، أو مجرة المروحة نسـبة لشـکلها العام و التی تمتد علی قطر یبلغ مائتین ألف سـنة ضوئیـة، و تقع علی مسافـة اثنین و عشـرین سـنة ضوئیـة عن مجرتنا، کما أنها تخلف موجات من الکتل العالیة، و تکثف الغاز لیدور حول مرکز المجرة، و هذه الموجات تضغط علی الغازات الموجودة و تسبب نشوء النجوم، و هذه الصورة

التقطتهـــــــــــا ناســـــــــــا الفضائیـــــــــــــة الأمریکیـــــــــــــة فی ۱۰ / ۳ / ۲۰۰۳ «۱».

(_____ ۱) ترجم هـذا النص، و أخـذت هذه الصورة من موقع ناسا: http//: antw rp. gsfc. nasa. gov/ apod/ ap. ۱۳۰۳ html الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۴

المبحث الثالث تمدد الکون و توسعه

اشارة

المبحث الثالث تمدد الکون و توسـعه یقول سـبحانه و تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ «۱». تعطینا هذه الآیة الکریمة مشهدا آخر من مشاهـد تخلق الکون و تطوره، و هـذا هو الطور الثانی الـذی مرت به حرکة الکون، فبعد أن طرأ علیه الانفجار العظیم، هبطت درجة حرارته المرتفعة، و بدأ بالتبرد، و التوسع، و الانتشار، و التمدد الدءوب المستمر ... و إن هذا التوسع و ذاک التمدد، لم یسر عبر مسالک مستوعرة، و طرق و ساحات قد ازدحمت بالفوضی و الاضطراب ... لیست الحالة کذلک بل کما عبّر القرآن الکریم بَنَیْناها و البناء یقتضـی هندسة دقیقة، و یستلزم تصمیما تشیع بین جنباته الرّتابة المتألقة. و بإلقاء نظرة فی کتب المفسرین حول معانی هذه الآیة، و ما تصور لنا من معطیات کونیـة و علمیة نجد ما یلی: یقول القرطبی: (فی السـماء آیات و عبر تدل علی أن الصانع قادر علی الکمال، فعطف أمر السماء علی قصة قوم نوح لأنهما آیتان، و معنی بِأَیْدٍ أی بقوة و قدرة، عن ابن عباس و غیره: وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ قال ابن عباس: لقادرون، و قیل: أی و إنا لذو سـعة، و بخلقها و خلق غیرها لا یضـیق علینا شـیء نریده، و قیل: أی و إنا لموسعون الرزق علی خلقنا، و منه أیضا، و إنا لموسـعون الرزق بالمطر و قیل: جعلنا بینهما و بین الأرض سعة) «۲». و یقول البیضاوی: (و إنا لموسعون، أی لقادرون، مـن الوسـع، بمعنی الطاقـة، و الموسـع: القـادر علی الإنفـاق، أو لموسـعون السـماء، أو مـا بینهـا و بیـن الأـرض، أو الرزق) «۳».

(_____ ۱) سـورة الـذاریات، الآیـة: ۴۷. (۲) الجـامع لأحکـام القرآن، للقرطبی، ۱۷ / ۵۲. (۳) أنـوار التنزیـل، للبیضـاوی، ۵ / ۲۴۱. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۵ و فی «روح المعانی»: (و السـماء، أی و بنینا السـماء بنیناها، بأیید: أی بقوة، قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة، و مثله الآد، و لیس جمع یـد، و جوزه الإمام، و إن صـحت التوریـة به، و إنا لموسـعون، أی لقادرون، من الوسع بمعنی الطاقة، فالجملة تذییل إثباتا لسـعة قدرته عز و جلّ کل شیء، فضلا عن السماء، ... و الید بمعنی النعمة لا الإنعام، و قیل: أی لموسعوها بحیث أن الأرض و ما یحیط بها من الماء و الهواء بالنسـبة إلیها محلقة فی فلاة، و قیل: أی لجاعلون بینها و بین الأرض سـعة، و المراد السـعة المکانیة) «۱». و فی تفسیر «فتح القدیر»: (و إنا لموسعون، الموسع: ذو الوسع و السعة، و المعنی إنا لذو سعة بخلقها و خلق غیرها، لا نعجز عن ذلک، و قیل: لقادرون، من الوسع بمعنی الطاقة و القدرة، و قیل: إنا لموسعون الرزق بالمطر) «۲». و یقول ابن عاشور: (و الموسع: اسم فاعل من أوسع، إذا کان ذا وسع، أی قدرة، و تصاریفه جائیة من السـعة، و هی امتداد مساحة المکان ضد الضیق) «۳». و یقول سید قطب رحمة اللّه: (و الأیـد: القوة، و القوة أوضـح ما ینبئ عنه بناء السـماء الهائل المتماسک المتناسق، بأی مدلول من مدلولات کلمة السـماء، سواء کـانت تعنی مـدارات النجـوم و الکواکب، أم تعنی مجموعـة من المجموعـات النجمیـة الـتی یطلق علیهـا اسم المجرة، و تحوی مئـات الملایین من النجوم و الکواکب ... و السـعة کـذلک ظاهرة، فهـذه النجوم ذات الأحجام الهائلة و التی تعد بالملایین، لا تعد أن تکون ذرات متناثرة فی هـذا الفضاء الرهیب) «۴». فکلمة تشیر إلی الاسـتمراریة فی البناء المتناسق، و هذا نفی لکل ما قد یمور فی سـرادیب عقـل إنسان، من أن الکون جامـد ثابت لا حراک فیه و لا حرکـة، و أنه ملازم صـفة واحـدة لا ینفک عنها. و إذا ما رجعنا إلی معاجم اللغـــة و فتشـــنا عـــن معنی کلمـــة (موســـع) و عـــن الأبعـــاد الـــتی تعطینـــا إیاهـــا فســـوف نجـــد مـــا یلی:

(_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۷/ ۱۷.

(۲) فتح القدیر، محمد بن علی الشوکانی، ۵/ ۹۱. (۳) التحریر و التنویر، محمد الطاهر ابن عاشور، بیروت، مؤسسة التاریخ، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ۲۷/ ۳۶. (۴) فی ظلال القرآن، لسید قطب، ۶/ ۳۳۸۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۶ (وسعه الشیء بالکسر یسعه سعة بالفتح، و الوسع و السعة بالفتح الجدة و الطاقة، و أوسع الرجل صار ذا سعة و غنی، و منه قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون و یقال: أوسع اللّه علیک، أی أغناک، و التوسیع خلاف التضییق، تقول: وسع الشیء فاتسع و استوسع أی صار واسعا، و توسعوا فی المجلس تفسحوا) «۱». و فی لسان العرب: (... فی أسمائه سبحانه و تعالی الواسع، و هو الذی وسع رزقه جمیع خلقه و وسعت رحمته کل شیء، و غناه کل فقر، و یقال: الواسع المحیط بکل شیء ... و السعة، نقیض الضیق و استوسع الشیء، وجده واسعا و طلبه واسعا، و أوسعه و وسعه، صیره واسعا، و قوله تعالی: وَ السَّماءَ بَنَیْناها بِأَیْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أراد جعلنا بینها و بین الأرض سعة، جعل أوسع بمعنی وسع، و قیل: أوسع الرجل صار ذا سعة و غنی، و قوله: وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ أی أغنیاء قادرون) «۲». هذا هو النبأ و القرار القرآنی الصریح حول استمراریة الکون فی عملیة البناء الموسعة، فمن معطیات الآیة الکریمة أن الکون فی حالة اتساع مستمرة، و أنه غیر ثابت محجم و محجر، فما ذا یقول علماء الفلک فی هذا؟ و ما ذا توصلوا فی أبحاثهم حول توسع الکون؟.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: المتتبع للمستجدات العلمیة فی أواخر القرن التاسع عشر و بدایة القرن العشرین، یجد تنافسا هائلا بین العلماء فیمن یحظی بأسبقیة تدوین اکتشافه حول حرکة الکون و توسعه. فلقد (لاحظ العالم النمساوی «دوفلر» «۳» فی سنة ۱۸۴۲، أن الموجات الصوتیة و الضوئیة الصادرة عن جسم متحرک، تغیر أطوالها و ذبذباتها تبعا لحرکاتها بالنسبة لراصدها، فهی تقصر فتزداد حدة إذا کانت صادرة عن جسم یتحرک نحو الراصد، أو

(_____ ۱) مختار الصحاح، فخر الدین الرازی، ۱/ ۲۱۰. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۸/ ۳۹۲. (۳) کریستیان جوهان دوفلر، relppod، فیزیائی فلکی نمساوی، اکتشف ظاهرة دوفلر، و هی تغیّر الطول الموجی الضوئی أو الکهرومغنیطی المنبعث من جسم متحرک. انظر: علم الفلک، هاشم أحمد، بیروت، هلابون، د. ت، ص: ۸۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۷ تطول فتخف حدتها إذا کانت صادرة عن جسم یبتعد عن راصده، هذه الظاهرة المعروفة فی الفیزیاء باسم ظاهرة «دوفلر»، و قد اکتسبت نظریة «دوفلر» هذه أهمیة کبری فی علم الفلک عام ۱۸۶۸، عند ما استخدمت فی دراسة الخطوط الطیفیة المنفصلة، فقد برهن العلماء فی ذلک العام أن فی الخطوط المظلمة من أطیاف بعض النجوم إزاحة بسیطة نحو الأحمر أو الأزرق مقارنة مع طیف الشمس) «۱». ثم جاء «أنیشتاین» «۲» بنظریته النسبیة (و التی تمثل مراجعة شاملة لقوانین الفیزیاء التقلیدیة، فعند ما فرغ أنیشتاین من صیاغة النظریة النسبیة العامة فی عام ۱۹۲۵، حاول استغلال نظریته فی بناء نموذج نظری للکون، و لا بد من الإشارة إلی أن النظریة النسبیة هی نظریة للجاذبیة، تطبق علی الأنظمة الحرکیة المنتظمة و غیر المنتظمة، و یعتبر أنیشتاین بنظریته النسبیة أن الجاذبیة تمثل انحناء أو تحدبا فی النسیج الزمکانی «الزمان و المکان» و بغیاب الجاذبیة یصبح کل من الزمان و المکان مسطحا، و فی حالة وجود مجال جذبی ینحنی الزمان و المکان ... و رغم أن نظریة أنیشتاین حول الجاذبیة أکثر دقة، إلا أنه لم یکن متأکدا من صحة ما توصل إلیه فی بناء النماذج النظریة للکون، و لم یکن أحد فی ذلک الحین أیضا یظن أو یشک بوجود حرکات کبری فی الکون، و لذلک اتجه أنیشتاین فی أبحاثه إلی وضع نماذج ثابتة للکون، و قد تعرضت جهوده فی هذا المجال للإحباط الشدید، فکلما سعی إلی بناء نموذج ریاضی للکون یجد أن عمله یؤدی إلی کون ینکمش، و بدلا من أن یتابع ما توصل إلیه فی حساباته و یوافقها إذ کانت صیغته الریاضیة تقوده دائما إلی حقیقة تدل علی

أننا لا نحیا فی کون ثابت، و لذلک بدأ

(۱) الکون و أحجار الفضاء، محمد فتحی عوض، دمشق، دار الوثبة، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۳، ص: ۴۱، و انظر: المحیرات الفلکیة، عبد الرحیم بدر، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴، ص: ۳۰. (۲) أنیشتاین، ۱۸۷۹- ۱۹۵۵، فیزیائی ألمانی، صاحب نظریة النسبیة المشهورة التی لا یفهمها إلا نفر ضئیل، و هو من علماء الریاضیات و من أعمق المفکرین، أتم دراسته الثانویة فی میونخ، و أخذ الجنسیة السویسریة، و استقر فی برلین و عین عضوا فی أکادمیة العلوم فیها عام ۱۹۱۳، و نشر نظریة النسبیة. انظر: مشاهیر القرن العشرین، محمد بوذینة، تونس، مطبعة تونس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴، ص: ۸۹ و انظر: أعلام الحضارة، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱، ص: ۲۳۸، و انظر: الأطلس الفلکی، محمد عصام المیدانی، ص: ۸۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۸ الشک و الحیرة تصیبه فی صحة معادلاته، و علی ذلک أضاف إلی معادلاته مقدارا محددا أطلق علیه «الثابت الکونی» بحیث یمنع الثابت کون «أنیشتاین» من الانکماش، و بمعادلاته الخاطئة فی بناء نماذج کونیة ثابتة فوت «أنیشتاین» الفرصة فی تعجیل اکتشاف «هبل»، بما لا یقل عن عشر سنوات، و بحلول عام ۱۹۲۹، أصبح جلیا أننا نحیا فی کون یتمدد، و لم یعد هناک أی تحفظ جدید، و لقد ندم «أنیشتاین» کثیرا فی السنوات الأخیرة التالیة لإضافته الثابت الکونی فی معادلاته الأصلیة فی النسبیة العامة، و أشار إلی ذلک بقوله: لقد کان ذلک هو أکبر خطأ وقعت به فی حیاتی) «۱». ثم استنتج العالم الفلکی الأمریکی «هبل» (أن المجرات تتباعد عن بعضها بعضا بسرعات تتناسب مع المسافة بینها، یشبه ذلک قلیلا قالب الحلوی الذی نضعه فی الفرن، فکلما انتفخ تباعدت فیه حبات الزبیب عن بعضها بعضا، و هذه الحرکة لمجمل المجرات و المسماة توسع الکون) «۲». یقول «ستیفن هوکنغ» «۳»: (صورتنا الحدیثة عن الکون یرجع تاریخها فقط إلی ۱۹۲۴، عند ما برهن عالم الفلک الأمریکی «إدوین هبل» علی أن مجرتنا لیست المجرة الوحیدة، و الحقیقة أن هناک مجرات کثیرة أخری، بینها قطع فسیحة من فضاء خاو، و حتی یثبت ذلک فإنه احتاج إلی تحدید المسافات إلی هذه المجرات الأخری، و هی

(۱) نحن و الکون، عبد الوهاب سلیمان، الکویت، مؤسسة الکویت التقدم العلمی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۶، ص: ۹۴، و انظر: المجموعة الشمسیة و مجال الجاذبیة الکونیة، الأمین محمد کعورة، القاهرة، المکتب المصری الحدیث، د. ت، ص: ۲۴. (۲) أجمل تاریخ للکون، جویل دورونی و آخرون، ص ۲۲، و انظر: هل من کائنات عاقلة خارج الأرض، نزار دندش، بیروت، دار المؤلف، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۱۸، و انظر: الکون و الطاقة، إعداد المکتب العالمی للبحوث، بیروت، المکتب العالمی ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۹، ص: ۹، و انظر: علم الفلک و فلسفة النسق الکونی، فائز فوق العادة، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی الطبعة الأولی، ۱۹۹۲، ص: ۳۳۵. (۳) ستیفن هوکنغ، ملّاح بارع یجوب أفاقا عجیبة فی علم الکون و الفیزیاء، مستندا إلی موهبة علمیة فذة، وسعة أفق خلاقة، و من الشیق أنه رجل معوق ألزمه مرض أعصابه و عضلاته کرسیه ذا العجلات طیلة العشرین سنة الأخیرة من عمره، الذی بلغ التاسعة و الأربعین و مع ذلک فهو یعد أبرز المنظرین فی الفیزیاء منذ أنیشتاین، و یشغل الآن کرسی أستاذ الریاضیات الذی کان یشغله إسحاق نیوتن فی کمبردج. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۸۹ بعیدة جدا بحیث إنها بخلاف النجوم القریبة التی تبدو فی الواقع ثابتة، و اضطر «هبل» بسبب ذلک إلی استخدام وسائل غیر مباشرة لقیاس المسافات، و قام «هبل» بحساب المسافات إلی تسع مجرات مختلفة، و نحن نعرف الآن أن مجرتنا لیست إلا واحدة من مجرات یناهز عددها مائة ألف ملیون مما یمکن رؤیته باستخدام (التلسکوبات الحدیثة) ... و اکتشاف أن الکون یتمدد هو إحدی الثورات الثقافیة العظیمة فی القرن العشرین) «۱» و یقول «ستیفن هوکنغ» أیضا: (بعد انقضاء ساعات قلیلة علی الانفجار العظیم یکون تولید (الهلیوم) «۲» و العناصر الأخری قد توقف بعد ذلک، و حتی لفترة ملیون سنة تلت أو نحو ذلک یکون الکون قد استمر فی توسعه من دون حدوث ما هو ذو شأن یذکر،

و أخيرا عند ما تكون الحرارة قد انخفضت إلى آلاف قليلة من الدرجات، و لم يعد (للإلكترونات) و للنوى ما يكفى من الطاقة للتغلب على الجاذبية الكهرومغناطيسية فيما بينها، تأخذ هذه (الإلكترونات) و النوى بالتكتل لتكوين الذرات و يكون الكون ككل قد استمر فى التوسع و التبرد) «۳». ثم إن (المراقبين فى سائر المجرات النموذجية، يرون دفعة مادية واحدة و فى جميع الاتجاهات، و فى أثناء هذا التوسع تزداد أطوال موجات الأشعة الضوئية متناسبة مع المسافة بين المجرات، و لا يظن أن هذا التوسع هو نتيجة لقوة كونية دافعة، بل إنه ببساطة سرعة انفلات و هروب اكتسبتها الأجرام عند حدوث انفجار سابق، و هذه السرعة تتناقص تدريجيا تحت تأثير الجاذبية) «۴». و لقد أكدت قياسات «هبل» (أن جميع المجرات، حتى الموغلة فى الأعماق السحيقة من الكون تتحرك مبتعدة عنا و بسرعات هائلة، و تبدو لأعيننا و كأن الكون ينفتح

(_____ ۱) موجز فى تاريخ الزمان، ستيفن هوكنغ، ترجمة، مصطفى فهمى، القاهرة، مكتبة الأسرة، ۲۰۰۱، ص: ۴۴، و انظر: علم الفلك العام، مرفت السيد عوض و مصطفى كمال محمود، القاهرة، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۲۷۵. (۲) الهليوم، أخف العناصر و أكثرها و فرة بعد الهيدروجين، كل ذرة هليوم تحتوى إلكترونين حول نواتها. الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن و ينبرغ، ص: ۱۸۸. (۳) موجز فى تاريخ الزمان، ستيفن هوكنغ، ص: ۱۴۲. (۴) الدقائق الثلاث الأولى من عمر الكون، ستيفن و ينبرغ، ص: ۶۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۹۰ أمام ناظرينا، و على الرغم مما لوحظ من تباعد عام لجميع المجرات عن مجرتنا، إلا أنه تم الكشف عن استثناء وحيد فى ذلك، و هو مجرة (المرأة المسلسلة) التى تبدو و كأنها تتحرك نحونا، و لقد عرف السبب الحقيقى لذلك منذ وقت قريب، و هو أن حركة شمسنا فى مدارها حول مركز مجرتنا تقع فى اتجاه مجرة المرأة المسلسلة) «۱». (و يقوم العلماء حاليا باستعمال مطيافات شديدة القوة و الفاعلية لتحليل ضوء النجوم، و بعد دراسات طويلة توصلوا إلى التأكد من أن الخطوط الطيفية تميل دائما إلى الاحمرار، و عند ما يبتعد مصدر ضوئى عن المرصد الموجود على الأرض نجد أن تردد الضوء يتضاءل، و بما أن اللون يحدد تردد الموجات الضوئية، و أن اللون الأحمر يكون تردده أقل، فإن العلماء قد استنتجوا أن ميل الخطوط الطيفية إلى الإحمرار إنما يدل على أن كل الأجرام تبتعد عن بعضها، مما ينتج عنه امتداد للكون بشكل عام) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: هذه هى الحقائق العلمية عن توسع الكون، التى قد توصل إليها العلماء فى عصرنا الحاضر، و أثبتوا كما رأينا من تضافر أبحاثهم، أن الكون ليس ثابتا جامدا، إنما هو كون متحرك متوسع، و هذا الذى وصلوا إليه بعد كل الدراسات الشاقة و الأبحاث المضنية، نجد أن القرآن الكريم الذى نزل على نبىّ أمّىّ صلى اللّه عليه و سلم و على أمة بدائية تعيش بين بحار من الرمال فى فناء الصحراء الواسع، قد سبق العلماء فى إثبات هذه الحقائق العلمية، و سطرها فى صفحاته المجيدة، وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ لتكون سراجا مضيئا يتبصر بها جمهرة البشر معالم بناء حضارتهم، و سبل الوصول إلى الحق فاليقين، و ليعلم الجميع أن هذا الكتاب حق، و أنه تنزيل العزيز الحميد (_____. ۱) قصة نشوء الكون، مخلص الريس و على موسى، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولى، ۱۹۹۰، ص: ۴۱. (۲) موسوعة الكون و الفضاء و الأرض، موريس شربل و رشيد فرحات، بيروت، دار الفكر العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۹، ص: ۲۰ و انظر: طرائف علم الفلك، فيكتور كوماروف، ترجمة عبد اللّه حبة، موسكو، دار مير، ۱۹۸۵، ص: ۲۴، و انظر: أحاديث حول اللامرئى، جان أودوز و آخرون، ترجمة، نور الدين عبيد، الطبعة الأولى، ۲۰۰۰، دمشق، مكتبة الأهلى، ص: ۶۶، و انظر: احتمالات نهاية الكون، إعداد قسم التأليف و الترجمة فى دار الرشيد، دمشق- بيروت، دار الرشيد، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۲۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۹۱ صورة رقم: (۳)، مجرة (أندروميدا). مجرة أندروميدا، قرص مستدير ذو هيئة لولبية، و لها ذراعان يتكونان من مليارات النجوم، و هى أقرب

مجرة أساسية لمجرتنا، و هذه المجرة انطلق ضوؤها قبل اثنين مليون سنة ليصلنا، و هى فى حالة توسع و انتشار، التقطت (ناسا) الفضائية هذه الصورة فى ۲۴ / ۷ / ۱۹۹۵ «۱»_____».

(۱) ترجم هذا الكلام و أخذت هذه الصورة من موقع: ppth ://prwtna. cfsg. vog/ dopa/ pa ۹۵۰۷۲۴ .lmth الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۲ صورة رقم: (۳)، مجرة (درب التبانة). و هذه مجرتنا (درب التبانة)، التی تحتوی علی ملایین النجوم، و الضوء المشع هو من أقرب النجوم لمرکز المجرة، التقطتها (ناسا) فی ۱۳ / ۶ / ۱۹۹۶ «۱».

(_____۱) ترجم هذا الكلام و أخذت هذه الصورة من موقع: ptth ://sepacstenalp. moc/ ralos/ pac/ sd/ yawyklim .mth الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۳

المبحث الرابع نهاية الكون بين القرآن و العلم

اشارة

المبحث الرابع نهاية الكون بين القرآن و العلم إن الإيمان المقدس الذى شرفنا اللّه سبحانه و تعالى به، له متعلقات هامة ينبغى أن تكون ماثلة دائما فى الأذهان و النفوس، و مستلزمات لا ينبغى أن تنفك عنه قيد أنملة، و أول ثمرة من مقتضيات الإيمان باللّه سبحانه و تعالى، أن يشرق فى نفس العبد إماض التوحيد الناصع، و يستقر فى سويداء قلبه أن الذى أبلج الكون من العدم، و فلقه من ظلام اللاشىء هو اللّه الخالق العظيم. و هذه الحقيقة الشامخة هى المقوم الأول من مقومات الدين، و الدعامة الأولى التى ينهض على أساسها صرح الإسلام الشاهق السامى. فإذا ما تكاملت التصورات السديدة حول هذه الحقيقة، و تساوقت المعانى المتلازمة فى سبيل ترسيخ هذا التصور فى أعماق النفس و الفؤاد، آنذاك نقف على مفرق الطريق، بين من حفلت نفوسهم بهذه الحقيقة فآمنوا بهذا و انصاعوا بشوق و حب لمتعلقاتها، و بين من تنكّب طريق هذه الحقيقة فارتكس على وجهه قد خسر الدنيا و الآخرة و ذلك هو الخسران المبين. النزعات البشرية التى يصدرها الهوى كثيرة، إلا أن أخطرها تلك النزعات المسعورة التى تبناها جمهرة من الذين لا يقرّون بوحدانية الخالق لهذا الكون، فراحوا يروجون بين الناس أن الكون أزلى سرمدى، لا أول لأوّله، و سخروا لبث هذه الأفكار المسمومة أمة هائلة من البشر، و إمكانات ضخمة من القوة و المال، فأوغلوا فى الجحود و إنكار الذات العليا، و اكتسى هذا الإلحاد أثوابا متعددة فتارة يعلنون كفرهم باللّه و إنكارهم أن للكون خالقا باسم الشيوعية، و تارة باسم العلم و التمدن و هذه المسميات نتسامع عنها بين الفينة و الأخرى، و تظهر بصور و أشكال متعددة، إلا أن جوهرها و حقيقتها واحدة ألا و هى إنكار وحدانية اللّه و تصرفه فى الكون. هذه المزاعم العتيقة لم يبق من يعيرها اهتماما، بعد ما أثبتت البحوث العلمية أن الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۱۹۴ الكون حادث و ليس بأزلى، و هذا الصلف الذى روجوه، قد تصدى للرد عليه العلماء فى شتى تخصصاتهم، و أثبتوا أن الكون تفجر من العدم. ينص القانون (للديناميكا) الحرارية على أنه (من المحال أن يكون وجود الكون أزليا فهو ينص على أن الحرارة تنتقل من الأجسام الساخنة إلى الباردة، و حيث إنه لا يمكن أن يحدث العكس، أى انتقال الحرارة من الأجسام الباردة إلى الحارة بدافع ذاتى، فإن الكون يسير إلى درجة تتساوى و تتناسب فيها حرارة جميع الموجودات، و ينطفئ وهج الطاقة و يغور معينها، و تقف التفاعلات الكيميائية فى الكون كله، لكن بما أن العمليات الكيميائية ما تزال مرئية و واقعية نعيشها فى الكون من سطوع الشمس، و دوران الأرض، و حركة النجوم و الأفلاك، فهذا دليل على أن الكون ليس أزليا، إذ لو كان الكون أزليا لفقد طاقته منذ أعصار بعيدة، بناء على هذا القانون فإن الحياة التى تدب فى الموجودات، تسير نحو الانكسار و التقويض حتى تنتهى تلقائيا، و تتوقف الحركة و يسود الفناء) «۱». (إن الاكتشاف العظيم فى هذا القرن هو أن الكون ليس مستقرا و لا أبديا، كما كان يفترض معظم علماء الماضى،

نحن اليوم مقتنعون بذلك تمام الاعتقاد، فللكون تاريخ و هو لا ينفك يتطور بتناقض كثافته و ابتراده و تشكل بناه، و تسمح لنا أرصادنا و نظرياتنا بإعادة تشكيل (السيناريو) و بالرجوع فی الزمن، و هی تثبت لنا أن هذا التطور مستمرّ منذ ماض بعيد جدا يقع بين ۱۰ مليارات و ۱۵ مليار سنة وفق التقديرات) «۲». و يصرح «ستيفن هوكنغ» بوجود بداية و نهاية للكون فيقول: (إذن ليس مفاجئا أن يكون الكثير من العلماء غير مبتهجين لهذا الاستنتاج المنطوی علی وجود متفرد لانفجار أعظم، و بالتالی علی وجود بداية للزمن) «۳».

(_____ ۱) انظر: الحرارة و الديناميكا الحرارية، ماركٔ وزنماسكی و ريتشارد ديثمان، ترجمة، محسن سالم رضوان، القاهرة، دار ماكجروصيل الطبعة الأولی، ۱۹۸۲، ص: ۱۸۰، و انظر: الديناميكا الحرارية، فرانسيس و ستون سيرس، ترجمة، رضا جاد جرجس و طاهر مجيد الشريتی، البصرة، طبع كلية التربية جامعة البصرة، د. ت، ص: ۱۸۳، و انظر: الديناميكا الحرارية، أبوت فان هيس، ترجمة، أحمد فؤاد باشا و سعيد بسيونی الجزائری، القاهرة، الدار الدولية للنشر، الطبعة الرابعة، ۱۹۹۸، ص: ۱۷۶. (۲) أجمل تاريخ للكون، جويل دورونی، و آخرون، ص: ۱۶. (۳) الثقوب السوداء و الأكوان الطفلة، سيتفن هوكنغ، ترجمة، حاتم النجدی، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸، ص: ۷۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۹۵ هذا هو القرار العلمی الذی توصل إليه الدارسون، و هذا هو الواقع الذی ينطق الكون به، لأن الكون متغير و كل ما قد خضع لقانون التغير و التبدل، فإنه حادث مصيره الفناء و لو بعد حين. و نزيد فی التأكيد علی نهاية الكون من الناحية العلمية، باستعراض نتائج ما استقر فی دراسات الباحثين حول هذه القضية، يقول «ستيفن وينبرغ»: (و سيقف توسعه عند حد يتبعه بعدئذ انكماش متسارع، و ستهبط درجة حرارة الخلفية الكونية (للفوتونات) و (النوترينوات) «۱»، ثم ترتفع تبعا لانتقال الكون من طور التوسع إلی طور الانكماش، و ستتغير دائما بتناسب عكسی مع قدر الكون ... و ستبدأ الجزئيات فی أجواء النجوم و السيارات بالتفكك إلی ذراتها المكونة لها، و ستنفصل (إلكترونات) الذرات عن نواها لتصبح حرة طليقة، ثم تذوب النجوم و السيارات فی حساء كونی من الإشعاع ...) «۲». (و أثناء استمرار هذا التوسع تبتعد المجرات بالتدريج، و يخبو نورها حتی تصبح غير مرئية، و كل مادة منها ما لم تبتلعها الثقوب السوداء ستبرد ببطء حتی تبلغ درجة حرارة الفضاء الصقيعية إلی الأبد ... حتما و هناك فی العلم وضع تنبؤات تولد كآبة لا تقل عمقا عن كآبة موت العالم الحی) «۳». (و فی نهاية المطاف يتحول النجم المتقلص إلی بؤرة غير مرئية، يحيطها مجال جذبی شديدة القوة يمتص و يبتلع كل ما يمر جواره من أجسام مادية أو (فوتونات ضوئية)، أو نجوم هرمة مكدسة و منكمشة، و يرافق النجم المنهار المتقلص ازدياد فی شدة المجال

(_____ ۱) النوترينوات، onirtuen، جسيم أولی من المادة، خفيف الوزن للغاية، و ربما من دون كتلة، يتأثر بالقوة الضعيفة و بالجاذبية دون سواهما. انظر: موجز فی تاريخ الزمان، ستيفن هوكنغ، ص: ۲۱۱. (۲) الدقائق الثلاث الأولی من عمر الكون، ستيفن و ينبرغ، ص: ۱۹۸. (۳) المكان و الزمان فی العالم الكونی الحديث، ب. د. ديفيس، ترجمة، أدهم السمان، دمشق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۲۰۵، و انظر: أعماق الكون، سعد شعبان، القاهرة، دار الكتاب العربی، د. ت، ص: ۳۵۰، و انظر: من الذرة إلی المجرة، محمد صالح المحب، بيروت، دار الفكر اللبنانی، د. ت، ص: ۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۱۹۶ الجذبی قرب سطحه لتصبح أعظم من أی قوة أخری فی النجم، و القادرة علی اختفائه من الوجود و تحويله إلی ثقب أسود ذی درجة حرارة عالية) «۱». (و الإنسان يری نفسه علی مرآة المرصد فی النهاية حسب نظرية «أنيشتاين»، علی أن الكون مغلق و أحدب أی مكور كالكرة أو البيضة، و كما للكون بداية فإن له نهاية، و المخلوقات و الكائنات الحية علی الكرة الأرضية تتوالد و تموت ثم تنشأ من جديد، و الشمس و كواكبها تسير نحو الهرم، و المجرة جميعها مع مكوناتها من نجوم و سحب كونية و سدم ستنكدر، و تنطفئ جذوتها، و تفقد خواصها، و ما سيصيب المجرة «۲» سيصيب المجرات الأخری و التی ستخلق من جديد سيصيبها كلها ما أصاب قبلها من موت و فناء) «۳». يتضح لنا مما سلف من دراسات العلماء، أن الكون صائر إلی نهاية محتومة، و فناء مؤكد، و قد تضافرت أبحاث العلماء حول نهاية الكون، و

رکزت علی تصورین للنهایة الکونیة، و قد ذکرناهما فی ثنایا سرد أقوال العلماء و هما:

(_____ ۱) علم الفلک و الکون، عواد الزحلف، عمان، دار المناهج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۸۴، و انظر: عالم المعرفة، النهایة فرانک کلوز، ترجمة، مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة و الفنون، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۳۰۸. (۲) المجرة «yxalag» تجمع نجمی، تضم ملیارات من النجوم و الغبار و الغازات، لکن لها أشکال و أحجام مختلفة. انظر: الموسوعة الکاملة الکون، بیروت نوبیلس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷، ۲/ ۵۶. (۳) من الذرة إلی المجرة، حمادة العائدی، عمان، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص ۴۰۷، و انظر: الکون ذلک المجهول جلال عبد الفتاح، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴، ص: ۱۲۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۷ ۱- الانکماش العظیم و نهایة الکون: و صاحب هذا الاتجاه هو العالم «ستیفن وینبرغ» و الذی أسهب فی الحدیث عن نهایة الکون، و أنه کما بدأ بانفجار عظیم، کذلک فإنه سیعود و ینکمش علی نفسه کما بدأ، و قد أثبتنا تصوره هذا آنفا، و کان قد سجل هذا الاستنتاج فی کتابه «الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون» ثم جاء «ستیفن هوکنغ» و أکد هذه الفکرة، و أطلق علی نهایة الکون بناء علی دراساته الفلکیة ب (الانکماش العظیم) و ذلک فی کتابه «تاریخ موجز للزمان» و یعتبر هذا الاتجاه من أقوی ما سجل حول نهایة الکون. ۲- الثقوب السوداء و النهایة الکونیة: و هذا التصور حول نهایة الکون، لا یختلف عن سابقه من حیث المضمون، فکلاهما ینص علی النهایة الأکیدة للکون، إلا- أن الاختلاف ناشئ من جهة الحیثیة و الملابسات التی تعتری أطوار النهایة. و لا- بد من التر کیز قلیلا- علی قضیة «الثقوب السوداء» «۱»، لما لها من الأهمیة البالغة فی دراسات الفلکیین، و کذلک لأن اقتناع عدد لیس بالقلیل من العلماء بأن مصیر الکون و نهایته إنما سیتم ضمن مقبرة النجوم فی السماء، ألا و هی الثقوب السوداء، فما هی تصورات العلماء حول هذه الثقوب؟ و ما هی طبیعتها؟ و کیف تتم عملیة جذب الکواکب و النجوم إلی داخلها و کیف تکون النهایة؟. یقول «ستیفن هوکنغ»: (و بعد عشرة ملیارات سنة أو نحوها، ستکون معظم النجوم فی الکون قد احترقت، و النجوم ذات الکتل المشابهة لکتلة الشمس سوف تتحول إما إلی أقزام بیضاء ... أما النجوم ذوات الکتل الأکبر، فتتحول إلی ثقوب سوداء، و هذه أصغر من النجوم (النیوترونیة) «۲» و تمتلک حقلا- ثقیلا- شدیدا یمنع الضوء، و کل شیء آخر من الخروج منها ... و یتجمع فی النهایة لیکون ثقبا أسودا عملاقا فی مرکز المجرة، و ما قلناه عن مجرتنا ینسحب علی المجرات الأخری، و مهما تکن المادة

(_____ ۱) الثقب الأسود «eloh kcalb»، جسم فائق التقلص، یملک جاذبیة قویة جدا إلی درجة أنها تمنع الضوء نفسه من الإفلات. انظر: الموسوعة الکاملة، ۲/ ۵۶. (۲) النجم النیوترونی، rats nortuen، نجم بارد، مدین ببقائه للتنافر بین النیوترونات فی مبدأ الاستبعاد. انظر: موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء، ستیفن هوکنغ، ص ۲۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۸ المظلمة فی المجرات و مجموعات المجرات فیتوقع أنها ستسقط فی هذه الثقوب السوداء الضخمة أیضا) «۱». (و لقد تنبأت نظریة (أنیشتاین) نفسها فی النسبیة العامة، أن الزمکان (الزمان، المکان) بدأ مع الانفجار العظیم، و بأنه سوف ینتهی إما مع تفرد الانهیار العظیم، إذا ما عاد الکون بکامله إلی الانسحاق و التقوض، أو مع تفرد داخل ثقب أسود، إذا ما کان لمنطقة محلیة کالنجم مثلا أن تنسحق، فأی مادة تقع داخل الثقب، سوف تدمر بالتفرد، و لا یبقی منها أی شیء محسوس سوی تأثیر جاذبیة کتلتها، من جهة أخری فعند ما تؤخذ تأثیرات الکمّ بالحسبان، و أن الثقب الأسود و کذلک أی تفرد فی داخله سوف تتبخر تلاشیا، و یختفی فی النهایة) «۲». صورة لثقب أسود یبتلع ما حوله- صورة التقطت بواسطة تلسکوب هابل

(_____ ۱) الثقوب السوداء و الأکوان الطفلة، سیتفن هوکنغ، ص: ۱۲۳. (۲) موجز فی تاریخ الزمان من الانفجار العظیم إلی الثقوب السوداء، ستیفن هوکنغ، ص: ۱۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۱۹۹ إن هذه الثقوب السوداء التی تبتلع الکواکب و النجوم و الأجرام السماویة، و

تلتهم الكون بجاذبيتها التى لا يفلت من قبضتها شىء حتى الضوء نفسه يكون لقمة سائغة عند ما يقع فى شباكها قد أماط العلماء اللثام عن بعض خصائصها العلماء، و هاك هذه الخصائص: (مراكز معظم المجرات بما فيها مجرتنا درب التبانة، تحتوى على ثقوب سوداء يقدر العلماء وجود حوالى نصف مليون ثقب أسود فى مجرتنا. - أن حوالى ۸۰ إلى ۹۰٪ من الكتلة الإجمالية فى الكون، متوارية عن الأنظار على هيئة ثقوب سوداء. - حسب بعض العلماء الوزن النوعى «الكثافة» للثقب الأسود، و وجدوا أنه قد يصل إلى ۱۷۸۰۰ طن لكل سم مكعب واحد. - وزن الإنسان، أى قوة جذبه الواقف على سطح الثقب الأسود، سيصل عندها إلى ۱۱۳ مليار طن!. - إن حد الأمان أكبر من ۳۰۰۰۰ ميل، فلو اقترب نجم إلى هذه المسافة فيكون قد وقع فى فخ الثقب الأسود) «۱». أما عن ماهية الثقب الأسود و طبيعته، فقد وضع العلماء تصورا نظريا عن الثقوب السوداء و تخيلات نسجوها من خلال ما توفر لديهم من معلومات مجردة حولها، فقد تصور العلماء (سفينة فضائية تقترب من ثقب أسود، كتلته تعادل ۱۰ كتل شمسية، أول ما يلاحظه رواد السفينة تعاظم قوة جذبهم، كلما صغرت المسافة التى تفصلهم عن الثقب الأسود، ينظر الرواد من نافذة مركبتهم فيرون قرصا حلزونيا من الغازات، يدور حول الثقب الأسود، قام الثقب الأسود بشفطها من نجم قريب، و تنطلق أثناء ذلك دفعات غزيرة من الطاقة، معظمها بشكل «أشعة سينية» «۲» قوية، تلك الأشعة قوية (_____ ۱) الثقب الأسود، محمد رضوان المصرى، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولى، ۱۹۸۶، ص: ۳۶، و انظر: الثقوب السوداء و الأكوان الطفلة، ستيفن هوكنغ، ص: ۸۷، و انظر: الكون هوبرت ريفرز، ترجمة درويش الحلوجى، القاهرة، دار المستقبل العربى، الطبعة الأولى، ۱۹۹۶، ص: ۳۳۰. (۲) أشعة سينية syar- x، و تسمى أيضا أشعة رونتجن، و هى قصيرة الموجات، تحتاج إلى طاقة كبيرة لإطلاقها. انظر: المحيرات الفلكية، عبد الرحيم بدر، ص: ۱۱۲. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۰۰ الاحتراق، التى تمر عبر عضلات الإنسان و لحمه، و كأنها تخترق الهواء لا يوقفها إلا العظم، ينظر الرواد عبر مرصدهم الفلكى المحمول على متن السفينة، فيشاهدون ضوء النجوم البعيدة يحيط بمنطقة داكنة لا تسمح بمرور أى شعاع ضوئى، هى ستار مسرح الأحداث المحيط بالثقب الأسود و الذى يقارب قطره ۳۷ ميلا، إن ما يقع ضمن مسرح الأحداث لا يمكن رؤيته أو سماعه من قبل أى شخص ينظر إليه من الخارج، أما إذا دخل المشاهد مسرح الأحداث عندها يكون قد فات الأوان، انطلاقا من هذه التصورات وجد العلماء أن قوة الجاذبية الخارقة للثقب الأسود، هى ذات آثار يمكن كشفها، فهى قادرة على أسر نجم قريب و وضعه فى مدار حول الثقب الأسود، يطلق النجم المأسور أثناء ذلك إشعاعات قوية، و ما على العلماء فى هذه الحالة إلا كشف صرخات الاستغاثة التى يطلقها النجم المأسور ليشكل إشعاعات سينية، و «فوق بنفسجية» «۱» كى يستدلوا على وجود الثقب الأسود المتوارى عن الأنظار) «۲». و فى إطار دراسات العلماء حول الثقوب السوداء هذا المقال: (ساهم ارتفاع مفاجئ للمعان سحابة غازات عالية الحرارة بمركز مجرة درب التبانة، فى دعم الفكرة القائلة بوجود ثقب أسود غاية فى الشساعة وسط هذه المجرة، و يعتقد غالبية علماء الفلك أن ذلك الشىء يوجد فعلا هناك، لكن الأدلة المقدّمة لغاية الآن، و المبنية على تحركات فى نجوم مجاورة، لم تصل إلى خلاصات حاسمة، و قد تمكنت عمليات مراقبة أجريت أخيرا لمركز المجرة، من رصد طاقة ناجمة عن وميض من (أشعة إكس) ظل يلمع و يفتر مدة عشر دقائق، و هذه الفترة إذا ما أضيفت إلى دلائل سابقة تسمح لعلماء الفلك بقياس كتلة و حجم الثقب الأسود المحتمل، و قد كانت المحصلة هى كتلة تفوق مليونى أضعاف كتلة الشمس، و يعتقد العلماء أن التفسير الوحيد لهذه الظاهرة هو وجود ثقب أسود هناك. (_____ ۱) أشعة فوق بنفسجية syar teloivartlu، و هى أمواج كهرومغناطيسية، لها تردد أكبر من تردد الأشعة البنفسجية، و هى أشعة غير مرئية تستخدم لأغراض التعقيم، و لها دور مهم فى تكوين فيتامين «د» فى الجسم، و لكن إذا تعرض الجسم لهذه الأشعة لفترة طويلة تؤدى إلى حدوث سرطان الجلد. انظر: www. aibaraloohcs .ten /aymek /yrtsimehc lareneg /yrassolg mehc I/ .mehc .mth ۲) ptth//:) انظر: مجلة العربى، الكويت، العدد ۳۱۳ ديسمبر، ۱۹۸۴، مقال لسمير صلاح الدين شعبان، ص: ۱۱۵، و انظر: الثقوب

الکونیـة السوداء فائز فوق العادة، دمشق، دار المعرفـة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص: ۱۷۵. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۱ و من بین النظریات التی تحاول تفسیر ما یعتری النجوم الواقعة بمرکز المجرة من حرکة سـریعة، ما یذهب إلی القول بوجود شـکل غیر مرئی من المادة التی تشـبه عنقودا من النجوم الداکنـة، و أیا کان نوع التفسـیر، فإن ما یوجد هناک له من الضـخامة ما یجعله قادرا علی جـذب أقرب النجوم المرئیة بسـرعة خارقة تصل إلی خمسة ملایین کیلومتر فی الساعة، و ما یجعلنا نکاد نجزم بأن ما یجری الجـدل حوله هو ثقب أسود، یجـد سـنده فی شـیء ما یحدث فی أطرافه) «۱». صورة متخیلـة لمادة و ضوء یدوران حول ثقب أسود هائل.

الإعجاز:

الإعجاز: هذه هی الصورة العلمیة التی توصل إلیها العلماء و الباحثون عن نهایة الکون و فنائه، و قد فنّدوا بهذا هراء الإلحاد الذی یزعم بخلود العـالم و عـدم فنائه ... و من الملفت للانتباه، بل من المثیر حقا، أننا نجـد من خلال سـرد ما توصل إلیه العلماء فی أبحاثهم أنهم قـــــــد قرروا أن للکـــــــــون نهایـــــــــة، و هـــــــذه النهایـــــــة صوروهـــــــا بالانکمـــــــاش

(_____ ۱) مقـال فی موقع cbb، بقلم: دفید وایتهاوس. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۲۰۲ العظیم، أی بـانطواء الکون علی نفسه، و عودته إلی نقطة البدایـة و شـکله الأولی، أو بالثقوب السوداء التی تقوم بشـفط و ضـغط الکواکب و إعادتها إلی غازات کتلک التی منها نشأ الکون ... فکل التصورات العلمیـة التی تبناها الفلکیون فی عصـرنا ترسم السـیناریو الواضـح لنهایـة الکون، و ارتداده إلی صورته التی کان علیها یوم وجـد و نشـأ، و الله أعلم. و لیت شـعری لو أن هؤلاء العلمـاء، أو المتخصصـین من علماء الإسـلام، عکفوا علی کتاب اللّه تعالی و درسوه من جهة تخصصاتهم دراسة متأنیة، لوجدوا الخطوط البیانیة و الرئیسیة التی ترسم أطر النهایة الکونیة بکل وضوح ... إنه التوافق العجیب بین معطیات العلوم الحدیثة و حقائق القرآن الکریم، فالعلماء اتفقوا علی أن الکون سـینتهی علی شـکل الصورة التی بدأ منها، و هـذه الحقیقة لطالما قررها مولانا تبارک و تعالی فی کتابه المجید، قال جل جلاله: یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیـدُهُ وَعْـداً عَلَیْنا إِنَّا کُنَّا فاعِلِینَ «۱». و قـال تعـالی: وَ هُوَ الَّذِی یَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ یُعِیـدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَیْهِ وَ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلی فِی السَّمـاواتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ «۲». و کیفمـا کـان وجه الصورة لنهایـة الکون و تـآکله ثم فنائه، و نحن لا نجزم إلا بالصورة القرآنیـة التی أخـذت مساحـة کبیرة فی القرآن الکریم و هی تقرر حقیقة النهایة، فإن الذی یعنینا من ذلک أن القرار الواضح الذی لم یعـد یتسـرب إلیه شک أو موارب‌ـة أن سـلطان الفناء و الخراب سـیمتد لیطوق الکون بأسـره، ثم لیحیله إلی العـدم، و هـذه الحقیقة کما أسـلفنا، هی أصل من أصول الـدین و العقیـدة لـدی کل مؤمن، و لقد قررها القرآن الکریم فی کثیر من الآیات الکریمة، و لنسـتعرض طائفـة من الآیـات القرآنیـة التی تصور لنـا المشـهد الأـخیر من قصـة الکون و وجوده فی مسـرح الحیاة الفانیـة. قال تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ (۱) وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ (۲) وَ إِذَا الْجِبالُ سُیِّرَتْ (۳) وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ (۶) «۳» (_____ ». ۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۱۰۴.

(۲) سورة الروم، الآیـة: ۲۷. (۳) سورة التکویر، الآیـات ۱- ۶. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحـدیث، ص: ۲۰۳ و قال تعالی: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ «۱»، فی هذه الآیة إیحاء و تصویر لمشـهد الطمس الذی أسلفنا الحدیث عنه، أ لا تری أن الکواکب عند ما تبتلعها الثقوب السوداء تطمس طمسا فلا تری أبدا و اللّه أعلم. و یتحدث سـید قطب عن نهایة الکون فیقول: (هذا هو مشـهد الانقلاب التام لکل معهود و الثورة الشاملة لکل موجود، الانقلاب الذی یشمل الأجرام السماویة و الأرضیة، و الوحوش النافرة و الأنعام الألیفة و نفوس البشـر و أوضاع الأمور، حیث ینکشف کل مسـتور، و یعلم کل مجهول و تقف النفس أمام ما أحضـرت من الرصـید و الزاد فی موقف الفصـل و الحساب، و کل شـیء من حولها عاصف و کل شـیء من حولها مقلوب) «۲». إن هذه الأحداث المرعبة التی تضـفی

علی الکون صورة الخراب و الاضطراب، و تجعل من الکون المتساوق فی أجرامه، المتسق فی حرکته و جریانه، المنضبط فی مساره، الرصین فی إحکام بنائه، تجعل منه أنکاثا متناثرة، و أوزاعا متفرقة. و یصف الإمام الرازی النهایة فیقول: (و تکویر الشمس هو انطفاؤها و خمدان لهیبها و تجمدها و انکدار النجوم و انفراطها من عقدها الفرید، و تناثرها من نظامها الدقیق ... أما الجبال، فاعلم أن اللّه تعالی ذکر فی مواضع من کتابه أحوال هذه الجبال علی وجوه مختلفة، و یمکن الجمع بینها علی الوجه الذی نقوله، و هو أن أول أهوالها الاندکاک و هو قوله سبحانه: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ فَدُکَّتا دَکَّةً واحِدَةً «۳». و الحالة الثانیة لها أن تصیر کالعهن المنفوش، و ذکر اللّه تعالی ذلک فی قوله: یَوْمَ یَکُونُ النَّاسُ کَالْفَراشِ الْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَکُونُ الْجِبالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۵) «۴».

(_____ ۱) سورة المرسلات، الآیة: ۸. (۲) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۶/ ۳۸۳۷. (۳) سورة الحاقة، الآیة: ۱۴. (۴) سورة القارعة، الآیتان ۴، ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۴ و الحالة الثالثة: أن تصیر کالهباء، و ذلک أن تتقطع و تتبدد بعد أن کانت کالعهن و هو قوله سبحانه و تعالی: وَ بُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا (۵) فَکانَتْ هَباءً مُنْبَثًّا (۶) «۱». و الحالة الرابعة: أن تنسف لأنها مع الأحوال المتقدمة مارة فی مواضعها، و الأرض تحتها غیر بارزة فتنسف عنها بإرسال الریاح علیها و هو المراد من قوله تعالی: وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ یَنْسِفُها رَبِّی نَسْفاً «۲». و الحالة الخامسة: أن الریاح ترفعها عن وجه الأرض فتصیرها شعاعا فی الهواء کأنها غبار فمن نظر إلیها، من بعد حسبها لتکاثفها أجساما جامدة، فهی فی الحقیقة مارة إلا أن مرورها بسبب مرور الریاح بها صیرها مندکة متفتتة و هی قوله: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ «۳». ثم تبین أن تلک الحرکة حصلت بقهره و تسخیره فقال سبحانه: وَ یَوْمَ نُسَیِّرُ الْجِبالَ وَ تَرَی الْأَرْضَ بارِزَةً وَ حَشَرْناهُمْ فَلَمْ نُغادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً «۴». الحالة السادسة: أن تصیر سرابا، بمعنی لا شیء، فمن نظر إلی مواضعها لم یجد منها شیئا، کما أن من یری السراب من بعد إذا جاء الموضع الذی کان فیه لم یجده شیئا و اللّه أعلم) «۵». کذلک فإن الحدیث عن السماء یأخذ بالألباب، و یثیر الرعب و الهلع فی النفوس، قال اللّه سبحانه و تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ وَ الْأَرْضُ بِأَمْرِهِ «۶». و قال سبحانه: یَوْمَ نَطْوِی السَّماءَ کَطَیِّ السِّجِلِّ لِلْکُتُبِ کَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِیدُهُ وَعْداً عَلَیْنا إِنَّا کُنَّا فاعِلِینَ «۷ (_____». ۱) سورة الواقعة، الآیتان ۵، ۶. (۲) سورة طه، الآیة: ۱۰۵. (۳) سورة النمل، الآیة: ۸۸. (۴) سورة الکهف، الآیة: ۴۷. (۵) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۱۶/ ۱۲. (۶) سورة الروم، الآیة: ۲۵. (۷) سورة الأنبیاء، الآیة: ۱۰۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۵ و هکذا فإن کل شیء فی هذا الوجود سیشیّع إلی مثواه الأخیر، و یرقد فی کفن الموت، فالحق هز المخلوقات التی یضمها الکون بین جنباته هزا عنیفا، و أوحی إلیهم أن نوامیس الدنیا المعهودة و قوانین الحیاة المعروضة، و المقاییس التی عشناها و تفاعلنا معها قد سقطت الآن فی رحی القیامة، و الجمیع سیمثل بین یدی الدیان، لیحاسب علی الصغیر و الکبیر و الفتیل و القطمیر. صورة التقطت بواسطة التلسکوب الفضائی هابل، و تظهر ثقبا أسود. و السیناریو الذی وضعه العلماء لنهایة العالم سیکون طاقة هائلة قاتمة تنمو و تتوهج إلی کمیة کبیرة، بحیث مجرتنا لا یمکن لها أن تبقی متماسکة، و النجوم و الکواکب و حتی الذرات لا یمکن أن تتحمل القوة الداخلیة المتزایدة، و قدیما کان یقال نهایة العالم بالضغط الشدید أما الآن فبالانفجار و التمزق العظیم، ناسا بتاریخ، ۳/ ۳/ ۲۰۰۳ «۱».

(_____ ۱) ترجم هذا الکلام، و أخذت هذه الصورة من: gro. etiselbbuh:// ptth الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۶ نجم یموت و ینفث الأشعة الملتهبة من داخله. کما أن هذه الصورة تجسید حی لقوله سبحانه و تعالی: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَکانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهانِ «۱»، أخذت هذه الصورة من ناسا، و التقطت بتاریخ، ۲۸ / ۶ / ۱۹۹۵ «۲».

(_____ ۱) سورة الرحمن، الآیة: ۳۷. (۲) الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، lmth. ۹۵۰۶۲۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna:// ptth

ص: ۲۰۷

الفصل الخامس الإعجاز القرآنی فی الشمس

اشارة

الفصل الخامس الإعجاز القرآنی فی الشمس تمهید: المبحث الأول: تحرکات الشمس و انتقالاتها بین القرآن و العلم. المبحث الثانی: الشمس متوهجة ملتهبة بین القرآن و العلم. المبحث الثالث: تعدد الشموس و الأقمار بین القرآن و العلم. المبحث الرابع: موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۰۹

تمهید

تمهید قال تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». الشمس آیة من آیات اللّه، فهی نجم متألق فی قبة السماء، و صدیق حمیم لعامة المخلوقات التی أودعها اللّه فوق رحب هذه الأرض و فی جنباتها، إذ منها یستمد الکائن الحی، سواء الإنسان أم المخلوقات الأخری، الطاقة الإشعاعیة التی من شأنها أن تغذی الکائنات الحیة، و ذلک بالحفاظ علی عوامل نموها و نجاحها، و هی سبب فی الاستحالة المائیة حولنا، فعن طریقها یتحول الماء إلی بخار ماء ثم یتکاثف بعد ذلک بصور مختلفة منها المطر و البرد و الثلج ... و هذه الظواهر الطبیعیة من ضروریات الحیاة، بل هی المقومات الأساسیة التی تنهض علیها الحیاة بأسرها. نظرا لفوائدها الکثیرة التی لا مجال لسردها هنا، فإننا سنتعرف بعون اللّه تعالی علی ترکیب هذا النجم الوهاج، و خصائصه الفیزیائیة، لنقف علی مشاهد الروعة و الإبداع فی خلق اللّه العجیب. ثم سنتحدث عن بعض جوانب الإعجاز فی الشمس، و التی سجّلها القرآن الکریم و قررها، قبل أن یکشف عنها و یصل إلی أسرارها العلماء، کحرکة الشمس و جریانها، و کیف أن القرآن الکریم رکّز فی کل آیاته علی أن الشمس سراج وهّاج مضیء، و لیس منیرا کالقمر و الإعجاز فی ذلک، ثم نتحدث عن أسبقیة القرآن فی تقریر أن هناک کثیرا من الشموس و الأقمار و لیست شمسا واحدة، و لا قمرا واحدا کما کان یظن، ثم یطوی ملف الشمس فی التعریج علی نهایتها، و خمدان لهیبها، و انطفاء ضیائها بین القرآن و العلم.

(_____ ۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۰

المبحث الأول تحرکات الشمس و انتقالاتها

اشارة

المبحث الأول تحرکات الشمس و انتقالاتها قبل أن نشرع فی الحدیث عن الإعجاز فی تحرکات الشمس و تنقلاتها، یشار إلی بعض خواص الشمس الفیزیائیة، و ذلک للأهمیة فی هذا المبحث. کشف العلماء عن بعض أسرار خلق اللّه فی الشمس، و أطلعونا علیها و ذلک: (عن طریق استخدام المطیاف الذی یحلل أشعة النور إلی أطیاف، بواسطة الموشور الزجاجی، الموجود أمام عدسة المطیاف، أمکن معرفة مرکبات الشمس و درجة الحرارة فیها، إذ أن لکل عنصر یکون علی شکل غاز متوهج لونا خاصا به، یمیزه عن غیره، و یدلنا علی مقدار درجة حرارته، و نوع المادة التی یتألف منها، و من تحلیل الطبقة السطحیة من الشمس إلی خطوط طیفیة، تبین أن ترکیب تلک الطبقة یکون علی الشکل التالی و بالنسبة المحددة بجانب کل عنصر: الهیدروجین و نسبته أقل بقلیل من ۷۰٪. الهلیوم و نسبته أقل بقلیل من ۲۴٪. الأوکسجین و نسبته أقل بقلیل من ۱٪. الفحم و نسبته أقل بقلیل من ۴، ۰٪. الحدید و نسبته أقل بقلیل من

۱۶، ۰٪. السیلیس و نسبته أقل بقلیل من ۱، ۰٪. الآزوت و نسبته أقل بقلیل من ۱، ۰٪. المغنیسیوم و نسبته أقل بقلیل من ۹، ۰٪. النیون و نسبته أقل بقلیل من ۰۷، ۰٪. و عند ما نبلغ الطبقة الوسطی من الشمس نجد أن غاز الهیدروجین، یأخذ بالتناقص لتصبح نسبته ۶۵٪ بینما ترتفع نسبة الهلیوم حتی تصبح ۳۴٪، و عند بلوغنا سطح الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۱ الطبقة المرکزیة أی النواة، یزداد تناقص الهیدروجین حیث لا تزید نسبته هناک علی ۳۴٪، بینما ترتفع نسبة الهلیوم لتصبح ۶۵٪، و عند ما نقترب من مرکز الشمس یختفی الهیدروجین تماما، و تصبح نسبة الهلیوم هناک ۹۹٪ و یبقی ۱٪ للعناصر المعدنیة التی تدخل فی ترکیب الشمس) «۱». و أما قطرها فیبلغ (۴، ۱ ملیون کیلومتر تقریبا، و معدل بعدها عن الأرض ۱۵۰ ملیون کم و معدل درجة الحرارة الداخلیة ۲۰ ملیون درجة «سنتغرید»، أکبر من الأرض ب ۱۲۰۰۰۰۰ مرة، و اللون أصفر، و مسافة الشمس من مرکز المجرة ۳۰۰۰۰ سنة ضوئیة، و سرعة الشمس حول مرکز المجرة ۲۲۰ کلم فی الثانیة، و تدور حول نفسها مرة کل ۲۵ یوما من أیام الأرض، و تسیطر الشمس بقوة جاذبیتها علی الکواکب العشرة التی تدور حولها، کما أنها تفقد فی الدقیقة الواحدة ۲۵۰۰۰۰۰۰۰ طن من المادة لتتحول إلی طاقة) «۲». بعد هذه اللمحات و المعلومات السریعة عن الشمس، نأتی للحدیث عن بعض جوانب الإعجاز القرآنی حول هذا النجم الکبیر، و الحقائق العلمیة التی سجلها کتاب اللّه فی هذا الشأن، ثم کیف تکشفت بعد ذلک للعلماء فی میدان الفلک حدیثا.

تحرکات الشمس و انتقالاتها

تحرکات الشمس و انتقالاتها قال تعالی: وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی إِلی أَجَلٍ مُسَمًّی «۳». و قال سبحانه: وَ سَخَّرَ لَکُمُ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دائِبَیْنِ وَ سَخَّرَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ «۴». و قال سبحانه: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها ذلِکَ تَقْدِیرُ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ «۵». نلاحظ أن هذه الآیات تقرر قرارا صریحا و واضحا أن الشمس تجری و تسبح فی فلک السماء فهی لیست ثابتة کما کان یعتقد الناس قدیما، فکانوا یعتقدون أن الشمس (_____ ۱) الشمس، إبراهیم غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت، ص ۱۴. (۲) موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ص: ۷. (۳) سورة لقمان، الآیة: ۲۹. (۴) سورة إبراهیم، الآیة: ۳۳. (۵) سورة یس، الآیة: ۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۲ مسمرة ثابتة فی کبد السماء، لا یعتریها زوال، و تستهجن الحرکة و المسیر، و ترکن إلی الاستقرار و الجمود ... لکن اللّه سبحانه و تعالی قرر أنها تجری، و الفعل تَجْرِی فیه إعجاز عظیم، لأنه لا یدل علی حرکة الشمس الظاهریة التی یبصرها الناس عند ما تشرق الشمس شیئا فشیئا، ثم ترتفع و تتوسط السماء، ثم تزول و تأوی إلی مهدها فی الغیاب، ثم تتواری عن أنظار الخلائق ... بل هو یدل و یعبر عن حرکة واقعیة أثبتتها الأرصاد، و حرکتها العظیمة هذه یعبر عنها الفعل تَجْرِی بالسرعة الهائلة التی تقطعها الشمس خلال جریانها، لأن الجری أسرع من المشی أو السیر، و لذلکم فإن جریان الشمس السریع هذا المقرون بجاذبیة الشمس یجر معه الکواکب السیارة التی تدور حولها، و لقد أشرنا إلی المسافة الکبیرة التی تقطعها الشمس فی الثانیة، و التی توضح لنا تألق دقة التعبیر القرآنی بالفعل تَجْرِی الذی حمل الإعجاز الشمسی فی أحرفه الرصینة. و بنظرة دقیقة فی کتب التفسیر حول هذه الآیات نجد ما یلی: ففی تفسیر الطبری: (و سخر الشمس و القمر لمصالح خلقه و منافعهم، کل یجری، یقول: کل ذلک یجری بأمره إلی وقت معلوم و أجل محدود، إذا بلغه کورت الشمس و القمر، و بنحو الذی قلنا فی ذلک قال أهل التأویل) «۱». و عند ابن کثیر: (و سخر الشمس و القمر کل یجری إلی أجل مسمی، قیل: إلی غایة محدودة و قیل إلی یوم القیامة، و کلا المعنیین صحیح) «۲». و قال الإمام البیضاوی: (و سخر لکم الشمس و القمر دائبین، یدأبان فی سیرهما و إنارتهما و إصلاح ما یصلحانه من المکونات، و سخر لکم اللیل و النهار یتعاقبان لسباتکم و معاشکم) «۳». و فی تفسیر «معالم التنزیل»: (و سخر لکم الشمس و القمر دائبین، یجریان فیما یعود (_____ ۱) جامع البیان، للطبری، ۲۱/ ۸۳، و انظر: الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، علی بن أحمد الواحدی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق دار القلم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه، ۲/

۸۵۰. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۳/ ۴۵۳، و انظر: التفسیر الواضح المیسر، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱، ص: ۱۰۲۲. (۳) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۳/ ۳۵۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۳ إلی مصالح العباد و لا یفتران، قال ابن عباس: دءوبهما فی طاعة اللّه عز و جلّ، و سخر لکم اللیل و النهار یتعاقبان فی الضیاء و الظلمة و النقصان و الزیادة) «۱». و فی تفسیر «زاد المسیر»: (و سخر لکم الشمس و القمر لتنتفعوا بهما، و تستضیئوا بضوئهما دائبین فی إصلاح ما یصلحانه من النبات و غیره لا یفتران، و معنی الدءوب مرور الشیء فی العمل علی عادة جاریة فیه) «۲». و روی عن ابن عباس أنه (قرأ لا مستقر لها، أی جاریة لا تثبت فی موضع واحد) «۳». (و الشمس أی و آیة لهم الشمس تجری لمستقر لها، و فیه أربعة أقوال، أحدها: إلی موضع قرارها روی أبو ذر قال: سألت رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم عن قوله: لِمُسْتَقَرٍّ لَها قال: «مستقرها تحت العرش» و قال: «إنها تذهب حتی تسجد بین یدی ربها، فتستأذن فی الطلوع فیؤذن لها» «۴»، و الثانی: أن مستقرها مغربها لا تجاوزه و لا تقتصر عنه قاله مجاهد، و الثالث: لوقت واحد لا تعدوه قاله قتادة و قال مقاتل: لوقت لها إلی یوم القیامة، و الرابع: تسیر فی منازلها حتی تنتهی إلی مستقرها الذی لا تجاوزه، ثم ترجع إلی أول منازلها) «۵». إذن، یصرّح القرآن الکریم بأن الشمس تجری باتجاه معین، و هذا (ما قرره علماء الفلک بأن للشمس حرکة حقیقیة فی الفضاء معلومة المقدار و الاتجاه، و کشف النقاب عن ذلک بعد ألف و مائتی سنة من نزول هذا الکتاب الحکیم و أوضح علم الفلک، أن الشمس لها مجموعة من الکواکب و الأقمار و المذنبات، تتبعها دائما، و تخضع لقوة

(۱) معالم التنزیل، حسین بن مسعود البغوی، تحقیق، خالد العک، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷، ۳/ ۳۶. (۲) زاد المسیر فی علم التفسیر، عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۴ ه، ۴/ ۳۶۳. (۳) معانی القرآن الکریم، لأبی جعفر النحاس، تحقیق، محمد علی الصابونی، مکة المکرمة، نشر جامعة أم القری، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ۵/ ۴۹۳. (۴) صحیح البخاری، کتاب التفسیر، باب: و الشمس تجری لمستقر لها، ۴/ ۱۸۰۶، رقم: (۴۵۲۴). (۵) زاد المسیر، لابن الجوزی، ۷/ ۱۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۴ جاذبیتها، و تجعلها تدور من حولها فی مدارات متتابعة بیضاویة الشکل، و جمیع أفراد هذه المجموعة تنتقل مع الشمس خلال حرکتها الذاتیة) «۱». و لو فتشنا فی المعاجم عن معنی دائِبَیْنِ لوجدنا ما یلی: فی لسان العرب: (الدءوب، المبالغة فی السیر، و أدأب الرجل الدابة إدآبا، إذا أتعبها، و الفعل اللازم دأبت الناقة تدأب دءوبا، و رجل دءوب علی الشیء ... یقال: دأبت أدأب دأبا و دءوبا، إذا اجتهدت فی الشیء، و الدائبان: اللیل و النهار) «۲». و فی مختار الصحاح: (دأب فی عمله، جد و تعب، و بابه قطع و خضع، فهو دائب، بالألف لا غیر و الدائبان: اللیل و النهار) «۳». یستخلص من معطیات النصوص القرآنیة ما یلی: ۱- أن الشمس تجری فی الفضاء بسرعة منتظمة. ۲- ستتوقف الشمس عن الجری فی وقت ما، و سیکون لها مستقر محدد لا یعلمه إلا الحق سبحانه و تعالی.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ما ذا قال العلماء عن حرکة الشمس و جریانها؟. لقد أثبتت الأبحاث العلمیة أن الأجرام کلها تجری فی الفضاء، و لکل کوکب أو جرم فلک خاص به یدور حوله و لا یحید عنه أبدا، و الشمس من هذه الأجرام السیارة، و لها ثلاث حرکات تقوم بها معا.

حرکات الشمس

الدورة المحوریة:

الدورة المحوریة: (و تتمها الشمس حول نفسها فی زمن متوسط قدره ۳۰ یوما، و نقول فی زمن متوسط، لأن جسم الشمس الغازی لا

یتصرف عند دورته المحوریة تصرف الأجسام

(۱) الإعجاز العلمی فی الإسلام، محمد کامل عبد الصمد، القاهرة، الدار المصریة اللبنانیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴، ص: ۴۲. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۱/ ۳۶۸. (۳) مختار الصحاح، للرازی، ۱/ ۸۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۵ الصلبة، کالأرض فالمنطقة الاستوائیة فی الشمس تتم دورة کل ۲۵ یوما، بینما تحتاج المنطقة الواقعة عند درجة عرض ۳۰ من سطح الشمس إلی ۴، ۲۶ یوما کی تتم الدورة، أما عند درجة عرض ۶۰ من سطح الشمس، فإن المنطقة هناک تحتاج إلی ۳۲ یوما لإتمام الدورة، و المنطقة الواقعة عند درجة عرض ۸۰ من سطح الشمس تحتاج إلی ۳۵ یوما کی تتم دورتها، و قد أمکن التأکد من دوران الشمس حول نفسها عن طریق رصد الکلف الشمسیة، التی کانت تدور مع سطح الشمس و التی احتاجت إلی ۱۵ یوما حتی أتمت نصف دورة من الدورة الکاملة للشمس.

الدورة الانتقالیة للشمس:

الدورة الانتقالیة للشمس: تقوم الشمس مع کل منظومتها بدورة انتقالیة حول مرکز مجرتنا، و لما کانت المنظومة الشمسیة واقعة قرب حافة المجرة، و تبعد عن مرکزها بمقدار ۳۰ ألف سنة ضوئیة، فإنها تحتاج إلی ۲۵۰ ملیون سنة کی تتم دورتها حول المجرة، علما بأن سرعتها لا تقل عن ۲۰۶- ۲۲۰ کیلومتر فی الثانیة، أی ما یعادل ۷۴۱۶۰۰ کم فی الساعة.

الحرکة التباعدیة أو الانتشاریة:

الحرکة التباعدیة أو الانتشاریة: لقد ثبت أن المجرات تنطلق فی الکون متباعدة عن بعضها، و قد دعا العلماء هذه الظاهرة باسم «الانتشار الکونی» و قدرت سرعة مجرتنا و ضمنها شمسنا، و هی تبتعد عن غیرها من المجرات فی الکون بمقدار ۹۸۰ کیلومترا فی الثانیة، أی ما یعادل ۳۵۲۸۰۰۰ کیلومترا فی الساعة) «۱». و فی «الموسوعة الفلکیة» نجد (أن الشمس تدور حول محورها مرة کل خمسة و عشرین یوما و تقاس حرکتها بمراقبة البقع الکبیرة المظلمة علی سطحها و التی تعرف باسم الکلف الشمسیة) «۲». و لکی نفهم الآیات القرآنیة التی سلف عرضها، یجب علینا النظر فی موقع الشمس داخل مجرتنا درب التبانة، و أن نستعین بمعطیات العلم الحدیث التی تقول: (تتکون مجرتنا من عدد هائل من النجوم موزعة علی أسطوانة أکثر تماسکا فی المرکز منها علی

(۱) انظر: الشمس، إبراهیم حلمی غوری، ص: ۱۸. (۲) الموسوعة الفلکیة، خلیل بدوی، ص: ۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۶ المحیط، و یصل عدد النجوم إلی ۱۳۰ بلیون نجم «شمس»، و تحتل النجوم موقعا یبعد عن مرکز الأسطوانة، و بما أن المجرة تدور حول نفسها، و کأن محورها مرکزها، فإن ناتج ذلک هو أن الشمس تدور حول نفس هذا المرکز فی مدار دائری ... و الشمس تستغرق ۲۵۰ ملیون سنة تقریبا لتدور فی فلکها دورة واحدة حول مرکز المجرة، و تجری الشمس فی هذه الحرکة بسرعة تقریبیة قدرها ۲۵۰ کم/ ثا، تلک هی الحرکة المداریة للشمس و التی صرح بها القرآن الکریم منذ أربعة عشر قرنا، و هی الآن علامة من مکتشفات العلم الحدیث و لاحظ التعبیر القرآنی الدقیق وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ فقد لوحظ أن لکل نجم فلکا خاصا به یجری فیه حول مرکز المجرة، و یذکرنا الخالق سبحانه عدة مرات فی القرآن الکریم بالحقیقة التالیة وَ الشَّمْسُ تَجْرِی لِمُسْتَقَرٍّ لَها و هذه الآیة تدل علی أن الشمس تتحرک حرکة انتقالیة بالإضافة إلی سباحتها فی فلک خاص بها) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: هذا موجز للمفاهیم العلمیة التی تتوافق مع التصورات و الحقائق الإعجازیة فی القرآن الکریم و المتأمل فی قوله تعالی: وَ الشَّمْسُ تَجْرِی و قوله جلّ جلاله: وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ یجد التطابق العلمی المدهش مع هذه النصوص القرآنیة، حول جری الشمس الحقیقی فی الفضاء و لیس الظاهری، و عن تعبیر القرآن علی الدورة المداریة للشمس حول مجرتنا، و بیان الحق المعجز هذا، فی التعبیر عن تحرکات الشمس و دورانها بیان یدهش أولی العقول و العلوم و الألباب، و یدفع المنصفین للإقرار بعظمة هذا الکتاب العظیم. و أما بیانه تعالی: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۲». (فکل کوکب، و کل نجم، و کل مذنّب، یسبح فی فلکه الذی قدّر له، لا یتحول عنه و لا یحید، و فی نفس الوقت الکل فی وحدة متماسکة مترابطة بفعل الجاذبیة، التی تنطق (_____ ۱) من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، موسی الخطیب، القاهرة، مؤسسة الخلیج العربی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ ص: ۲۷۳. (۲) سورة یس، الآیة: ۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۷ بوحدانیة اللّه خالق هذا النظام و مبدعه، و لکی تحتفظ الأجرام السماویة بأبعاد ثابتة فیما بینها دون صدام جعلها الخالق الأعظم تتجاذب فیما بینها تجاذبا صغیرا محدودا، بحجم کل منها و کتلته و بعده عن الشمس، و وفق هذا التجاذب تظل مواقع النجوم فیما بینها ثابتة، و الأجرام و شمسها علی مسافات و أبعاد تتحقق للجمیع سبحا و طوافا دون تماس أو صدام ... إنه میزان اللّه الدقیق الذی أودعه فی قانونه الأعظم للکون) «۱»، وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِیزانَ «۲». صورة تمثل اتزان المجموعة الشمسیة. قال تعالی: وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ الْمِیزانَ، و المیزان من الاتزان، و من الملاحظ أن الکواکب التسعة فی المجموعة الشمسیة علی مستوی واحد و کأنّها طبق موزون. (_____ ۱) المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷، ص: ۳۳. (۲) سورة الرحمن، الآیة: ۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۸ صورة رقم: (۹)، تمثل جذب الشمس للمنظومة الشمسیة. إن قانون الجاذبیة و قانون التوازن، یعملان بإحکام و إتقان فی النظام الشمسی، و فی النظام النجمی الذی یلف المجرات و الکون بأسره، و کذلک یعملان فی أدق و أصغر الأشیاء، فی الذرة التی تحتوی علی نظام الدوران العجیب الموجود ذاته فی النظام الشمسی و النظام المجری و النظام الفلکی العام، إنها قدرة اللّه التی خلقت کل شیء موزون، و بقدر ... الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۱۹

المبحث الثانی الشمس متوهجة ملتهبة

اشارة

المبحث الثانی الشمس متوهجة ملتهبة قال تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً «۱». و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۲». و قال سبحانه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۳». و قال تعالی: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً «۴». تثبت هذه الآیات المعجزة حقیقة علمیة رائعة، ألا و هی أن الشمس جرم متوهج ملتهب، و إذا ما رجعنا إلی أقوال المفسرین فی صفات الشمس هذه، و إلی المعاجم اللغویة، فإننا سنجد ما یلی: یقول الشوکانی: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً المراد به الشمس، و جعل هنا بمعنی خلق، و الوهّاج الوقّاد، و یقال: وهجت النار تهیج وهجا و و هجانا، قال مقاتل: جعل فیه نورا و حرا و الوهج یجمع النور و الحرارة) «۵». وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً: (أی کالمصباح لأهل الأرض لیتوصلوا بذلک إلی التصرف فی ما یحتاجون إلیه من المعاش) «۶». و عند الرازی: (الوهج مجمع النور و الحرارة، فبیّن اللّه سبحانه و تعالی أن الشمس (_____ ۱) سورة الفرقان، الآیة: ۶۱. (۲)

سورة نوح، الآیة: ۱۶. (۳) سورة یونس، الآیة: ۵. (۴) سورة النبأ، الآیة: ۱۳. (۵) فتح القدیر، محمد بن علی الشوکانی، ۵/ ۳۶۴. (۶) المصدر نفسه، ۵/ ۲۹۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۰ بالغة إلی أقسی الغایات فی هذین الوصفین، و هو المراد بکونها وهّاجا، و الوهج، حر النار و الشمس، و هذا یقتضی أن الوهاج هو البالغ فی الحر) «۱». و یقول الزمخشری: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً: (أی متلألئا وقّادا، یعنی الشمس، و توهجت النار، إذا تلمظت فتوهجت بضوئها و حرها) «۲». وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً هی (الشّمس لقوله تعالی: وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً و قرئ، سرجا و هی الشّمس و الکواکب الکبار وَ قَمَراً مُنِیراً مضیئا باللیل، و قرئ قمرا أی ذات قمر، و هی جمع قمراء، و لما أنّ اللّیالی بالقمر تکون قمراء أضیف إلیها ثمّ حذف و أجری حکمه علی المضاف إلیه القائم مقامه) «۳». و یفرّق الألوسی تفریقا نفیسا بین الضوء و النور هاهنا فیقول: (و قیل: و سمی بذلک لأنه یقمر ضوء الکواکب، و فی الصحاح لبیاضه، و فی وصفه ما یشعر بالاعتناء به، و علی الفرق المشهور بین الضوء و النور یکون فی وصفه بمنیر دون مضیء، إشارة إلی أن ما یشاهد فیه مستفاد من غیره و هو الشمس) «۴». و یسبق الرازی الألوسی بهذه الحقیقة و هذا التفریق فیقول: (و نقول: النور اسم لأصل هذه الکیفیة، و أما الضوء، فهو اسم لهذه الکیفیة إذا کانت کاملة تامة قویة، و الدلیل علیه أنه تعالی سمی الکیفیة القائمة بالشمس الشَّمْسَ ضِیاءً و الکیفیة القائمة بالقمر نُوراً و لا شک أن الکیفیة القائمة بالشمس أقوی و أکمل من الکیفیة القائمة بالقمر) «۵». و لو بحثنا فی المعاجم عن معانی بعض المفردات الواردة فی الآیات القرآنیة، لنری أبعادها اللغویة من مثل «سراج، منیر، ضیاء» فلسوف نجد التالی: فی لسان العرب: (السراج: المصباح الزاهر الذی یسرج باللیل، و الشمس سراج النهار، المسرجة بالفتح، التی توضع فیها الفتیلة و الدهن، کما أنه بضوء السراج یهتدی الماشی، السراج: الشمس، و فی التنزیل: وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً «۶».

(_____ ۱) التفسیر الکبیر، فخر الدین الرازی، ۳۱/ ۸. (۲) الکشاف، للزمخشری، ۴/ ۲۰۷. (۳) إرشاد العقل السلیم، أبو السعود العمادی، ۶/ ۲۲۲. (۴) روح المعانی، للآلوسی، ۵۰/ ۱۹. (۵) التفسیر الکبیر، فخر الدین الرازی، ۱۷/ ۲۱۰. (۶) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۲۹۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۱ (و السراج، الزاهر الذی یزهر باللیل، و المسرجة التی توضع فیها الفتیلة، و أسرجت الدابة و الشمس، سراج النهار، و الهدی سراج المؤمنین) «۱». و أما منیر، ففی لسان العرب: (النور ضد الظلمة، و فی المحکم النور: الضوء أیا کان، و قیل: هو شعاعه و سطوعه، و الجمع أنوار و نیران، و قد نار نورا و استنار) «۲». و فی المصباح المنیر: (النور، الضوء و هو خلاف الظلمة، و الجمع أنوار، و أنار الصبح إنارة أضاء و نور تنویرا و استنار استنارة کلها لازمة، و نار الشیء ینور نیارا بالکسر، و به سمی أضاء أیضا فهو نیر) «۳». و أما معنی الضیاء، فالضوء: (بالضم، الضیاء و ضاءت النار تضوء ضوءا و ضوءا، و أضاءت أیضا و أضاءت غیرها یتعدی) «۴». من خلال هذا العرض یمکن لنا استخلاص معطیات الآیات القرآنیة کما یلی: أولا: تبین لنا أن الشمس قد وصفت بأنها «سراج و مضیء» و القمر دائما یوصف بأنه منیر. ثانیا: من المعلوم أن السراج تتقد فیه الحرارة المتوهجة فیرسل معها ضیاء حراریا، و هذا هو شأن الشمس، أما الإنارة، فهی التی تملأ الحیز نورا و ضیاء دونما حرارة، و هذا هو شأن القمر، فالقرآن إذا عرض الشمس وصفها بأنها سراج مضیء، لأن حرارتها تنبعث من داخلها، و إذا عرض القمر وصفه بأنه منیر لأن إنارته و ضیاءه مستمد من الشمس لا من ذاته، لأن القمر جرم قد برد مع مرور الزمن بعد تکوینه من الغبار، کما سیؤکّده لنا علماء الفلک.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: هذا البیان القرآنی المعجز، الذی وصف به حقیقة کلّ من الشمس و القمر،

(_____ ۱) کتاب العین، الخلیل بن أحمد الفراهیدی، تحقیق، مهدی المخزومی و إبراهیم السامرائی، بیروت، دار الهلال، د. ت، ۶/ ۵۳. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۵/ ۲۴۱، و انظر: القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۶۲۸. (۳) المصباح المنیر، أحمد بن محمد بن علی المقری الفیومی، بیروت، المکتبة

العلمیة، د. ت، ۲/ ۶۲۹. (۴) مختار الصحاح، أبو بکر الرازی، ۱/ ۱۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۲ و الخصائص و السمات التی ینطوی علیها کلّ منهما، قد کشف عنه العلم مؤخرا بعد إثبات القرآن له، و تحدث العلماء عن مصدر الطاقة الشمسیة و عن التفاعلات النوویة التی تحدث فی داخلها و عن النتائج التی تفرزها تلک التفاعلات. ففی الوقت الذی جاء فیه «أنیشتاین» بنظریته (النسبیة الخاصة، التی أثبت فیها تحول الکتلة إلی طاقة، فتحت أمام العلماء آفاقا جدیدة أطلوا منها علی الشمس، و بدراسة الشمس توصلوا إلی أن مصدر حرارة الشمس و نورها هو حدوث تفاعلات نوویة داخل جرم الشمس، تؤدی إلی دمج أربع نویات من الهیدروجین، أی أربع (بروتونات) مکونة نواة واحدة من غاز (الهیلیوم)، و بما أن کتلة نواة غاز (الهیلیوم) هی أصغر من الکتلة التی ألفتها نویات غاز (الهیدروجین) الأربعة بمقدار ۰۰۷، ۰ فإن هذه الکتلة الفائضة، تتحول إلی طاقة من الحرارة و النور، تطلقها الشمس نحو الفضاء المحیط بها و بمجموعتها الشمسیة) «۱». و یحدثنا نفس الکتاب «الشمس» عن توهج الشمس و لهیبها: (... و سطح الشمس دائم الاضطراب و الصخب، إنما یلاحظ أن ذلک الاضطراب یزداد و یشتد خلال فترة الهیاج الشمسی، و من أهم مظاهر الاضطراب الشدید اندفاع ألسنة من اللهب، قاعدة کل منها تزید مساحته علی عدة ملایین الکیلومترات المربعة، و تبلغ تلک الألسنة ارتفاعات کبیرة، إذ یتجاوز بعضها مسافة ۳۵۰ ألف کم کما أن اندفاعها یکون خاطفا ... و قد تنطلق تلک الألسنة علی شکل فوّارات عمودیة من اللهب بینما یتخذ بعضها شکل أقواس ناریة، و تکون بعض الأقواس من الطول و الضخامة إلی درجة تنعطف معها باتجاه سطح الشمس حیث تتصل به مؤلفة قنطرة مهیبة ... و من مظاهر الهیاج الشمسی الشواظ الشمسی، و الذی یبدو علی شکل کتل غازیة مضیئة، تلاحظ فی الطبقة التاجیّة من الشمس و قد قذفت بعیدا عنها إلی مسافة تزید أحیانا علی ۵۰۰ ألف کیلومتر، لیتبدد بعضها فی الفضاء، بینما یرتد بعضها الآخر إلی سطح الشمس علی شکل همرات «۲»، أو کتل من الوهج) «۳».

(_____۱) الشمس، إبراهیم حلمی غوری، ص: ۲۷، و انظر: دلیل فیلیب للنجوم و الکواکب، باتریک مور، ترجمة، عبد القوی عیاد، الریاض، النشر العلمی و المطابع، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۶۲. (۲) همرات: نوع من أنواع النشاط الشمسی. (۳) الشمس، إبراهیم حلمی غوری، ص: ۳۲- ۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۳ صورة للشمس تظهر التفاعلات النوویة، و ألسنة اللهب تنطلق منها. و ألسنة اللهب هذه تعتبر (من أبرز المظاهر الشمسیة، و هی کتل غازیة متوهجة یمکن رصدها بسهولة عند حافة الشمس، و توجد منها أصناف عدیدة، فمنها ألسنة اللهب الهادئة حیث تهبط الغازات ببطء علی امتداد خطوط المجال المغناطیسی، و ألسنة اللهب الأنشوطیة، و منها الألسنة المتفجرة و هی الأقل شیوعا و فیها یقذف الغاز بعنف بعیدا عن الشمس، أما الومیض الشمسی فهو من أعنف مظاهر النشاط الشمسی، و هی تظهر کومضات لامعة تمکث من ثانیة و حتی ما یقارب الساعة، و هی تنتج من التحرر المفاجئ لقدر کبیر من الطاقة کان مختزنا فی المجال المغناطیسی) «۱».

(_____۱) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص ۲۱۰، و انظر: علم الفلک، عبد السلام غیث، عمان، جامعة الیرموک، ۱۹۹۲، ص: ۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۴ و لقد مکّنت الدراسات النظریة المعتمدة علی (تجارب مختبرات الفیزیاء النوویة، من معرفة التفاعلات التی تتم فی داخل الشمس و ما ینجم من طاقة متولدة عن تلک التفاعلات: تفاعلات الاندماج (الهیدروجینیة) و انتقال تلک الطاقة إلی السطح، و إشعاعها بعد ذلک فی الفضاء ... و سطح الشمس فی حالة نشاط مستمر، إذ تکثر العواصف الشمسیة، و البقع الشمسیة، و (الفوتونات)، و ألسنة اللهب و الخیوط المنبثقة من السطح) «۱». کما یلاحظ (بالقرب من أطراف قرص الشمس مناطق فاتحة اللون «مشاعل» و تمثل هذه الظاهرة مناطق الغازات الشدیدة التسخن، و المرتفعة إلی الطبقات العلیا من الغلاف الجوی للشمس و تظهر هذه الظاهرة فی أغلب الأحیان عند ما تحتل البقع الشمسیة أطراف القرص الشمسی، عندها نشاهد المشاعل محیطة بالقرص، و هی لهیب و ألسنة ناریة متوهجة) «۲». و أما القمر فهو: (ثانی الأجرام سطوعا بعد الشمس، و لکنه لا ینبعث

منه ضوء من تلقاء نفسه لأنه لیس ملتهبا متوهجا توهجا ذاتیا کالشمس، و لکنه بارد ینیر کالمرآة یعکس جزءا من ضوء الشمس الساقط علیه) «۳». و لقد ثبت للعلماء أن القمر: (یعکس الضوء کالمرایا، ذلک الضوء الذی یأتیه من الشمس و القمر لیس جسما ملتهبا کالشمس کی یکون مضیئا بنفسه، فقد نزل علیه رواد الفضاء من الأمریکیین و أثبتوا أنه جسم صخری قلیل الصلابة، و تتمیز صخور القمر باللون الرمادی الغامق الداکن، و تشبه فی ذلک لدرجة کبیرة لون الصخور الأرضیة، أما تربته التی تعکس ضوء الشمس فتتخذ درجات الأسود الغامق ... و الدراسات کلها تؤکد أن قشرة القمر أسمک کثیرا من قشرة الأرض، بل یحتمل أن یکون القمر صلبا فی

(_____ ۱) المنظومة الشمسیة، علی موسی و مخلص الریس، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳، ص: ۴۷، و انظر: مبادئ الطاقة الشمسیة و تطبیقاتها، سهیل فاضل و إلیاس الکبة، بیروت، دار الحداثة، الطبعة الثالثة، ۱۹۸۷، ص: ۳۲. (۲) الجغرافیة الفلکیة، أمین طربوش، دمشق، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶، ص: ۳۱۴. (۳) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، القاهرة، دار الفکر العربی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص: ۱۶۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۵ جمیع طبقاته حتی المرکز، علی اعتبار أنه برد إلی درجة عظیمة بمعدل أسرع مما بردت به أرضنا نظرا لصغر کتلته، فما معنی هذا کله؟ ... هذا معناه وجود الأدلة المادیة من صخور القمر قد حللها العلماء بالفعل علی الأرض، بما یؤکد أنه صخری و لیس نارا ملتهبة مثل الشمس و ینبنی علی ذلک أن القمر لیس مصدرا للضوء مثل الشمس و إنما هو عاکس فقط له) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان اللّه، هذا ما وصل إلیه علماء عصرنا بعد أکثر من أربعة عشر قرنا، غیر أن الحق سبحانه و تعالی قد سجل هذه الحقیقة العلمیة فی کتابه العظیم، لقد قرر القرآن منذ نزوله علی النبی الأمی صلی اللّه علیه و سلم أن الشمس جسم ملتهب، و کرة ناریة تصدر عنها الحرارة و الضوء، بخلاف القمر الذی یستمد نوره من ضوء الشمس، قال اللّه تبارک و تعالی: تَبارَکَ الَّذِی جَعَلَ فِی السَّماءِ بُرُوجاً وَ جَعَلَ فِیها سِراجاً وَ قَمَراً مُنِیراً «۲»، و قال سبحانه: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۳»، و قال سبحانه: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۴». فما ینبغی لذی عقل منصف أن یقول: هناک تعارض بین العلم و الدین، أو أن یقول: الدین أفیون الشعوب أو سبب تخلفها، لأن القرآن الذی حفظه اللّه تعالی، حقائقه و قوانینه الکونیة تخرج هی و حقائق العلم من مصدر و مشکاة واحدة ألا و هی علم العلیم جل جلاله.

(_____ ۱) المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم خضر، ص: ۱۵۴. (۲) سورة الفرقان، الآیة: ۶۱. (۳) سورة نوح، الآیة: ۱۶. (۴) سورة یونس، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۶

المبحث الثالث تعدد الشموس و الأقمار

اشارة

المبحث الثالث تعدد الشموس و الأقمار قال تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». تشیر هذه الآیة الکریمة من خلال قوله تعالی: خَلَقَهُنَّ إلی تعدد الشموس و الأقمار فی هذا الکون، فالحق سبحانه و تعالی أتی بضمیر الجمع المؤنث بدلا من ضمیر المثنی، و کان مساق الآیة یقتضی حسب قواعد اللغة أن یقول: (خلقهما) إشارة إلی شمسنا و قمرنا، لکنه عدل عن المثنی إلی الجمع لیسطّر معجزة قرآنیة کونیة هنا، و هی أن اللّه سبحانه و

تعالی خلق شموسا و أقمارا کثیرة و هذا ما أثبته العلم و قرره الحق. و بإلقاء نظرة دقیقة فی تفاسیر العلماء رحمهم اللّه تعالی، یتبین لنا إدراکهم لبعد هذه الإشارة القرآنیة المعجزة. یعلق الإمام الطبری علی الآیة فیقول: (یقول تعالی ذکره: و من حجج اللّه تعالی علی خلقه و دلالته علی وحدانیته، و عظیم سلطانه، اختلاف اللیل و النهار، و معاقبة کلّ واحد منهما صاحبه و الشمس و القمر، لا الشمس تدرک القمر و لا اللّیل سابق النّهار و کلّ فی فلک یسبحون، لا تسجدوا أیها الناس للشمس و لا للقمر، فإنهما و إن جریا فی الفلک بمنافعکم، فإنما یجریان به لکم بإجراء اللّه إیاهما لکم طائعین له فی جریهما و مسیرهما، لا بأنهما یقدران بأنفسهما علی سیر و جری دون إجراء اللّه إیاهما و تسییرهما، أو یستطیعان لکم نفعا أو ضرّا و إنما اللّه مسخرهما لکم لمنافعکم و مصالحکم، فله فاسجدوا، و إیاه فاعبدوا دونها، فإنه إن شاء طمس ضوءهما، فترککم حیاری فی ظلمة لا تهتدون سبیلا، و لا تبصرون شیئا ... و قیل: و اسجدوا للّه الّذی (_____ ۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷.

الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۷ خلقهنّ، فجمع بالهاء و النون، لأن المراد من الکلام، و اسجدوا للّه الذی خلق اللیل و النهار و الشمس و القمر، و ذلک جمع، و أنث کنایتهن) «۱». و عند القرطبی: (قوله تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ علاماته الدالة علی وحدانیته و قدرته اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ و قد مضی فی غیر موضع، ثم نهی عن السجود لهما، لأنهما و إن کانا خلقین فلیس ذلک لفضیلة لهما فی أنفسهما فیستحقان بها العبادة مع اللّه، لأن خالقهما هو اللّه و لو شاء لأعدمهما أو طمس نورهما: وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ و صورهنّ و سخرهنّ، فالکنایة ترجع إلی الشمس و القمر و اللیل و النهار، و قیل: للشمس و القمر خاصة، لأن الاثنین جمع، و قیل: الضمیر عائد علی معنی الآیات إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ و إنما أنث علی جمع التکثیر، و لم یجر علی طریق التغلیب للمذکر و المؤنث لأنه فیما لا یعقل) «۲». و فی تفسیر الرازی: (و لما بیّن أن الشمس و القمر محدثان، و هما دلیلان علی وجود الإله القادر قال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ یعنی أنهما عبدان دلیلان علی وجود الإله، و السجدة عبارة عن نهایة التعظیم فهی لا تلیق إلا بمن کان أشرف الموجودات، فقال: لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما عبدان مخلوقان وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الخالق القادر الحکیم، و الضمیر فی قوله: خَلَقَهُنَّ لللیل و النهار و القمر، لأن حکم جماعة ما لا یعقل حکم الأنثی أو الإناث، یقال للأقلام بریتها و بریتهن، و لما قال: وَ مِنْ آیاتِهِ کن فی معنی الإناث فقال: خَلَقَهُنَّ، و إنما قال: کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ لأن ناسا کانوا یسجدون للشمس و القمر، کالصابئین فی عبادتهم الکواکب و یزعمون أنهم یقصدون بالسجود لهما السجود للّه فنهوا عن هذه الواسطة، و أمروا أن لا یسجدوا إلا للّه الذی خلق الأشیاء) «۳». و فی تفسیر «روح المعانی»: وَ مِنْ آیاتِهِ الدالة علی شئونه الجلیلة جل شأنه تعالی: اللَّیْلِ وَ النَّهارِ فی حدوثهما و تعاقبهما و إیلاج کل منهما فی الآخر وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ فی استنارتهما و اختلافهما فی قوة النور و العظم و الآثار و الحرکات مثلا (_____، ۱) جامع البیان، للطبری، ۲۴/ ۷۶، و انظر: قبس من نور القرآن، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ۱۱/ ۲۴۸.

(۲) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۵/ ۳۶۳. (۳) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۷/ ۵۷۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۲۸ و قدم ذکر اللیل قیل: تنبیها علی تقدمه مع کون الظلمة عدما، و ناسب ذکر الشمس بعد النهار لأنها آیته و سبب تنویره، و لأنها أصل لنور القمر بناء علی ما قالوا من أنه مستفاد من ضیاء الشمس، و أما ضیاؤها فالمشهور أنه غیر طارئ علیها من جرم آخر، و قیل: هو من العرش، لأنها من جملة مخلوقاته سبحانه و تعالی المسخرة علی وفق إرادته تعالی مثلکم وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمیر قیل للأربعة المذکورة، و المقصود تعلیق الفعل بالشمس و القمر، لکن نظم معهما اللیل و النهار إشعارا بأنهما من عداد ما لا یعلم و لا یختار ضرورة أن اللیل و النهار کذلک، و لو ثنی الضمیر لم یکن فیه إشعار بذلک) «۱». و فی «أنوار التنزیل»: وَ مِنْ آیاتِهِ اللَّیْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ لأنهما مخلوقان مأموران مثلکم وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِی خَلَقَهُنَّ الضمیر للأربعة المذکورة و المقصود تعلیق الفعل بهما إشعارا بأنهما من عداد ما لا یعلم و لا یختار، إِنْ کُنْتُمْ إِیَّاهُ تَعْبُدُونَ فإن السجود أخص العبادات و هو موضع السجود عندنا لاقتران الأمر به) «۲». رأینا کیف أن المفسرین رحمهم اللّه تعالی، حاولوا أن یعیدوا الضمیر

خَلَقَهُنَّ للأربعة «الليل و النهار و الشمس و القمر»، و الحق أن الضمير فی خَلَقَهُنَّ يرجع للشمس و القمر فقط، لأن المشركين كانوا يعبدون من جملة ما يعبدون الشمس و القمر، و لذلك وبخهم الحق فی كثير من الآيات و نهاهم أن يعبدوهما، و لم يرد قط أن المشركين عبدوا طبيعة الليل أو طبيعة النهار؟. و على هذا فإن الجمع هنا خَلَقَهُنَّ جاء آية معجزة كشف عنها علماء عصرنا، عند ما تحقّقوا بالدليل العملی و المرئی أن فی كوننا ملايين من الشموس، و الكثير من الأقمار.

الحقائق العلميّة:

الحقائق العلميّة: أما عن تعدّد النجوم فقد وجد العلماء أن: (النجوم على أنواع مختلفة، و هی برغم ظهورها للعين نقاطا لامعة فی السماء، إلا أنها شموس مثل شمسنا، و تظهر هكذا

(_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۴/ ۱۲۵. (۲) أنوار التنزيل، للبيضاوی، ۵/ ۱۱۶، و انظر: بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۲۲۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۲۲۹ لبعدها عنا، حيث أن أقرب نجم إلينا يبعد مسافة تزيد على أربع سنوات ضوئية، و هو نجم (الشعری) و لبعض النجوم كتلة تقل عن كتلة الشمس، و لبعضها الآخر كتلة تزيد بمائة ضعف و أكثر على كتلة الشمس) «۱». ثم إن النجوم التی تتكشّف لنا ليلا (تكون جزءا من مجموعات نجمية هائلة، و بطبيعة الحال فإن الشمس هی أقرب النجوم إلى الأرض، و إن كان ضوؤها يستغرق حوالی ۸ ۵ دقائق ليصل إلينا و فيما عدا النجوم القريبة من الشمس، و هی التی تكون مضيئة، و يمكن رؤيتها بوضوح بالعين المجردة فهناك نجوم أخرى تبعد عنا مسافات بالغة، لدرجة أننا نشاهدها على هيئة سحب ضوئية تختلف شدتها، و يمكن للراصد فی ليلة صافية أن يرى حوالی ۲۷۵۰ نجم فی الكرة السماوية بالعين المجردة كما أن هناك العديد من النجوم التی لا نستطيع رؤيتها بسبب ما يفصل بيننا و بينها من السحب الغازية) «۲». و لقد اتضح أن شمسنا إحدى (نجوم مجرة تدعى (سكة التبانة) و هی عبارة عن تجمع نجمی هائل يحتوی على ۱۳۰ بليون نجم (شمس) و أن الكون يحتوی على أكثر من ۲ بليون مجرة، أی أن عدد النجوم فی الكون أكثر من مائة بليون بليون نجم (شمس)، و أن هذه النجوم تتعدّد أنواعها حسب قوة إضاءتها و درجة حرارتها و كتلتها، إلى أنواع تتدرّج تنازليا فی هذه الصفات إلى النوع الأزرق- الأبيض المزرق- الأبيض- الأبيض المصفر- الأصفر- الأصفر البرتقالی- الأحمر، و أن شمسنا من النوع الأصفر فهی نجم متوسط، و هناك نجوم أخرى عملاقة تدعى العمالقة الحمراء، و نجوم أخرى أقزام تدعى الأقزام البيضاء) «۳». و أما عن تعدد الأقمار فقد ثبت و تحقق وجود الكثير من الأقمار (و أغلب كواكب المجموعة الشمسية لها توابع تدور حولها، كما يتبع القمر الأرض و يدور حولها، فالتوابع كالكواكب أجسام باردة غير ملتهبة و لكن تصغرها حجما، و ترتبط معها برباط

(_____ ۱) خلق الكون، محمد باسل الطائی، بيروت، دار النفائس، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص: ۶۲. (۲) الميكروكمبيوتر و علم الفلك، محمد رشاد الدين مصطفى، بيروت، دار الراتب، د. ت، ص: ۲۲. (۳) الكون و الإعجاز العلمی فی القرآن، منصور حسب النبی، القاهرة، دار الفكر العربی، الطبعة الثانية، ۱۹۹۱، ص: ۱۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۲۳۰ الجاذبية فتدور حولها، فهی أقمارها و لكن ليست كل كواكب المجموعة الشمسية فی مثل قناعة الأرض تكتفی بجذب تابع واحد و هو القمر، فكثير من الكواكب الأخرى لها أكثر من تابع، و المشترى على ضخامته له «۱۲» تابعا يدور حوله) «۱». و زيادة لتأكيد القضية و الفائدة فی آن واحد، نورد أرقاما و جداول بالأقمار. و للمريخ (قمران هما «فوبوس و ديموس» يدور الأول حوله ثلاث مرات فی اليوم الواحد، أما الثانی فإن دورته بحدود ۳۰ ساعة، و كلا القمرين صغير جدا إذ يبلغ قطر الأول ۱۳ كيلومتر، و قطر الثانی ۸ كيلومترات فقط) «۲». (و أقمار المريخ مظلمة جدا، درجة القدرة على عكس نور الشمس هی ۵٪ و موادها التكوينية يمكن أن تكون مشابهة للمواد الفحمية و كل منها مغطّى بطبقة سطحية من المواد الصخرية المفكّكة بسماكة عدة مليمترات) «۳». و أما المشترى فعدد أقماره: (ستة عشر قمرا، تقع ثمانية

منها علی أبعاد صغیرة من الکوکب لا تتعدی ملیون کیلومتر، بینما تتزاید أبعاد أربعة منها ۱۲ ملیون کیلومتر، أما الأربعة الأخری فتدور علی مسافات بین ۲۱- ۲۴ ملیون کیلومتر فی اتجاه عکسی و فی مستویات ذات میل کبیر، و قد اکتشفت حول المشتری حلقة رقیقة تدور حول الکوکب من حصوات صغیرة الحجم) «۴».

(_____ ۱) أعماق الکون، سعد شعبان، ص ۷۹، و انظر: السماء فی اللیل، عبد القادر عابد و علی عبندة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۵، ص: ۲۲. (۲) خلق الکون، محمد باسل الطائی، ص: ۴۹. (۳) موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ص: ۷۱. (۴) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص: ۱۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۱ التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطره/ بعده عن المشتری ۱- میتس ۴۹ /۱۹۷۹ /siteM کلم/ ۶۰۰، ۱۷۲ کلم ۲- ادراستیا ۳۵ /۱۹۷۹ /aetsardA کلم/ ۰۰۰، ۱۳۴ کلم ۳- امالثیا/ ۱۶۶ /۱۸۹۲ /aehtlamA کلم/ ۳۰۰، ۱۸۱ کلم ۴- ثیبی/ ۷۵ /۱۹۷۹ /ebehT کلم/ ۰۰۰، ۲۲۲ کلم ۵- آیو ۳۶۳۲ /۱۶۱۰ /oI کلم/ ۶۰۰، ۴۲۱ کلم ۶- أوروبا ۳۱۲۶ /۱۶۱۰ /aporuE کلم/ ۹۰۰، ۶۷۰ کلم ۷- غانیمید ۵۲۷۶ /۱۶۱۰ /edemynaG کلم/ ۱، ۱ ملیون کلم ۸- کالیستو ۴۸۲۰ ۱۶۱۰ /otsillaC کلم/ ۹، ۱ ملیون کلم ۹- لیدا /adeL ۱۶ /۱۹۷۴ کلم/ ۱، ۱۱ ملیون کلم ۱۰- هیمالیا ۱۸۶ /۱۹۰۴ /ailamiH کلم/ ۵، ۱۱ ملیون کلم ۱۱- لایسثیا ۱۹ ۱۹۳۸ /aehtisyL کلم/ ۷، ۱۱ ملیون کلم ۱۲- إلارا ۸۰ ۱۹۰۵ /aralE کلم/ ۷، ۱۱ ملیون کلم ۱۳- أنانکی ۳۰ /۱۹۵۱ /eknanA کلم ۷، ۲۰ ملیون کلم ۱۴- کارمی ۴۰ /۱۹۳۸ /emraC کلم/ ۴، ۲۲ ملیون کلم ۱۵- باسیفای ۵۰ /۱۹۰۸ /eahpisaP کلم/ ۳، ۲۳ ملیون کلم ۱۶- سینوب ۳۶ /۱۹۱۴ /eponiS کلم/ ۷، ۲۳ ملیون کلم جدول رقم: (۱)، یبین سنة اکتشاف القمر و قطره و بعده عن المشتری «۱».

أقمار زحل و حلقاته: (و یدور حول زحل ۱۸ قمرا و ۷ حلقات تری منها علی الأرض ۳ حلقات، و أکبر أقمار زحل هو القمر «تیتان» و هو ثانی أقمار المجموعة الشمسیة بعد «جانیمن»، ثم یلی تیتان فی الکتلة ۸ أقمار متوسطة، و الباقیة أقمار صغیرة أشکالها غیر

(_____ ۱) المصدر نفسه، ص: ۱۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۲ منتظمة، و أبعد أقمار زحل یسمی «فوب» یبعد تقریبا ۴ أمثال بقیة الأقمار و یتحرک حرکة تقهقریة) «۱». التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطرة/ بعده عن زحل ۱- بان ۲۰ /۱۹۹۰ /naP کلم/ ۵۷۰، ۱۳۳ کلم ۲- أطلس ۳۰ /۱۹۸۰ /saltA کلم/ ۶۷۰، ۱۳۷ کلم ۳- بروميثوس ۲۲۰ /۱۹۸۰ /suehtemorP کلم/ ۳۵۳، ۱۳۹ کلم ۴- باندورا ۹۰ /۱۹۸۰ /arodnaP کلم/ ۷۰۰، ۱۴۱ کلم ۵- ابیمیثوس ۱۱۹ /۱۹۶۶ /suehtemipE کلم/ ۴۲۲، ۱۵۱ کلم ۶- جانوس ۱۹۰ /۱۹۶۶ /sunaJ کلم/ ۴۷۲، ۱۵۱ کلم ۷- میماس ۳۹۰ /۱۷۸۹ /samiM کلم/ ۶۰۰، ۱۸۵ کلم ۸- انسیلادوس /sudalecnE ۵۰۰ /۱۷۸۹ کلم/ ۱۰۰، ۲۳۸ کلم ۹- تیثز ۱۰۵۰ /۱۶۸۴ /syhteT کلم/ ۳۴۲، ۲۹۲ کلم ۱۰- تیلیستو ۲۲ /۱۹۸۰ /otseleT کلم/ ۷۰۰، ۲۹۴ کلم ۱۱- کالیبسو ۲۵ /۱۹۸۰ /ospylaC کلم/ ۶۷۰، ۲۹۴ کلم ۱۲- دیون ۱۱۲۰ /۱۶۸۴ /enoiD کلم/ ۵۰۰، ۳۷۷ کلم ۱۳- هیلینی ۳۲ /۱۹۸۰ /eneleH کلم/ ۰۶۰، ۳۷۸ کلم ۱۴- ریا ۱۵۳۰ /۱۶۷۲ /aehR کلم/ ۲۰۰، ۵۲۷ کلم ۱۵- تیتان /natiT ۵۱۵۰ /۱۶۵۵ کلم/ ۲، ۱ ملیون کلم ۱۶- هیپریون ۲۵۰ /۱۸۴۸ /noirepyH کلم/ ۵، ۱ ملیون کلم ۱۷- یابیتوس /sutepaI ۱۴۶۰ کلم/ ۶ ، ۳ ملیون کلم جدول رقم: (۲)، یبین سنة اکتشاف القمر و قطره و بعده عن زحل «۲».

(_____ ۱) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص: ۱۵۴. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۳ (أقمار أورانوس الخمسة عشر) «۱». التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطره/ بعده عن أورانوس ۱- کوریدیلیا /ailedroC ۴۰ /۱۹۸۶ کلم/ ۷۰۰، ۴۹ کلم ۲- اوفیلیا ۵۰ /۱۹۸۶ /ailehpO کلم ۸۰۰، ۵۳ کلم ۳- بیانکا ۵۰ /۱۹۸۶ /acnaiB کلم/ ۲۰۰، ۵۹ کلم ۴- جولییت ۶۰ /۱۹۸۶ /teiluJ کلم/ ۸۰۰، ۶۴ کلم ۵- دیسدیمونا ۶۰ /۱۹۸۶ /anomedseD کلم/ ۷۰۰، ۶۲ کلم ۶-

روزالند ۸۰ /۱۹۸۶/ dnilasoR کلم/ ۹۰۰، ۶۹ کلم ۷- بورتیا ۸۰ /۱۹۸۶/ aitroP کلم/ ۱۰۰، ۶۶ کلم ۸- کریسیدا /adisserC ۶۰ /۱۹۸۶/ کلم/ ۹۰۰، ۶۹ کلم ۹- بیلندا ۶۰ ۱۹۸۶ /adnileB کلم/ ۳۰۰، ۷۵ کلم ۱۰- بوک ۱۷۰ /۱۹۸۵/ kcuP کلم/ ۰۰۰، ۸۶ کلم ۱۱- میراندا ۴۸۰ /۱۹۴۸/ adnariM کلم/ ۲۸۲، ۱۲۸ کلم ۱۲- آرییل ۱۱۶۰ /۱۹۵۱/ leirA کلم/ ۹۰۰، ۱۹۰ کلم ۱۳- امبریال ۱۱۹۰ /۱۹۵۱/ lairebmU کلم/ ۰۰۰، ۲۶۶ کلم ۱۴- تیتانیا ۱۶۱۰ /۱۷۸۷/ ainatiT کلم/ ۳۰۰، ۴۳۶ کلم ۱۵- أوبیرون ۱۵۵۰ /۱۷۸۷/ norebO کلم/ ۴۰۰، ۵۸۳ کلم جدول رقم: (۳)، یبین سنة اکتشاف القمر و قطره و بعده عن أورانوس «۲». (و هذه حلقات نبتون بالإضافة إلی منبسط ما یسمی فی بعض الأحیان الحلقة

(_____ ۱) علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص: ۱۵۸. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۵۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۴ «۱۹۸۹ ۴ N» الحلقة التی تقع داخل حلقة (أدامز) تتحرک فی المدار نفسه لمدار القمر الصغیر «غالاتیا» الذی تم اکتشافه حدیثا «۱». اسم الحلقة/ المسافة من مرکز نبتون (کلم)/ العرض غال/ ۹۰۰، ۴۱/ ۵۰ لوفیرییه/ ۲۰۰، ۵۳/ ۵۰ المنبسط/ ۲۰۰، ۵۳- ۱۰۰، ۵۹/ ۴۰۰۰ أدامز/ ۹۰۰، ۶۲/ ۵۰ جدول رقم: (۴)، یبین اسم الحلقة، و المسافة من مرکز نبتون، و العرض «۲».

أقمار نبتون الثمانیة

أقمار نبتون الثمانیة التسلسل/ القمر/ سنة الاکتشاف/ قطره/ بعده عن نبتون ۱- ناياد ۵۰ /۱۹۸۹/ daiaN کلم/ ۰۰۰، ۴۸ کلم ۲- ثالاسا ۹۰ /۱۹۸۹/ assalahT کلم/ ۰۰۰، ۵۰ کلم ۳- دسینیا ۱۸۰ /۱۹۸۹/ anipseD کلم/ ۵۰۰، ۵۲ کلم ۴- غالاتیا /aetalaG ۱۶۰ /۱۹۸۹/ کلم/ ۰۰۰، ۶۲ کلم ۵- لاریسا ۲۰۰ /۱۹۸۹/ assiraL کلم/ ۱۰۰، ۷۳ کلم ۶- بروتیوس ۴۲۰ /۱۹۸۹/ suetorP کلم/ ۶۰۰، ۱۱۷ کلم ۷- ترایتون ۲۷۰۰ /۱۸۴۶/ notirT کلم/ ۷۶۰، ۳۵۴ ملیون کلم ۸- نیرید ۳۴۰۰ /۱۹۴۹/ diereN کلم/ ۵، ۵ ملیون کلم جدول رقم: (۵)، یبین سنة اکتشاف القمر و قطره و بعده عن نبتون «۳».

(_____ ۱) موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ص: ۱۱۶. (۲) المصدر نفسه، ص: ۱۱۶. (۳) المصدر نفسه، ص: ۱۱۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۵

الإعجاز:

الإعجاز: تلک هی أقمار المجموعة الشمسیة التی یتربع علی عرشها نجم الشمس الکبیر، و تطوف حوله تسعة کواکب سیارة و مجموعة أقمار لها، إضافة إلی آلاف الکویکبات و ملایین المذنبات التی تحفها. و رأینا أن لکل کوکب مداره الخاص، و فلکه الذی یطوف فیه بدقة و نظام قد حدده خالق الأکوان جل جلاله ف لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۱». و ما تلک النجوم المرصعة فی کبد السماء و التی تصل إلی المیارات المیارات ما هی إلا شموس کشمسنا و إن اختلفت فی الحجم و الإشعاع، لکن طبیعتها واحدة، لأنّ خالقها سبحانه تعالی واحد إنها آیات اللّه فی الآفاق و فی الأکوان، و کلها ناطقة بالوحدانیة، فالجمع فی قوله: خَلَقَهُنَّ جاء لیترجم هذه الحقائق العلمیة التی توصل إلیها العلماء فی تعدد الشموس و الأقمار، و لکنها أسبقیة سطّرها القرآن الکریم قبل أربعة عشر قرنا. و ما حدثنا عنه علم الفلک هو شیء یسیر جدا، و یکاد لا یذکر أمام الکون العظیم المجهول و مهمة الإنسان أن یسیر فی الأرض معتبرا، و ینظر فی السماء دارسا و باحثا عن آیات اللّه فی الآفاق قال تعالی: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۲».

(_____ ۱) سورة یس، الآیة: ۴۰. (۲) سورة

فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۶ صورة توضح بعض أقمار الکوکب العملاق المشتری «۱ (_____» ۱) أخذت هذه الصورة من موقع: ptth ://nasa. gov/ vog/ dopa/ pa/ ۰۰۱۱۱۸. lmth الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۷

المبحث الرابع موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الرابع موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم یقول مولانا تبارک و تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ «۱». و یقول سبحانه و تعالی: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ «۲». و یقول جل جلاله: فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَکانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهانِ «۳». کثیر ممن أعلنوا التمرد علی الإیمان و التوحید، و انغمسوا فی حمأة الإلحاد، ظنوا أن الحیاة الدنیا هی خلود أبدی، و أن الذی یمسک بزمام الأحیاء إنما هی الطبیعة و الدهر، و راحوا ینسجون تصورات بالیة، و خیالات وهمیة حول ذلک، و کان من جملة هذه المعتقدات أن الشمس لن تموت، بل إن بعضهم قد جعلها إلها و عبدها!. و تدور حرکة الزمان، و تتهاوی تلک الخرافات بل و حتی تلک النظریات التی تتحدث علی استمراریة الشمس فی الحیاة إلی اللانهایة، و یقتنع العلماء و یجمعون، کما سنری علی أن الشمس أمضت أکثر من نصف عمرها، و أن نهایتها محتومة، و انطفاؤها آت لا محالة. و هناک نصوص قرآنیة کثیرة تشیر إلی أخطر الأحداث التی ستطرأ علی الشمس و علی الکون بأسره، إنها النهایة التی سیمتد سلطانها علی المکونات جمیعا، حیث ینفرط عقد الشمس المنتظم و تکور الشمس، و ینطفئ لهیبها، و تخمد و تقع واقعتها ... إنها نهایة رهیبة عبّر عنها القرآن بالفناء کُلُّ مَنْ عَلَیْها فانٍ «۴»، و لسید قطب رحمه اللّه وصف و تعلیق رائع علی الآیة فیقول: (فی ظل هذا النص القرآنی تخفت الأنفاس، و تخشع (_____» ۱) سورة التکویر، الآیة: ۱. (۲) سورة القیامة، الآیة: ۹. (۳) سورة الرحمن، الآیة: ۳۷. (۴) سورة الرحمن، الآیة: ۲۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۸ الأصوات و تسکن الجوارح، و ظل الفناء یشمل کل حی، و یطوی کل حرکة، و یغمر آفاق السموات و الأرض، و جلال الوجه الکریم الباقی یظلل النفوس و الجوارح، و الزمان و المکان، و لا یملک التعبیر البشری أن یصور الموقف، و لا یملک أن یزید شیئا علی النص القرآنی الذی یسکب فی الجوانح السکون الخاشع، و الجلال الغامر، و الصمت الرهیب ... الصمت الذی یرسم مشهد الفناء الخاوی) «۱». و فی تفسیر القرطبی: (قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال ابن عباس: تکویرها، إدخالها فی العرش، و قال الحسن: ذهاب ضوئها، و قال سعید بن جبیر: عوّرت، و أبو عبیدة: کورت مثل تکویر العمامة، تلف فتمحی، قلت: و أصل التکویر: الجمع، مأخوذ من کار العمامة علی رأسه یکورها أی لاثها و جمعها، فهی تکوّر و یمحی ضوؤها، ثم یرمی بها فی البحر، و اللّه أعلم) «۲». و یقول الطبری: (اختلف أهل التأویل فی قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ فقال بعضهم: معنی ذلک إذا الشمس ذهب ضوؤها، فعن أبیّ بن کعب، قال: ستّ آیات قبل یوم القیامة: بینا الناس فی أسواقهم، إذ ذهب ضوء الشمس، فبینما هم کذلک، إذ تناثرت النجوم، فبینما هم کذلک، إذ وقعت الجبال علی وجه الأرض، فتحرّکت و اضطربت و احترقت، و فزعت الجنّ إلی الإنس، و الإنس إلی الجنّ، و اختلطت الدوابّ و الطیر و الوحش، و ماجوا بعضهم فی بعض، و وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ، اختلطت و وَ إِذَا الْعِشارُ عُطِّلَتْ، قال: أهملها أهلها: و وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ، قال: قالت الجنّ للإنس: نحن نأتیکم بالخبر قال: فانطلقوا إلی البحار، فإذا هی نار تأجّج قال: فبینما هم کذلک إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة، إلی الأرض السابعة السفلی، و إلی السماء السابعة العلیا قال: فبینما هم کذلک إذ جاءتهم الریح فأماتتهم، و عن مجاهد: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال: اضمحلت و ذهبت، و عن قتادة، فی قوله تعالی: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ قال: ذهب

ضوؤها فلا ضوء لها) «۳». و کذلک قال ابن کثیر: (معنی قوله تعالی: کُوِّرَتْ جمع بعضها إلی بعض، ثم لفت فرمی بها و إذا فعل بها ذلک ذهب ضوؤها) «۴ (_____». ۱) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۶/ ۳۴۵۴. (۲) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۹/ ۲۲۷. (۳) جامع البیان، للطبری، ۳۰/ ۶۶. (۴) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۸/ ۳۲۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۳۹ و یعلق الإمام الرازی علی النهایة تعلیقا جمیلا فیقول رحمه اللّه: (ما معنی قوله تعالی: فَکانَتْ وَرْدَةً کَالدِّهانِ؟ نقول: المشهور أنها فی الحال تکون حمراء، یقال: فرس ورد إذا أثبت للفرس الحمرة، و حجرة وردة أی حمراء اللون، و قد ذکرنا أن لهیب النار یرتفع فی السماء فتذوب فتکون کالصفر الذائب حمراء، و یحتمل وجها آخر و هو أن یقال: وردة للمرة من الورود، کالرکعة و السجدة و الجلسة و القعدة، من الرکوع و السجود و الجلوس و القعود، و حینئذ الضمیر فی فَکانَتْ وَرْدَةً واحدة، أی الحرکة التی بها الانشقاق کانت وردة واحدة، و تزلزل الکل و خرب دفعة و الحرکة معلومة بالانشقاق لأن المنشق یتحرک، و یتزلزل، و قوله تعالی: کَالدِّهانِ فیه وجهان أحدهما: جمع دهن، و ثانیهما: أن الدهان هو الأدیم الأحمر، فإن قیل: الأدیم الأحمر مناسب للوردة فیکون معناه کانت السماء کالأدیم الأحمر، و لکن ما المناسبة بین الوردة و بین الدهان؟ نقول: الجواب عنه من وجوه الأول: المراد من الدهان ما هو المراد من قوله تعالی: یَوْمَ تَکُونُ السَّماءُ کَالْمُهْلِ «۱»، و هو عکر الزیت و بینهما مناسبة، فإن الورد یطلق علی الأسد فیقال: أسد ورد، فلیس الورد هو الأحمر القانی، و الثانی: أن التشبیه بالدهن لیس فی اللون بل فی الذوبان، و الثالث: هو أن الدهن المذاب ینصب انصبابة واحدة و یذوب دفعة، و الحدید و الرصاص لا یذوب غایة الذوبان، فتکون حرکة الدهن بعد الذوبان أسرع من حرکة غیره، فکأنه قال: حرکتها تکون وردة واحدة کالدهان المصبوبة صبا، لا کالرصاص الذی یذوب منه ألطفه و ینتفع به و یبقی الباقی، و کذلک الحدید و النحاس، و جمع الدهان لعظمة السماء و کثرة ما یحصل من ذوبانها لاختلاف أجزائها فإن الکواکب تخالف غیرها) «۲». إذن، لا حاجة لمزید من الآیات التی تصف نهایة الشمس و الکون، و لا لأقوال العلماء و المفسرین التی ملأت آلاف المجلدات و هی تتحدث علی مشاهد الخراب و الدمار الذی سیلف الکون بأسره، فإن هذه القضیة من مسلّمات الإیمان لدی الإنسان المؤمن، و یتسنّی لنا الآن أن نصغی إلی نتائج أبحاث العلماء حول نهایة الشمس و موتها. (_____ ۱) سورة المعارج، الآیة: ۸. (۲) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۹/ ۳۶۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۰

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: أفاض العلماء فی الحدیث عن نهایة الشمس، و عن الصورة الرهیبة التی ستنتقل إلیها و تتلوّن بها عند أنفاسها الأخیرة، و اعتبروا الشمس: (مثل أی إنسان لها مولد و بدایة، ثم شباب، ثم شیخوخة، ثم موت ... إن الشمس تتقلّص بتأثیر الجاذبیة، و هکذا تنقلب الطاقة إلی أشعة، و بناء علی ذلک ستصل الطاقة الشمسیة إلی نهایة محتومة، و حسب هذه الحقیقة ستتقلص الشمس، و بالتالی یترکز حقل الجاذبیة فی حجم أصغر، و بالتالی یزداد الترکیز أکثر، و یتسارع التقلص فیزداد إنتاج الطاقة، و یتناقص رصید الشمس منها بالتدریج، حتی تخمد و تتوقف عن التقلص حتی تموت، بعد أن ینفد مصدر طاقتها، و لا تجد إشعاعا ترسله إلی ما حولها ... لقد قضت الشمس ۲۵ ملیون سنة حتی بلغت حجمها الحالی، و لا ندری کم ستحتاج من الوقت حتی تبلغ مرحلة العدم، صحیح أن الطاقة النوویة تعطی القدرة للشمس، و بما أنها معین هائل فإنها تؤخر حدوث الکارثة، و لکن تبقی الحقیقة المؤلمة و هی أن الشمس ستصل إلی نقطة ختام، حتی و لو بعد ملایین السنین) «۱». (إن ضوء الشمس فی ازدیاد بشکل بطیء، و سیستمر الازدیاد دون توقف فی المستقبل، إلی أن ینتهی (الهیدروجین) الموجود فی مرکزها، و عند ما تأخذ عملیة نشوئها وقعا سریعا، و سیحدث ذلک بعد خمسة ملیارات من السنین، و هذا یفسّر علی أنه بمرور الزمن فإن الشمس تزداد حجما و سرعة إضاءة ثم تنتفخ عند جوانبها، و تأخذ

فی البرودة إلی أن تصبح عملاقة حمراء، و عندها سیکون فی مقدور طبقتها الجویة الرقیقة الهائلة، أن تبتلع کوکب عطارد ثم الزهرة، و من الممکن الأرض، و لکن عند نمو احمرارها، فإن بروزها یقارب وصوله إلی الأرض، و عندها سوف لن یکون فی إمکان الشمس التهام أکثر من شعبة صخریة ملتهبة، و بعد ذلک یأتی زمن اختفاء الشمس من المشهد المعلوم، حیث تنکمش و تصیر غیر مستقرّة، و فی النهایة لا یبقی منها إلا أطلالها، حیث تنکمش مادتها حول مرکزها، و تتحوّل بعد کل ذلک إلی قطعة قزمة بیضاء، و تکون نجمة الشمس عندها قد ماتت) «۲ (_____». ۱) الزلزال الکونی الأعظم، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۳، ص: ۳۲. (۲) الأجرام السماویة، غیدو روجیری، ترجمة، عبد اللطیف أبو عرقوب، طرابلس، الدار الجماهیریة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴، ص: ۲۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۱ و یعتقد العلماء (أنه مع مرور الزمن ستحرق الشمس وقودها بسرعة أکبر، بسبب الانکماش المستمر للنجوم من فتتها و تعاظم حرارتها الداخلیة، و بالتالی تسریع التفاعلات النوویة، لذلک لا یقدّر لها العیش أکثر من خمسة ملیارات سنة أخری، فعند ما تتعاظم الإشعاعات تسخن الشمس لدرجة تبدأ معها میاه البحار بالغلیان، و یقدر أن الشمس فی طورها الأخیر ستمر بحالة العملاق الأحمر، و لکن عندها قد تکون الحیاة قد زالت عن الأرض منذ زمن طویل، عند ما ینفذ الوقود نهائیا تعود الشمس و تنکمش علی نفسها بشکل نجم صغیر جدا «قزم أبیض»، بعد ذلک تموت نهائیا بانطفاء کامل) «۱». و أجواء الموت التی ستخیم علی (المجموعة الشمسیة حتی فیما بعد کوکبنا الأرضی، و موت الشمس ذاتها، هی بلا شک أحداث بالغة الدرامیة بالمقاییس الإنسانیة، أما علی الصعید الکونی فلا ترتدی تلک الأحداث أیة أهمیة خاصة، لیس فقط لأن الشمس نجم من آلاف ملایین النجوم فی المجرة، و وجوده أو موته لن ینقص أو یزید فی محتویات تلک الحجرة فی المجرة، بل لأن موت الشمس ذاتها علی الرغم من کل شیء، هو موت هادئ، و هو أشبه بالشمعة المحترقة إلی جانب التفجیرات النوویة، و ذلک بالمقارنة مع موت النجوم الأخری ... و إذا تابعنا حیاة نجم من هذا الصنف نجد أنه یحرق وقوده النووی المرکزی، و یستنفذه بسرعة خلال عدة ملایین من السنین فقط، و یتحول من ثم إلی عملاق أحمر، و بدلا من أن یتبع بعد ذلک مسلکا متدرجا فی تحوله إلی قزم أبیض لا یعانی خلاله من أی اضطراب إلا فیما ندر، نجده یحرر طاقة ثقالیة هائلة عبر انهیاره الهادف لبدء دورات جدیدة من الاحتراق النووی، الذی ینتهی بتکوین الفحم فی باطنه ... و عند ما یسود الفحم فی نواة النجم تتقلص الطبقات الداخلیة للنجم بعد ذلک، بینما تتمدد طبقاته الخارجیة متحولة إلی غلاف جوی رقیق و دافعة بتیارات من المادة عبر الفضاء، یصبح النجم مرة أخری عملاقا أحمر، و لکنه یبقی حتی تلک المرحلة قادرا علی تجدید نفسه و الدخول فی دورات جدیدة من تفاعلات الاندماج النووی لتصنیع عناصر متدرجة فی الثقل، عبر أطوار (_____ ۱) المنظومة الشمسیة، سمیر عازار، بیروت، دار النهار، ۱۹۹۱، ص: ۳۴، و انظر: هل نحن وحدنا فی هذا الکون، محمد عبده یمانی، المنامة، بیت القرآن، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶، ص: ۶۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۲ متتابعة من النبض و الانهیار، حتی تتحول النواة برمتها إلی الحدید، و إذ ذاک تتوقف کل نشاطات النجم، و لا یبقی من خیار أمام النواة بعد ذلک إلا التبرد و الانهیار) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأینا أسبقیة القرآن الکریم فی تدوین و تقریر موت الشمس، لکن من المدهش حقا أن یأتی العلماء الفلکیون، و خاصة الغربیون منهم الذین لا یؤمنون بهذا القرآن العظیم، یقرروا نفس النتیجة لا من حیث موت الشمس فحسب، بل فی الکیفیة التی ستئول إلیها الشمس عند الموت. لقد قال الفلکیون کما سبق: إن الشمس فی نهایتها ستتحول إلی عملاق أحمر، و لم یکتفوا بهذا بل زادوا علی ذلک بأن قالوا: ستعود الشمس و تنکمش علی نفسها بشکل نجم صغیر جدا، و بعد ذلک تموت نهائیا بانطفاء کامل ... و هذا هو

المعنی الدقیق للتکویر، إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ لأن تکویر الشمس یعنی انکماشها علی نفسها و انطفاء لهیبها، فلا إله إلا اللّه ما أعظم هذا القرآن و ما أدق بیانه، حقائق علمیة یتوصل إلیها العلماء بعد أبحاث مضنیة و سهر لیالی، نجد القرآن المعجز عبّر عنها بکلمة واحدة.

(_____ ۱) النجم الغریب مولد الشمس و موتها، جون غریبین، ترجمة: فائز فوق العادة، دمشق، دار الشیخ، الطبعة الأولی، ۱۹۸۸، ص: ۹۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۳

الفصل السادس الإعجاز القرآنی فی الأرض

اشارة

الفصل السادس الإعجاز القرآنی فی الأرض تمهید. المبحث الأول: کرویة الأرض. المبحث الثانی: دوران الأرض. المبحث الثالث: جاذبیة الأرض. المبحث الرابع: الغلاف الجوی و منافذه للأرض. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۵

تمهید

تمهید الأرض هی الکوکب الثالث من مجموعتنا الشمسیة، و فوق رحبها أوجدنا اللّه سبحانه و تعالی إلی حین معلوم، و منها خلقنا سبحانه و فیها یعیدنا و منها یخرجنا یوم القیامة تارة أخری، إلی دار الحساب و موطن الثواب و العقاب، و لقد بثّ الحق سبحانه فی الأرض دلائل و آیات تنبّه الإنسان إن هو ضلّ عن طریق الحق، و تنکّب مسلک الإیمان، علی وحدانیة اللّه و إفراده فی الخلق و الأمر، و فی هذا المعنی یقول اللّه سبحانه و تعالی: وَ فِی الْأَرْضِ آیاتٌ لِلْمُوقِنِینَ «۱». و عطاء هذه الآیات مستمر لا ینقطع، و هذا العطاء یرفد العقل البشری فی کل زمان حسب طاقته فی استیعاب الحقائق التی تکشفت للإنسان، فأصبح بمقدوره أن یهضمها و یتفاعل معها، و بالتالی ینتقل إدراکه لهذه الحقائق من عالم الذهن النظری التجریدی، إلی إشراقات الیقین الذی استقر فی قلبه و شاهده فی الواقع. و هذه الآیات التی ذکرتها الآیة الکریمة آنفا و التی تغذی عقل المؤمن و قلبه بالیقین، سیتحدث إن شاء اللّه عن طرف منها، قد أماط اللثام عنه العلم الحدیث، و أشار إلیه کتاب اللّه المعجز، و سیتمحور هذا البحث للحدیث عن کرویة الأرض، تلک المسألة التی دار حولها نقاش طویل عبر الأزمنة و الأحقاب، حتی توصل العلماء إلی الیقین الجازم بکرویتها، إلا أن القرآن الکریم حسم القضیة منذ نزوله علی قلب الحبیب صلی اللّه علیه و سلم و أشار إلی کرویتها، کما سیتطرق للحدیث عن دوران الکرة الأرضیة و کیف أن الحق أشار فی القرآن الکریم أن الأرض تدور، ثم توصلت دراسات العلماء لهذه الحقیقة، و کذلک سیرکّز علی قضیة الجاذبیة الأرضیة، هذا القانون الربانی الذی یلف العالم بأسره من کبیره إلی صغیره، نجد أن الحق تبارک و تعالی أثبته فی صفحات قرآنه المجید ثم جاء العلماء فکشفوا عنه و قرروه، ثم یعرج للحدیث عن الغلاف الجوی للکرة الأرضیة و إشارات القرآن لمسألة المنافذ فی الغلاف الجوی، هذه المسألة التی أصبح لها أهمیة کبیرة فی وقتنا الحاضر.

(_____ ۱) سورة الذاریات، الآیة: ۲۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۶

المبحث الأول کرویة الأرض

اشارة

المبحث الأول کرویة الأرض یقول اللّه تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ

الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی أَلا هُوَ الْعَزِیزُ الْغَفَّارُ «۱». و یقول جل جلاله: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً وَ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ جَعَلَ فِیها زَوْجَیْنِ اثْنَیْنِ یُغْشِی اللَّیْلَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَفَکَّرُونَ «۲». و یقول سبحانه: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِکَ دَحاها «۳». إن من نافلة القول أن یشار هاهنا، إلی أن القرآن الکریم بلغ من الإعجاز فی شتی وجوهه درجة لا یمکن أن یصل إلیها طوق أحد من الخلق أبدا، و تتجلی هذه الحقیقة فی شتّی أصعدة الحیاة و کذلک هنا، فلو أن القرآن الکریم إبان نزوله صرح تصریحا قاطعا بکرویة الأرض فقال: (و الأرض کوّرناها) لأحدث ذلک نزاعا و شقاقا شدیدین فی المجتمع المسلم الولید آنذاک، لأن مدارک الناس و قدراتهم العقلیة لا یمکن أن تستوعب مسألة کهذه، لأنهم ینظرون فیرون الأرض أمامهم ممدودة مبسوطة ساکنة لا- تتحرک، فکیف لهم أن یذعنوا لهذا الخبر و یعتقدوا بکرویة الأرض، بل لربما أدی ذلک لارتداد بعضهم عن الهدی و الإیمان، فلذلک کان من الحکمة الربانیة، و الإعجاز البیانی المتألق أن یشیر الحق إلی کرویة الأرض إشارة، و یضمّن النصوص القرآنیة قضیة تکویر الأرض من ناحیة المعنی و لیس صراحة و قطعا، فإذا ما تقدم العلم و اتضحت غوامض الکون، و تبین للناس کرویة الأرض من خلال الأقمار الصناعیة و غیرها، عندها نجد فی

(_____ ۱) سورة الزمر، الآیة: ۵. (۲) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۳) سورة النازعات، الآیة: ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۷ معانی النصوص القرآنیة ما یدل علی هذه الحقیقة العلمیة، فنحن تحققنا من کرویة الأرض بسبب التقنیة العلمیة المستجدة، و هم فهموا المعنی العام للآیات القرآنیة، و بوقوفنا علی فهم المفسرین للنصوص الکریمة، یظهر لنا أنهم أدرکوا کرویة الأرض من حیث المعنی. ففی «أنوار التنزیل»: (خلق السموات و الأرض بالحق یکور اللیل علی النهار و یکور النهار علی اللیل، یغشی کل واحد منهما الآخر، کأنه یلفه علیه لف اللباس باللابس، أو یغیبه به کما یغیب الملفوف باللفافة، أو یجعله کارا علیه کرورا متتابعا تتابع أکوار العمامة) «۱». و عند القرطبی: (یکور اللیل علی النهار و یکور النهار علی اللیل، أی یلقی هذا علی هذا، و هذا علی هذا، و هذا علی معنی التکویر فی اللغة، و هو طرح الشیء بعضه علی بعض، یقال: کور المتاع أی بعضه علی بعض، و منه کور العمامة، و قد روی عن ابن عباس هذا فی معنی الآیة قال: ما نقص من اللیل دخل فی النهار و ما نقص من النهار دخل فی اللیل، و هو معنی قوله تعالی: یُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهارِ وَ یُولِجُ النَّهارَ فِی اللَّیْلِ «۲» و قیل: تکویر اللیل علی النهار، تغشیته إیاه حتی یذهب ضوؤه و یغشی النهار علی اللیل فیذهب ظلمته) «۳». و فی تفسیر «الجواهر الحسان»: (أی یعید من هذا علی هذا، و منه کور العمامة التی یلتوی بعضها علی بعض، فکان الذی یطول من النهار أو اللیل یصیر منه علی الآخر جزء فیستره، و کأن الآخر الذی یقصر یلج فی الذی یطول فیستتر فیه) «۴». و فی «أضواء البیان»: (و التّکویر هو التدویر و منه قیل: کار العمامة و کورها، و لهذا یقال للأفلاک کرویة الشکل، لأن أصل الکرة، کورة تحرکت الواو و انفتح ما قبلها فقلبت ألفا، و قال: الَّذِی خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً ما تَری فِی خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَری مِنْ فُطُورٍ «۵» و هذا إنما یکون فیما یستدیر من أشکال الأجسام دون

(_____ ۱) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۵/ ۵۸، و انظر: معانی القرآن، للنحاس، ۶/ ۱۵۱. (۲) سورة فاطر، الآیة: ۱۳. (۳) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۵/ ۲۳۴. (۴) الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی، بیروت، مؤسسة الأعلمی، د. ت، ۴/ ۴۸. (۵) سورة الملک، الآیة: ۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۴۸ المضلعات من المثلث أو المربع أو غیرهما، فإنه یتفاوت لأن زوایاه مخالفة لقوائمه، و الجسم المستدیر متشابه الجوانب و النواحی، لیس بعضه مخالفا لبعض ... و لا- خلاف بین العلماء أن السماء علی مثال الکرة، و أنها تدور بجمیع ما فیها من الکواکب کدورة الکرة علی قطبین ثابتین غیر متحرکین، أحدهما فی الشمال، و الآخر فی ناحیة الجنوب، و یدل علی ذلک أن الکواکب جمیعها تدور من المشرق تقع قلیلا علی ترتیب واحد فی حرکتها و مقادیر أجزائها، إلی أن تتوسط السماء، ثم تنحدر علی ذلک الترتیب، فکأنها ثابتة فی کرة تدیرها جمیعها دورا واحدا، و هذا محل القصد بالذات، و کذلک

أجمعوا على أن الأرض بجميع حركاتها من البر و البحر مثل الكرة، و فكرة الأرض مثبتة فى وسط كرة السماء، كالنقطة فى الدائرة، يدل على ذلك أن جرم كل كوكب يرى فى جميع نواحى السماء، على قدر واحد، فيدل ذلك على بعد ما بين السماء و الأرض من جميع الجهات بقدر واحد، فاضطرار أن تكون الأرض وسط السماء) «۱». و أما قوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً، فيقول ابن كثير: (أى جعلها متسعة ممتدة فى الطول و العرض) «۲». و نفس المعنى فى تفسير «الوجيز»: (و هو الذى مد الأرض، بسطها و وسعها، و جعل فيها رواسى أوتدها بالجبال ...) «۳». و صاحب تفسير «روح المعانى» يدلل على كروية الأرض، و يزيل الإشكال الذى قد يخطر بالبال حول كونها كروية و كونها ممدودة فيقول: (و أنت تعلم أن أرباب التعليم يكتفون بالكرية الحسية فى السطح الظاهر، فلا يتجه عليهم السؤال عن المغمور، و لا يليق بهم الجواب بالرجوع إلى البساطة و الحق الذى لا ينكره إلا جاهل أو متجاهل أن ما ظهر منها كرى حسا، و لذلك كرية الفلك تختلف أوقات الصلاة فى البلاد، فقد

(_____ ۱) أضواء البيان، للشنقيطى، ۹/ ۵۵۱.

(۲) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ۲/ ۵۰۱، و انظر: مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد، محمد ابن عمر نووى الجاوى، تحقيق، محمد أمين الضناوى، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۱/ ۵۷۸. (۳) الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، للواحدى، ۱/ ۵۶۵، و انظر: مدارك التنزيل و حقائق التأويل، عبد اللّه بن أحمد بن محمود النسفى، بيروت، دار النفائس، د. ت، ۲/ ۲۰۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۴۹ يكون الزوال ببلد و لا يكون ببلد آخر، و هكذا الطلوع و الغروب و غير ذلك، و كرية ما عدا ما ذكر لا يعلمها إلا اللّه تعالى، نعم إنها لعظم جرمها الظاهر يشاهد كل قطعة و قطر منها كأنه مسطح، و هكذا كل دائرة عظيمة، و بذلك يعلم أنه لا تنافى بين المد و كونها كروية) «۱». و فى تفسير «إرشاد العقل السليم»: (أى فى تعاقبهما فى وجه الأرض، و كون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس و غروبها التابعين لحركات السموات و سكون الأرض، أو فى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر و انتقاصه بازدياده، باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قربا و بعدا بحسب الأزمنة أو فى اختلافهما و تفاوتهما بحسب الأمكنة، أما فى الطول و القصر فإن البلاد القريبة من القطب الشمالىّ أيامها الصيفية أطول و لياليها الصيفية أقصر من أيام البلاد البعيدة منه و لياليها، و أما فى أنفسها فإن كروية الأرض تقتضى أن يكون بعض الأماكن ليلا و فى مقابله نهارا، و فى بعضها صباحا و فى بعضها ظهرا أو عصرا أو غير ذلك) «۲». و نجد الأمر ذاته فى تفسير «التحرير و التنوير» مع زيادة تأكيد يقول: (و الليل اسم لعرض الظلمة و السواد الذى يعمّ مقدار نصف من كرة الأرض الذى يكون غير مقابل للشمس، فإذا حجب قرص الشمس عن مقدار نصف الكرة الأرضية بسبب التقابل الكروى، تقلّص شعاع الشمس عن ذلك المقدار من الكرة الأرضية، فأخذ النور فى الضعف و عادت إليه الظلمة الأصلية التى ما أزالها إلّا شعاع الشمس، و يكون تقلص النور مدرجا من وقت مغيب قرص الشمس عن مقابلة الأفق ابتداء من وقت الغروب، ثم وقت الشفق الأحمر ثم الشفق الأبيض إلى أن يحلك السواد فى وقت العشاء حين بعد قرص الشمس عن الأفق الذى ابتدأ منه المغيب، و كلّما اقترب قرص الشمس من الأفق الآخر أكسبه ضياء من شعاعها ابتداء من وقت الفجر إلى الإسفار إلى الشروق إلى الضحى، حيث يتم نور أشعة الشمس المتجهة إلى نصف الكرة تدريجا، و ذلك الضياء هو المسمى بالنهار و هو النور التام المنتظم على سطح الكرة الأرضية، و إن كان قد يستنير سطح الكرة بالقمر فى معظم لياليه استنارة غير تامة و بضوء بعض النجوم استنارة (_____ ۱)

روح المعانى، للآلوسى، ۱۳/ ۹۰. (۲) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، ۲/ ۱۲۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۰ ضعيفة لا تكاد تعتبر، فهذا هو المراد باختلاف الليل و النهار أى تعاقبهما و خلف أحدهما الآخر) «۱». و أما قوله تعالى: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها فقد بسطنا الحديث عن هذه الآية فى مراحل خلق الكون سابقا، و لكن نأخذ تفسيرا واحدا لها: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها (أى بسطها، و العرب تقول: دحوت الشىء أدحوه دحوا، إذا بسطته، و يقال لعش النعامة أدحىّ، لأنه مبسوط على وجه الأرض) «۲». و يمكن لنا أن نأخذ بعض المفردات الواردة فى هذه الآيات القرآنية، لنرى أبعادها اللغوية و التى تساعدنا على

الإلمام بالمعنی المراد، و نأخذ معنی: کور، و مدّ، و دحی. ففی «مختار الصحاح»: (کار العمامة علی رأسه أی لاثها، و کل دور کور، و الکور بالضم الرحل بأداته و الجمع أکوار و کیران ... و تکویر المتاع، جمعه و شده، و تکویر العمامة، کورها و تکویر اللیل علی النهار تغشیته إیاه، و قیل: زیادته فی هذا من ذاک) «۳». و فی «لسان العرب»: (الکور، لوث العمامة، یعنی إدارتها علی الرأس، و قد کورتها تکویرا، و کل دارة من العمامة کور و کل دور کور، و تکویر العمامة، کورها و کار العمامة علی الرأس یکورها کورا، لاثها علیه و أدارها) «۴». و فی «المغرب فی ترتیب المعرب»: (و کار العمامة و کورها، أدارها علی رأسه، و هذه العمامة عشرة أکوار و عشرون کورا) «۵». و أما المد، فمعناه البسط: (مد الأرض یمدها مدا، بسطها و سواها، و فی التنزیل العزیز: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ «۶».

(_____ ۱) التحریر و التنویر، محمد الطاهر ابن عاشور، بیروت، مؤسسة التاریخ، الطبعة الأولی، ۱۲۴۰ ه/ ۲۰۰۰، ۲/ ۷۸. (۲) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۹/ ۲۰۳. (۳) مختار الصحاح، أبو بکر الرازی، ۱/ ۲۴۲. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۵/ ۱۵۶. (۵) المغرب فی ترتیب المعرب، ناصر الدین بن علی المطرز، تحقیق، محمد فاخوری و عبد المجید مختار، حلب، مکتبة أسامة بن زید، الطبعة الأولی، ۱۹۷۹، ۲/ ۲۳۵. (۶) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۳۹۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۱ و أما الدحو، فیعنی کذلک البسط: (دحا الأرض یدحوها، بسطها ... و الأدحوّة: مبیض النعام فی الرمل، و مدحی النعام، موضع بیضها) «۱». و أما الطحو: (فالطحو کالدحو، و هو بسط الشیء و الذهاب به، قال تعالی: وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها «۲») «۳». و فی «لسان العرب»: (طحاه طحوا و طحوا، بسطه، و طحی الشیء یطحیه طحیا، بسطه أیضا و الطحو کالدحو و هو البسط، و الطاحی المنبسط) «۴». و فی «معجم البلدان»: (طحا بالفتح و الکسر، الطحو و الدحو بمعنی و هو البسط و فیه لغتان طحا یطحو و یطحی، و منه قوله تعالی: وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها «۵». هذا عرض موجز للنصوص القرآنیة، و لآراء المفسرین، و ما ورد فی المعاجم حول الکلمات القرآنیة التی تشیر إلی کرویة الأرض، و لنا أن نتساءل الآن لما ذا استخدم الحق سبحانه و تعالی کلمة یکوّر، و لم یقل یبسط اللیل و النهار ما دامت الأرض منبسطة ظاهریا، أو یغیر اللیل و النهار، أو أی لفظ آخر؟ و الجواب هو (إنک لو جئت بشیء و لففته حول کرة فتقول: أنک کورت هذا الشیء و حیث إن الغلاف الجوی للأرض یحیط بالأرض، و حیث إن ضوء النهار ینشأ بالتشتت علی ذرات و جسیمات هذا الغلاف، فإن النهار و اللیل متکوران علی الأرض، و بهذا فإن الآیة الکریمة تشیر إلی کرویة الأرض بدلیل کرویة غلافها الجوی بنهاره و لیله، و کذلک تشیر إلی عملیة التبادل بین النهار و اللیل نتیجة دوران الأرض حول نفسها، و أن النهار و اللیل موجدان فی نفس الوقت حول الکرة الأرضیة، فنصف الأرض المواجه للشمس یکون نهارا و النصف الآخر یکون لیلا، و لن یسبق أحدهما الآخر، فعند ما تدور الأرض حول نفسها یصبح النهار لیلا و یصبح اللیل نهارا) «۶»، و هکذا یتعاقبان کما فی قوله تعالی: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ وَ لَا اللَّیْلُ سابِقُ النَّهارِ وَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۷» (_____ ۱) المصدر نفسه، ۱۴/ ۲۵۱. (۲) سورة الشمس، الآیة: ۶. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۵۱۷. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۱۵/ ۴. (۵) معجم البلدان، یاقوت الحموی، ۴/ ۲۲. (۶) الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن، منصور حسب النبی، ص ۱۵۰. (۷) سورة یس، الآیة: ۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۲ و یمکن لنا أن نستخلص من معطیات الآیات القرآنیة ما یلی: ۱- الآیات القرآنیة تضمنت معنی کرویة الأرض، و لکن عن طریق الإشارة و المعنی دون التصریح. ۲- الکلمات التی یدور بحثنا حولها و هی «کوّر، و دحی، و طحی، و مدّ» تدل علی کرویة الأرض من خلال المد و الانبساط، لأن الإنسان أینما کان یری الأرض أمامه مبسوطة و ممدودة، فی أی قارة من القارات، و فی أی دولة من الدول نری الأرض ممدودة، و لا یمکن أن یحدث هذا إلا إذا کان شکل الأرض کرویا، إذ لو کانت الأرض علی شکل مضلع أو مثلث أو مسدس أو غیرها من الأشکال لوصل الإنسان یقینا إلی حدود و حافة للأرض، و بما أننا لا نصل إلی حافة للأرض، فالوضع الأکید للأرض الذی نراه مبسوطا أمامنا هو الشکل الکروی، و فی هذا دلیل قاطع علی کرویة الأرض من خلال الکلمات القرآنیة. إذن من هنا یفسّر الإشکال عند البعض حول هذه الحقیقة العلمیة

القرآنیة الرائعة، التی سبقت العلم فی إثبات کرویة الأرض، هذا الإشکال الذی لربما یطوف فی ساحة الإدراک الذهنی لدی واحد منا فیتساءل قائلا: إذا کان القرآن الکریم قد أثبت کرویة الأرض بصریح قوله تعالی: (و یکوّر) ثم جاء العلم فکشف عن هذه الحقیقة و أثبتها، إذن، ما معنی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ «۱» و قوله سبحانه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها «۲»؟ أ لا یدل قوله تعالی: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها علی انبساط الأرض و هو فی نفس الوقت یدل علی کرویة الأرض؟. و عند ما یقرأ الإنسان المؤمن الآیة الکریمة: وَ أَذِّنْ فِی النَّاسِ بِالْحَجِّ یَأْتُوکَ رِجالًا وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ «۳»، یدهش عند کلمة عمیق!. (إن کلمة عمیق هذه تشهد بعظمة القرآن الکریم و هی من الإعجاز العلمی فیه فلو کانت الأرض مستویة مسطحة لقال القرآن: «یأتین من کل فج بعید» تفید المسافة بین شیئین علی مستوی واحد ... و لکن الأرض کرویة فالقادمون إلی مکة المکرمة یأتون (_____ ۱) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۲) سورة الحجر، الآیة: ۱۹. (۳) سورة الحج، الآیة: ۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۳ من بقاع عمیقة بالنسبة لها، و ذلک بحسب انحناء الأرض الکروی لذا جاءت مِنْ کُلِّ فَجٍّ عَمِیقٍ «۱».

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: سبق و أن أشرنا أن کرویة الأرض أصبحت من الحقائق العلمیة القطعیة، و التی لا یمکن أن یستریب بها أحد من الناس أبدا، ذلک لأنها قد صورت عبر الأقمار الصناعیة و شاهدها الناس و رأوها رأی عین، و لکن لا حرج إن أوردنا بعضا من أبحاث العلماء التی تحتوی علی طائفة من الأدلة العلمیة التی تثبت کرویة الأرض. ففی «موسوعة الکون و الفضاء و الأرض»: (اعتقد الأقدمون بأن الأرض مسطحة، رغم أن کثیرا من الشعوب القدیمة عرفت کرویتها، و حاولت إثباتها بأدلة علمیة مثل شعوب بلاد ما بین النهرین، ثم الیونان و بعدهم العرب، لکن کرویة الأرض لم تثبت بالشکل العلمی القاطع إلا بعد القرن الخامس عشر المیلادی ... فقد أصبحت کرویتها أکیدة و لا مجال للشک فیها، إذ یکفی أن رواد الفضاء رأوها بأم أعینهم و زودونا بالصور و المعلومات الثابتة عن هذه الناحیة، إذا شکل الأرض کروی مفلطح عند القطبین مع انتفاخ عند خط الاستواء، و ذلک نتیجة لقیاس قطری و محیطی الأرض) «۲». (و فی یوم ۲۲ دیسمبر ۱۹۶۸، أظهرت شاشات الإذاعات المرئیة صورا ترکت أثارا عمیقة فی نفوس المشاهدین، حیث کانت سفینة الفضاء (أبولو ۸) فی طریقها نحو القمر، و آلات تصویرها موجهة نحو الأرض، لقد ظهر کوکبنا الأرضی علی جمیع شاشات الأجهزة العاملة، کما یبدو من بعید تبعا لکبر حجمه، و کما شاهده الناس بمظهره الجدید، دائرة مضیئة مرتسمة فی نهایة الظلمة کان یبدو کالنجم، و قد وصلت فیما بعد الصور التی التقطت بواسطة الأجهزة و الآلات، و التی عملت علی إبراز الحقیقة المظهریة ذات الوضوح العظیم، و بذلک أمکن تحویل الدائرة الأرضیة، و ظروف هیکلها السماوی إلی حقیقة نابضة، بعد ما عاشت تغلفها التأکیدات العائدة لآلاف السنین) «۳ (_____ ». ۱) الإنسان بین العلم و الدین، شوقی أبو خلیل، بیروت/ دمشق، دار الفکر، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹، ص ۱۱۴. (۲) موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، ص ۱۰۶. (۳) الأجرام السماویة، غیدو روجیری، ترجمة عبد اللطیف أبو عرقوب، ص ۷- ۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۴ (ثم أخذت الأدلة و البراهین، التی تثبت کرویة الأرض تتعدد و منها: أولا: إننا عند ما نکون فی مرفإ، فإننا أول ما نشاهده من السفن القادمة من عباب البحر نحو ذلک المرفأ أعلاها، و مع تزاید اقترابها منا نری القسم الأوسط منها، ثم نراها بکاملها، و عند إقلاع البواخر من ذلک المرفأ فإن أول ما یغیب عن عیوننا بعد ابتعادها الأقسام السفلی منها، ثم وسطها و عند ابتعادها کثیرا یختفی أعلاها. ثانیا: رؤیة ظل الأرض علی شکل دائرة، علی صفحة البدر صیف الکسوف «۱». ثالثا: اختفاء بعض کوکبات السماء کلما اتجهنا جنوبا أو شمالا علی سطح الأرض، و ظهور کوکبات جدیدة لم نکن نراها بسبب تحدب سطح الأرض. رابعا: استدارة الأفق من حولنا عند ما نکون فی عرض البحر، أو فی صحراء أو فی بادیة مترامیة

الأطراف. خامسا: اختلاف التوقیت الزمنی بین بلدان العالم الذی یکشفه لنا المذیاع أو الاتصال الهاتفی و کیف أنه عند ما یکون الوقت لدینا نهارا، یکون فی نفس اللحظة فی دولة أخری لیلا، و لو کانت الأرض منبسطة لغمرت کلها بالنور دفعة واحدة عند شروق الشمس فعمّها النور، و لغمرت کلها بالظلمة دفعة واحدة بعد غیاب الشمس فعمّها اللیل. سادسا: و أنه إذا قدر لنا أن نرتفع فی الجو حتی علو ۳۰ ألف کلم، لاستطعنا أن نری الأرض عندها دفعة واحدة، بشکلها الکروی، علما بأن بلوغ هذا الارتفاع لا تحققه لنا إلا المرکبات الفضائیة التی یمتطیها رواد الفضاء الیوم) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: و لا أری حاجة فی إیراد المزید من الأدلة العلمیة علی کرویة الأرضیة، لأن العلماء و الذین قد اخترقوا أجواء السماء بسفنهم الفضائیة، قد صوروا الأرض و اتضحت کرویتها لکل ذی لب. تلک هی الحقیقة التی أثبتها العلم، و کشفتها سفن الفضاء و قررها کتاب اللّه قبل أکثر من أربعة عشر قرنا، فهل بعد هذه الحقائق العلمیة الساطعة یقال بأن القرآن من تألیف

(_____ ۱) تعنی کسوف الشمس الذی یقع فی فصل الصیف. (۲) انظر: الأرض، إبراهیم حلمی غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت، ص ۵۰- ۵۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۵ محمد صلی اللّه علیه و سلم؟! هل کان صلی اللّه علیه و سلم یمتلک أقمارا صناعیة أو أجهزة تصویر ضخمة لیری کرویة الأرض، ثم یعرضها علی الناس أو یثبتها فی القرآن الکریم؟، إنه کلام السماء و وحی السماء الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه. صورة تظهر کرویة الأرض کما صوّرتها رحلة أبولو ۱۷، فی عام ۱۹۷۲، و تظهر فیها شبه الجزیرة العربیة و قارة افریقیا. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۶

المبحث الثانی حرکة الأرض و دورانها

اشارة

المبحث الثانی حرکة الأرض و دورانها قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ إِلی رَبِّکَ کَیْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساکِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَیْهِ دَلِیلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَیْنا قَبْضاً یَسِیراً «۱». و قال سبحانه: وَ هُوَ الَّذِی خَلَقَ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ «۲». و قال جل جلاله: فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (۱۵) الْجَوارِ الْکُنَّسِ (۱۶) «۳». و قال سبحانه و تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ «۴». و قال تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ یُکَوِّرُ اللَّیْلَ عَلَی النَّهارِ وَ یُکَوِّرُ النَّهارَ عَلَی اللَّیْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ کُلٌّ یَجْرِی لِأَجَلٍ مُسَمًّی «۵». تشیر هذه الآیات القرآنیة إلی أن الکون و ما رصّع فی سماءه من نجوم، و ما بثّ فی آفاقه الواسعة و القاصیة من مجرات و شموس و کواکب ... کلها تتحرک و تسبح فی ملکوت اللّه، لا کما ظن القدامی أن الأرض جامدة لا حراک یعتریها فقوله تعالی: یُسَبِّحُونَ صریح الدلالة علی حرکة و دوران النجوم و الکواکب فی أفلاکها و سبلها المنظمة الدقیقة، لأن السبح هو المرّ السریع فی الماء أو الهواء، ثم إنه استعیر لمر النجوم فی الفلک نحو: کُلٌّ فِی فَلَکٍ یَسْبَحُونَ و التنوین فی کُلٍّ کما هو معلوم عند علماء اللغة هو تنوین عوض عن کلمة، و التقدیر: کل جسم أو جرم فی فلک السماء

(_____ ۱) سورة الفرقان، الآیتان ۴۵، ۴۶.

(۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۳. (۳) سورة التکویر، الآیتان ۱۵، ۱۶. (۴) سورة النمل، الآیة: ۸۸. (۵) سورة الزمر، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۵۷ یسبح و یتحرک حرکة دائبة مستمرة، و نظرة فی تفاسیر العلماء حول هذه الآیات لنری الاستنباطات أو الفهم الذی استلهموه منها. یقول الإمام الرازی: (إذا کان کُلٍّ بمعنی کل واحد منهم، و المذکور الشمس و القمر

فكيف قال: يُسَبِّحُونَ؟ نقول الجواب عنه من وجوه أحدها: ما بينا أن قوله: كُلٌّ للعموم، فكأنه أخبر عن كل كوكب فى السماء سيار، ثانيها: أن لفظ: كُلٌّ يجوز أن يوحد نظرا إلى كونه لفظا موحدا غير مثنى و لا مجموع، و يجوز أن يجمع لكون معناه جمعا، و أما التثنية فلا يدل عليها اللفظ و لا المعنى، ثالثها: لمّا قال: وَ لَا اللَّيْلُ سابِقُ النَّهارِ و المراد ما فى الليل من الكواكب قال: يُسَبِّحُونَ، و المسألة الثالثة: الفلك ما ذا؟ نقول: الجسم المستدير أو السطح المستدير أو الدائرة، لأن أهل اللغة اتفقوا على أن فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها ... و لكل كوكب فلك لاختلاف سيرها بالسرعة و البطء و الممر، فإن بعضها يمر فى دائرة و بعضها فى دائرة أخرى، حتى فى بعض الأوقات يمر بعضها ببعض و لا يكسفه و فى بعض الأوقات يكسفه، فلكل كوكب فلك، ثم إن أهل الهيئة قالوا: كل فلك هو جسم كرة، و ذلك غير لازم، بل اللازم أن نقول: لكل فلك هو كرة أو صفحة أو دائرة يفعلها الكوكب بحركته، و هذا هو المفهوم من قوله تعالى: كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ و الظاهر أن حركة الكواكب على هذا الوجه، و أرباب الهيئة أنكروا ذلك و قالوا: لا تجوز الحركة على هذا الوجه، لأن الكوكب له جرم فإذا شق السماء و تحرك فإما أن يكون موضع دورانه ينشق و يلتئم، كالماء تحركه السمكة أو لا ينشق و لا يلتئم، بل هناك خلاء يدور الكوكب فيه، لكن الخلاء محال و السماء لا تقبل الشق و الالتئام) «۱». و فى «روح المعانى»: (جعل اللّه تعالى السموات ساكنة، و خلق فيها سبحانه نجوما، و جعل لها فى عالم سيرها و سباحتها فى هذه السموات حركات مقدرة لا تزيد و لا تنقص، و جعلها عاقلة سامعة مطيعة، و أوحى فى كل سماء أمرها، ثم أنه عز و جلّ لما جعل السباحة للنجوم فى هذه السموات حدثت لسيرها طرق لكل كوكب طريق، و هو قوله تعالى: وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ «۲» فسميت تلك الطرق أفلاكا، فالأفلاك تحدث بحدوث سير الكواكب، و هى سريعة السير فى جرم السماء الذى هو مساحتها، فتخرق الهواء

(_____ ۱) التفسير الكبير، فخر الدين الرازى، ۲۶/ ۲۸۵. (۲) سورة الذاريات، الآية: ۷. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۸ المماس لها فيحدث لسيرها أصوات و نغمات مطربة لكون سيرها على وزن معلوم، فتلك نغمات الأفلاك الحادثة من قطع الكواكب المسافات السماويّة، فهى تجرى فى هذه الطرق بعادة مستمرة، قد علم بالرصد مقادير و دخول بعضها على بعض فى السير، و جعل سيرها للناظرين بين بطء و سرعة، و جعل سبحانه لها تقدما و تأخرا فى أماكن معلومة من السماء، تعينها أجرام الكواكب لإضاءتها) «۱». و فى تفسير «التحرير و التنوير»: (و قد جمعت الآية استدلالا و امتنانا، فهى دليل على عظم قدرة الخالق، و هى أيضا تذكير بنعمه، فإن فى اختلاف الليل و النهار آيات جمّة لما يدل عليه حصول الظلمة من دقة نظام دوران الأرض حول الشمس، و من دقة نظام خلق الشمس، و لما يتوقف عليه وجود النهار من تغير دوران الأرض و من فوائد نور الشمس ...) «۲». و يقول سيد قطب رحمه اللّه: (و الخنس الجوار الكنس، هى الكواكب التى تخنس أى ترجع فى دورتها الفلكية و تجرى و تختفى، و التعبير يخلع عليها حياة رشيقة كحياة الظباء، و هى تجرى و تختبئ فى كناسها و ترجع من ناحية أخرى، فهناك حياة تنبض من خلال التعبير الرشيق الأنيق عن هذه الكواكب، و هناك إيماء شعورى بالجمال فى حركتها، فى اختفائها و فى ظهورها، فى تواريها و فى سفورها، فى جريانها و فى عودتها) «۳». و أما قوله تعالى: وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ (حال من ضمير الجبال فى تحسبها، أو فى جامدة أى تراها رأى العين ساكنة، و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التى تسيرها الرّياح سيرا حثيثا، و ذلك أنّ الأجرام العظام إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها) «۴». (أى و ترى الجبال رأى العين ساكنة، و الحال أنها تمر فى الجو مرّ السحاب التى

(_____ ۱) روح المعانى، للآلوسى، ۲۳/ ۳۱، و انظر: بحر العلوم، للسمرقندى، ۳/ ۱۲۰. (۲) التحرير و التنوير، لابن عاشور، ۱۹/ ۶۷. (۳) فى ظلال القرآن، سيد قطب، ۶/ ۳۸۴۱. (۴) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، ۶/ ۲۹۳، و انظر: أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۴/ ۲۷۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۵۹ تسيرها الرياح سيرا حثيثا، و ذلك أن الأجرام المجتمعة المتكاثرة العدد على وجه الالتصاق، إذا تحركت نحو سمت لا تكاد تبين حركتها) «۱». و يعلّق الإمام الرازى على آية الظل فى سورة الفرقان فيقول: (و هو أنه سبحانه و تعالى لما خلق

الأرض و السماء و خلق الكواكب و الشمس و القمر وقع الظل على الأرض، ثم إنه سبحانه خلق الشمس دليلا عليه، و ذلك لأن بحسب حركات الأضواء تتحرّك الأظلال فإنهما متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما، فبمقدار ما يزداد أحدهما ينقص الآخر، و كما أن المهتدى يهتدى بالهادى و الدليل و يلازمه، فكذا الأظلال كأنها مهتدية و ملازمة للأضواء فلهذا جعل الشمس دليلا عليها، و أما قوله تعالى: ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً فأما أن يكون المراد منه انتهاء الأظلال يسيرا يسيرا إلى غاية نقصاناتها، فسمى إزالة الأظلال قبضا لها، أو يكون المراد من قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة و ذلك بقبض أسبابها و هى الأجرام التى تلقى الأظلال، فهذا هو التأويل المخلص) «۲». و فى «بدائع التفسير»: (أخبر تعالى أنه بسط الظل و مدّه، و أنه جعله متحركا تبعا لحركة الشمس و لو شاء لجعله ساكنا لا يتحرك، إما بسكون المظهر له و الدليل عليه، و إما بسبب آخر، ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضا يسيرا ... و فى الآية وجه آخر و هو أنه سبحانه و تعالى مدّ الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، و دحى الأرض تحتها، فألقت القبة ظلها عليها، فلو شاء سبحانه لجعله ساكنا مستقرا فى تلك الحال، ثم خلق الشمس و نصبها دليلا على ذلك الظل) «۳». هذه الآيات توضح أن جميع الكواكب سيارة متحركة، و من ضمن هذه الكواكب كوكبنا الأرض، و هو بالتالى متحرك سابح فى الفضاء مع إخوانه الكواكب فى

(_____ ۱) روح المعانى، للآلوسى، ۲۰/ ۴۳، و انظر: تفسير القرآن، لأبى مظفر السمعانى، تحقيق، ياسر ابن إبراهيم و غنيم بن عباس غنيم، الرياض، دار الوطن، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ۴/ ۱۱۷. (۲) التفسير الكبير، للفخر الرازى، ۲۴/ ۴۷۴، و انظر: تفسير القرآن الكريم، محمد على الدرة، دمشق، دار الحكمة، ۱۹۸۲، ۱۰/ ۳۶. (۳) بدائع التفسير، ابن قيم الجوزية، تحقيق، يسرى السيد أحمد، الرياض، دار ابن الجوزى، الطبعة الأولى، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳، ۳/ ۲۹۶. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۰ المجموعة الشمسية التى هى جزء من مجرتنا درب التبانة، و هذا الذى وقف عليه المفسرون من دوران الأرض و حركتها، إنما هو نابع عن فهم معانى النصوص القرآنية و دلالاتها اللغوية، و لنا أن نستخلص من معطيات الآيات ما يلى: أولا: تشير الآيات القرآنية إلى حركة الأرض و دورانها، لأن تعاقب الليل و النهار من أبرز الأدلة على دوران الأرض حول نفسها. ثانيا: وصف الحق الجبال بأنها تمر مر السحاب، و هذا لا يكون إلا إذا كان شأن الأرض كذلك لأن الجبال تبع للأرض، فهذا دليل على سرعة الأرض الهائلة فى دورانها. و هذه الآية الكريمة: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ «۱» تكاد تكون صريحة فى دلالتها على حركة الأرض حول الشمس، و ليس من المستغرب أن يغيب هذا المعنى العلمى على أصحاب العلم و الفضل من المفسرين القدامى، لأنهم ما عاشوا عصر الثورة العلمية و التقنية العجيبة التى نعيشها اليوم، فراحوا يخضعون دلالات هذه الآية العلمية و عطاءاتها الإعجازية لعوالم القيامة و مشاهد النكبة و الهلع التى ستخيم على الكون، فجعلوا هذه الآية من نصيب يوم القيامة و أهوالها و أحداثها الجسام، التى ستنسف خلالها الجبال و تتوارى عن عالم المشاهدة بل و الحياة. و المتأمل فى هذه الآية الكريمة يرى أن خطاب اللّه لرسوله و لكل تال لكتاب اللّه، يستثير بواعث التفكير و التأمل فى كينونتنا، و يخلق فى ساحة العقل و مواطن الإدراك البشرى، دوافع التمحيص لكشف أسرار هذه الآية، أ لا ترى فى نهاية الآية كيف أنه يسترعى انتباهنا و يحفّز ملكاتنا العقلية إلى التدقيق و التأمل فى صنعه المتقن المحكم فى خلقه، و كأنّ اللّه سبحانه و تعالى يقول لنا: انظروا إلى الجبال من حولكم و أمعنوا فى تصميمها الدقيق فستظنون أنها جاثمة جامدة لا تتحرك، إلا أن الحقيقة غير ذلك، فهى تمرّ مرّ السحاب، و هذا من بديع صنع اللّه و إتقانه فى ربط قوانين الحياة و نواميس الكون بعضها مع بعض، ليتكامل تنسيق الكون، و يتألق جماله البديع فالجبال التى يظنها الإنسان ثابتة هى فى الواقع متحركة، لأنها محمولة و راسية على الأرض، و الأرض تتحرك و تدور حول الشمس كذلكم الجبال و كل ما حوته الأرض يتحرك معها بحكم الجاذبية (_____. ۱) سورة النمل، الآية: ۸۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۶۱ و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَ لَوْ شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِناً ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْناهُ إِلَيْنا قَبْضاً يَسِيراً، ففى هاتين الآيتين برهان قوى على دوران الأرض حول نفسها

ذلک لأن (الأرض لو کانت غیر متحرکة لسکن الظل و لم یتغیر طولا أو قصرا، و هذا الدوران رحمة من عند اللّه و لولاه لظلت الشمس مسلطة علی نصف الأرض، بینما یظل النصف الآخر لیلا دائما مما یؤدی إلی هلاک البشر من شدة الحر أو البرد، کما تشیر الآیة إلی دور ضوء الشمس کمؤشر للظل نظرا لاختلاف نفاذیة الضوء خلال الأوساط المادیة المختلفة، و لاختلاف الموقع الظاهری للشمس خلال النهار، بسبب دوران الأرض حول نفسها بمعدل یؤدی إلی نسخ الظل تدریجیا، بمقدار متناسب مع مرور الزمن و لیس دفعة واحدة، و هذا هو المقصود بقوله تعالی: قَبْضاً یَسِیراً و بهذا یتّضح کیفیة مد الظل و ارتباطه بدوران الأرض، و لو شاء اللّه لجعل الظل ساکنا بإیقاف دوران الأرض حول نفسها أو بجعلها تدور حول محورها بنفس معدل دورانها حول الشمس، أی یجعل الیوم یساوی سنة أرضیة، و هذه أمور لا یقدر علیها إلا اللّه سبحانه و تعالی) «۱».

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: أفاضت کتب الفلک و کتب و موسوعات الجغرافیا، الحدیث عن دوران الأرض حول نفسها و حول الشمس، و أسهبوا عما تنتجه هذه الدورات من تعاقب اللیل و النهار و الفصول الأربعة و غیر ذلک، و سنقف عند بعض ما قاله العلماء المختصون فی هذا الشأن. (الفصول الأربعة سخّرت من حرکة الأرض أمام الشمس مع میل المحور لمنفعة الإنسان حتی یتمکن من القیام بمهمة الخلافة فی الأرض، فالأرض تقطع أثناء دورتها حول الشمس مرة کل سنة «۳۶۵ یوما» مسافة ۹۶۰۰ ملیون ک. م، و هذه الحرکة هی السبب فی حدوث ظاهرة الفصول الأربعة و یلاحظ أن هذا المدار بیضوی الشکل و بذلک یتغیر متوسط بعد الأرض عن الشمس البالغ ۶، ۱۴۶ ملیون ک. م بمقدار ۰۰۰، ۹۹۱، ۴ ک. م علی مدار السنة، و معنی هذا تغیر فی زاویة سقوط الأشعة الشمسیة علی مناطق الأرض بعدا مختلفا منها علی مدار السنة، حین سلکوها هذا المدار البیضوی الشکل حول الشمس، و هذا هو سبب حدوث الفصول الأربعة) «۲» (_____». ۱) الکون و الإعجاز العلمی للقرآن، منصور حسب النبی، ص ۱۵۴. (۲) المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم خضر، ص ۲۹۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۲ و هناک نوعان من الحرکات للأرض (حرکة ظاهریة و حرکة حقیقیة، الحرکة الحقیقیة هی مدار الأجرام فی أفلاکها فی دورات موقوتة منتظمة، و الحرکة الظاهریة ما نشاهده من حرکات نسبیة بین الأجرام علی القبة السماویة بالنسبة لبعضها البعض، و الدورة الیومیة المحوریة، حیث تدور الأرض حول محورها دورة واحدة خلال فترة زمنیة قدرها ۲۳ ساعة و ۵۶ دقیقة، و ۴ ثوان أمام النجم البعید و ینتج عن هذه الدورة ما یسمی بالیوم النجمی، بینما تتم الأرض دورتها حول الشمس خلال ۲۴ ساعة، و هو ما یسمی بالیوم الشمسی، و من أهم نتائج الدورة المحوریة لکوکب الأرض تعاقب اللیل و النهار، و أما الدورة الانتقالیة، فتدور الأرض حول الشمس بمدار إهلیلجی، تحتل الشمس إحدی بؤرتیه بسرعة مداریة قدرها ۷۹، ۲۹ کم/ ث، و یمیل محور الأرض علی مستوی دورانها حول الشمس بزاویة ثابتة مقدارها ۴- ۲۳، و تتم الأرض دورتها خلال فترة زمنیة قدّرها العلماء ۳۶۵ یوما و ۶ ساعات و ۹ دقائق و ۴۵، ۹ ثانیة، و ینتج عن هذه الدورة تعاقب الفصول الأربعة، حیث یبقی محورها متجها نحو النجم القطبی خلال تلک الدورة) «۱». و فی کتاب «العالم الذی نقطنه»: (الأرض وحدها هی التی تتم دورة کاملة علی ذاتها بیوم واحد فتکشف عن القبة السماویة قلیلا فقلیلا، و تمر أمام الشمس التی تنیرنا و من ثم تعیدنا إلی اللیل و عند ما تغمر الشمس السماء بنیرانها طیلة النهار، فإنها تحجب عنا رؤیة النجوم التی تکمل مع ذلک دورتها) «۲». و فی «موسوعة الجیولوجیا» تعرف الأرض بأنها دائمة الحرکة: (الأرض هی عبارة عن کوکب دائم الحرکة، فلو استطعنا أن نعود ملیون سنة إلی الوراء أو أکثر، لوجدنا أن سطح الأرض مختلف تماما عما هو علیه الیوم، و لوجدنا أنه کان للقارات أشکال مختلفة أو أنها تقع فی مواقع مختلفة عما هی علیه الآن) «۳». و یقول مجموعة من البحاث فی علم (الجیولوجیا): (یولد دوران الأرض علی (_____ ۱) آفاق فلکیة، فوزیة الرویح، ۷۵.

(۲) العالم الذی نقطنه، رینیه غویر، ترجمة، خلیل الفریجات، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ۱۹۸۱، ص: ۱۶. (۳) الأرض، مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربون لوتجنز، ترجمة، عمر سلیمان حمودة و آخرون، مطبعة مالطا، مالطا، ۱۹۸۴، ص: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۳ محورها قوة مرکزیة طاردة هی عند خط الاستواء أقوی منها فی أی مکان آخر، فیسبب ذلک انتفاخا بسیطا عند خط الاستواء، و تسطح عند القطبین و هذا ما یجعل قطر الأرض عند خط الاستواء أطول مما هو علیه بین القطبین) «۱». و تجدر الإشارة إلی أن کلا من «کوبرنیکوس» «۲»، و «جوهانس کیبلر» «۳»، و «جالیلیو جالیلی» «۴» کان لهم الفضل فی التحقق من دوران الأرض بشکل علمی.

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان الذی خلق فسوّی و قدر فهدی، إنها آیات اللّه الناطقة بالحقائق العلمیة الناصعة، فکرویة الأرض و دورانها و حرکتها، حقائق قرآنیة أثبتها القرآن قبل دهر سحیق مضی، و فی هذا الزمان کشف عنها الإنسان الضعیف، فقررها «کیبلر» فی قانونه الأول الذی یتحدث فیه عن دوران الکواکب و الأرض حول الشمس، و «نیوتن» فی حدیثه عن قانون الجاذبیة، و من بعدهما أثبتوا ذلک کذلک، قوانینهم هذه کلها ما هی إلا توضیح و تفسیر لبعض الآیات القرآنیة.

(_____۱) بهجة المعرفة، موسوعة علمیة مصورة، الأرض، لیبیا، الشرکة العامة للنشر، ۱۹۸۳، ص: ۵۱. (۲) کوبر نیکوس، ۱۴۷۳- ۱۵۴۳، فلکی بولندی من أصل ألمانی، درس الطب و اللاهوت و الریاضیات، وضع مبادئ النظام الشمسی و دوران الأرض حول الشمس، کما قال ببعد النجوم عن أرضنا بعدا سحیقا، فساهمت نظریته فی شرح کیفیة تعاقب الفصول و بیان أزمنة الاعتدال الشمسی. انظر: موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، ص: ۱۰۸. (۳) جوهانس کیبلر ۱۵۷۱- ۱۶۳۰، عالم و مکتشف ألمانی، اهتم بعلم الفلک و علم البصریات الهندسی، و قد وضع القانون المعروف باسمه، و الذی یتناول حرکة الکواکب حول الشمس. المصدر نفسه، ص: ۱۰۸. (۴) جالیلیو جالیلی ۱۵۶۴- ۱۶۴۲، عالم إیطالی من فلورنسا، درس فی جامعة بیزا، أید نظریة کوبر نیکوس القائلة بدوران الأرض حول الشمس، مما جعله فی حرم کنسی أظلم حیاته، لکن إنجازاته فی المنفی حول دراسة الآلیات و القوی المتحرکة، و تطبیقه التحلیل الریاضی علی المعضلات الطبیعیة کانت استکمالا للثورة التی بدأت مع کوبر نیکوس. المصدر نفسه، ص: ۱۰۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۴

المبحث الثالث جاذبیة الأرض

اشارة

المبحث الثالث جاذبیة الأرض قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً «۱». و قال تعالی: اللَّهُ الَّذِی جَعَلَ لَکُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَ السَّماءَ بِناءً «۲». و قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً (۲۵) أَحْیاءً وَ أَمْواتاً (۲۶) وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً (۲۷) «۳». یبرز اللّه سبحانه تعالی فی هذه الآیات طرفا من الآلاء و النعم التی قد أرفدها علینا و نعمنا بها، و من بین هذه النعم التی یشیر إلیها القرآن الکریم نعمة الجاذبیة، الجاذبیة الأرضیة التی من شأنها أن تقر الأشیاء علی الأرض، و یکون هذا الاستقرار مناسبا و منسجما مع حجم هذه الأجسام التی تقلها الأرض، و بذلک تتحقق الحیاة علیها، و تثبت توابعها و تکون ملازمة لها دائما فی دورانها حول نفسها و حول أمّها الشمس. فقانون الجاذبیة قانون عام شامل یعمل فی الکون کله، حیث إن الکائنات کلها تتجاذب و إن لم نر نحن القوة الرابطة بین المتجاذبین، إلا أننا تعرفنا علیها من نتیجة أثر الجسم الکبیر فی الصغیر، و رأینا فیما مضی کیف أن الشمس تجذب منظومتها کلها،

و الأرض کذلک تجذب کل من علیها بما فی ذلک القمر، و الغلاف الجوی خاضع لقانون الجاذبیة و لو لا الجاذبیة لفرّ و لتلاشت الأحیاء، و هکذا فإن هذا القانون عام و شامل، و سیحدثنا عنه العلماء و عن هذه القضایا التی أومأنا إلیها، غیر أن هذا القانون

(_____ ۱) سورة النمل، الآیة: ۶۱. (۲) سورة غافر، الآیة: ۶۴. (۳) سورة المرسلات، الآیات ۲۵- ۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۵ الذی اکتشفه «نیوتن» «۱» و أماط اللثام عنه، قد قرره الحق تبارک و تعالی فی کثیر من آیات القرآن المجید، و لسوف نقف الآن عند ما قاله المفسرون و اللغویون حول هذه النصوص القرآنیة. یقول ابن کثیر: (یقول تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً أی قارة ساکنة ثابتة لا تمید و لا- تتحرک بأهلها و لا- ترجف بهم، فإنها لو کانت کذلک لما طاب علیها العیش و الحیاة، بل جعلها من فضله و رحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل و لا تتحرک) «۲». و عند الطبری یقول رحمه اللّه: (اللّه الذی له الألوهیة خالصة أیها الناس، الّذی جعل لکم الأرض التی أنتم علی ظهرها سکان قرارا تستقرون علیها، و تسکنون فوقها، و السّماء بناء، بناها فرفعها فوقکم بغیر عمد ترونها لمصالحکم، و قوام دنیاکم إلی بلوغ آجالکم) «۳». و فی «التفسیر الکبیر» یقول الرازی: (کونها قرارا و ذلک لوجوه، الأول: أنه دحاها و سواها للاستقرار، الثانی: أنه تعالی جعلها متوسطة فی الصلابة و الرخاوة، فلیست فی الصلابة کالحجر الذی یتألم الإنسان بالاضطجاع علیه، و لیست فی الرخاوة کالماء الذی یغوص فیه، الثالث: أنه تعالی جعلها کثیفة غبراء لیستقر علیها النور، و لو کانت لطیفة لما استقر النور علیها، و لو لم یستقر النور علیها لصارت من شدة بردها بحیث تموت الحیوانات، الرابع: أنه سبحانه جعل الشمس بسبب میل مدارها عن مدار منطقة الکل، بحیث تبعد تارة و تقرب أخری من سمت الرأس، و لو لا ذلک لما اختلفت الفصول، و لما حصلت المنافع) «۴». (_____ ۱) إسحاق نیوتن، ۱۶۴۲- ۱۷۲۷، فلکی بریطانی، اکتشف قانون الجاذبیة و وضع لها ثلاثة قوانین، کان لها أثر کبیر فی دراسة علم الفلک، و التنبیه إلی اهتزاز حرکة الکواکب و عدم انتظامها، کما اکتشف طریقة الحصول علی طبیعة الأجسام المضیئة عن طریق تحلیل الضوء إلی طیف بواسطة الموشور الزجاجی. انظر: الأطلس الفلکی، محمد عصام المیدانی، ص ۸۷، و انظر: الأوائل، علی جمعة الخویلد، بیروت، الدار العربیة للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸، ص ۱۳۸. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۱۸۳. (۳) جامع البیان، للطبری، ۲۴/ ۵۲. (۴) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۲۴/ ۵۶۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۶ و فی «روح المعانی»: (أی جعلها بحیث یستقر علیها الإنسان و الدواب، بإبداء بعضها من الماء و دحوها و تسویتها حسبما یدور علیه منافعهم، فقرارا بمعنی مستقرا لا بمعنی قارة غیر مضطربة) «۱». و أما قوله تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً، (فالکفات اسم جنس أو اسم آلة، لما یکفت أی یضم و یجمع، من کفت الشیء إذا ضمه و جمعه کالضمام و الجماع لما یضم و یجمع) «۲». (و إنما معنی الکلام، أ لم نجعل الأرض کفات أحیائکم و أمواتکم، تکفت أحیاءکم فی المساکن و المنازل، فتضمهم فیها و تجمعهم، و أمواتکم فی بطونها فی القبور، فیدفنون فیها، و جائز أن یکون عنی بقوله: کِفاتاً أَحْیاءً وَ أَمْواتاً تکفت أذاهم فی حال حیاتهم، و جیفهم بعد مماتهم) «۳». و لو رجعنا إلی معنی: قَراراً فی اللغة لوجدناها تعطینا معنی الثبات و الاستقرار، یقول ابن منظور: (قرارا، بطون الأرض قرارها، لأن الماء یستقر فیها، و یقال: القرار، مستقر الماء فی الروضة و قراره و مستقرّه، تناهی و ثبت) «۴». و نجد فی «مفردات ألفاظ القرآن»: (قرّ فی مکانه یقرّ قرارا، إذا ثبت ثبوتا جامدا، و أصله من القرّ ... قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً «۵». و أما معنی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ کِفاتاً، (فالکفات، الموضع الذی یضمّ فیه الشیء و یقبض، و الکفت، القبض و الجمع) «۶». (أی تجمع الناس أحیاءهم و أمواتهم، و قیل: معناه تضم الأحیاء التی هی الإنسان و الحیوانات و النبات، و الأموات التی هی الجمادات من الأرض و الماء و غیر ذلک) «۷».

(_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۰/ ۱۶، و انظر: التفسیر الواضح، محمد محمود حجازی، القاهرة، مطبعة الاستقلال، الطبعة السادسة ۱۹۶۹، ۲۹/ ۸۰۳. (۲) المصدر نفسه، ۲۵/ ۲۸. (۳) جامع البیان، للطبری، ۲۹/ ۲۲۵. (۴) لسان العرب، ابن منظور، ۱۱/ ۱۲۴. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهانی، ص

۶۶۲. (۶) لسان العرب، ابن منظور، ۱۲/ ۱۱۷. (۷) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۷۱۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۷ إذن، یتضح من معطیات ما سبق أن قَراراً و کِفاتاً کلمتان تدلان علی الضمّ و الجمع و هذا هو المعنی العلمی الدقیق للجاذبیة، إذ الجاذبیة من شأنها أن تضم و تجمع إلیها ما أحاط بها من أجسام ... فأیّ تعبیر أدق من تعبیر القرآن الکریم، و هو یصف حال الکرة الأرضیة و هی تسیر فی فلکها الذی رسم لها من قبل الخالق العظیم، و فی آن واحد تضم المخلوقات التی أوجدها اللّه سبحانه و تعالی علیها ضمّا قد حشی بالرحمة و الحنان و العطف، و کأنها أمّ رءوم بأبنائها، فلا تؤذیهم حال دورانها حول نفسها و الشمس، و لا تقذف بهم فی دوّامة التیه و الفوضی، بل إنها تقلّهم بین حنایاها و تکفتهم بذراعیها بعامل الجاذبیة الذی أشار اللّه إلیه بقوله: قَراراً و کِفاتاً. فما أرحمک یا خالقنا و ما أعظم لطفک و حنانک بنا، فالأرض تدور و تجری بسرعة کبیرة و نحن نعیش بین تضاعیفها و ننعم بأرزاقها و ظلالها الوارف، و لا یصیبنا أیّ أذیً و لا نشعر بأیّ خوف أو قلق، فسبحان الذی خلق کلّ شیء بقدر، ثم إن قوة الجاذبیة لا تقتصر علی کوکب الأرض و ما حوی، بل إنها تلف الأجرام و حتی المجرات السماویة بأسرها، ذلک أن الجزر النجمیة الضخمة العظیمة فی الکون، مهما کانت متباعدة إلا أنها متماسکة فیما بینها بسبب قوة الجاذبیة التی تربط أجرامها ببعض، و تمنعها من التفککک و التناثر، کما مرّ فیما مضی، و کیف أن قوة الجاذبیة علی عظمها لا یمکن أن تری أبدا، و لقد أشار ربنا سبحانه و تعالی إلی الجاذبیة الکونیة، و أن السماء مبنیة بناء دقیقا و متماسکا علی أعمدة غیر مرئیة، و لنتأمل فی هذا قول اللّه تعالی: خَلَقَ السَّماواتِ بِغَیْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دابَّةٍ وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا فِیها مِنْ کُلِّ زَوْجٍ کَرِیمٍ «۱»، کما أن الحق عز و جلّ أمرنا أن نجیل النظر فی السماء، لنری کیف بنیت و کیف رفعت، و فی هذا یقول ربنا جل جلاله: أَ فَلَمْ یَنْظُرُوا إِلَی السَّماءِ فَوْقَهُمْ کَیْفَ بَنَیْناها وَ زَیَّنَّاها وَ ما لَها مِنْ فُرُوجٍ «۲» و قوله سبحانه: وَ إِلَی السَّماءِ کَیْفَ رُفِعَتْ «۳»، و قوله سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ وَ الْفُلْکَ تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ یُمْسِکُ السَّماءَ أَنْ تَقَعَ عَلَی الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ «۴» (_____). ۱) سورة لقمان، الآیة: ۱۰. (۲) سورة ق، الآیة: ۶. (۳) سورة الغاشیة، الآیة: ۱۸. (۴) سورة الحج، الآیة: ۶۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۸ هذه الآیات تشیر بکل وضوح إلی أن هناک أعمدة منتشرة فی السماء، و أن السماء بنیت علیها إلا أن هذه الأعمدة لا ترى، و هذه الأعمدة هی قوة الجاذبیة التی لا تخضع للرؤیة کما سنری بعد قلیل من أقوال العلماء. یقول القرطبی: (لها عمد و لکنا لا نراه، قال ابن عباس: لها عمد علی جبل قاف و یمکن أن یقال علی هذا القول: العمد قدرته التی یمسک بها السموات و الأرض و هی غیر مرئیة لنا) «۱». و فی «التفسیر الشامل»: (خلق السموات العلی علی غایة ما یکون علیه الاتساع و الامتداد و الفخامة، و علی أکمل ما یکون علیه الاتساق و التوازن و الانتظام، خلائق کبیرة و کثیرة، و أجرام هائلة مبثوثة فی أجواء الفضاء، یضمها نظام دقیق و منضبط لا یعرف الخلل أو العشوائیة أو الفوضی تلک هی السموات الشامخات الکبریات، قد رفع اللّه بناءها، و جعلها منسجمة رفیعة لا تستند إلی ما یمسکهن من الأعمدة المنظورة، و لکن اللّه قدر لها من النظام الکونی الوثیق ما یکفل لها تمام الدوران و الحرکة و الاستمرار) «۲».

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: حقیقة الجاذبیة التی قررها القرآن، و أنزل الآیات التی تتحدث عنها علی قلب النبی صلی اللّه علیه و سلم کشف عنها روّاد العلم بعد عصور طویلة فحدثونا عنها، و یرجع الفضل فی اکتشاف قانون الجاذبیة إلی (إسحاق نیوتن)، و الذی یعرف الجاذبیة فیقول: (إن جمیع الأجسام و الأجرام فی هذا الکون تجذب بعضها البعض، بقوة یتوقف مقدارها علی کمیة الکتلتین المتجاذبتین، و علی بعد المسافة بینهما و تزداد القوة، أی تتناسب طردیا مع مقدار حاصل ضرب الکتلتین، و تقل، أی تتناسب عکسیا مع مربع المسافة بینهما، و یمکن أن نقول ببساطة: إن القوة تزداد مع مقدار الکتلتین و تقل کلما بعد المسافة بینهما، و القانون أو الناموس الحاکم فی

حالة التفاحة و الأرض هو (_____: ۱) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۹/ ۲۱۸، و انظر: زاد المسیر، لابن الجوزی، ۴/ ۳۰۲، و انظر: معالم التنزیل، للبغوی، ۳/ ۶ و انظر: حاشیة محی الدین شیخ زاده علی تفسیر الإمام البیضاوی، تحقیق، محمد شاهین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹، ۵/ ۹۰. (۲) التفسیر الشامل، أمیر عبد العزیز، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ۳/ ۱۷۷۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۶۹ قوة الجاذبیة الأرضیة ثابت X کتلة الأرض X کتلة التفاحة/ مربع المسافة و الثابت هو: ثابت الجذب الکونی، و أما المسافة، فهی المسافة بین مرکز أو وسط التفاحة و مرکز الأرض، و یسری القانون علی جمیع الکائنات و الأشیاء فوق الأرض، بل علی جمیع الأجرام الکونیة فهناک قوة جذب بین الشمس و التسعة کواکب السیارة التی تدور حولها بما فی ذلک کوکب الأرض و الکواکب تجذب بعضها البعض، و الأرض و القمر یتجاذبان) «۱». و فی موسوعة «بهجة المعرفة»: (الجاذبیة هی التجاذب بین جسمین، و تتوقف قوتها علی کتلتی الجسمین و علی المسافة بینهما، تتوقف إذن قوة مجال الجاذبیة الأرضیة علی کتلة الأرض، الجاذبیة سبب جمیع عوامل التعریة الرئیسیة تقریبا، فالمطر المتساقط تحت تأثیر الجاذبیة و کذلک التیارات و الأنهار) «۲». و الجاذبیة العامة (قانون کونی موجود فی طبیعة الأشیاء کلها، و یعمل فی صمت فی الأرض و السماء، و لقد کان «لنیوتن» الفضل فی اکتشاف قانون الجاذبیة و لقد قال «نیوتن» نفسه: إنه لأمر غیر مفهوم أن نجد مادة لا حیاة فیها و لا إحساس، و هی تشد، أی تجذب مادة أخری دون أی رباط بینها و تعمل الجاذبیة فی کل الأشیاء کبیرها و صغیرها، فالکل یتجاذب و إن لم یظهر إلّا أثر الکبیر فی الصغیر، فالشمس تجذب الأرض، و الأرض تجذب القمر، بل و تجذب کل شیء قریب منها بقوة نشعر بها جمیعا و أنت نفسک سجین الجاذبیة، لأنک لا تستطیع أن ترتفع عن الأرض لأنها تجذبک إلیها و أنت أیضا تجذب الأرض لک، و لکن شتان ما بین کتلتک و کتلة الأرض، و رغم هذا الجذب فإنک تستطیع التحرک علی الأرض نظرا لضئلة قوة الجذب بینک و بین الأرض ... و الطائر عند ما یموت یقع علی الأرض، و رفع الحجر عن الأرض یتطلب مجهودا و الصعود علی الجبل أشق من النزول منه بسبب الجاذبیة، و من فضل اللّه علینا أن الجاذبیة الأرضیة قد احتفظت لنا بغلاف جوی یحیط بأرضنا و لو لا هذه الجاذبیة لهرب الهواء و انعدمت الحیاة علی کوکبنا) «۳ (_____». ۱) المجموعة الشمسیة و مجال الجاذبیة الکونیة، أمین محمد کعورة، ص ۱۵- ۱۶. (۲) بهجة المعرفة، الأرض، ص ۵۰، و انظر: دائرة معارف القرن الواحد و العشرین، القوی الفیزیائیة، بیروت، دار الکتاب اللبنانی، د. ت ۳/ ۲۴. (۳) الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن، منصور حسب النبی، ص ۶۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۰ إذا یمکن القول: إن جاذبیة الأرض هی التی (تقدم لنا نقط الاستهداء فیما نقوم به من أعمال المساحة و الهندسة، فإذا ربطنا جسما ثقیل الوزن بسلک لیّن تحمله نقطة ثابتة، نجد أن لیونة السلک تدفع به فی اتجاه الخط الذی یتبعه الجسم مدفوعا إلیه نحو الأرض بقوة الجاذبیة، و هو ما یستعمله البنّاءون للتأکد من استقامة البناء، و یسمی الفادم، کما أنه یجسد خطوط جاذبیة الأرض، و هذه الجاذبیة التی تدفع الأجسام للسقوط نحو سطح الأرض، لیست قوة خاصة بل هی حالة خاصة من حالات الجاذبیة العامة، و الجاذبیة التی یمارسها جسمان تخضع لمبدأ الجاذبیة المعروف و هو: أن الأجسام تتجاذب بالنسبة إلی مقدار مادة کل منها، و بمقدار معاکس لمربع أبعادها، و لما کان کوکب الأرض کروی الشکل تقریبا، و هو خاضع لقانون الجاذبیة، و تفوق مواده مواد الأجسام المحیطة به، فإن الجسم الذی یخضع لجاذبیة الأرض یندفع نحو سطحها باتجاه مرکزها الوسطی، و هو ما یمکن مشاهدته فی کل حین تأکیدا لصحة مبدأ الجاذبیة المذکورة آنفا المسیطر علی تحرکات الفضاء) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأینا کیف أن قانون الجاذبیة یشمل الکون بأسره، و یعمل بخفاء و لطف لتعود منافعه علی الخلائق کلها، فسبحان الذی

بحکمته رتب قوانین الحیاة علی هذا النسق، و یسرها کلها للإنسان و سجلها آیات معجزة فی قرآنه ببیان واضح قبل أن یکتشفها العلماء، لیظل الإنسان شاکرا و معترفا بفضل ذی الجلال و الإنعام.

(۱) الأرض فی رحاب الکون، یمنی زهار، بیروت، دار الآفاق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸، ص ۶۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۱

المبحث الرابع الغلاف الجوی و منافذه للأرض

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: لقد قرر ربنا تبارک و تعالی أنه أحاط الأرض بسقف یحفظها من کل سوء، و هذه الحقیقة القرآنیة أثبتها العلم الحدیث و قرر أن للأرض غلافا جویا یحیط بها، و له من المنافع و الفوائد الشیء الکثیر. ففی موسوعة «عالم المعرفة»: (الغلاف الجوی: هو مزیج من الغازات، و یتألف بالدرجة الأولی من (النیتروجین) ۷۸٪ و (الأوکسجین) ۲۱٪ و کمیة قلیلة من (الأرغون)، و بعض (ثانی أکسید الکربون)، و قد یحتوی أیضا علی بعض من بخار الماء، أما الهواء الجاف فلا یحتوی علی بخار مياه، کما یحتوی الغلاف الجوی علی ثلاث طبقات أساسیة. الطبقة السفلی: و هی (التروبوسفیر) erehpsoport. و الطبقة الوسطی: و هی (الستراتوسفیر) erehpsotarts و تتراوح سماکة طبقة (التروبوسفیر) ما بین ۱۸، ۸ کلم و الغیوم تطفو فیها، و کثیر من الطائرات تطیر فی أسفل (الستراتوسفیر) فوق الغیوم. أما الطبقة الثالثة الموجودة فوق (الستراتوسفیر) فتدعی الغلاف (الأیونی)، و هی مهمة للناس لأنها تعکس الموجات اللاسلکیة إلی الأرض ما یسمح للموجات بالدوران حول سطح الأرض المقوس) «۱». و حتی یتجسّد الإعجاز فی قوله تعالی: سَقْفاً مَحْفُوظاً نورد بعض فوائد الغلاف الجوی للأرض لنری کیف جعله الحق سبحانه حافظا لها. (هذا الغلاف الجوی یعدّل و یلطف مستویات الحرارة القصوی من ساخنة أو باردة، فیعمل کسقف دفیئة، و یقلل من تغیرات مستوی الحرارة بین اللیل و النهار، أو بین الصیف و الشتاء، عند النهار تسخن الشمس سطح الأرض و تنقل هذه الحرارة إلی الجو، حیث تخزن و تقی من البرد الشدید عند ما تغیب الشمس، و بالعکس یقی الغلاف الجوی عند النهار من الحرارة الشدیدة بامتصاصه قسما من أشعة الشمس، و یقی الجو سطح الأرض من قصف النیازک، إذ یقدر أن الأرض تتلقی کل یوم ما یقارب المائة

(۱) موسوعة عالم المعرفة، الأرض، نوبلیس، ص: ۳۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۵ رسم یوضح طبقات الغلاف الغازی للأرض الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۶ ألف ملیون نیزک من مختلف الأحجام، إنما لا تدرک سطحها لأنها تحترق فی الجو بسبب الحرارة التی یولدها احتکاک النیزک بالغلاف الجوی) «۱». کذلک لو قدّر اللّه سبحانه و تعالی انعدام الغلاف الجوی للأرض لانعدمت (الحیاة علی سطحها لیس فقط لعدم وجود الأکسجین اللازم للتنفس، و لکن لسقوط النیازک بکمیات هائلة، و بکتل کبیرة تهشم رءوس الأحیاء، و تنهی بذلک علی جمیع صور الحیاة علی سطح الکرة الأرضیة، هذا بخلاف امتصاص الجو العلوی للأشعة الضارة بل القاتلة للأحیاء، مثل الأشعة فوق البنفسجیة (syar teloivartlu) و الذی نود أن ننوه إلیه أنه بدون الغلاف الجوی لا ینتقل الصوت من مکان إلی آخر و یکون بذلک قد فقدت الأحیاء التی منحها اللّه حاسة السمع) «۲». کما تتغیر الغازات فی الغلاف الغازی للکرة الأرضیة (مع ازدیاد الارتفاع فی ذلک الغلاف حیث تأخذ الغازات الثقیلة بالاضمحلال شیئا فشیئا لتحلّ محلها غازات خفیفة، فبدءا من سطح الأرض و حتی ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات تکون السیادة لجزئیات (الآزوت)، أی (النیتروجین) و لجزئیات (الأوکسجین)، و بعد ارتفاع ۱۱۰ کیلومترات، و حتی ارتفاع ۱۶۰ کیلومترا تسود جزئیات (الأوزون)، (الأوکسجین الثقیل و الأوکسجین)، و بین ارتفاع ۹۶۰ کیلومتر، و حتی ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر تسود ذرات (الهلیوم)، و بین ارتفاع ۲۴۰۰ کیلومتر، و حتی

ارتفاع ۹۶۰۰ کیلومتر تسود جزئیات (الهیدروجین)، و بین ارتفاع ۹۶۰۰ کیلومتر، و حتی ارتفاع ۶۵۰۰۰ کیلومتر تسود جزئیات شدیدة التخلخل و الخفة، و یتصل أعلی هذه الطبقة مع الفضاء الخارجی المسمی فضاء ما بین الکواکب حیث تسود غازات شدیدة التخلخل، لدرجة تقرب من الفراغ) «۳». و علی هذا فإننا نشعر بالاختناق التدریجی (کلما ارتفعنا عن سطح البحر إلی عنان السماء و ذلک بسبب نقص الضغط الجوی و نقص (الأوکسجین)، و لقد ثبت فعلا- أن الإنسان یمکن أن یختنق عند ما یرتفع إلی ۱۰ کیلومترات، إذا لم یکن محاطا بغرفة أو (_____ ۱) المنظومة الشمسیة، سمیر عازار، ص: ۶۲. (۲) المجموعة الشمسیة و احتمالات الحیاة علیها، زین العابدین متولی، القاهرة، مرکز جامعة القاهرة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷ ص: ۴۲. (۳) الأرض، إبراهیم حلمی غوری، ص: ۱۳۸- ۱۳۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۷ حلة مکیفة الضغط و الهواء، کما أن الدم یندفع من مسام أجسامنا لو خف الضغط علیها، و لهذا یستخدم رواد الفضاء بدلة مکیفة الضغط و أنبوبة (أکسجین) للتنفس) «۱». و تغیرات الغلاف الجوی هذه، و الشعور بالاختناق کلما ارتفعنا إلی السماء، بسبب نقص الضغط الجوی و نقص (الأوکسجین)، حقیقة صرح بها کتاب اللّه تعالی قبل أکثر من أربعة عشر قرنا، یقول مولانا عز و جلّ: فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَ مَنْ یُرِدْ أَنْ یُضِلَّهُ یَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَیِّقاً حَرَجاً کَأَنَّما یَصَّعَّدُ فِی السَّماءِ کَذلِکَ یَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَی الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ «۲». و نحن نلحظ تشبیه القرآن الدقیق للذی یصعد فی السماء، کیف یکون صدره ضیقا حرجا بسبب هذا الصعود. کما أن الحق قد أشار إلی ترقی الإنسان فی طبقات السماء فقال اللّه سبحانه تعالی: فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (۱۶) وَ اللَّیْلِ وَ ما وَسَقَ (۱۷) وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) فَما لَهُمْ لا یُؤْمِنُونَ (۲۰) وَ إِذا قُرِئَ عَلَیْهِمُ الْقُرْآنُ لا یَسْجُدُونَ (۲۱) «۳». حقا، لقد رکب الإنسان طبقا عن طبق ... (ففی ۲۱ یولیو عام ۱۹۶۹ تمت رحلة سفینة الفضاء (أبوللو ۱۱) الأمریکیة و التی حملت الرواد «نیل أرمسترنج» و «ألدرین» و «کولنیر» إلی القمر حیث هبط «آرمسترنج» و «ألدرین» علی سطح القمر لأول مرة فی تاریخ البشریة بواسطة المرکبة القمریة، بینما ظل «کولنیر» ینتظرهما فی مرکبة أخری تدعی (کولومبیا) کانت تدور حول القمر، حتی التحمت بهما المرکبة القمریة بعد أداء مهمتها علی سطح القمر و عادوا جمیعا سالمین إلی الأرض، و قد رکبوا فعلا طبقا عن طبق. و لقد تتابعت رحلات (أبوللو ۱۲)، ۱۴، ۱۵، ۱۶، ۱۷، و انتهت فی عام ۱۹۷۲، أ لیس هذا أیضا طبقا عن طبق فی سبیل الوصول إلی القمر) «۴». و لقد أشار القرآن الکریم إلی غزو الفضاء، و أن الثقلین الإنس و الجن إن ترقّوا فی (_____ ۱) الکون، منصور حسب النبی، ص: ۱۸۱. (۲) سورة الأنعام، الآیة: ۱۲۵. (۳) سورة الانشقاق، الآیات ۱۶- ۲۱. (۴) الکون، منصور حسب النبی، ص: ۲۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۷۸ مدارج العلم و اخترعوا الوسائل التقنیة المتطورة، فإنهم سینفذون من أقطار السموات و الأرض و سیغزون الفضاء و یرکبون أطباقا ... و لقد عبر القرآن الکریم عن هذه الوسائل التقنیة بقوله: بِسُلْطانٍ أی العلم، و لقد استطاع الإنسان فی عصرنا أن یصنع المرکبات الفضائیة التی توصله إلی القمر، و لن یتوقف الأمر عند هذا الحد- أی القمر- بل سیتعداه إلی المریخ و غیره. قال تعالی یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: رأینا منافع الغلاف الغازی الذی یعتبر درعا متینا، و سیاجا قد حصّن الأرض من العناصر الأجنبیة التی لو لا وجود هذا الغلاف، لأحرقت الأرض و لأضرمت نیرانا کثیرة بین جنباتها و انتهت علیها الحیاة، کما رأینا الدور الفعّال لهذا الغلاف، فی المحافظة علی موقع الأرض بالنسبة للشمس مقارنة مع الکواکب الأخری، و هذا یساعد فی إیصال حرارة الشمس إلی الأرض بدرجة معتدلة تنسجم و تتوافق مع الکائنات الحیة کالإنسان و الحیوان و النبات فسبحان من قال: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَ هُمْ عَنْ آیاتِها

مُعْرِضُونَ «۲». نعم سبحان من أحاط الكرة الأرضية بهذا الغلاف الغازى، و كأنه سقف فوقنا ليحفظنا من العوامل المدمرة كالشهب و النيازك. و كذلك فقد أشار القرآن الكريم إلى منافذ هذا الغلاف الغازى، فقال تعالى: وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً مِنَ السَّماءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (۱۴) لَقالُوا إِنَّما سُكِّرَتْ أَبْصارُنا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (۱۵) «۳». و الإعجاز القرآنى فى قوله تعالى: باباً و روّاد الفضاء كما مرّ معنا عند ما تقلع مركباتهم الفضائية فى السماء، فإنها تحلّق ضمن خطوط مرسومة لها قبل إقلاعها و عند وصولها إلى الغلاف الغازى، فإنه ليس بمقدورها الخروج منه إلا عبر هذه الأبواب، و التى اصطلح على تسميتها علماء الفلك بمنافذ الغلاف الجوى.

(_____ ۱) سورة الرحمن، الآية: ۳۳. (۲) سورة الأنبياء، الآية: ۳۲. (۳) سورة الحجر، الآيتان ۱۴، ۱۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۷۹ مكوك فضائى ينطلق ليخترق منافذ الغلاف الجوى للأرض و ذلك بفضل التطور العلمى و التكنولوجى، و صدق اللّه العظيم: يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۱».

(_____ ۱) سورة الرحمن، الآية: ۳۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۸۱

الفصل السابع الإعجاز القرآنى فى القمر

اشارة

الفصل السابع الإعجاز القرآنى فى القمر تمهيد. المبحث الأول: القمر منير. المبحث الثانى: انشقاق القمر. المبحث الثالث: منازل القمر. المبحث الرابع: و جمع الشمس و القمر. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۸۳

تمهيد

تمهيد للقمر مكانة سامية فى قلوب الناس منذ أحقاب سحيقة مضت من الزمن، و ذلك لاعتباره أقرب الأجرام السماوية إلى الأرض، و لما ينطوى على سرّ الروعة و البهاء عند ما يرسل أشعته الفضية إلى الأرض، فتنفلق ظلمات الليل بضيائه المنير الذى يضفى على الأرض رونقا متألقا من النور الهادئ الأخّاذ، و لذلكم فإن طائفة كبيرة من البشر قديما اعتبرت القمر إلها يلجأ إليه عند نزول الكوارث و الأزمات، و بذلك صبئوا فكانوا من الوثنين الذين أتى القرآن ليحررهم من معتقداتهم التى ارتبطت بالأجرام و بالشمس و القمر، حيث يقول: وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ «۱». و لقد اضمحلت تلك الوثنيات التى يترنّم بها الشعراء، و يشبه بها المحب حبيبه بوجه القمر و جماله، و ذابت عند ما وطئ رواد الفضاء القمر بأقدامهم و سفنهم الفضائية، و صوّروه لنا و إذا به صخور جرداء، و فوهات مخيفة، و تضاريس داكنة سوداء، و بهذا يكون قد خف سحر القمر و جماله البرّاق، و سطعت معالم التقنية البشرية الحديثة، لتسطّر التحوّل التاريخى فى دنيا البشر، و تمكنها من النزول على سطح القمر. و سوف يتناول فى هذا الفصل الحديث عن السبق القرآنى يوم أثبت أن القمر جسم بارد يكتسب نوره من الشمس، و ليس متوهجا مثلها، كما أن القرآن قرر أن القمر كان مشتعلا فى فترة من الفترات ثم انطفأ، و سنتحدث عن معجزة عظيمة خلدها القرآن الكريم فى صفحاته، ألا و هى معجزة انشقاق القمر، التى وقعت للنبى صلى اللّه عليه و سلم و يأتى العلم اليوم ليؤكد انشقاق القمر، و نتحدث عن قرار القرآن بإمكانية غزو الفضاء، و الصعود فى طبقاته، كما سنتطرق للحديث عن الإعجاز القرآنى فى السنة الشمسية و القمرية، و نذيّلها بالحديث عن منازل القمر، و يختم الفصل بالحديث عن نهاية القمر و عن الصورة الدقيقة التى وضعها القرآن الكريم لنهايته، و التى أكدها العلماء بشكل دقيق.

(_____ ۱) سورة فصلت، الآیة: ۳۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۴

المبحث الأول القمر منیر

اشارة

المبحث الأول القمر منیر قال تعالی: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِیهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً «۱». و قال تعالی: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً «۲». و قال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً «۳». قبل أن نشرع فی الحدیث عن أوجه الإعجاز القرآنی فی هذه الآیات، نسوق بعض المعلومات العامة و الظروف الفیزیائیة للقمر، لتکون الصورة واضحة و دقیقة فی بحثنا، و هذه بعض الخواص و المعلومات عن القمر و التی أفادنا بها العلماء. (کتلة القمر ۸۱، ۳: ۱ من کتلة الأرض. حجم القمر ۵۰: ۱ من حجم الأرض. نصف قطره ۱۰۰: ۲۷ من نصف قطر الأرض. المجال المغناطیسی ۱۰: ۱ ملیون من مجال الأرض. طول الیوم ۲۷، ۳ یوم أرضی. و لیس للقمر غلاف هوائی بسبب قربه من الأرض، مع ضعف جاذبیته و الارتفاع الکبیر فی درجات الحرارة علیه أثناء النهار، و لا یزید قدر الغازات التی قد تتراکم منسابة من باطنه فی أی وقت عن جزء من الملیون من کتلة جو الأرض، کذلک لا یوجد علی القمر ماء سائل و لا ثلوج، و لم یجد رواد الفضاء الذین هبطوا علی القمر أثرا لمیاه جوفیة تحت سطحه، و لکن الصخور التی جلبوها لتحلیلها علی الأرض ثبت احتوائها

(_____ ۱) سورة نوح، الآیة: ۱۶. (۲) سورة یونس، الآیة: ۵. (۳) سورة الإسراء، الآیة: ۱۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۵ القمر علی شکل بدر و ذلک بفعل أشعة الشمس التی تنیر سطحه علی الماء فی ترکیبها الکیمیائی، و کان رواد الفضاء علی سفن أوبللو الأمریکیة قد جلبوا ۲۰۰۰ عینة کتلتها ۳۸۲ کجم) «۱». بعد هذه المعلومات العامة الموجزة عن القمر، نبدأ فی الحدیث عن الإعجاز القرآنی فی الآیات التی صدرنا بها هذا المبحث، حیث تدل هذه الآیات دلالات علمیة مدهشة، أخبر عنها القرآن الکریم فکان سبّاقا فی میدان إثبات الحقائق العلمیة التی عرفها الناس حدیثا.

(_____ ۱) علم الفلک العام، میرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، ص ۱۲۶- ۱۲۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۶ أما عن الآیتین الأولی و الثانیة، فهما تخبرانا أن للشمس صفتین سِراجاً، و ضِیاءً، و قد حللنا هاتین الصفتین عند حدیثنا عن الشمس، و عرفنا أن الشمس نجم ینتج بتفاعلاته النوویة و احتراقه الداخلی حرارة قویة شدیدة و ضوءا، و تلک هی صفة السراج، فالضوء الذی تصدره الشمس یکون مشحونا بالحرارة علی خلاف صفة الإنارة، فالنور من صفات القمر، و الإنارة هی ما یستنیر به المکان بدون حرارة، إذا فالقمر لیس مضیئا بذاته، و لکنه یعکس الضوء الذی یستقبله من الشمس. و هذا المعنی أکده العلماء و المفسرون، یقول الإمام ابن کثیر رحمه اللّه: (یخبر اللّه تعالی عما خلق من الآیات الدالة علی کمال قدرته و عظیم سلطانه، و أنه جعل الشعاع الصادر عن جرم الشمس ضیاء و جعل شعاع القمر نورا، هذا فن و هذا فن آخر، ففاوت بینهما لئلا یشتبها، و جعل سلطان الشمس بالنهار و سلطان القمر باللیل) «۱». أما الإمام الرازی فیقول: (النور اسم لأصل هذه الکیفیة، و أما الضوء فهو اسم لهذه الکیفیة إذا کانت کاملة تامة قویة، و الدلیل علیه أنه تعالی سمی الکیفیة القائمة بالشمس ضِیاءً و الکیفیة القائمة بالقمر نُوراً و لا شک أن الکیفیة القائمة بالشمس أقوی و أکمل من الکیفیة القائمة بالقمر) «۲». و أما الآیة الثالثة فهی تخبرنا أن اللّه سبحانه و تعالی قد محا آیة اللیل، التی هی القمر بعد أن کانت ملتهبة، محاها و طمسها، و ترک آیة النهار مبصرة مضیئة التی هی الشمس. یقول الفخر الرازی: فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَةَ

النَّهارِ مُبْصِرَةً أن یکون المراد و جعلنا نیّری اللیل و النهار آیتین، یرید الشمس و القمر، فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ و هی القمر و المراد من محو القمر الکلف الـذی یظهر فی وجهه ... و معنی المحو فی اللغة إذهاب الأثر، تقول: محوته أمحوه و انمحی و امتحی إذا ذهب أثره ... وَ جَعَلْنا آیَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً و معنی کونها مبصـرة، أی مضیئة و ذلک لأن الإضاءة سبب لحصول الإبصار، فأطلق سبحانه اسم الإبصار علی الإضـاءة إطلاقـا لاسم السـبب علی المسـبب) «۳».

(۱) تفسیر القرآن العظیم، ابن کثیر، ۳/ ۱۸۱. (۲) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۹/ ۳۵، و انظر: حاشیة الشهاب علی البیضاوی، لشهاب الدین أحمد بن عمر الخفاجی، تحقیق، عبـد الرزاق المهدی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۳۱۷ ه/ ۱۹۹۷، ۹/ ۱۸۴. (۳) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۱۰/ ۱۶۵، و انظر: الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۵/ ۱۴۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۷ (و اللیل فی نفسه آیـة، و فیه آیـات، و أظهر آیـاته هو القمر، فیقال فی القمر: آیـة اللیل، و النهار فی نفسه آیـة، و فیه آیات، و أظهر آیاته هی الشـمس، فیقال فی الشمس: آیة النهار ... ثم إن المراد من لفظ الآیة فی الموضعین واحد: ۱- فإما أن یراد بها نفس اللیل و النهار، و الإضافة فی آیـة اللیـل و آیـة النهـار للتبیین کإضافـة العـدد للمعـدود، أو یراد بهـا الشـمس و القمر فیکون وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ علی تقـدیر مضـاف فی الأول تقـدیره هکـذا، و جعلنا نیری اللیل و النهار ذوی آیتین. ۲- و إما علی تقـدیرنا المتقـدم فإن لفظ آیَتَیْنِ صادق علی اللیل و النهار، و لفظ آیـة اللیل و آیـة النهار صادق علی الشـمس و القمر، و علیه یکون تقدیر الآیة هکذا: و جعلنا اللیل و النهار آیتین فمحونـا قمر اللیل، و جعلنا شـمس النهار مبصـرة، و هو تقـدیر صـحیح لا معارض له من جهـة اللفظ و لا من جهـة المعنی، و سالم من دعوی تقدیر محذوف، و مفید لکثرة المعنی بأربع آیات، باللیل و قمره، و النهار و شمسه، فالتقدیر به أولی، و لذلک فسرنا الآیة علیه) «۱». و أما الجعل فهو (إیجاد ما به یکون الشـیء علی صـفة لم یکن علیها، و المضاف محـذوف، تقدیره جعل الشـمس ذات ضـیاء، و القمر ذا نور، و الضـیاء أبلغ فی کشف الظلمات من النور، و فیه صـفة زائدة علی النور) «۲». و فی تفسـیر «غرائب القرآن»: (و المضاف محذوف، و التقدیر: و جعلنا نیّری اللیل و النهار آیتین فمحونا آیة اللیل التی هی القمر، حیث لم یخلق له شـعاع کشعاع الشمس، فتری به الأشـیاء رؤیة غیر بینة، و جعلنا الشمس ذات شعاع یبصر فی ضوئها کل شیء) «۳». هذه بعض أقوال المفسرین القدامی رحمهم اللّه تعـالی، و الـتی فرقـوا کمـا رأینـا بیـن ضـوء الشـمس الـذی یحـوی الحرارة و النـور، و بیـن نـور القمر الـذی هـو انعکـاس عـن ضـوء

(۱) تفسیر ابن بادیس، عبد الحمید بن بادیس، بیروت، دار الفکر، الطبعـة الثالثة، ۱۳۹۹ ه/ ۱۹۷۹، ص: ۶۰. (۲) مجمع البیان فی تفسـیر القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسـی، تحقیق هـاشم المحلاتی، طهران، المکتبـة العلمیـة، د. ت، ۳/ ۶۱. (۳) تفسـیر غرائب القرآن و رغـائب الفرقان، نظام الـدین الحسن بن محمـد القمی النیسـابوری، تحقیق، زکریـا عمیرات، بیروت، دار الکتب العلمیـة، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۴/ ۳۲۹. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۸ الشـمس و شعاعها، و هذا ما قاله العلماء المعاصرون، و منهم الشیخ عبد المجید الزندانی «۱» إذ یقول: (القمر کان مشـتعلا ثم انطفأ، قال تعالی: وَ جَعَلْنَا اللَّیْلَ وَ النَّهارَ آیَتَیْنِ فَمَحَوْنا آیَةَ اللَّیْلِ وَ جَعَلْنا آیَةَ النَّهارِ مُبْصِرَةً فآیة اللیل القمر، و آیـة النهار الشـمس، و محونا آیـة اللیل أی طمسـناها و أزلنا ضوءها، و المحو: الطمس، و لا یکون إلا بعد الإنارة، فمن هنا عرفنا أن القمر کان مشـتعلا ثم محی ضوؤه و اللّه أعلم، و هذا السر لم یعرف إلا قریبا بعد أن تیسّرت الآلات للباحثین، و هذا یشـهد أن محمدا صلی اللّه علیه و سلم قـد جاءه الوحی بهذا من عند اللّه) «۲». إذن نسـتطیع أن نسـتخلص من معطیات الآیات القرآنیة ما یلی: أولا: أن القمر جسم منیر یکتسب نوره من الشمس، و لا یوجد فیه إضاءة ذاتیة. ثانیا: القمر کان جسما مشتعلا ثم انطفأ.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیـة: هـذا ما أثبته العلم، فقـد أصـبح الیوم من المسـلّم به أن القمر کان کتلـة ناریة ملتهبة ثم انطفأ بعد ذلک و خمد لهیبه.

(القمر جسم مظلم أساسا، و ضوؤه انعکاس لضوء الشمس، و یتغیر الجزء المضیء من القمر من یوم لآخر فی الحجم و الشکل، فأول ما نراه یکون خطا رفیعا منحنیا مستنیرا، ثم یزداد حجمه شیئا فشیئا، حتی یصبح دائرة تامة، ثم یأخذ فی التناقص حتی یصبح خطا فی أول ظهوره، و یطلق علی هذه الأشکال أوجه القمر) «۳». و نجد نفس المعنی فی کتاب «المحیط الکونی و أسراره»: (و کما هو معروف فالقمر جسم معتم مظلم بذاته، یأخذ نوره من الشمس کما تأخذه الکواکب الأخری و یعکسه

(_____ ۱) الشیخ عبد المجید الزندانی، داعیة یمنی شهیر، و تربطنی به صلة شخصیة و حوارات حول قضایا الإعجاز فی القرآن و السنة، و هو یشغل منصب رئیس جامعة الإیمان فی الیمن حالیا، و یعتبر من الرواد فی هذا العصر فی قضایا الإعجاز فی الإسلام. (۲) کتاب التوحید، عبد المجید الزندانی، دمشق، دار الخیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۰، ص ۷۲. (۳) المنظومة الشمسیة، عبد الأمیر المرتضی المؤمن، دبی، الإمارات العربیة المتحدة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷، ص ۱۷۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۸۹ علینا، کما تفعل المرآة المعلقة فی الفضاء، کما أن الأرض نفسها تأخذ نورها من الشمس و تعکسه علی القمر، فیبدو جمیلا متألقا ببهائه و لمعانه) «۱». و فی کتاب «القمر»: (و یعتقد کثیر من العلماء فی الوقت الحالی، أن قمرنا نشأ بنفس الطریقة التی نشأت بها المجموعة الشمسیة، أی إن القمر انفصل علی هیئة لسان نارى أیضا فی العصور الأولی للکرة الأرضیة عند ما کانت فی حالة شبه سائلة) «۲». و یستنتج الفلکیون هذه الحقیقة (من العمر المدید لصخور النجود القمریة، أن السطوح الوعرة و المرتفعة علی القمر، تکونت بعد زمن قصیر من ولادته، و ربما کان القمر عندها کتلة منصهرة، الأمر الذی یسمح للمادة الکثیفة الغنیة بالحدید بالغوص إلی داخل القمر، فی حین تطفو المادة الأقل کثافة علی السطح، و لدی بلوغ هذه المادة الصخریة الأخیرة السطح، فقد تبردت و انعقدت مکونة بذلک القشرة القمریة، و تلا ذلک قصف النجود القمریة بأجرام صلبة من الفضاء، و نشأ عن ذلک العدید من الفوهات البرکانیة التی نراها منتشرة هناک، و فیما کان القمر یتبرد، کانت قشرته تزداد ثخانة و نظرا لهبوط المادة الأکثف إلی باطن القمر عند ما کان فی حالة منصهرة، فإن الحمم البرکانیة المندفعة من الأعماق، کانت أکثف من الصخور السطحیة التی انغمرت بها) «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: إن هذه الحقائق العلمیة الحدیثة تتفق تماما مع النصوص القرآنیة الکریمة، و التی استعرضناها فی صدر المبحث، فالقرآن قد قرر منذ نزوله علی النبی صلی اللّه علیه و سلم أن القمر جسم منیر، و لا یوجد فیه إضاءة ذاتیة، کما قرر أن القمر کان مشتعلا یوما ما ثم خمد نوره و انطفأ، و مع مرور الأیام و تطور أدوات البحث العلمی الحدیثة، ثبت للعلماء مصداقیة هذه الحقائق القرآنیة المعجزة، فسبحان اللّه العلیم الخبیر (_____. ۱) المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، ص: ۶۷، و انظر: فی أعماق الفضاء، عبد الحمید سماحة، بیروت، دار الشروق، الطبعة الثالثة ۱۴۰۰ ه/ ۱۹۸۰، ص: ۴۳، و انظر: الفلک و الأنواء فی التراث، علی عبندة، ۱۹۹۱، ص: ۵۵. (۲) القمر، محمد علی المغربی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة، ۱۹۶۶، ص: ۱۰۹. (۳) استکشافات و مقدمة علم الفلک، توماست آرنی، ص: ۲۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۰ صورة تظهر القمر و فیه بعض الفوهات و الودیان السحیقة. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۱

المبحث الثانی انشقاق القمر

اشارة

المبحث الثانی انشقاق القمر قال تعالی: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ «۱». و قال سبحانه: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) «۲». انشقاق القمر معجزة من أعظم المعجزات الحسیة التی خلّدها القرآن الکریم و ثبتت فی الصحاح و هی مکرمة إلهیة لرسوله صلی اللّه علیه و سلم، و لم ینشقّ القمر لأحد من قبله من أنبیاء اللّه و مرسلیه، و قد رآها الناس رأی العین، و شاهدوا انفلاق القمر إلی فلقتین فی کبد السماء، و سألوا أهل البوادی و القوافل الرّحالة عن ذلک فما أنکر منهم أحد، إلا من رکب رأسه، و آثر الجحود السافر علی دلائل الحق و براهین الهدی. روی الطبری بسنده فی تفسیره، عن أبی عبد الرحمن السلمی قال: (نزلنا المدائن فکنّا منها علی فرسخ، فجاءت الجمعة، فحضر أبیّ، و حضرت معه، فخطبنا حذیفة فقال ألا إن اللّه یقول: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ ألا و إن الساعة قد اقتربت، ألا و إن القمر قد انشق، ألا و إن الدنیا قد أذنت بفراق و إن الیوم مضمار و غدا السباق ...) «۳». و فی تفسیر الإمام القرطبی: (... و قال قوم: لم یقع انشقاق القمر بعد و هو منتظر، أی اقترب قیام الساعة و انشقاق القمر، و أن الساعة إذا قامت انشقت السماء بما فیها من القمر و غیره، و کذا قال القشیری، و ذکر الماوردیّ: أن هذا قول الجمهور، و قال: لأنه إذا انشق ما بقی أحد إلا رآه، لأنه آیة و الناس فی الآیات سواء) «۴».

(_____ ۱) سورة القمر، الآیة: ۱. (۲) سورة الانشقاق، الآیتان ۱۸، ۱۹. (۳) جامع البیان، للطبری، ۱۲/ ۵۱، و انظر: معانی القرآن، یحیی بن زیاد الفراء، بیروت، عالم الکتب، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۳ ه، ۳/ ۱۰۴. (۴) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۷/ ۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۲ و فی تفسیر «البحر المحیط»: (و الأمّة مجمعة علی خلاف من زعم أن قوله: وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ معناه: أنه ینشق یوم القیامة، و یرده من الآیة قوله: وَ إِنْ یَرَوْا آیَةً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) فلا یناسب هذا الکلام أن یأتی إلا بعد ظهور ما سألوه معینا من انشقاق القمر، و قیل: سألوا آیة فی الجملة فأراهم هذه الآیة السماویة، و هی من أعظم الآیات، و ذلک التأثیر فی العالم العلوی) «۱». و یقول الحافظ ابن کثیر: (وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ قد کان هذا فی زمان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم کما ورد ذلک فی الأحادیث المتواترة بالأسانید الصحیحة ... و هذا أمر متفق علیه بین العلماء أن انشقاق القمر قد وقع فی زمان النبی صلی اللّه علیه و سلم و أنه کان إحدی معجزاته الباهرات) «۲». و کما ذکر ابن کثیر بأن الأحادیث فی هذه المعجزة ثابتة و کثیرة، و منها ما ورد فی صحیح البخاری من حدیث ابن عبد اللّه رضی اللّه عنه قال: (انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه علیه و سلم، بمنی فقال النبی صلی اللّه علیه و سلم: «اشهدوا»، و ذهبت فرقة نحو الجبل) «۳». اختلف المفسرون کما رأینا إزاء هذه القضیة إلی فریقین، فریق یری بأن معجزة انشقاق القمر قد وقعت فی عهد النبی صلی اللّه علیه و سلم و آمن من آمن یومذاک، و کفر من کفر. و فریق یری الأمر علی العکس من هذا تماما، حیث إن انشقاق القمر لم یقع بعد، و سوف ینشق القمر قبل قیام الساعة، و کما نقل القرطبی فی تفسیره عن الماوردی أن هذا قول الجمهور، لأنه إذا انشق ما بقی أحد إلا رآه، لأنه آیة و الناس فی الآیات سواء. و لحسن الحظ، و لکی تتأکد هذه المعجزة القرآنیة، فإن علماء الفلک هم کذلک قد ذهبوا من المسألة مذهبین، و اختلفوا إلی رأیین، فمنهم من یری أن القمر قد انشق یوما من الأیام، و هذا الرأی هو رأی العلماء الأمریکان الذین هبطوا علی سطح القمر، و منهم من یری أن القمر سینشق فی المستقبل، و هذا رأی معظم الفلکیین.

(_____ ۱) البحر المحیط، محمد بن علی ابن حیان الأندلسی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۳، ۷/ ۲۱۵. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۴/ ۴۲۷. (۳) رواه البخاری، فی فضائل الصحابة، باب انشقاق القمر، رقم (۳۶۵۶)، ۳/ ۱۴۰۴، و أحمد فی مسنده، رقم (۴۳۵۷)، ۱/ ۴۵۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۳

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: أما بالنسبة لمن رأی أن القمر قد انشق یوما ما، و هم علماء الفضاء الأمریکان، فإنی أنقل رأیهم و أثبته هنا عن الأستاذ

الدکتور زغلول النجار «۱» و الذی ألقی محاضرة حول الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، و تطرق إلی قضیة انشقاق القمر، و أکد أن القمر قد انشق و دلل علی ذلک من خلال سؤال طرح علی علماء الفلک فی ناسا الأمریکیة و هو: ما ذا استفدتم من رحلتکم إلی القمر و التی قد کلفتکم أکثر من مائة ملیون دولار، و لو أنکم قدمتم هذه الأموال کمساعدة إنسانیة إلی الفقراء أما کان هذا بأفضل؟. و کان الجواب: إن أعظم شیء اکتشفناه خلال رحلتنا إلی القمر، أننا قمنا بتثبیت المراجف علی سطح القمر لرصد الزلازل التی تحدث فیه، و للکشف عن بنیته، و بنتیجة ما قدمته تلک المراجف من معلومات، تبین لنا أن القمر یحوی حزاما حجریا متحرکا علی عرضه، مما یدل بوضوح علی أن القمر قد انقسم إلی قسمین یوما ما ثم التحم. و لقد کتب الدکتور زغلول مقالا فی جریدة «البیان» الإماراتیة بعنوان «انشقاق القمر» و کان مما قال فیه: (لقد دوّن کل من التاریخ الهندی و الصینی القدیم حادثة انشقاق القمر، و أرخوا بها، و فی محاضرة لی بکلیة الطب (جامعة کاردیف) فی مقاطعة (ویلز) غربی بریطانیا، منذ عدة سنوات مضت وجّه إلی أحد الحضور من المسلمین سؤالا- عن الآیات فی مطلع سورة القمر، و هل تمثل ومضة من ومضات الإعجاز العلمی فی کتاب الله؟، فأجبت بأن هذه الواقعة تمثل إحدی المعجزات الحسیة التی وقعت تأییدا لرسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم فی مواجهة کفار و مشرکی قریش، و إنکارهم لنبوته صلی اللّه علیه و سلم، و أن المعجزات خوارق للسنن، و علی ذلک فإن السنن الدنیویة لا یمکن لها تفسیر کیفیة حدوث المعجزة، و لو لا ورودها فی کتاب اللّه، و فی سیرة رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم ما کان علینا نحن مسلمی الیوم أن نؤمن بها، و لکننا نقر بها، و نؤمن بوقوعها لورودها فی کتاب اللّه بالنص الإلهی الذی یقول فیه

(_____ ۱) الدکتور زغلول النجار، مصری الجنسیة، حاصل علی الدکتوراة من جامعة ویلز البریطانیة فی علم الجیولوجیا عام ۱۹۶۳، حاضر فی العدید من الجامعات العربیة و الغربیة، و یرأس مرکز البحوث القرآنیة فی لندن حالیا، و یعتبر الدکتور زغلول من أبرز من تکلم فی قضایا الإعجاز الجیولوجی فی القرآن الکریم باعتدال، و تربطنی به صلة بحثیة علمیة فی الإعجاز القرآنی، و هذا الکلام الذی أثبته هنا إنما هو نقل عن الدکتور زغلول فی محاضرة ألقاها و حضرتها فی المرکز التجاری فی إمارة دبی، بتاریخ ۱۲ رمضان ۲۰۰۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۴ ربنا: (اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ (۱) وَ إِنْ یَرَوْا آیَةً یُعْرِضُوا وَ یَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (۲) وَ کَذَّبُوا وَ اتَّبَعُوا أَهْواءَهُمْ وَ کُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (۳) وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِیهِ مُزْدَجَرٌ (۴) حِکْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ (۵) «۱» و بعد انتهاء حدیثی، وقف رجل بریطانی من الحضور و استأذن فی أن یضیف شیئا إلی إجابتی فأذنت له، ثم بدأ بتعریف نفسه علی أن اسمه داود موسی بیدکول، و أنه مسلم، و یرأس الحزب الإسلامی البریطانی، ثم أضاف أن هذه الآیات فی مطلع سورة القمر کانت هی السبب فی إسلامه فی أواخر السبعینات من القرن العشرین، لأنه ببحث مستفیض فی الأدیان أهداه أحد المسلمین ترجمة لمعانی القرآن الکریم، و أنه عند فتح هذه الترجمة لأول مرة فوجئ بسورة القمر، فقرأ الآیات فی مطلعها، و لم یکد یصدق أن القمر قد انشق ثم التحم فأغلق الترجمة و انصرف عنها، ثم شاء اللّه سبحانه و تعالی أن یشاهد علی شاشة التلفاز البریطانی (B. B. C.) برنامجا عن رحلات الفضاء، استضاف فیه المذیع البریطانی جیمس بیرک) ekruB semaJ (ثلاثة من علماء الفضاء الأمریکیین، و ذلک فی سنة ۱۹۷۸، و فی أثناء الحوار کان المذیع ینتقد الإسراف علی رحلات الفضاء بإنفاق بلایین الدولارات، و الأرض یتضور فیها ملایین البشر من الجوع، و المرض، و الجهل، و التخلف، و کان جواب العلماء أنه بفضل هذه الرحلات تم تطویر عدد من التقنیات الهامة التی تطبق فی مجالات التشخیص و العلاج الطبی، و الصناعة، و الزراعة و غیرها، و فی أثناء هذا الحوار جاء ذکر أول رحلة إنزال رجل علی سطح القمر، و قد تکلفت أکثر من مائة ملیار دولار، و جلس المذیع یتابع عتابه علی هذا الإسراف، فرد العلماء بأن هذه الرحلة قد أثبتت لهم حقیقة لو أنفقوا أضعاف هذا المبلغ لإقناع الناس بها ما صدقهم أحد، فسأل المذیع: ما هی هذه الحقیقة؟ فأجابوا: أن هذا القمر قد سبق له أن انشق ثم التحم، و أن آثار محسوسة تؤید ذلک الحدث قد وجدت علی سطح القمر و امتدت إلی داخله، فقال السید بیدکول: حینما سمعت ذلک قفزت من الکرسی الذی کنت أجلس علیه أمام التلفاز، و قلت: معجزة تحدث لمحمد قبل ألف و

أربعمائة سنة و يرويها القرآن بهذا التفصيل العجيب، يسخّر اللّه من يثبتها للمسلمين فى عصر العلوم و التقنية الذى نعيشه، و ينفق هذا المبلغ الكبير، لا بد و أن يكون هذا الدين حقا، و عدت إلى ترجمة معانى

(۱) سورة القمر، الآيات ۱ - ۵.

الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۵ القرآن الكريم أقرأها بشغف شديد، و كانت آيات سورة القمر هى السبب المباشر لقبولى الإسلام دينا) «۱». و أما بالنسبة للفريق الثانى و الذى يرى بأن القمر سينشق فى المستقبل، فهم كثر بل إن معظم من كتب من الفلكيين حول القمر تحدث عن انقسام القمر و انشقاقه فى المستقبل، و سأسوق هنا ما ورد فى «موسوعة المعارف الكونية» حول هذا الموضوع: (كان القمر قريبا من الأرض عقب الانفصال منذ بلايين السنين، و أخذ يبتعد عنها تدريجيا للدوران حولها فى مدار ظلّ يتسع تدريجيا لزيادة السرعة المدارية للقمر، تعويضا عن الإبطاء الحادث فى سرعة الدوران المغزلى للأرض بتأثير ظاهرة المد و الجزر و هذا التعويض لا- بد أن يحدث تلقائيا للحفاظ على كمية تحرك مجموعة الأرض و القمر معا، كنظام مغلق مرتبط ببعضه البعض، و لقد ثبت علميا و عمليا أن الأرض تبطئ بمقدار ۰،۰۰۲ من الثانية فى زمن اليوم الواحد كل مائة سنة، لذلك يسرع القمر فى مداره فيزداد الطرد المركزى، لدرجة أن القمر يرتد عنّا حاليا بمعدل مسافة ۴ سم سنويا، و هذا الارتداد رغم ضآلته بالنسبة لنصف مدار قطر القمر حول الأرض حوالى «۳۸۴۰۰۰ كم» فإن الإزاحات الضئيلة الناتجة عنه تراكمت عبر ملايين السنين حتى وضعت القمر فى مداره الحالى، و يعتقد العلماء أن هذه الظاهرة و عوامل أخرى تؤثر على سرعة دوران الأرض حول نفسها، مما يؤثر بدوره على اختلال توازن القمر فى مداره فى المستقبل، لأن زيادة سرعته حول نفسه أو حول الأرض ستؤدى حتما إلى انشقاق القمر تماما، كما يتفتت الشىء عند ما يتسارع دائرا فى خلاط كهربائى، أو عند ما تختل الجاذبية على نصفيه و عندئذ سيرى الناس القمر منشقا) «۲». و هكذا فإن ما توصل إليه العلماء من دراسات و أبحاث، تدل بمجملها دلالة واضحة على أن القمر قد انشق أو بالتأكيد سينشق، و فى هذا تأكيد على عظمة هذا القرآن و على سبقه فى إثبات الحقائق العلمية و الكونية. و أما بالنسبة للشق الثانى من هذا المبحث، و هو قوله سبحانه و تعالى: وَ الْقَمَرِ إِذَا

(۱) أخذ هذا الكلام من موقع: mth/ ll. wnm/ ۲۲۰/ ۱۱/ ۳۰/ nayabla/ ea. oc. nayabla. www:// ptth (۲) المعارف الكونية، مجموعة من العلماء، ص ۱۸۴. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۲۹۶ اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹)، فإن الواقع فسّر هذه الآية الكريمة و ركب الإنسان حقا طبقا عن طبق عند ما نزل على سطح القمر، و اخترق طبقات السماء المتعددة. (ففى ۲۰ تموز سنة ۱۹۶۹ نزل الرائدان الأمريكيان «نيل أرمسترنغ» و «أدوين ألدرين» على سطح القمر، كأول إنسانين يطئان جرما خارجا عن الأرض، و تلت هذه الرحلة التاريخية الناجحة ست رحلات من طراز «أوبللو» أنزلت روادا على سطح القمر ... و كان تاريخ نزول «أرمسترنغ» و «ألدرين» فى ۲۰ تموز ۱۹۶۹، و قد بقى الرائدان على سطح القمر مدة ۲۲ ساعة و ۴۰ دقيقة وضعا خلالها أجهزة علمية متنوعة، كمقياس الزلازل لقياس الهزات القمرية، و قياس البراكين و غيرها إضافة إلى بعض الرموز التذكارية كعلم أمريكا و غيره ... و قد بدأت الرحلة فى ۱۶ تموز ۱۹۶۹ و استمرت ۱۹۵ ساعة و ۲۰ دقيقة، و أنهت أعمالها فى ۲۴ تموز) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: مما سبق يتّضح لنا أن المفسرين رحمهم اللّه تعالى، و علماء الفلك كذلك قد اختلفوا فى وقت وقوع حادثة انشقاق القمر، فمنهم من ذهب إلى أن القمر قد انشق زمن النبى صلى اللّه عليه و سلم، و منهم من رأى بأن القمر من دلائل الساعة و أن انشقاقه سيتزامن مع الأحداث التى تواكب قيام الساعة، كما أن علماء الفلك قد اختلفوا بين مؤكد على أن القمر قد انشق، و بين مؤكد على أنه سينشق فى المستقبل و تبقى الآية القرآنية معجزة فوق هذا و ذاك، و أنها أثبتت أن القمر قد انشق، لتكون سباقة إلى إثبات هذه

الحقیقة العلمیة التی توصل إلیها باحثو الیوم. کما أنّ الناحیة العلمیة فی قوله تعالی: وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (۱۸) لَتَرْکَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (۱۹) قد اتضحت و أصبحت جلیّة للعالم کله، فلقد اخترق الإنسان عدة طباق و وصل إلی القمر، و ما کان أحد یتصور یوم نزول القرآن و لا یصدق بأن الإنسان سیصعد إلی السماء، و لا حتی قبل مائتی سنة، إلا أن القرآن قد أشار إلی إمکانیة غزو الفضاء إن ترقّی الإنسان فی مدارج العلم، و ملک زمام العلم و سلطانه، قال تعالی: یا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطارِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطانٍ «۲» (_____». ۱) المنظومة الشمسیة، عبد الأمیر المرتضی المؤمن، ص: ۱۷۳. (۲) سورة الرحمن، الآیة: ۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۷ صورة توضح رائد فضاء یسیر علی سطح القمر الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۸

المبحث الثالث منازل القمر

اشارة

المبحث الثالث منازل القمر قال تعالی: هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً وَ الْقَمَرَ نُوراً وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ «۱». و قال تعالی: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتَّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ «۲». یشیر قوله تعالی: قَدَّرْناهُ مَنازِلَ إلی تنقلات القمر فی منازله التی ینزلها فی کل یوم من الشهر، و فی الآیة إشارة إعجازیة رائعة و هی أن القمر خلال تنقله فی منازله، إنما هو فی واقع الحال یدور حول الکرة الأرضیة، و من من الناس قبل التقنیة الحدیثة کان یعلم أن القمر یدور حول الأرض، کما أن فی الآیة تقریر واضح إلی أن هذه المنازل إنما جعلها الحق عز و جلّ لتقویم حساب الأیام و السنین. یقول الحافظ ابن کثیر: (و قدر القمر منازل، فأول ما یبدو صغیرا ثم یتزاید نوره و جرمه حتی یستوسق و یکمل إبداره، ثم یشرع فی النقص حتی یرجع إلی حالته الأولی فی تمام شهر ... و قوله سبحانه و تعالی: وَ قَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِینَ وَ الْحِسابَ فبالشمس تعرف الأیام، و بسیر القمر تعرف الشهور و الأعوام) «۳». و یصف القرطبی رحمه اللّه منازل القمر هذه فیقول: (قَدَّرْناهُ مَنازِلَ ففی هذا جوابان، أحدهما قدرناه ذا منازل، و التقدیر الآخر قدّرنا له منازل ... و المنازل «ثمانیة و عشرون منزلا» ینزل القمر کل لیلة منها بمنزل، و هی: الشرطان البطین، الثریا، الدبران، الهقعة، الذراع، النشرة، الطرف، الجبهة، الخراتان، الصرفة، العواء السماک الفغر، الزبانیان، الإکلیل، القلب، الشولة، النسائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، المفرغ المؤخر، بطن الحوت (_____. ۱) سورة یونس، الآیة: ۵. (۲) سورة یس، الآیة: ۳۹. (۳) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۳/ ۱۸۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۲۹۹ فإذا صار القمر فی آخرها عاد إلی أولها، فیقطع الفلک فی ثمان و عشرین لیلة، ثم یستتر ثم یطلع هلالا، فیعود فی قطع الفلک علی المنازل، و هی منقسمة علی البروج لکل برج منزلان و ثلث فللحمل الشرطان و البطین و ثلث الثریا، و للثور ثلثا الثریا و الدبران و ثلثا الهقعة، ثم کذلک إلی سائرها «۱». و أما العرجون: حَتَّی عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ فهو (عود العذق الذی علیه الشماریخ، و هو فعلون من الانفراج و هو الانعطاف، أی سار فی منازله، فإذا کان فی آخرها دقّ و استقوس و ضاق حتی صار کالعرجون القدیم، و «العرجون» الذی یبقی من الکباسة فی النخلة إذا قطعت و «القدیم» البالی) «۲». و فی تفسیر «الکشاف»: عادَ کَالْعُرْجُونِ الْقَدِیمِ و هو عود العذق ما بین شماریخه إلی منبته من النخلة ... و القدیم المحلول، إذ قدم و دق و انحنی و اصفرّ فشبه به من ثلاث أوجه) «۳». بعد هذا التطواف الموجز عن منازل القمر فی کتب المفسرین، نأتی إلی حدیث علماء الفلک عن منازل القمر و تحرکاته، و لا شک أن علماء الفلک قد أسهبوا فی الحدیث عن منازل القمر، و عن أوجهه إلا أننا سنقتصر علی دراسة واحدة لمنازل القمر.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی کتاب «القمر»: (یتخذ القمر خلال دورته الشهریة، أی الانتقالیة حول الأرض مواقع محددة بالنسبة لها و للشمس، و له فی کل من تلک المواقع مظهر خاص راجع إلی مقدار المساحة التی یغمرها النور من وجهه، و الشکل الذی یتخذه ذلک الجزء المغمور بالنور، و تدعی تلک المظاهر باسم «منازل القمر» أو «وجوهه» علما بأن شروق القمر، یتأخر کل یوم عن الیوم السابق بمقدار ۵۰ دقیقة وسطیا و أول تلک الوجوه: اولا- الهلال هو أول منزل من منازل القمر، إذ یکون القمر یومها قد ابتعد قلیلا- عن نقطة (_____ ۱) الجامع لأحکام القرآن، القرطبی، ۸/ ۲۱. (۲) المصدر نفسه، ۸/ ۲۲. (۳) الکشاف، للزمخشری، ۳/ ۳۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۰ الصعود، و هو فی طریقه إلی سماء نصف الکرة الشمالی، فیری یومها فی الأفق الغربی، بعد غروب الشمس بقلیل و قرب المکان الذی تغرب فیه الشمس، و قد أنارت الشمس أقصی الطرف الأیسر من السطح المعتم المتجه نحونا، و لا یتمکن من رؤیة ذلک الهلال النحیل إلا أصحاب البصر الحاد، و خلال فترة قصیرة، إذ لا یلبث أن یغیب بعدها تحت الأفق، و یزداد عرض ذلک الهلال یوما بعد یوم حتی إذا ما انقضت مدة ۶ أیام و ۱۶ ساعة و ۱۱ دقیقة علی بدایة الشهر القمری، فإن القمر یدخل منزلا جدیدا، إذ یتخذ شکلا مغایرا للشکل السابق حیث یقال إنه فی التربیع الأول. التربیع الثانی: فی الیوم السابع من الشهر القمری، یلاحظ القمر بعد غروب الشمس بقلیل، فی وسط السماء و قد غمر النور نصفه الأیسر، و عندها یقال: إنه فی التربیع الأول، إذ یکون قد أمضی ربع دورته الانتقالیة الشهریة حول الأرض، و ذاک هو المنزل الثانی من منازل القمر. الأحدب الأول: و فی الیوم الثامن من الشهر القمری و ما بعده، یزداد القسم المنار من سطح القمر، کما یری بعد غروب الشمس و هو أقرب إلی الأفق الشرقی، حیث یصبح القسم الأکبر منه منارا، و ذلک بعد مضی ۱۱ یوما علی بدء الشهر القمری، و یکون صورة القمر فی شکل هلال تحدبه نحو یمینه، أی باتجاه الشرق و یدعی القمر عندها الأحدب الأول، و هو ثالث منزل من منازل القمر، أی وجوهه. البدر: و فی لیلة النصف من الشهر القمری یکون القمر قد بلغ نقطة النزول، و قد غمر النور کامل وجهه، و یتفق إشراقه من الأفق الشرقی مع غیاب الشمس فی الأفق الغربی، الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۱ و یقال یومها: إن القمر فی حالة تقابل مع الشمس، إذ یکون هو و الشمس و بینهما الأرض علی استقامة واحدة، و یدعی القمر عندها بدرا، و ذاک هو رابع منزل من المنازل التی یبلغها القمر بعد مضی ۱۴ یوما علی بدایة الشهر القمری. الأحدب الثانی: و یأخذ القمر یوما بعد یوم بالتأخّر فی الشروق بمقدار ۵۰ دقیقة وسطیا، کما یأخذ النور بالانحسار عن الجزء الأیسر منه، حتی إذا ما انقضت أربعة أیام علی الحالة التی کان القمر فیها بدرا، رسم الخط الفاصل بین القسم المنار منه و القسم المظلم، خطا منحنیا تحدبه نحو الطرف الأیسر منه و یدعی القمر عندها الأحدب الثانی، و هو المنزل الخامس من منازل القمر، کما یلاحظ أنه بدءا من الیوم السادس عشر من الشهر القمری، یأخذ القمر بالاقتراب من الأفق الجنوبی، یوما بعد یوم إذ یکون قد انتقل إلی سماء نصف الکرة الجنوبی. التربیع الثانی: و عند ما یمضی من الشهر القمری ۲۲ یوما، نجد أن النور لم یعد یغطی إلا- النصف الأیمن فقط من سطح القمر، و ذلک هو المنزل السادس من منازل القمر الذی یدعی التربیع الثانی، و یلاحظ أن شروقه یومها یتأخر حوالی ۵ ساعات تقریبا بعد غروب الشمس، کما یری نهارا و هو یتحرک شیئا فشیئا باتجاه الأفق الغربی، حیث یقترب منه ظهیرة ذلک الیوم. الهلال الثانی: و فی الأیام الثلاثة التی تلی التربیع الثانی، یلاحظ أن النور لم یعد یغطی إلا قسما صغیرا من طرفه الأیمن، متخذا شکل هلال یری فی النهار، و یکون تحدبه مساء عند اقترابه من الأفق الغربی نحو یمین القمر، و ذاک هو المنزل السابع من منازل القمر. المحاق: و فی آخر یوم من الشهر القمری، یکون القمر قد بلغ نقطة الصعود، و أصبح بین الأرض و الشمس علی استقامة واحدة، و قد غمر الظلام کامل وجهه المتجه نحونا، و یکون قد غاب تحت الأفق مع مغیب الشمس، فلا یری، و یقال لحالته تلک: «حالة الاقتران» أما منزله و هو المنزل الثامن فیدعی المحاق، إذ یقال للقمر یومها: إنه محاق، لأنه محق لا تمکن رؤیته. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۲ القمر الرمادی: فی بدایة الشهر القمری، حین یکون الهلال نحیلا، نجده و قد احتضن القسم المظلم الباقی من القمر و الذی یبدو لأعیننا علی شکل دائرة سوداء، و لو نظرنا لتلک الدائرة بالمرقب، لرأینا غشاء

خفیفا من نور رمادی اللون یغطیها، و ما مصدر ذلک النور إلا الأرض التی تعکس نورها نحوه، مما یجعل ذلک القسم المظلم من القمر یری بالعین المجردة. بدایة الشهر القمری و أول وجوه منازل القمر: یبدأ الیوم عند المسلمین من بعد غروب شمس الیوم السابق، بینما یبدأ الیوم عند بقیة الشعوب فی منتصف اللیلة التی تلی نهار الیوم السابق، و هذا مما جعل أول وجه من وجوه القمر لدی المسلمین الهلال، بینما تعتبر بقیة شعوب العالم وجه القمر المسمی محاقا، أول وجوهه أی منازله) «۱». و نحن المسلمین نستخدم فی دولنا الإسلامیة التقویم الهجری، و السنة القمریة التی ترتکز أساسا علی رصد الأهلة الاثنی عشر شهرا، أی ۳۵۴ یوما، بینما السنة المیلادیة أو الشمسیة ترتکز علی زمن دورة الأرض حول الشمس و التی تقدر ۳۶۵، یوما أرضیا و ربع، و هنا إعجاز قرآنی عجیب، إذ أن کل ۳۰۰ سنة میلادیة یعادلها ۳۰۹ سنة قمریة، و هذا تحقیق للمعجزة القرآنیة فی قوله تعالی: وَ لَبِثُوا فِی کَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِینَ وَ ازْدَادُوا تِسْعاً «۲». (و لبثوا فی کهفهم، و لبث الفتیة فی کهفهم أحیاء نائمین، فمنذ أن أنامهم اللّه إلی أن أیقظهم ثلاثمائة سنة و تسعا، و ذکر بعض المفسرین أن المدة ثلاثمائة سنة شمسیة، و ثلاثمائة و تسع قمریة) «۳». (تبلغ السنة الشمسیة، و هی التی تسمی الانقلابیة، لأنها عبارة عن مدة تنقضی بین مرورین متتالیین للشمس بنقطة اعتدال واحد ۲۱۷، ۲۴۲، ۳۶۵ یوما شمسیا، ینتج بمرورها الصیف و الخریف و الشتاء و الربیع، و السنة القمریة تتکون من

(_____۱) انظر: القمر، إبراهیم حلمی غوری، ص ۱۴۸. (۲) سورة الکهف، الآیة: ۲۵. (۳) غایة البیان فی تفسیر القرآن، حسن علوان و آخرون، الدوحة، مطابع قطر الوطنیة، د. ت، ۳/ ۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۳ ۰۶۷، ۳۶۷، ۳۴۵ یوما، و هی المدة بین کسوفین متواليین مقسومة علی عدد حرکات القمر الدائریة، فالفرق بین السنة الشمسیة و السنة القمریة أی الهجریة ۱۰، ۱۴۹، ۸۷۵ یوما، و بذلک یکون فی کل ۳۳ سنة فرق قدره ۹۱۷، ۸۷۹، ۳۵۸ یوما، أی ما یقرب من السنة، و علیه تزید کل مائة سنة ثلاث سنوات، و تکون ۳۰۰ سنة شمسیة یقابلها ۳۰۹ سنة قمریة و لقد تم أیضا حساب الشهر القمری حدیثا فوجد أنه ۵۳۰۵۹، ۲۹ و تکون السنة القمریة مساویة ۵۳۰۵۹، ۲۹ ۳۴۵، ۳۶، ۱۲ X یوما. و بهذا فإن ۳۰۰ سنة شمسیة تقابل ۳۰۹ سنة قمریة (هجریة) و هذه العلاقة الریاضیة واضحة فی الآیة السابقة التی تبین أیضا نسبیة الزمن، سواء قسمناه بالتقویم الشمسی أو القمری) «۱». و من المعلوم أن العرب یستعملون السنة القمریة لحساب شهورهم و سنواتهم، و لکن أصحاب الکهف و أهل زمانهم کانوا یستخدمون السنة الشمسیة، فلقد لبث أهل الکهف ۳۰۰ سنة شمسیة لأنهم یستخدمون التقویم الشمسی فی زمانهم، وَ ازْدَادُوا تِسْعاً حسب استعمال العرب و المسلمون للسنة القمریة.

الإعجاز:

الإعجاز: یتجلّی الإعجاز القرآنی فی القمر هاهنا، أن اللّه عز و جل قد جعل للقمر منازل ینزلها فی کل شهر، و هذا دلیل قطعی علی دورانه حول الأرض، و هذا ما اکتشفه العلم و أثبته، و التعبیر القرآنی المعجز دقیق: مَنازِلَ إذ فیه دلالة قطعیة علی دوران القمر حول الکرة الأرضیة، تلک الحقیقة التی لم یکن أحد یعرفها إبان نزول القرآن و بعده بقرون. کما أن الإعجاز القرآنی الحسابی الدقیق یتضح فی السنة الشمسیة و القمریة، فکل ۳۰۰ سنة شمسیة تساوی ۳۰۹ سنة قمریة، فسبحان اللّه العظیم.

(_____۱) من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم و السنة النبویة، موسی الخطیب، ص: ۲۷۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۴

المبحث الرابع و جمع الشمس و القمر

اشارة

المبحث الرابع و جمع الشمس و القمر قال تعالی: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ «۱». تتحدث هذه الآیة الکریمة عن حدث من الأحداث التی ستتزامن مع قیام الساعة، و تتساور مع خراب الکون و دماره، فالشمس و القمر- کما تنص الآیة القرآنیة- سوف یجتمعان، و هذه الصورة القرآنیة أسهب علماء الفلک بالحدیث عنها، من أن الشمس سیکبر حجمها و تجتمع مع القمر، و لا شک أنهم لا یعرفون الآیة القرآنیة و لم یقرءوها، بحکم توغّلهم فی العلوم المادیة التطبیقیة و بعدهم عن القرآن، کما أنهم تحدثوا عن دوران القمر حول الأرض، و أنه خلال دورانه یبتعد شیئا فشیئا عن الأرض، و لو بنسبة قلیلة إلا أن هذا الابتعاد سیوقعه فی جاذبیة الشمس و یجتمع معها یوما ما، و قبل أن نصغی لهذه النتائج العلمیة الفلکیة، نسوق بعض أقوال المفسرین فی الآیة الکریمة. یقول الإمام الرازی: (قوله: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ فیه مسائل: المسألة الأولی، ذکروا فی کیفیة الجمع وجوها أحدها: أنه تعالی قال: لَا الشَّمْسُ یَنْبَغِی لَها أَنْ تُدْرِکَ الْقَمَرَ «۲» فإذا جاء وقت القیامة أدرک کل واحد منهما صاحبه و اجتمعا، و ثانیها: جمعا فی ذهاب الضوء، فهو کما یقال مثلا: الشافعی یجمع ما بین کذا و کذا فی حکم کذا، و ثالثها: یجمعان أسودین مکورین کأنهما ثوران عقیران فی النار، و قیل: یجمعان ثم یقذفان فی البحر، فهناک نار اللّه الکبری) «۳».

(_____ ۱) سورة القیامة، الآیة: ۹. (۲) سورة یس، الآیة: ۴۰. (۳) التفسیر الکبیر، للفخر الرازی، ۳۰/ ۷۲۵، و انظر: تفسیر ابن عباس، إعداد، عبد العزیز بن عبد اللّه الحمیدی، مکة المکرمة، مرکز البحث العلمی، د. ت، ص ۹۴۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۵ و فی تفسیر «غایة البیان»: (و جمع الشمس و القمر، یخسف القمر و یذهب ضوؤه، و یصطدم بالشمس لضعف ما کان بینهما من تماسک، فتکون نهایة العالم) «۱». و فی تفسیر «بحر العلوم»: (و یقال: جمع الشمس و القمر، یعنی، سوی بینهما فی ذهاب نورهما، و إنما قال: و جمع الشمس و القمر، و لم یقل و جمعت، لأن المؤنث و المذکر إذا اجتمعا، فالغلبة للمذکر) «۲». و قال الإمام القرطبی: (أی جمع بینهما فی ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشمس کما لا ضوء للقمر بعد خسوفه ... و قال ابن عباس و ابن مسعود: جمع بینهما، أی قرن بینهما فی طلوعهما من المغرب أسودین مکوّرین مظلمین مقرنین کأنهما ثوران عقیران، و قال عطاء: یجمع بینهما یوم القیامة ثم یقذفان فی البحر، فیکونان نار اللّه الکبری، و قال علی و ابن عباس: یجعلان فی نور الحجب، و قد یجمعان فی نار جهنم، لأنهما قد عبدا من دون اللّه و لا تکون النار عذابا لهما لأنهما جماد، و إنما یفعل ذلک بهما زیادة فی تبکیت الکافرین و حسرتهم، و قیل: یجمع الشمس و القمر فلا یکون ثمّ تعاقب لیل و لا نهار) «۳». هذا هو النبأ القرآنی حول مصیر القمر الذی سیجتمع مع الشمس، و هذه هی معطیات النصوص القرآنیة الکونیة، و لقد توصل علماء الفلک إلی هذه الحقیقة بعد بحث و دراسة مضنیین.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی کتاب «النهایة» و الذی یتحدث عن نهایة الکون و الأفلاک، یشیر إلی أن کوکب الشمس سیصبح عملاقا أحمر و یلتقم بعض کواکبه بما فیهم القمر: (... و ستبدو الأرض لمن ینظر إلیها من خارجها محجوبة بغطاء مثلما یبدو لنا الزهرة الآن، و یسود منظر السحاب حمرة شدیدة حتی تؤدی الحرارة إلی غلیان المحیطات تماما، و تتبخر السحب و الجو إلی الفضاء، و یصبح الکوکب العاری بلا وسیلة دفاع فی وجه العملاق الأحمر الذی یملأ کل سماء وقت النهار، و لا یوجد أی أمل بالنسبة لعطارد و الزهرة (_____ ۱) غایة البیان، حسن علون و آخرون، ۶/ ۱۱۴، و انظر: التفسیر المنیر، وهبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، الطبعة الأولی ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱، ۲۹/ ۲۵۴. (۲) بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۵۲۰. (۳) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۹/ ۹۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۶ فهذان الکوکبان سیتم التهامهما داخل الشمس المتضخمة، و إذا ظلت الأرض تقبع فی الخارج، فإنها ستصبح ملفوحة و قفراء، بلا حیاة) «۱». (و هذا الأمر حاصل، عند ما تتضخم الشمس لتبتلع الکواکب الثلاثة الأولی، عطارد و الزهرة و الأرض و معها

القمر، فهاهنا یجتمع الشمس و القمر، حین تصیر الشمس عملاقا أحمر قبل تکویرها إلی قزم أبیض، و هذا ما سیحصل لمستقبل النظام الشمسی) «۲». و نجد نفس الحقیقة فی «المعارف الکونیة»: (فالشمس سوف تنتفخ عند شیخوختها لتصبح عملاقا أحمر، أکبر ملایین المرات من الحجم الذی هی علیه الآن، و بذلک سوف یتحول لونها من الأصفر إلی الأحمر، أی تقل درجة حرارتها السطحیة ۶۰۰۰ إلی ۳۰۰۰ لاتساع مساحة سطحها المنتفخ لتبلع عندئذ الکوکبین القریبین عطارد و الزهرة و تلتهمهما التهاما، و یتحولان بذلک إلی دخان فی باطن العملاق، و تستمر الشمس العملاقة الحمراء فی الانتفاخ فتبتلع قمر الأرض، ثم یصل سطحها بلونه الوردی إلی السحاب فوق رءوسنا، فیخطف أبصارنا لشدة الالتماع و البرق، و عندئذ تشتعل البحار و المحیطات علی سطح الکرة الأرضیة، لتحلّل مائها فی هذه الحرارة المرتفعة إلی أیدروجین یشتعل و أکسجین یساعد علی الاشتعال) «۳». و فی لقاء مع الدکتور زغلول النجار، سألته عن هذه القضیة فأجابنی نفس الحقائق العلمیة التی أثبتناها هنا، إلا أنه زاد و أشار إلی لطیفة هامة حول جمع الشمس و القمر فقال: إن القمر خلال دورانه حول الأرض یبتعد عن مساره کل فترة زمنیة شیئا من الثانیة، و بمرور السنوات و الأحقاب سوف ینفلت من جاذبیة الأرض لیقع فی جاذبیة الشمس و عندها یجمع مع الشمس، و هذا مصداق لقوله تعالی: وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ.

الإعجاز:

الإعجاز: سبحان اللّه العظیم هذا الذی توصل إلیه العلماء من حقائق کونیة، و أثبتوا أن القمر سیجمع مع الشمس، إلا أن کتاب اللّه قد سبقهم إلی تقریر هذه الحقیقة العلمیة العظیمة، مما یحتم علی الناس أجمع أن یعلنوا الخضوع و الولاء لهذا الکتاب العظیم.

(_____ ۱) عالم المعرفة، النهایة، فرانک کلوز، ص ۲۹۲. (۲) خلق الکون، محمد باسل الطائی، ص ۴۲. (۳) المعارف الکونیة، مجموعة من العلماء، ص ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۷

الفصل الثامن الإعجاز القرآنی فی الریاح

اشارة

الفصل الثامن الإعجاز القرآنی فی الریاح تمهید. المبحث الأول: أنواع الریاح بین القرآن و العلم. المبحث الثانی: تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم. المبحث الثالث: البرق و البرد بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۰۹

تمهید

تمهید الریاح هو هواء متحرک، و فیه الحیاة فوق هذه البسیطة، و لم یستأثره أحد دون الآخر، و ما ملّکها اللّه سبحانه و تعالی و وکل بها أحدا من الناس، بل زمام أمورها و تصاریف حرکاتها و شئونها بید الخالق الرحیم جل جلاله. قال تعالی: وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۱». و قال سبحانه: وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ آیاتٌ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۲». و للریاح وظائف کثیرة، سخرها الحق سبحانه و تعالی خدمة لمخلوقاته، فالریاح تنقل الطاقة من المناطق المداریة إلی المناطق القطبیة الشحیحة بالطاقة، کما أن لها دورا فعالا فی تکاثف بخار الماء و تکوین السحب و الغیوم ... کما أنها تنقل بعض عناصر الجو من أمکنتها إلی مناطق أخری، و تنقل الأوبئة و التلوث الجوی من مکانها إلی مکان آخر، و تنقل الضباب المتنقل و الصقیع، و غیر ذلک من الظواهر الطبیعیة التی یعرفها دارسو المناخ و الغلاف

الجوی. و سیعرض موجز لأهم أنواع الریاح و أشکالها، و ذلک من منظور القرآن و العلم، ثم یوقف بعد ذلک علی وجوه الرحمة و العظمة فی هذا المخلوق العجیب، لأن الریاح إما أن تکون ریاح خیر و بشری، أو ریح دمار و عذاب، کما سیرکز علی السحب و أنواعها و طرق تشکلها، و یشار إلی وصف القرآن لهذا التشکل، ثم یثبت ما وصل إلیه العلماء

(_____ ۱) سورة البقرة، الآیة: ۱۶۴. (۲) سورة الجاثیة، الآیة: ۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۰ بأحدث الأجهزة التقنیة إلی ذلک، کما سیعرج للحدیث عن البرق و الرعد بین العلم و القرآن، و أهم ما توصل إلیه علماء المناخ بشأن البرد و ارتباطه بالشحنات الکهربائیة، و دلالة ذلک من کتاب اللّه تعالی، لیتضح أن کثیرا من حقائق العلم التی أصبحت الیوم قطعیة ثابتة، قد أشار بل صرح بها کتاب اللّه تعالی إبان نزوله علی قلب الحبیب صلی اللّه علیه و سلم، و اللّه سبحانه الموفق. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۱

المبحث الأول أنواع الریاح بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الأول أنواع الریاح بین القرآن و العلم بادئ ذی بدء یشار إلی أن الریاح وردت فی کتاب اللّه تعالی بمعنی الخیر و البشری، و ذلک عند ما تجمع (ریاح) و إذا أفردت (ریح) فإنها تدل علی الخراب و الدمار و الهلاک، و قد عرفها صاحب «مفردات ألفاظ القرآن» فقال: (الریح معروف، فهو فیما قیل: الهواء المحرک، و عامة المواضیع التی ذکر اللّه تعالی فیها إرسال الریح بلفظ الواحد فعبارة عن العذاب، و کل موضع ذکر فیه بلفظ الجمع فهو عبارة عن الرحمة، أمثلة لذلک: فمن الریح قوله تعالی فی شأن عاد: إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً صَرْصَراً فِی یَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ «۱». و فی الحدیث عن غزوة الأحزاب قال تعالی: فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمْ رِیحاً وَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها «۲». و شبه الحق أعمال الکفرة بالرماد التی تشتد به الریح فقال: مَثَلُ الَّذِینَ کَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمالُهُمْ کَرَمادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّیحُ فِی یَوْمٍ عاصِفٍ «۳». و کذلک قوله تعالی: کَمَثَلِ رِیحٍ فِیها صِرٌّ أَصابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَکَتْهُ «۴». و أورد أمثلة بصیغة الجمع «الریاح» التی یدل علی رحمته، من ذلک قوله تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَیْناکُمُوهُ «۵». و قوله سبحانه: وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ «۶».

(_____ ۱) سورة القمر، الآیة: ۱۹. (۲) سورة الأحزاب، الآیة: ۹. (۳) سورة إبراهیم، الآیة: ۱۸. (۴) سورة آل عمران، الآیة: ۱۱۷. (۵) سورة الحجر، الآیة: ۲۲. (۶) سورة الروم، الآیة: ۴۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۲ و قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ «۱». و قوله تعالی: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً «۲». فالأظهر فیه الرحمة، و قرئ بلفظ الجمع) «۳». و یعلّل القرطبی و یعلق علی هذه القضیة بکلام نفیس رائع فیقول: (فمن وحّد مع الریح فلأنه اسم للجنس و یدل علی القلیل و الکثیر، و من جمع فلاختلاف الجهات التی تهب منها الریاح، و من جمع مع الرحمة و وحد مع العذاب فإنه فعل ذلک اعتبارا بالأغلب فی القرآن نحو: الریاح مبشرات، و الریح العقیم، فجاءت فی القرآن مجموعة مع الرحمة، مفردة مع العذاب إلا فی یونس وَ جَرَیْنَ بِهِمْ بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ «۴». و روی أن الرسول صلی اللّه علیه و سلم کان یقول إذا هبت الریح: «اللهم اجعلها ریاحا و لا تجعلها ریحا» «۵» و ذلک لأن ریح العذاب شدیدة ملتئمة الأجزاء کأنها جسم واحد، و ریح الرحمة لینة متقطعة فلذلک هی ریاح، فأفردت مع الفلک فی یونس، لأن ریح إجراء السفن إنما هی ریح واحدة متصلة ثم وصفت بالطیب بِرِیحٍ طَیِّبَةٍ فزال الاشتراک بینها و بین ریح العذاب) «۶». و إنها دقة عالیة فی التعلیل لدی القرطبی رحمه اللّه، فالریح هی التی تحمل الدمار و الخراب و الشر و لشدة قوتها و اتصال أجزائها لا یشعر بها الناس، حتی إذا ما

وصلت إليهم و نسفت قواعدهم و دمرت منازلهم، تراهم قد أصيبوا بالهلع و الذعر و ربما الزوال، أما الرياح فهى النسيم العليل الحافل بالخير و البركة و الهدوء و المطر و الراحة النفسية و الطمأنينة القلبية، فتبارك اللّه الذى جعل للهواء جناحين جناح رحمة و الآخر عذاب (_____. ۱) سورة الأعراف، ۵۷. (۲) سورة الروم، الآية: ۴۸. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانى، ص: ۳۷۰. (۴) سورة يونس، الآية: ۲۲. (۵) مسند الشافعى، ۱/ ۱۸، و أبو يعلى، رقم: (۲۴۵۶)، ۴/ ۲۴۳، و المعجم الكبير، سليمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانى، تحقيق، حمدى السلفى، الموصل، مكتبة العلوم و الحكم، الطبعة الثانية، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۳، رقم: (۱۱۵۳۱)، ۱۱/ ۲۱۳. (۶) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۱/ ۱۹۸. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۳ بعد هذا الإيضاح و التعريفين الهامين، نأتى للحديث عن أنواع الرياح بين العلم و القرآن، و سنتعرض الآن للقسم الأول من الرياح التى بسط الحديث عنها ربنا فى كتابه العزيز، و هى المختصة بالرحمة و الخير، الرياح. أولا: اللواقح: قال تعالى: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَيْناكُمُوهُ وَ ما أَنْتُمْ لَهُ بِخازِنِينَ «۱». تعلق هذه الآية الكريمة إنزال الماء من السماء بتلقيح الرياح للسحب، و تزويد السحب بقطرات الماء، و هذه حقيقة مشاهدة أثبتها علماء المناخ و أفاضوا الحديث عنها، و لكن لنجول فى تفاسير العلماء و المعاجم حتى نرى كيف فهموا هذه الآية. يقول القرطبى: (معنى لواقح، حوامل لأنها تحمل الماء و التراب و السحاب و الخير و النفع ... و جعل الريح لاقحا لأنها تحمل السحاب، أى تقله و تصرفه ثم تمر به فتستدرّه أى تنزله) «۲». و قال الزمخشرى عن اللواقح: (فيه قولان: أحدهما أن الريح لاقح، إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتى لا تأتى بخير ريح عقيم، و الثانى: أن اللواقح بمعنى الملاقح) «۳». و قال الطبرى: (اختلف أهل العربية فى وجه وصف الرياح باللقح، و إنما هى ملقحة لا لاقحة و ذلك أنها تلقح السحاب و الشجر، و إنما توصف باللقح الملقوحة لا الملقح، كما يقال: ناقة لاقح، كان بعض نحويى البصرة يقول: قيل: الرياح لواقح، فجعلها على لاقح، كأن الرياح لقحت، لأن فيها خيرا فقد لقحت بخير، قال: و قال بعضهم: الرياح تلقح السحاب، فهذا يدلّ على ذلك المعنى لأنها إذا أنشأته و فيها خير وصل ذلك إليه، و كان بعض نحويى الكوفة يقول: فى ذلك معنيان أحدهما أن يجعل الريح هى التى تلقح بمرورها على التراب و الماء فيكون فيها اللقاح، فيقال: ريح لاقح، كما يقال: ناقة لاقح ... و الصواب من القول فى ذلك عندى: أن الرياح لواقح (_____ ۱) سورة الحجر، الآية: ۲۲. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۵/ ۱۵، و انظر: تفسير البشائر، على الشربجى، دمشق، دار البشائر، الطبعة الأولى، ۱۴۱۸ ه ۲/ ۲۲۴. (۳) الكشاف، للزمخشرى، ۲/ ۳۸۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۱۴ كما وصفها به جلّ ثناؤه من صفتها، و إن كانت قد تلقح السحاب و الأشجار، فهى لاقحة ملقحة، و لقحها: حملها الماء، و إلقاحها السحاب و الشجر عملها فيه، و ذلك كما قال عبد اللّه بن مسعود) «۱». و ذهب طائفة من المفسرين إلى أن المقصود باللواقح هو تلقيح الرياح للشجر، و منهم من قرن تلقيح الشجر و تلقيح الرياح للسحب، و على رأسهم ابن كثير إذ يقول: (أى تلقح السحاب فتدر ماء و تلقح الشجر فتفتح عن أوراقها و أكمامها، و ذكرها بصيغة الجمع ليكون منها الإنتاج بخلاف الريح العقيم فإنه أفردها و وصفها بالعقيم و هو عدم الإنتاج) «۲». و معنى لواقح فى اللغة: (اللقح اسم ما أخذ من الفحال ليدس فى الآخر، و جاءنا زمن اللقاح أى التلقيح، و قد لقحت النخيل، و يقال للنخلة الواحدة: لقحت بالتخفيف و استلقحت النخلة، أى آن لها أن تلقح، و ألقحت الريح السحابة و الشجرة و نحو ذلك فى كل شىء يحمل، و اللواقح من الرياح التى تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب فإذا اجتمع فى السحاب صار مطرا، و قيل: إنما هى ملاقح، فأما قولهم: لواقح فعلى حذف الزائد، قال اللّه سبحانه: وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ) «۳». يمكن لنا أن نستخلص من معطيات الآية القرآنية ما يلى: أولا: أن اللّه سبحانه و تعالى أرسل الرياح و سخرها لمنافع العباد، و صورة المنفعة فى هذه الآية أنها تعمل على التلقيح «لواقح». ثانيا: و التلقيح يكون للأشجار و السحب معا، إلا- أن الآية هنا تتحدث عن تلقيح الرياح للسحب فقط. و لقد حمل هذه الآية عدد من المفسرين القدامى و المعاصرين، و صرفوا وجه الإعجاز فيها على أن المقصود باللواقح تلقيح الزرع و الشجر، و الذى يتمعن فى قوله

تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ یجد أنها تستوعب کلا المعنیین، لکن ما ینبغی أن نغفل الجزء الثانی من الآیة، و هو قوله تعالی: فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَسْقَیْناکُمُوهُ فلو أن ما

(۱) جامع البیان، للطبری، ۱۴ / ۱۴. (۲) تفسیر القرآن العظیم لابن کثیر ۳/ ۳۹۶. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۵۹۷، و انظر: القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۳۰۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۵ ذهبوا إلیه من أن الریاح تلقح الأشجار فقط، لاستلزم المعنی و اقتضی السیاق القرآنی أن ینبنی علیه إخراج الزرع و الثمار بدل إنزال الماء، أما و أن القرآن قد رتب و أعقب إرسال الریاح اللواقح إنزال الماء من السماء لیسقیه الناس، فقد تحتّم أن یکون المقصود باللواقح تلقیح الریاح للسحب لإنزال المطر، و یتضح الربط هذا من الفاء، التی ربطت بین السبب و المسبب، و أقامت العلاقة المتینة بین العلة و المعلول لیکون المعنی فَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً و هذا هو وجه الإعجاز القرآنی فی هذا الصدد و هذا ما أثبته علماء المناخ.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: جاء فی موسوعة «المعارف الکونیة»: (لقد اکتشف العلماء حدیثا أن الریاح علاوة علی حملها لبخار الماء، فإنها تحمل معها أنویة التکثف علی اختلاف أنواعها، من جسمیات صغیرة تنتشر فی الهواء بکمیات و فیرة أشبه ما تکون بالذرات، أو حطام المواد الذی نراه یسبح فی حزمة من أشعة الشمس، قوامه جسیمات من التربة و أتربة المصانع و دخان الأفران ... و بطبیعة الحال یزداد تلوث الهواء بمثل هذه الجسیمات داخل المدن و یقل فی الأریاف، و هذه الجسیمات تعمل علی تماسک أو تجمع جزیئات الماء العالقة فی الهواء مع بعضها البعض لتکون نقط الماء أو بلورات الثلج، و لهذا تدعی نوی التکاثف (ielcun noitasnednoC) و بهذا فإن قوله تعالی: وَ أَرْسَلْنَا الرِّیاحَ لَواقِحَ یشیر إلی فضل اللّه تعالی علی عباده بجعل الریاح تقوم بهذه الوظیفة) «۱». و هذه الحقیقة وردت فی کتب علماء المناخ، و من هذه الکتب کتاب «الغلاف و الطقس و المناخ» و مما جاء فیه: (تکوین أو تشکیل السحب یعتمد علی حالة عدم استقرار الغلاف الجوی، و الحرکة الراسیة کما إنه متحکم بواسطة العملیات علی المقیاس الصغیر و هذه سوف یتم شرحها ... نواة التکاثف (ielcun noitasnednoC): إنه من الأهمیة بمکان ملاحظة أن التکاثف یحدث بصعوبة قصوی فی الهواء الصافی، و الخالی نسبیا من الغبار الذری المتساقط، هذا فضلا عن أن الرطوبة یجب أن تجد السطح المناسب الذی یمکن أن تتکاثف علیه، و إذا تدنت درجة حرارة الهواء الصافی إلی أقل من نقطة الندی ((noitasnednoC tniop

(۱) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۶ تصبح مشبعة بإفراط، و هذه النوایات یمکن أن تکون ذرات غبار أو دخان أو ملح أو أکسید الکبریتات، فتدخل هذه الذرات الغلاف الجوی عن طریق اندفاع فقّاعات الهواء ذرات الملح، و ذرات التربة الناعمة، و ناتج الاحتراق الکیمیائی، فترتفع بواسطة الریاح و تعتبر کلا منها مصدرا هاما للنویات متساویا فی المعدل، و فی المراحل المبکرة تنمو القطیرات الصغیرة بسرعة کبیرة بالمقارنة بالقطیرات الکبیرة، کما أن بزیادة حجم القطیرات یزداد معدل نموها بواسطة تناقص التکاثف، و یستمر هذا التدرج فی عملیات التکاثف لتشکیل قطرات المطر، و ینمو التساقط فی معظم السحب) «۱». ثانیا: المبشرات: قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ فَأَخْرَجْنا بِهِ مِنْ کُلِّ الثَّمَراتِ کَذلِکَ نُخْرِجُ الْمَوْتی لَعَلَّکُمْ تَذَکَّرُونَ «۲». تصف هذه الآیة الکریمة الریاح بأنها بشری و رحمة، لأنها تحمل السحاب المثقل بالماء، و الذی یساق بتدبیر الحکیم العلیم إلی الأرض المیتة لتحیا بعد ذلک، و تزهو بالخضار و تثقل الأشجار بالثمار و ینعم الإنسان بفضل اللّه و رحمته. قال القرطبی: (حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً السحاب یذکّر و یؤنّث ... و المعنی حملت الریح سحابا ثقالا بالماء، أی أثقلت بحمله ... فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ أی بالبلد، و قیل: أنزلنا بالسحاب آلة لإنزال الماء) «۳». و ریاح المبشرات هذه، تحمل البشری بالخیر و البرکة للخلائق ساکنی الأرض، و لها وظائف أخری سخّرها اللّه سبحانه و تعالی لمصلحة

عباده، و من تلک الوظائف ما ذکره

(۱) الغلاف و الطقس و المناخ، بیری شوری، ترجمة، عبد القادر علی، طبع الهیئة العامة لشئون المطابع الأمیریة، القاهرة، ۱۹۹۳، ص ۱۰۸. (۲) سورة الأعراف، الآیة: ۵۷. (۳) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۴/ ۲۳۰، و انظر: حاشیة الصاوی علی الجلالین، تحقیق، علی الصباغ، بیروت، دار الجیل، د. ت ۲/ ۷۴، و انظر: تنویر الأذهان من تفسیر روح البیان، اختصار محمد علی الصابونی، القاهرة، دار الصابونی، الطبعة الأولی، ۱۹۸۸، ۱/ ۵۴۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۷ الحق سبحانه و تعالی: وَ مِنْ آیاتِهِ أَنْ یُرْسِلَ الرِّیاحَ مُبَشِّراتٍ وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ بِأَمْرِهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّکُمْ تَشْکُرُونَ «۱». و لسید قطب رحمه اللّه، تعلیق جمیل علی هذه الآیة الکریمة نثبته هنا یقول: (تبشر بالمطر، و هم یعرفون الریح الممطرة بالخبرة و التجربة، فیستبشرون بها وَ لِیُذِیقَکُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ بآثار هذه البشری من الخصب و النماء وَ لِتَجْرِیَ الْفُلْکُ بِأَمْرِهِ سواء بدفع الریاح لها، أو بتکوین الأنهار من الأمطار فتجری السفن فیها، و هی تجری مع هذا بأمر اللّه و وفق سنته التی فطر علیها الکون، و حسب تقدیره سبحانه، فقد أودع کل شیء خاصیته و وظیفته و جعل من شأن هذا أن تحف الفلک علی سطح الماء فتسیر، و أن تدفعها الریاح فتجری مع التیار أو ضد التیار و کل شیء عنده بمقدار) «۲». و هذا ما کشفه علماء الطبیعة فی الآونة الأخیرة (من خاصیة دفع الماء للأجسام إلی أعلی مما یجعلها تطفو جمیعا، أو قد یطفو جزء منها و یغمر باقیها حسب قانون الطفو الفیزیائی «۳» المعروف، و الذی تنسب أبحاثه الأولی إلی عالم الطبیعة المشهور المدعو «أرخمیدس» «۴» و قد سمیت تلک الظاهرة الکونیة ظاهرة دفع الماء الأجسام إلی الأعلی، الواصفة لبعض خصائص الماء باسمه فقیل غفلة و تجاهلا: دافعة «أرخمیدس»، و أجریت لها حسابات و تطبیقات عملیة، و إنما هی فی الواقع سنة من سنن اللّه الباری سبحانه، سخر بها البحار و الأنهار و ما فیها من الماء، للناس لتجری الفلک و المراکب البحریة بأمره جل ثناؤه ... و إنما کان «لأرخمیدس» الفضل حقا فی أنه أول من کشف عن هذا القانون العام، و أماط اللثام عن هذه الحقیقة الکونیة القائمة منذ القدیم) «۵ (

). ۱) سورة الروم، الآیة: ۴۶. (۲) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۵/ ۲۷۷۴، و انظر: تفسیر الشعراوی، القاهرة، أخبار الیوم، د. ت، ۷/ ۴۱۸۲. (۳) و هو خاص بالأجسام التی یحملها الماء علی متنه. (۴) أرخمیدس، ۲۸۷- ۲۱۲ ق. م، عالم ریاضی یونانی برهن أن کل جسم إذا انغمس فی سائل، یتلقی دفعة عمودیة من أسفل إلی أعلی توازی ثقل ما شغل مکانه من السائل. انظر: صانعو التاریخ، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶، ۱/ ۵۴. (۵) مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم العثمان، الریاض، الدار العالمیة للکتاب الإسلامی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ص: ۴۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۸ من هذا العرض السریع و من هذه الزاویة، اتضح معنی الاستبشار بالریاح، و کیف أنها حفلت بالبشری للناس و بالأمطار و الخواص الأخری التی ذکرناها. ثالثا: الذاریات: قال تعالی: وَ الذَّارِیاتِ ذَرْواً (۱) فَالْحامِلاتِ وِقْراً (۲) فَالْجارِیاتِ یُسْراً (۳) فَالْمُقَسِّماتِ أَمْراً (۴) «۱». لقد أقسم اللّه سبحانه و تعالی بوصف عمل الریاح الذاریة، و له جل جلاله أن یقسم بما شاء من خلقه و لیس لنا أن نقسم إلا بالله أو صفاته. یقول الزمخشری: (وَ الذَّارِیاتِ هی الریاح لأنها تذر التراب و غیره، کما قال اللّه سبحانه و تعالی: تَذْرُوهُ الرِّیاحُ «۲». و یقول صاحب «الظلال»: (وَ الذَّارِیاتِ من عملها حمل حبوب اللقاح النباتیة من أعضاء التذکیر فی الأزهار الأسدیة أو المآبر، إلی أعضاء التأنیث فی مواقعها المتنوعة، و هی المدقة أو المتاع الحاوی علی البیوض، و بالتالی تقوم الریاح بعمل التأبیر لإخصاب أزهار النباتات، و إنجاز تکون البذور) «۳». و فی «لسان العرب»: (ذرت الریح التراب و غیره تذروه و تذریه ذروا و ذریا و أذرته أطارته و سفته و أذهبته) «۴». یتّضح مما أسلفنا من أقوال العلماء أن عمل الریاح «الذاریات» متنوع، فللذاریات وظیفة فی حمل التراب و الرمال و غیرهما من مکان لآخر، و حمل غبار الطلع من أعضاء التذکیر الزهریة لتلقیح البویضة و ذلک فی عملیة التأبیر المعروفة علمیا، و ذلک إعجاز علمی حوته کلمة الذاریات لأنها تدل علی هذه الوظائف التی سخرها اللّه لخدمة الناس. و فی الصحاری یظهر أثر الریاح الذاریة فی (تشکیل سطح الأرض کعامل إرساب بالصحاری الحارة الجافة، و ذلک لتکوین الکثبان الرملیة التی هی عبارة عن تلال رملیة

(_____ ۱) سورة الذاریات، الآیات ۱- ۴. (۲) الکشاف، للزمخشری، ۴/ ۱۳، و انظر: التفسیر الوسیط، و هبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، ۲۰۰۰، ۳/ ۹۲. (۳) فی ظلال القرآن، سید قطب، ۶/ ۳۳۷۵. (۴) لسان العرب، لابن منظور، ۱۴/ ۲۸۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۱۹ حبیباتها مستدیرة یتراوح الارتفاع فیها بین بضعة أقدام إلی عشرات الأمتار ... و من فوائدها أنها تنقل هذه البذور من أماکن إنتاجها إلی مناطق أخری بعیدة عن الوطن الأم، مما یوسع انتشارها و ینوّع الغطاء النباتی فی المنطقة الزراعیة، فإن الریاح التی تذر ذلک الهشیم تنتقل إلی مسافات بعیدة، و هی تحمل معها تلک الثمار أو البذور، فإذا هدأت سرعتها و عجزت عن الاستمرار فی الإمساک بحمولتها النباتیة، وقعت تلک البذور فی تربة جدیدة، فإذا ما استقرت فیها و استوفت حاجتها من الماء و المساحة و الضوء و غیر ذلک من العوامل اللازمة للإنتاج، فإنها تنمو دون تنافس و تنوع الغطاء النباتی فی الأرض الجدیدة، و لهذا أهمیته المعتبرة عند الأخصائی الزراعی) «۱». کما أنها تحمل (بعض النباتات أو أجزاء منها من مکان إلی آخر، حاملة البذور تنثرها أینما ذهبت و مثل هذه النباتات یقال لها: (sdeew elbmut) و من هذه النباتات، کف مریم و هو نبات صحراوی یحمل أفرعا تحمل الثمار، و فی الجو الجاف تنحنی الأفرع نحو الداخل و یتکور النبات کالکرة، التی تحملها الریاح إلی مسافات بعیدة، و إذا ما وصلت الکرة إلی منطقة رطبة تستقیم الأفرع و فی نفس الوقت تتفتح الثمار و تنتشر البذور) «۲». و إلی هذا المعنی أشار الحق سبحانه و تعالی فی سورة الکهف: وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَیاةِ الدُّنْیا کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِیماً تَذْرُوهُ الرِّیاحُ «۳».

الإعجاز:

الإعجاز: لقد قرر القرآن الکریم أن الریاح من أبرز مهماتها أنها تلقح السحب، و تثیر الغیوم لتنزل الأمطار و تنهمر المیاه، و لم یکن أحد من الناس یعرف هذه الحقیقة قبل عصرنا هذا، عصر الکشوفات العلمیة و ما ذکره المفسرون من تلقیح الریاح للسحب، لیس بسبب تقنیة علمیة اعتمدوا علیها، إنما هو استمداد من کلام اللّه المعجز، الذی آمنوا بما جاء فیه، و الذی تتجدد حقائقه علی مرّ الأیام و کرّ العصور، و الذی یسجل الحقائق العلمیة، ثم یکتشفها الناس لتکون لهم آیة و معجزة.

(_____ ۱) مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم بن حسن العثمان، ص: ۱۱۶، و ما بعدها. (۲) النباتات الزهریة، شکری إبراهیم سعد، ص: ۱۷۰. (۳) سورة الکهف، الآیة: ۴۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۰

المبحث الثانی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الثانی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ بُشْراً بَیْنَ یَدَیْ رَحْمَتِهِ حَتَّی إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالًا سُقْناهُ لِبَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الْماءَ «۱». و قال سبحانه: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ «۲». تعرض هاتان الآیتان الکریمتان التسلسل الواضح فی عملیة تکوین السحاب و إثارته، ثم تصاعده عن طریق الهواء المتحرک الرِّیاحِ إلی السماء، ثم نشره فی جو المعمورة، حسب تقدیر العلیم الخبیر جل جلاله و من ثم توزیعه علی خلقه لیستبشروا بنعمته تعالی و رحمته، کما أنها تشیر إلی نوع من أنواع السحب، ألا و هو السحب البساطیة، و بنظرة فی تفاسیر العلماء یزداد الأمر وضوحا و جلاء. یقول الإمام الرازی: (بین دلائل الریاح علی التفصیل الأول فی إرسالها قدرة و حکمة، أما القدرة فظاهرة، فإن الهواء اللطیف الذی یشقه الودق یصیر بحیث یقلع الشجر، و هو

لیس بذاته کذلک فهو بفعل فاعل مختار، و أما الحکمة ففی نفس الهبوب فیما یفضی إلیه من إثارة السحب، ثم ذکر أنواع السحب فمنه ما یکون متصلا و منه ما یکون منقطعا، ثم المطر یخرج منه و الماء فی الهواء أعجب علامة للقدرة، و ما یفضی إلیه من إنبات الزرع و إدرار الضرع حکمة بالغة، ثم إنه لا یعم بل یختص به قوم دون قوم و هو علامة المشیئة) «۳». و فی تفسیر «بحر العلوم»: (قال اللّه عز و جل: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً یعنی

(۱) سورة الأعراف، الآیة: ۵۷. (۲) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۳) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۵/ ۱۱۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۱ تدفعه و تهیجه، یقال: ثار الغبار إذا ارتفع: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ یعنی کیف یشاء اللّه عز و جلّ إن شاء بسطه مسیرة یوم أو أکثر وَ یَجْعَلُهُ کِسَفاً یعنی قطعا فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ یعنی المطر یخرج من خلاله، من وسط السحاب فَإِذا أَصابَ بِهِ یعنی بالمطر مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ یعنی یفرحون بنزول المطر) «۱». و یعلق علی الآیة ابن کثیر فیقول: (یبین تعالی کیف یخلق السحاب الذی ینزل منه الماء، فقال تعالی: اللَّهُ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ فَتُثِیرُ سَحاباً إما من البحر کما ذکره غیر واحد، أو مما یشاء اللّه عز و جلّ: فَیَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ کَیْفَ یَشاءُ أی یمدّه فیکثره و ینمیه، و یجعل من القلیل کثیر، ینشئ سحابة تری فی رأی العین مثل الترس، ثم یبسطها حتی تملأ أرجاء الأفق، و تارة یأتی السحاب من نحو البحر ثقالا مملوءة) «۲». و نحتاج للوقوف علی وجه الإعجاز أن نحلل بعض المفردات الواردة هنا: تثیر، سحب، ودق، أما معنی تثیر، ففی «لسان العرب»: (ثار الدخان و الغبار و غیرهما یثور ثورا و ثؤورا و ثورانا، ظهر و سطع، و ثار القطا من مجثمه، و ثار الجراد ثورا و انثار، ظهر) «۳». و أما معنی السحب، ففی کتاب «العین»: (السحب، جرک الشیء، کسحب المرأة ذیلها و کسحب الریح التراب، و سمی السحاب لانسحابه فی الهواء) «۴». و فی «لسان العرب»: (جرک الشیء علی وجه الأرض، کالثوب و غیره، سحبه یسحبه سحبا فانسحب، جرّه فانجر، و المرأة تسحب ذیلها، و الریح تسحب التراب، و السحابة: الغیم، السحابة التی یکون عنها المطر سمیت بذلک لانسحابها فی الهواء) «۵». و أما الودق، فمعناها: (الودق: المطر، ودق، کوعد، قطر و إلیه ودوقا و ودقا، دنا منه و أمکنه و به استأنس، و بطنه اتسع أو استطلق، و السماء أمطرت، کأودقت) «۶».

(۱) بحر العلوم، للسمرقندی، ۳/ ۱۶. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۲۸۹. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۱۰۹. (۴) کتاب العین، للفراهیدی، ۳/ ۱۵۱. (۵) لسان العرب، لابن منظور، ۱/ ۴۶۱. (۶) القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۱۱۹۷، و انظر: لسان العرب، لابن منظور، ۱۰/ ۳۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۲ و یتسنّی لنا الآن أن نستخلص من معطیات ما سبق، أن الإثارة معناها الإظهار، و لیس کما ظن المفسرون جزاهم اللّه خیرا و رحمهم الله، أن الإثارة هی تقلیب الریاح و تحریکها، لا- بل إن المقصود بالإثارة هنا الإظهار کما رأینا فی المعاجم، ذلک لأن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لتکوین السحاب، ثم بعد ذلک تتم إثارته أی إظهاره لیکون مرئیا للعیان، ثم تحریکه و توزیعه بحکمة العلیم الحکیم جل جلاله، و هذه حقیقة کشف عنها العلماء.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی موسوعة «المعارف الکونیة»: (الإثارة هی تحریک السحاب، و العلم أوضح لنا أن الریاح تحمل بخار الماء و نوی التکاثف لکی یتکوّن السحاب و تتم إثارته و یظهر للأعین، و بعد ذلک یتم تحویله و تحریکه بتوجیه إلهی، و بهذا یجب علینا أن نستبعد حرکة السحاب ضمن معانی الإثارة، فالآیة هنا رتبت السوق علی الإثارة و لیس العکس، و لهذا فإن الإثارة هی بالتأکید إظهار و تکوین السحب أولا- و ذلک بالتکثیف، فکلنا یعرف الآن أن السحاب بخار کان کامنا فی الهواء غیر المشبع أو فی الهواء فوق المشبع الخالی من نوی التکاثف، ثم ظهر بالتکثیف بفعل الریاح سواء کان ذلک بحملها البخار إلی المناطق الباردة العلویة، أو بحملها نوی التکاثف، و بذلک یتضح لنا المعنی العلمی للآیة الکریمة المراد من إثارة الریاح للسحاب، أی أثر الریاح فی تکوین السحاب و

إظهاره و ليس نقله كما اعتقد المفسرون) «۱». و فی کتاب «الطقس»: (يتكوّن بخار الماء فی الجو عن طريق تبخّر مياه المحيطات و البحيرات و الأنهار، و تقوم النباتات بعد امتصاص جذورها لسوائل التربة، بإطلاق كميات كبيرة من بخار الماء من خلال أوراقها، و تدعى العملية «بالنقع» و يجرى تبخر المياه بشكل رئيسی من الأجزاء الأكثر دفئا من المحيطات، و من الغابات الاستوائية، ثم تنتقل بعد ذلك باتجاه علوی حيث تحملها الرياح حتی تنفذ إلی كافة أجواء الغلاف السفلی ... و عند ما يتكثف الماء فی الجو فإنه يبدو أولا بشكل سحب، إذا كان فی طبقة هوائية عالية، و بشكل ضباب إذا كان قريبا من الأرض، و تتألف السحب من

(_____ ۱) المعارف الكونية، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۷، و انظر: الاستمطار، محمد فياض و أحمد خليل، الكويت، دار سعاد الصباح، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹، ص: ۱۵، و انظر: الطقس و المناخ، محمد عياد مقيلی، ليبيا، نشر الجامعة المفتوحة، ۱۹۹۲، ص: ۱۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۲۳ قطرات مائية بالغة فی الصغر، بحيث يمكنها العوم فی الهواء و الانجراف بواسطة تياراته، و لن يكون فی وسع بخار الماء التكثف و التحول إلی قطيرات مرئية، إذا كان يحتويه هواء غاية فی الصفاء و النقاء، إلا أن الهواء لا يخلو فی الواقع من جزيئات الغبار و الدخان و الملح الناجم عن رذاذ مياه البحر، بحيث يقدر محتوی الأنش المكعب منه بالآلاف من هذه الجزيئات، التی تقوم بدورها بإحاطة نفسها بقطيرات من الماء تدعی هذه القطيرات «بنوی التكاثف») «۱». و لقد ذكر علماء المناخ العديد من أنواع السحب، و بسطوا الحديث عن طبائعها و أشكالها و لسوف نقتصر هنا علی نوعين، البساطی (tnemerite) و الركامی (subminolumuc)، و لكن بعد أن نعرض لأهم أنواعها كما ذكر ذلك العلماء.

أنواع السحب من حيث النشأة:

اشارة

أنواع السحب من حيث النشأة: (يمكن تصنيف السحب من حيث النشأة إلی أربع فئات و هی: ۱- الارتفاع التدريجی للهواء فوق مساحات واسعة مع الارتباط بنظام الضغط المنخفض. ۲- الحمل الحراری، بحيث تنتقل الحرارة من طبقة إلی الطبقة المجاورة علی المقياس الركامی المحلی. ۳- الارتفاع بواسطة الاضطرابات الجوية الميكانيكية (قوة الحمل الحراری). ۴- الصعود فوق الحواجز الجبلية) «۲». و لقد صنف (مجموعة من العلماء المختصين السحب إلی نوعين: أولا: السحب البساطية (tnemerite). ثانيا: السحب الركامية (subminolumuc) «۳». _____

۱)) الطقس، فورس إيكك، ترجمة، نبيلة منسی، بيروت، معهد الإنماء العربی، ۱۹۸۱، ص: ۴۹- ۵۰، و انظر: أسرار الأرصاد الجوية الموسوعة العلمية المبسطة، ترجمة، عيسی طنوس، بيروت، دار الحقائق، الطبعة الأولی، ۱۹۸۷، ص: ۳۰. (۲) الغلاف و الطقس و المناخ، بيری شوری، ص: ۱۱۱. (۳) المعارف الكونية، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۵۶، و انظر: معجم المصطلحات الجغرافية، بيار جورج، ترجمة: الدكتور حمد الطفيلی، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۲۴ و ليشرع بالنوع الأول:

السحب البساطية.

السحب البساطية. قال تعالی: اللَّهُ الَّذِی يُرْسِلُ الرِّياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً فَيَبْسُطُهُ فِی السَّماءِ كَيْفَ يَشاءُ وَ يَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَی الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ فَإِذا أَصابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إِذا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ «۱». وقفنا قبل قليل مع هذه الآية الكريمة من جهة تكوين السحب، و عرفنا أن معنی أثار أی أظهر و ليس حرّك، و هذا المعنی يوافق تماما حال إثارة الرياح للسحب و إظهارها، كما أن الآية تشير إلی نوع من

أنواع السحب و هو السحب البساطی، کذلک أشرنا إلیه، و عرفنا رأی المفسرین حول هذه الآیة، و تأکیدا علی هذا النوع من السحب، نورد بعض دراسات العلماء و الباحثین حوله. السحب البساطیة أو الطبقیة: (و هی کما یفهم من اسمها تظهر بشکل طبقات تحجب السماء بأکملها، و لا توجد لها حدود واضحة، و یمکن تشبیهها بالضباب المرتفع، و هی من السحب المنخفضة، و قد تصل قاعدتها فی بعض الأحیان إلی سطح الأرض فتظهر بشکل ضباب، و قد یحدث أن تتکون من الضباب نفسه عند ما یرتفع بتأثیر حرارة الشمس أو الریاح أو کلیهما، و هی من السحب التی قد یصاحبها هطول خفیف من الرذاذ أو حبیبات الثلج، و یکون الهطول عادة متصلا أو متقطعا ... و منها ما یکون رقیقا شفافا لا یحجب الشمس، و منها ما یکون سمیکا معتما، و النوع السمیک منها یصاحبه فی المعتاد هطول من المطر أو الثلج أو خلیط منهما) «۲». و فی کتاب «السحب» ذکر أن السحب تنقسم إلی أربعة عشر نوعا، حسب الشکل الذی تبدو به فی السماء، و جعل السحب البساطیة فی المرتبة السادسة: (السحب المنبسطة: و هی سحب منتشرة أفقیا بشکل طبقة أو صحیفة، نجدها ممثلة فی سحب الرکام المتوسط، و الرکام الطبقی) «۳».

ثانیا: السحب الرکامیة

ثانیا: السحب الرکامیة قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ

(_____ ۱) سورة الروم، الآیة: ۴۸. (۲) الجغرافیة المناخیة و النباتیة، عبد العزیز شرف، الإسکندریة، دار الجامعات المصریة، الطبعة الحادیة عشر، ۱۹۸۵، ص: ۲۰۴- ۲۰۵، و انظر: مدخل إلی علم المناخ، ضاری العجمی و محمود صفر، الکویت، مکتبة الکویت، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۷، ص: ۱۹۰. (۳) السحب، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۸، ص: ۷۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۵

خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». تمثّل هذه الآیة الکریمة إعجازا علمیا رائعا فی علم المناخ و الریاح، و تکوین السحب الرکامیة، فهی تتحدّث عن مراحل تکون السحب الرکامیة، و التی تبدأ بدفع الریاح للسحاب رویدا رویدا، ثم تأتی المرحلة الثانیة و التی تتمثل بتألیف و جمع قطع السحاب، ثم تصبح هذه القطع مرکومة فوق بعضها البعض، و عملیة الرکم هذه تنتج نزول المطر، و بسبب التراکم التصاعدی تنشأ جبال سیارة فی السماء من البرد، و نویات البرد هذه محصورة فی السحب الرکامیة، و لم نقرأ فی السحب البساطیة أنها تحتوی البرد أو البرق و الرعد، ثم إن الآیة تخبر أن هذا البرد له برق، و البرق هو نتیجة حتمیة للبرد و غیر هذه الحقائق و الأسرار تحتویها هذه الآیة، و سوف نری أن العلم وصل بشکل دقیق إلی ما أوضحتها الآیة القرآنیة، بعد ما تطور علم الأرصاد الجویة، و استعمل العلماء أجهزة الاستشعار عن بعد و الرادارات و الأقمار الصناعیة و غیرها، و لکن نقف عند تفسیر الآیة مع علماء التفسیر، و شرح مفرداتها مع اللغویین. یقول ابن کثیر: (یذکر تعالی أنه بقدرته یسوق السحاب أول ما ینشئها و هی ضعیفة، و هو الإزجاء ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ أی یجمعه بعد تفرقه ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متراکما، أی یرکب بعضه بعضا فَتَرَی الْوَدْقَ أی المطر یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أی من خلله ... وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فی السماء جبال برد ینزل اللّه منها البرد ... فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ یحتمل أن یکون المراد بقوله: فَیُصِیبُ بِهِ أی بما ینزل من السماء من نوعی المطر و البرد، فیکون قوله: فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ رحمة لهم وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ أی یؤخر عنهم الغیث، و یحتمل أن یکون المراد بقوله سبحانه: فَیُصِیبُ بِهِ أی بالبرد نقمة علی من یشاء، لما فیه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و یصرفه عمن یشاء أی رحمة بهم، و قوله: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یکاد ضوء برقه من شدته یخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) «۲». و فی تفسیر «روح المعانی»: (أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً الإزجاء سوق الشیء برفق

(_____ ۱) سورة النور، الآیة: ۴۳. (۲) تفسیر القرآن العظیم، ابن کثیر، ۶/ ۶۶، و انظر: الأساس فی التفسیر، سعید حوی، القاهرة، دار السلام، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۹، ۷/ ۳۷۹۲. الإعجاز

القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۶ و سهولة و قیل: سوق الثقیل برفق و غلب علی ما ذکر بعض الأجلة فی سوق شیء یسیر أو غیر معتد به، و منه البضاعة المزجاة أی المسوقة شیئا بعد شیء علی قلة و ضعف، و قیل: أی التی تزجی أی تدفع للرغبة عنها، ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ بأن یوصل سحابة بسحابة، و قال غیر واحد: السحاب واحد کالعماء و المراد یؤلف بین أجزائه و قطعه، و هذا لأن بَینَه لا تضاف لغیر متعدد، و بهذا التأویل یحصل التعدد ... ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متراکما بعضه فوق بعض فَتَرَی الْوَدْقَ أی المطر شدیدا کان أو ضعیفا إثر تراکمه و تکاثفه، یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ أی من فتوقه و مخارجه التی حدثت بالتراکم و الانعصار، و هو جمع خلل کجبال و جبل ... وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ أی من السحاب، فإن کل ما علاک سماء، و کأن العدول عنه إلی السماء للإیماء إلی أن للسمو مدخلا فیما ینزل، بناء علی المشهور فی سبب تکون البرد، و جوز أن یراد بها جهة العلو و للإیماء المذکور ذکرت مع التنزیل مِنْ جِبالٍ أی من قطع عظام تشبه الجبال فی العظم علی التشبیه البلیغ ... لأن اللّه تعالی خلق فی السماء جبالا من برد کما خلق فی الأرض جبالا من حجر، و لیس فی العقل ما ینفیه من قاطع فیجوز إبقاء الآیة علی ظاهرها کما قیل ... فَیُصِیبُ بِهِ أی بما ینزل من البرد مَنْ یَشاءُ أی یصیبه فیناله ما یناله من ضرر فی ماله و نفسه وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ أن یصرفه عنه فینجو من غائلته، و رجوع الضمیرین إلی البرد هو الظاهر ... یَکادُ سَنا بَرْقِهِ أی ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الإزجاء و التألیف و غیرهما، و إضافة البرق إلیه قبل الإخبار بوجوده فیه، للإیذان بظهور أمره و استغنائه علی التصریح به و رجوع الضمیر إلی البرد أی برق البرد الذی یکون معه لیس بشیء، و تقدم الکلام فی حقیقة البرق فتذکر، سَنا ممدودا سَنا بَرْقِهِ بضم الباء و فتح الراء جمع برقة بضم الباء و هی المقدار من البرق کالغرفة و اللقمة ... و هو هنا کنایة عن قوة الضوء، یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یخطفها من فرط الإضاءة و سرعة ورودها، و فی إطلاق الأبصار مزید تهویل لأمره و بیان لشدة تأثیره فیها، کأنه یکاد یذهب بها و لو عند الإغماض، و هذا من أقوی الدلائل علی کمال القدرة، لأنه تولید للضد من الضد) «۱». و هناک بعض المفردات الواردة فی الآیة الکریمة، ستأخذ معانیها من المعاجم، مثل: یزجی، و یؤلف و سنا، و رکام، أما معنی یزجی، ففی «لسان العرب»: (التزجیة،

(_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۱۸/ ۱۹۹- ۲۰۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۷ دفع الشیء کما تزجی البقرة ولدها أی تسوقه، و یقال: أزجیت الشیء إزجاء، أی دافعت بقلیله، و یقال: أزجیت أیامی زجیتها أی دافعتها بقوت قلیل ... و الریح تزجی السحاب أی تسوقه سوقا رفیقا) «۱». و أما معنی یؤلف، ففی «مفردات ألفاظ القرآن»: (الإلف، اجتماع مع التئام، و المؤلّف، ما جمع من أجزاء مختلفة) «۲». و معنی الرکام: (رکم الرکم، جمعک شیئا فوق شیء حتی تجعله رکاما مرکوما، کرکام الرمل و السحاب و نحو ذلک، من الشیء المرتکم بعضه علی بعض، رکم الشیء یرکمه إذا جمعه و ألقی بعضه علی بعض، و هو مرکوم بعضه علی بعض ... و فی التنزیل العزیز ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً یعنی السحاب) «۳». و أما معنی سنا: (سنا، سنت النار تسنو سناء، علا ضوؤها، السنا مقصور ضوء النار و البرق و قد أسنی البرق، إذا دخل سناه علیک بیتک، أو وقع علی الأرض، أو طار فی السحاب) «۴». هذا معنی الآیة کما ورد فی کتب المفسرین، و معاجم اللغویین، و هذا هو الوصف العلمی للسحب و خصائصها و نتائجها، و لقد أوضح القرآن الکریم هذه الحقائق فی آیة سورة النور هذه، و لدی عرضنا للآیة و تمعننا فیها بشکل دقیق، سنلحظ هذه القراءة العلمیة فی الآیة الکریمة، و هی تتحدث عن تکوین السحب، و عملیة تراکمه، ثم کیف یخرج المطر منه و ینزل البرد علی من یرسله من عباده و یصرفه عمن یشاء من عباده سبحانه و تعالی، و إنه حقا لوصف قرآنی عجیب و دقیق للسحب الرکامیة التی أشیر إلیها آنفا، و بنظرة دقیقة فی الآیة الکریمة تتّحد معطیاتها کما یلی: أولا- تقرر الآیة الکریمة أن أوّل مرحلة من مراحل تکوین السحاب الرکامی، إنما تکون بدفع الهواء للسحاب بشکل هادئ، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً أی یسوق السحاب إلی حیث یشاء فالإزجاء هو السوق کما قرر ذلک علماء اللغة و التفسیر.

(_____ ۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۲/ ۲۶۲. (۲) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۸۱. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۱۲/ ۲۵۱. (۴) المصدر نفسه، ۱۴/ ۴۰۳،

و انظر: کتاب العین، للفراهیدی، ۷/ ۳۰۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۸ ثانیا: بعد سوقه و تجمیع أجزائه ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ أی یجمعه، فالتألیف هو الجمع، و تلک هی المرحلة الثانیة من تکوین السحابة الرکامیة، فالحق عز و جل یجمع بین السحب المتوزعة لتکون سحابة واحدة، و ثُمَّ للترتیب مع التراخی، أی تحتاج عملیة تألیف السحب و جمعها إلی شیء من الوقت، و الإشارة العجیبة هنا فی التألیف، و هل یکون التألیف إلا بین المتنافرین، فکذلک یکون التألیف فی السحابة بین الشحنات الکهربائیة السالبة و الموجبة. ثالثا: ثم تأتی عملیة رکم السحاب بعضه علی بعض، ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً أی متجمعا، یرکب بعضه فوق بعض، و تلک هی المرحلة الثالثة فی تکوین السحاب الرکامی بالنمو الرأسی کما أثبت العلم. رابعا: کما أن الآیة تشیر إلی نزول المطر عند تکامل الرکم، فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ الودق، المطر مِنْ خِلالِهِ بمعنی من فتوقه و مخارجه، و هذا الذی أشارت إلیه أبحاث الأرصاد من مراحل نزول المطر فی السحاب الرکامی بعد تمام مرحلة الرکم، أی بعد أن یضعف الرفع فی السحاب، أو ینعدم فینزل المطر علی الفور، فیخرج المطر من مناطق الخلل فی جسم السحابة. خامسا: ثم إن الآیة تتحدّث عن نشوء جبال من البرد فی السماء، جراء هذا الرکام الهائل من السحاب، وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ، و قد یصل حجم حبات البرد إلی حجم البرتقالة و بذلک یکون المعنی، و ینزل من السماء بردا أی من جبال لا بد و أن یکون فیها شیء من برد، و الجبال هی السحب الرکامیة التی فی شکل الجبال. سادسا: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ ففی الآیة إشارة علمیة واضحة إلی أن البرد یولد البرق، و هذا ما أثبته العلم، حیث یقوم البرد بتوزیع الشحنات الکهربائیة فی جسم السحابة أثناء صعوده و هبوطه، ثم یقوم بالتوصیل بین الشحنات الکهربائیة المختلفة، فیحدث تفریغا کهربیا هائلا و لهذا نسب اللّه البرق إلی البرد.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: تحدّث علماء المناخ عن السحاب الرکامی بشکل مستفیض، خاصة و أن الأجهزة الحدیثة سهلت علیهم الکثیر من العقبات، کما أنها وفّرت لهم کمّا هائلا من المعلومات التی کانت فی عالم المجهول بالنسبة لهم، و لسوف نستعرض بعضا مما قدمه العلماء الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۲۹ من خلال تجاربهم و أبحاثهم فی الحدیث عن السحاب الرکامی، لنری أن ما وصلوا إلیه هو ذاته الذی حدثتنا عنه آیة النور المعجزة.

أنواع الغیوم:

أنواع الغیوم: (جرت العادة علی تقسیم أنواع الغیوم إلی أربعة أنواع رئیسیة، کل منها یقسم إلی عدة أقسام فرعیة، و تشمل الأصناف التالیة: ۱- الغیوم العالیة: و تتکون من بلورات جلیدیة، و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین أکثر من ۶ کم فی المناطق المداریة، إلی أکثر من ۳ کم فی العروض العلیا. ۲- الغیوم المتوسطة: و یتراوح ارتفاع قاعدتها ما بین ۳، ۵ کم فی العروض المداریة إلی حوالی ۲ کم فی العروض العلیا. ۳- الغیوم المنخفضة: و یتراوح ارتفاع قاعدتها من سطح الأرض إلی حوالی ۲ کم فی العروض المختلفة. ۴- الغیوم التراکمیة: و تشمل غیوم ذات امتداد عمودی، مثل الغیوم التراکمیة الصغیرة الحجم التی تظهر أثناء الطقس المعتدل، أو الغیوم السمحاقیة التی یتجاوز امتدادها العمودی فی المناطق المداریة ۱۳ کم، و یصاحب هذه الغیوم العواصف الرعدیة و الأمطار الغزیرة) «۱». و نجد فی موسوعة المعارف الکونیة الحدیث عن السحب الرکامیة، و مما جاء فیها: (و منها السحب الرکامیة العادیة فی الطقس الصباحی، و السحب الرکامیة الضخمة الماطرة، و یتشکل هذان النوعان فی الطبقة السفلی فی الجو علی ارتفاع حوالی ۱ کم، و قمّتها فی الطبقة العلیا بحدود ۵- ۸ کم ... و أما مقدارها الأفقی فیتراوح من ۱- ۱۰ کم للنوع الأول، و بضع عشرات الکیلومترات للنوع الثانی و یلعب الانتقال الرأسی إلی أعلی للکتل الهوائیة بسرعة ۱۰ متر/ ثانیة، دورا ضخما فی تکوینها و خلافا للسحب البساطیة، فإن فترة انتقالها محدودة و تقاس بالساعات أو بعشرات الدقائق، و السحب الرکامیة الضخمة الماطرة التی تتمیز أبعادها الکبیرة و ارتفاعها الزائد

(_____ ۱) مبـادئ المنـاخ الطـبيعی، إبراهيم العرود، عمان، دار الشـروق، الطبعـة الأولی، ۱۹۹۷، ص ۱۴۷، و انظر: العلوم الجويـة و تطبيقاتها، محمـد أحمد الشـهاوی، القاهرة، دار الفكر العربی، الطبعـة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۵۱. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـديث، ص: ۳۳۰ كالجبال ... تسـبب هطولات قوية و بردا لمدة قصـيرة تقدّر بعشـرات الدقائق لكنها غزيرة ... و السحاب الركامی الضخم الممطر يشبه الجبال، و قد يجود بـالبرد فی العواصف الصـيفية ... و هطولات البرد محليـة لدرجـة أنها قـد تصـيب حقلا و تترك حقلا مجاورا، و تسـبب أضـرارا جسـيمة للمزروعات و المبانی و الكائنات الحيـة، حيث يصل قطرها أحيانا إلی قطر البرتقالة أو الرمان) «۱». كما أن العلماء تحدّثوا عن تشـكل البرد، و أوضـحوا أن البرد إنمـا يتم تكوينه داخل السـحب الركاميـة، و هـذا ما صـرحت به الآيـة الكريمـة، ففی كتاب «أسـرار الأرصاد الجويـة» نجـد هذا المعنی بكل جلاء: (يتكون المطر داخل الغيوم، و تتحول قطرات الماء إلی جليد إذا انخفضت درجة حرارة الغيمة إلی أقل من الصفر، و يمكن أن يؤدی ذلك إلی تساقط البرد، و ينشأ البرد عادة فی الغيوم الكبيرة التی تشبه زهرة القنبيط (غيوم الركام) حيث تحدث داخل الغيمة تيارات عمودية قوية، فتتجمد قطرات الماء و تبدأ بالسقوط، لكن التيار الصاعد يرفعها ثم تهبط قليلا و تصـعد، مما يؤدی إلی تضـخمها و تحولها إلی جليـد، و هكـذا فإن لقطعـة البرد نواة صـغيرة مؤلفـة من عدة طبقات، و عند ما يغلب وزنها قوة التيارات الصاعدة، يتساقط البرد علی الأرض، و كل كتلة من الجليد نسـميها حبة برد، يتفاوت حجمها، منها الكبير و الصغير، و بلغ وزن بعض حبات البرد ۳۰۰ غرام، و هی قادرة علی تحطيم النوافذ و إتلاف المحاصـيل) «۲». و أكد العلماء أن السحب الركامی فقط يحتوی علی البرق و الرعد، و هذا ما قررته الآية الكريمة المعجزة، جاء فی كتاب «العواصف و الأعاصـير»: (العاصـفة الرعدية هی ظاهرة جويـة كهربائية، و هی من التفريغات الكهربائية الفجائية التی تظاهرها ومضة ضوئية (البرق) و صوت حاد (الرعد) و تتمثل غيوم العواصف الرعديـة، بغيوم الركام المزنی فقط، لما تتّصف به من نمو رأسـی كبير، و فعاليـة كهربائيـة شديـدة، فهی إن دلت فإنها تـدل علی حالـــــة اضـــــطراب عنيفـــــة فی الجـــــو، و عـــــدم اســـــتقرار شديـــــد فی أعمـــــاق كـــــبيرة من (_____ ۱) المعارف الكونيـة، إعداد نخبة من العلماء، ص ۳۶۰، و انظر: الأرصاد الجويـة، محمـد الهونی و إبراهيم سويـدان، ليبيا، نشـر القوات البحرية، ۱۹۷۹، ص: ۲۸. (۲) أسرار الأرصاد الجوية، موسوعة علمية مبسـطة، ص: ۵۲، و انظر: الطبيعـة الجويـة، محمـد جمال الدين الفندی، الكويت، مكتبة الفلاح الطبعة الثانية، ۱۹۷۷، ص: ۲۰۰. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاكتشـاف العلمی الحـديث، ص: ۳۳۱ الجو، و توفّر رطوبـة عاليـة، و لـذا لاـ بد لتشكّل غيوم العواصف الرعدية من وجود قوة رفع شديدة للهواء الرطب) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: من الـذی أخبر رسول اللّه صـلی اللّه عليه و سـلم بهـذه المراحل المتعـددة فی تكوين السـحب، و فی هذا الوصف الدقيق من تراكم السـحب، و نزول المطر من خلالها، و كيف تتخذ شكلا جبليا الذی ينزل منه البرد، ثم تفرز برقا يكاد أن يذهب بالأبصار ... إن وسائل علم الأرصاد الجوی لم تكن موجودة فی البيئـة الرمليـة القاحلـة التی بعث فيها محمد صـلی اللّه عليه و سـلم، إنه وحی السـماء، أنزلـــــــه الـــــــذی يعلـــــــم الســـــــر و أخفی. صـــــــورة تظهر الســـــــحاب الركـــــــامی «۲» (_____ ۱) العواصف و الأعاصير، علی حسن موسـی، دمشـق، دار الفكر، ۱۹۸۹، ص: ۷۹. (۲) dip cipwohs od yrellaG eman? php. z/ sw. oooziz:// ptth ۱۲۷۱ D etad ybredro. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحـديث، ص: ۳۳۲ صورة يتضح فيها السحاب البساطی و الـذی يحمـل الأمطـار «۱ (_____». ۱) D ptth://oooziz .sw/ .z ?php eman yrellaG od cipwohs dip- ۱۷۲۱ -ybredro .etad . الإعجاز القرآنی فی

ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۳

المبحث الثالث البرق و البرد بین القرآن و العلم

اشارة

المبحث الثالث البرق و البرد بین القرآن و العلم قال سبحانه و تعالی: هُوَ الَّذِی یُرِیکُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَ طَمَعاً وَ یُنْشِئُ السَّحابَ الثِّقالَ (۱۲) وَ یُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَ الْمَلائِکَةُ مِنْ خِیفَتِهِ وَ یُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَیُصِیبُ بِها مَنْ یَشاءُ وَ هُمْ یُجادِلُونَ فِی اللَّهِ وَ هُوَ شَدِیدُ الْمِحالِ (۱۳) «۱». تبرز الآیة الکریمة مظهرا من مظاهر قدرة اللّه سبحانه و تعالی، و هذا مظهر یتمثّل فی آیة من آیات الله، إنه البرق. (و البرق: الذی هو لمعان السحاب) «۲»، و هو ذو جناحین، جناح فاض بالبشری و الحبور، لأنه یبشّر بهطول المطر و درّ الغیث من السماء لتنتشر الرحمة علی العباد، و جناح یحمل الإنذار، و یدخل الهلع و القلق علی النفوس، فترتعد الفرائص، و تصفرّ الوجوه و تنزوی القوی. البرق الشدید و الصواعق قد تکون سببا فی إحداث الضرر

(۱) سورة الرعد، الآیتان: ۱۲، ۱۳. (۲) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص ۱۱۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۴ فالله سبحان تعالی یرینا البرق الذی یحمل هذین المعنیین- الخوف و الطمع- لتلهج ألسنتنا بذکر اللّه و تسبیحه و تحمیده، لأن الکون کله یسبح اللّه من ملائکة و رعد و برق و شجر و حجر، لکننا نحن معاشر البشر لا ندرک کنه هذا التسبیح حقیقة، و یرسل العزیز الجبار الصواعق فیصیب بها من یشاء من عباده و یعذب بها من یرید، لیعلم الذین غفلوا عن اللّه أن اللّه شدید المحال، شدید البطش و القوة یحکم ما یرید و یفعل ما یشاء. و لقد أشار الحق سبحانه و تعالی إلی أن البرق و الصواعق التی یرسلها تسبب الهلاک و الموت. قال تعالی: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ «۱». فالصواعق قاتله، و مهلکة للممتلکات و مزهقة للأرواح، و مدمرة لقواعد البشر المعمریة و العملیة و البریة و البحریة ... زد علی ذلک فإن الشحنات الکهربائیة التی تصدر عن البرق، تؤدّی إلی العمی قال تعالی فی ذلک: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ. إن هذه الحقائق التی ذکرها القرآن الکریم عن الصواعق و البرق و الرعد، معجزة کشف العلم عنها یوم توفّرت له أجهزة البحث المتطورة ... و الآیة الکریمة أخذت معنا مبحثا کاملا و کنا قد استعرضنا آراء المفسرین و اللغویین فیها، إلا أننا نورد هنا قولا واحدا فیما یتعلق بالبرد و البرق فی هذه الآیة الکریمة، یقول ابن کثیر: (وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ معناه أن فی السماء جبال برد ینزل اللّه منها البرد ... یَشاءُ یحتمل أن یکون المراد بقوله: فَیُصِیبُ بِهِ أی بما ینزل من السماء من نوعی المطر و البرد، فیکون قوله: فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ رحمة لهم وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ أی یؤخر عنهم الغیث، و یحتمل أن یکون المراد بقوله سبحانه: فَیُصِیبُ بِهِ أی بالبرد نقمة علی من یشاء، لما فیه من نثر ثمارهم و إتلاف زروعهم و أشجارهم و یصرفه عمن یشاء أی رحمة بهم، و قوله سبحانه: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ أی یکاد ضوء برقه من شدته یخطف الأبصار إذا اتبعته و تراءته) «۲» (

۱). سورة النور، الآیة: ۴۳. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۶۶، و انظر: التفسیر الکاشف، محمد جواد مغنیة، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الرابعة ۱۹۹۰، ۴/ ۳۸۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۵ و لنأخذ مفردتین من الآیة و نری معناهما اللغوی، برق، و رعد. أما البرق، فهو: (البرق، واحد بروق السحاب، و البرق الذی یلمع فی الغیم، و جمعه بروق و برقت السماء تبرق برقا، و أبرقت جاءت ببرق، و البرقة، المقدار من البرق و قرئ: یکاد سنا برقه فهذا لا محالة جمع برقة، و مرت بنا اللیلة سحابة براقة و بارقة، أی سحابة ذات برق) «۱». و أما الرعد، فمعناه: (الصوت الذی یسمع من السحاب، و أرعد القوم و أبرقوا، أصابهم رعد و برق، و

رعدت السماء ترعد و ترعد رعدا و رعودا و أرعدت، صوتت للإمطار) «۲». و من الممکن أن نستخلص بعض المعطیات من الآیة القرآنیة، ثم سنری أن ما حددته الآیة من حقائق علمیة، جاء العلم لیثبته و یکتشفه فی عصرنا. أولا: تحدد الآیة الکریمة وجود البرد فی السحب الرکامیة علی وجه الخصوص. ثانیا: أثبتت الآیة أن للبرد برقا، و أن البرد هو الذی یسبب حصول البرق، و ذلک فی قوله سبحان و تعالی: یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ، فالضمیر فی بَرْقِهِ یعود إلی أقرب مذکور، ألا و هو البرد، و العجب أن جلّ المفسرین رضی اللّه عنهم، أرجعوا الضمیر إلی السحاب، و لیس إلی أقرب مذکور «البرد». ثالثا: أشارت الآیة الکریمة إلی أن لمعان البرق یؤدی إلی العمی، یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ و هذا ما أکّده العلماء علی ما سنری.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: تحدّث العلماء و بإسهاب شدید عن البرد و البرق، و أوضحوا أن السحب الرکامیة هی وحدها التی یکون فیها البرد، و الذی بسببه یحصل البرق، ففی «موسوعة المعارف الکونیة»: (لقد ثبت علمیا أن جمیع السحب مشحونة کهربائیا، و تبلغ الشحنات أقصاها فی السحب الرکامیة العاصفیة ... و تبعد الواحدة عن الأخری من ۱ إلی ۱۰ کم، و الصاعقة مؤلفة من بروق متعددة، تم تصویرها بآن واحد تشکل معظمها بین السحب و سطح الأرض، و لکن یوجد منها ما یتشکل بین السحب نفسها و تسمی هذه بالبروق

(_____ ۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۰/ ۱۴. (۲) المصدر نفسه، ۳/ ۱۷۹، و انظر: کتاب العین، للفراهیدی، ۲/ ۳۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۶ الخطیة و التی یصل فیها طول الخط الواحد بضعة کیلومترات، و قد تتمحض العاصفة عن عدة آلاف عملیة من عملیات التفریغ الکهربی (البرق) و قد یصل طول الشرارة الواحدة ۱، ۵ کم، عند ما یتم التفریغ بین السحابة و الأرض (صاعقة)، أما طولها عند ما یحدث التفریغ بین السحب فهو یزید عن ذلک کثیرا، و عند ما تکون الصاعقة قریبة منا لا یصعب تمییز تفرغ الشرارات و تعددها فی کل اتجاه، و قد تستغرق الواحدة منها زهاء ثانیة کاملة قبل أن یتلاشی ومیضها، و قد یتعذر علینا رؤیة الشرارة نفسها حیث تضیء السحب و السماء فجأة بنور ساطع یطلق علیه أحیانا اسم صحائف البرق) «۱». و نفس الحقائق فی کتاب «أسرار الأرصاد الجویة»: (العواصف ظواهر عنیفة من حالات الطقس مصحوبة بالبروق و الصواعق و سقوط البرد و الأمطار الغزیرة، تنشأ العواصف داخل الکتل السحب الضخمة من نوع الرکام، التی یصل ارتفاعها من ۱۰- ۱۶ کم، و تبلغ حرارة قمة الغیمة- ۵۰ درجة فی أوربا، و- ۷۲ درجة فی خط الاستواء، تحدث داخل الغیمة حرکات صعود و هبوط و تتشکل عندها قطرات البرد، و إن عدم التوازن داخل الغیمة یعود إلی الشحن الکهربائیة الموجبة و السالبة، تکون قمة الغیمة مشحونة إیجابیا، و قاعدتها مشحونة سلبیا کمدخرة، و أحیانا یکون شحن الغیمة معکوسا، و عند ما یحدث خلل فی التوازن علی السطح الخارجی للغیمة، أی بین القاعدة المشحونة سلبیا و الأرض المشحونة إیجابیا، أو بین قاعدة الغیمة السالبة و الأرض الموجبة، و اعتبارا من اللحظة التی یحصل فیها تصادم مباشر بین منطقتین سالبة و موجبة یحدث التفریغ الکهربائی و ینطلق البرق) «۲». و عند ما یتحدث العلماء عن نشأة الشحنات الکهربائیة فی الغیوم الرعدیة، فإنهم یجعلونها تعتمد علی مفهومین أساسیین، أولهما: (إن قطرات الماء فوق المبردة أثناء تجمدها، تأخذ بالتجمد باتجاه الداخل بدءا من سطحها، و هذا یؤدی إلی إبقاء داخلها (لبها) أدفأ من سطحها، و یکون داخلها الأدفأ مشحونا بشحنة سالبة، شوارد HO، فی حین یکون سطحها الأبرد موجب الشحنة بسبب هجرة شوارد الهیدروجین H+ مع انخفاض تدرج الحرارة.

(_____ ۱) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص: ۳۷۰. (۲) أسرار الأرصاد الجویة، موسوعة علمیة مبسّطة، ص: ۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۳۷ ثانیهما: أنه عند ما تتفتت حبات البرد الهشّة أثناء عملیة التجمد، فإن شظایا الجلید الصغیرة الحاملة لشحنات موجبة، تنطلق مندفعة إلی أعلی حجیرة الحملان مع التیارات الصاعدة، و هذا ما یفسر کون الجزء الأعلی من الغیمة الرعدیة، الذی درجة حرارته

دون- ۲۰ درجة ذو شحنة إيجابية، و بالمثل فإن كريات البرد الأثقل المشحونة سلبيا تسقط باتجاه قاعدة الغيمة لتكسبها شحنتها الكهربائية السالبة و هناك عملية أخرى يمكن بفعلها أن تتولد الشحنات الكهربائية فى الغيمة الرعدية، تقوم على ما ينتج من التصادم الحاصل بين بلورات الجليد الباردة، و كريات البرد الهش الأحرّ، إذ ينجم عن التراكم الجارى لقطرات الماء فوق المبرد على كريات البرد، نشوء سطوح غير منتظمة تتسخن نتيجة انطلاق الحرارة الكامنة فى قطرات الماء عند تجمدها، و يتولد من جراء صدمات بلورات الجليد الباردة لهذه السطوح غير المنتظمة تولد شحنات سالبة تكتسبها تلك السطوح، بينما تكتسب البلورات الجليدية الأبرد شحنة موجبة، و مرة أخرى تأخذ تأثيرات ظاهرة الفعل الجاذبى الثقالى دورها فى توزع الشحنات الكهربائية فى داخل الغيمة) «۱». و نفس المعنى فى كتاب «الأرصاد الجوية»: (تتكون العاصفة الرعدية بصفة عامة من برق و رعد و رياح قوية مصحوبة بأمطار غزيرة و برد و كرات من الثلج، و تحدث السحب الركام المزنى السوداء الضخمة، و تستمد العاصفة الرعدية الجزء الأكبر من طاقتها من الحرارة الكامنة الناتجة من تكثف بخار الماء فى الغلاف الجوى، و العوامل المساعدة لتكوينها هى: ۱- وجود كميات من بخار الماء فى الغلاف الجوى. ۲- تكثف بخار الماء و انطلاق الحرارة الكامنة منه. ۳- حالة عدم استقرار فى الغلاف الجوى. ۴- وجود تيارات صاعدة قوية) «۲» (_____). ۱) العواصف الرعدية، على موسى، ص ۹۰- ۹۱، و انظر: الجو و تقلباته، على حسن موسى، دمشق، دار الفكر، ۱۹۸۸، ص ۱۱۴. (۲) الأرصاد الجوية، محمد أحمد النطاح، ليبيا، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولى، ۱۹۹۰، ص: ۳۷۱. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۳۸

الإعجاز:

الإعجاز: هذه بعض أقوال علماء المناخ، و لا داعى لسرد المزيد مما توصل إليه العلماء فى هذا المجال من نتائج حول السحب الركامية، و ما تتضمن من برد و برق و رعد، و لكن لنتساءل هل كان فى عهد محمد صلى اللّه عليه و سلم أجهزة الاستشعار عن بعد حتى قرر هذه الحقائق، أم هل كان لديه مكوك فضائى و أقمار اصطناعية ليرسل تلامذته إلى الفضاء كى يصور له هذه الحقائق عن السحب و ما حوت؟ إن هذا التوافق المدهش بين ما سجلته الآية الكريمة حول السحب الركامية و خصائصها، و بين ما وصل إليه العلم ليدل دلالة قاطعة على صدق نبوة محمد صلى اللّه عليه و سلم من جهة، و على أن ما جاء به هو من عند اللّه تعالى، أ فلا ينبغى على رواد العلوم و المعارف أن يحنوا رءوسهم إجلالا لهذه المعجزات القرآنية العظيمة. إنها ومضات سريعة تعرفنا من خلالها على الرياح و أنواعها و الريح و عواقبها، و السحب و أشكالها و على البرق و الرعد و الصواعق، فكل هذه من جنود اللّه العظيم، لينبه بها عباده ليتقوه و يخافوه. صورة تظهر الصواعق و البرق و الرعد «۱» (_____). ۱) أخذت هذه الصورة من كتاب المعارف الكونية، إعداد مجموعة من العلماء، ص ۳۷۳. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۳۹

الفصل التاسع الإعجاز القرآنى فى الجبال

اشارة

الفصل التاسع الإعجاز القرآنى فى الجبال تمهيد. المبحث الأول: تكوين الجبال. المبحث الثانى: الجبال تحافظ على توازن الأرض. المبحث الثالث: الرواسى الشامخات و الماء الفرات. المبحث الرابع: حركة الجبال و تعدد صخورها. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۴۱

تمهید

تمهید الجبال کلمة تدل علی الشموخ و الکبریاء، و وصف یخیب من حاول الاتصاف به إلا الجبال، فهی التی تنزوی أمامها رقاب الجبابرة، و تنقطع لدیها الأعناق المشرئبة التی تحاول أن تطیل شموخها، و فی ذلک یخاطب الحق تبارک و تعالی أولئک الذین یمشون فی الأرض متبخترین متکبرین قائلا: وَ لا تَمْشِ فِی الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّکَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا «۱». و مع تلک العظمة التی اتصفت بها الجبال فإن الحق ساقها فی معرض المدح و الثناء، و معرض ضرب الأمثال فی العبودیة و الخشوع لسلطان القرآن و أنوار البیان، قال تعالی: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ وَ تِلْکَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ یَتَفَکَّرُونَ «۲». إلا أن الجبال لم تغترّ بعظمتها، و لم تتباه بمظاهر الرفعة و الإباء التی أودعها اللّه فیها، فلما عرض الحق جل جلاله الأمانة علیها، تسرّب إلیها الرعب و داخلها الخوف، لشدّة تحمل الأمانة و المسئولیة و التکالیف السماویة، فآثرت أن تنقاد للحق طواعیة دون اختیار أو عزم، لأنها أدرکت بصدق ثقل الأمانة، و هو موقف الحساب و موطن الجزاء یوم الدین، قال اللّه سبحانه و تعالی: إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ عَلَی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَیْنَ أَنْ یَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ کانَ ظَلُوماً جَهُولًا «۳». إذن، جدیر بالباحثین أن یحرکوا الطاقة العقلیة و العلمیة فی دراسة هذه الآیة الدالة علی بدیع صنع الله، و تألق مخلوقاته، لیصلوا إلی مقام التفکر الذی أمروا به، و من ثمّ إلی مقام الخشوع و الولاء المطلق للخالق العظیم سبحانه و تعالی.

(_____ ۱) سورة الإسراء، الآیة: ۳۷. (۲) سورة الحشر، الآیة: ۲۱. (۳) سورة الأحزاب، الآیة: ۷۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۲ و سوف یتناول فی هذا المبحث بعونه تعالی، الحدیث عن تکوین الجبال و کیفیة نشأتها، و ما توصل إلیه الباحثون فی ذلک و ما قد قرره کتاب اللّه عز و جل، و من ثم یتحدث عن أبرز و أهم فوائد الجبال ألا و هی محافظتها علی توازن الکرة الأرضیة، و کیف أن الحق تبارک و تعالی جعلها سببا فی تثبیت الأرض و اتزانها، ثم ینتقل لتحلل العلاقة الوثیقة بین الجبال الشامخات الشاهقات و بین الماء العذب الفرات، و السر فی أن القرآن یقرن بینهما، فی حین إذا ذکر الجبال دون وصف الشامخات لا یأتی بهذا الربط، و یختم الحدیث عن الجبال بالإشارة إلی حرکتها و تعدد صخورها و ألوانها، بین القرآن و العلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۳

المبحث الأول تکوین الجبال

اشارة

المبحث الأول تکوین الجبال قال تعالی: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ «۱». و قال سبحانه: وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِکُمْ «۲». و قال جل ثناؤه: وَ هُوَ الَّذِی مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ وَ أَنْهاراً «۳». تتحدّث هذه الآیات عن نشأة الجبال و تکوینها، فبعد أن مدّ اللّه سبحانه و تعالی الأرض و بسطها جعلت تمید، فألقی فیها رواسی شامخات لیثبتها من حرکتها المضطربة، لیتسنّی للمخلوقات التی أودعها اللّه فیها العیش الهادئ الهانئ. و الإعجاز العلمی فی قوله تعالی: وَ الْقِیَ و الإلقاء کما نعلم یکون من أسفل إلی أعلی، کما فی قوله تعالی: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ ما فِیها وَ تَخَلَّتْ (۴) «۴»، و من الأعلی إلی الأسفل، و من النوعین کانت نشأة الجبال، و فی نظرة لما قاله المفسرون تزداد الصورة بیانا و وضوحا. یقول الطبری: (و جعل فی الأرض جبالا ثابتة، و الرواسی، جمع راسیة و هی الثابتة، یقال: منه أرسیت الوتد فی الأرض، إذا أثبته) «۵». و فی «روح المعانی»: (و جعل فیها رواسی، أی جبالا ثوابت، من الرسو، و هو ثبات الأجسام الثقیلة، و لم یذکر الموصوف لإغناء غلبة الوصف بها عن ذلک ... و أما الارتفاع فله سبب بالذات و سبب بالعرض، أما الأول: فکما إذا نقلت الریح الفاعلة

(_____ ۱) سورة ق، الآیة: ۷. (۲) سورة النحل، الآیة: ۱۵. (۳) سورة الرعد، الآیة: ۳. (۴) سورة الانشقاق، الآیتان ۳، ۴. (۵) جامع البیان، للطبری، ۳۱/ ۶۳، و انظر: تفسیر غریب القرآن، عبد اللّه بن مسلم بن قتیبة، بیروت، دار الهلال، ۱۹۹۱، ص: ۲۴۲. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۴ للزلزلة طائفة من الأرض و جعلتها تلا- من التلال، و أما الثانی: فأن یکون الطین بعد تحجره مختلف الأجزاء فی الرخاوة و الصلابة، و تتفق میاه قویة الجری أو ریاح عظیمة الهبوب، فتحفر الأجزاء الرخوة و تبقی الصلبة ثم لا تزال السیول و الریاح تؤثر فی تلک الحفر إلی أن تغور غورا شدیدا، و یبقی ما تنحرف عنه شاهقا، و الأشبه أن هذه المعمورة قد کانت فی سالف الدهر مغمورة فی البحار، فحصل هناک الطین اللزج الکثیر ثم حصل بعد الانکشاف و تکونت الجبال) «۱». و یقول الرازی: (و الاستدلال بأحوال الجبال و إلیه الإشارة بقوله سبحانه: وَ جَعَلَ فِیها رَواسِیَ من فوقها ثابتة باقیة فی أحیازها، غیر منتقلة عن أماکنها، یقال: رسا هذا الوتد و أرسیته و المراد ما ذکرنا) «۲». و فی تفسیر «السراج المنیر»: (و ألقینا فیها رواسی، أی جبالا ثوابت کانت سببا لثباتها، و خالفت عادة المراسی فی أنها من فوق، و المراسی التی تعالجونها أنتم من تحت) «۳». رسم بیانی لامتداد القارات و الجبال فی النطاق الأرضی إضعاف الأجزاء البارزة منها علی السطح (_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۱۳/ ۱۱۳، و انظر: الفتوحات الإلهیة، سلیمان بن عمر العجیلی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ ۴/ ۳۱۵. (۲) التفسیر الکبیر، للرازی، ۱۹/ ۸. (۳) السراج المنیر، للخطیب الشربینی، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، د. ت، ۴/ ۸۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۵ و نجد المعنی ذاته فی المعاجم لو بحثنا عن الرواسی، ففی لسان العرب: (رسا الشیء یرسو رسوا و أرسی ثبت، و أرساه هو، و رسا الجبل یرسو إذا ثبت أصله فی الأرض، و جبال راسیات و الرواسی من الجبال الثوابت الرواسخ ... راسیة و رست قدمه ثبتت فی الحرب، و رست السفینة ترسو رسوا بلغ أسفلها القعر و انتهی إلی قرار الماء فثبتت و بقیت لا تسیر) «۱». و فی «المصباح المنیر»: (رسا الشیء یرسو رسوا و رسوا، ثبت فهو راس، و جبال راسیة و راسیات و رواس، و أرسیته بالألف للتعدیة، و رست أقدامهم فی الحرب، و رسوت بین القوم أصلحت، و ألقت السحابة مراسیها، دامت) «۲». یتسنّی لنا الآن و قد عرضت طائفة من أقوال المفسرین و أصحاب المعاجم، أن یستخلص من معطیات النصوص القرآنیة ما یلی: أولا: عبّر القرآن الکریم عن عملیة نشأة و تکوین الجبال بالفعل «ألقی»، و الإلقاء یکون من أعلی إلی أسفل، کقوله تعالی: وَ أَلْقِ ما فِی یَمِینِکَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا کَیْدُ ساحِرٍ وَ لا یُفْلِحُ السَّاحِرُ حَیْثُ أَتی «۳»، و کقوله سبحانه: وَ أَلْقِ عَصاکَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ کَأَنَّها جَانٌّ وَلَّی مُدْبِراً وَ لَمْ یُعَقِّبْ یا مُوسی لا تَخَفْ إِنِّی لا یَخافُ لَدَیَّ الْمُرْسَلُونَ «۴». و کذلک یکون الإلقاء من أسفل إلی أعلی کقوله تعالی: وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (۳) وَ أَلْقَتْ ما فِیها وَ تَخَلَّتْ (۴) «۵»، و تعتبر هاتان الطریقتان من أبرز الطرق التی تتم من خلالها تشکیل الجبال، و هذا ما سنتعرف علیه بعد قلیل. ثانیا: یستخدم القرآن الکریم أحیانا لفظ (رواسی) عوضا عن (جبال)، و فی ذلک تصریح واضح بأن الجبال هی بمثابة الرواسی للأرض، و التی تثبتها و تقرها.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: سیساق طائفة من أقوال و دراسات علماء الجیولوجیا، و التی سنری من خلال عرضها أن نشأة و تکوین الجبال إنما تتم بفعل الإلقاء من الأعلی إلی الأسفل، کتکوین (_____ ۱) لسان العرب، لابن منظور، ۱۴/ ۳۲۱. (۲) المصباح المنیر، للمقری، ۱/ ۲۲۷. (۳) سورة طه، الآیة: ۶۹. (۴) سورة النمل، الآیة: ۱۰. (۵) سورة الانشقاق، الآیتان ۳، ۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۶ الجبال الرسوبیة، و التی تتکوّن بفعل التعریة بسبب الریاح أو ماء الأنهار و غیرها، أو کتکوین الجبال البرکانیة، و التی تتکون بسبب النشاط البرکانی الذی یقذف و یلقی من داخله إلی الأعلی الحمم و

الفوهات و التى تتحول بعد ملايين السنين إلى جبال. بركان نشط يقذف الحمم من داخله، و يلقى بالأحجار و الصهارة و التى تكوّن الجبال البركانية و سنرى أن هذا هو الذى أثبته العلم فى القرن العشرين، بعد اعتقاد ساد القرون الماضية أن الجبال هى ما نرى فوق البسيطة لا غير، فكشف العلم عن نشأة الجبال و أطوار تكونها، و قد قرر ذلك كتاب ربنا منذ أربعة عشر قرنا، و إليك ما توصل إليه الجيولوجيون فى ذلك: الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۴۷ - بالنسبة لتكوين الجبال الرسوبية، أى الإلقاء من أعلى إلى أسفل، فيقول الدكتور محمد جمال الدين الفندى: (إن المياه تجرى إلى المنخفضات التى تسمى بالبحار الجيولوجيا و تغمرها، و هذه تكون عادة بحارا ضحلة متّسعة ممتدة فى وسط القارات أو أعلى حوافها و تصير قيعانها بمرور الزمن الجيولوجى مأوى لأثقال عظيمة جدا من الرسوبيات، تأتى بها عوامل التعرية من مناطق الارتفاع كالجبال و الهضاب، و كلما عظمت تلك الأحمال هبطت تحت وطأتها قيعان البحار، و تظل هذه الرسوبيات تتراكم هكذا حتى تكون جذور الجبال مستقبلة نتيجة للضغط الشديد، فتلتوى و تنثنى و ترتفع رويدا رويدا طافية فوق مواد المنطقة، التى تحمل القشرة و تفصلها عن باطن الأرض، و أخيرا تطل من سطح الماء، و ينحسر الماء عنها إلى أماكن أخرى مكونا بحارا جيولوجية جديدة، و تلك هى الثورات الجيولوجية أو حركات بناء الجبال) «۱». و يصف العالم الجيولوجى ليون موريه «۲» تكوين الجبال بكلا الطريقتين المذكورتين فيقول: (من السلاسل الجبلية، سلاسل المقعرات الأرضية، و التى تنجم عن انضغاط حفر الترسب الكبرى بفعل حركات تماسية، و التى دعيناها المقعرات الأرضية، و التى تراكمت فيها خلال حقب طويلة ثخانات كبيرة من روسوبات بحرية عميقة، و يكون توافق المظاهر البحرية العميقة مع المناطق الملتوية هو قاعدة عامة، بحيث أمكن القول: أن السلاسل الجبلية تتشكل دوما فوق موقع المقعرات الأرضية، كما يمكننا اعتبار طيات القاع كرد فعل للحركات التماسية التى تبقى لوحدها فى الأصل، ففى حين الانضغاط الأقصى على مقعر أرض ما، فإن مشارف المنطقة تتحدب بتأثير الجهد (_____ ۱) اللّه و الكون، محمد جمال الدين الفندى، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، الطبعة الثانية، ۱۹۸۷، ص ۲۲۳، و انظر: ما هى الجيولوجيا، وليم ماثيوز، ترجمة مختار رسمى ناشد، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۹۵، ص ۲۲۰، و انظر: الجيولوجيا و الكائنات الحية، دولت عبد الرحيم إبراهيم، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۹۵، ص: ۱۸. (۲) ليون موريه: يحتل مكانة مرموقة بين علماء الجيولوجيا، بل يعد صاحب مدرسة جيولوجية قائمة بذاتها، و هو عضو المجمع، و عميد فخرى لكلية العلوم، و أستاذ فى المعهد العالى الوطنى للهيدروليك فى غرينوبل. انظر: مقدمة المترجم، ص: ۹. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۴۸ و تعطى معقدا من طيات قاع، يؤدى كما تؤدى موجة قاع بحرية إلى نهوض قارة برمتها، و تأتى اندفاعات بركانية تؤدى إلى نشوء الجبال) «۱». كذلك فإن (الأحواض البحرية تتكون بسبب انخفاض بسيط على سطح الأرض نتيجة الحركات الأرضية، ثم يمتلئ هذا المنخفض بالمياه و تعيش فيه الكائنات البحرية، و تترسب فيه المواد الرسوبية إلى أن يمتلئ بالرسوبيات، و أخيرا تضغط جوانبه مسببة تكوّن الثنيات و الجبال، و عليه يجب عدم الاستغراب إذا ما تسلّقنا قمة جبل ما، و لاحظنا وجود القواقع البحرية المتحجرة، أو آثار الأسماك المطبوعة على صخور الجبل، لأن تلك الجبال كانت فى يوم ما رسوبيات مترسبة فى قيعان البحار) «۲». و قد أسهب العلماء فى ذكر أنواع الجبال و طرق تكوينها، من ذلك ما ورد فى كتاب «أساسيات علم الجيولوجيا» إذ نجد فيه: (و هناك ثلاثة أنواع أساسية من الجبال: ۱- جبال جيوسنكلينية: و يطلق عليها أحيانا اسم أحزمة الطيات، لكثرة وجود الطيات فى داخلها و هى تتكون نتيجة لرفع و طىّ الرسوبيات المتراكمة فى الأحواض البحرية، و تعرف الحركات الأرضية التى تتحكم فى تكوين مثل هذه الجبال باسم: الحركات الأرضية البانية للجبال. ۲- جبال بركانية: و التى تكون سلاسل جبلية مغمورة فى قيعان المحيطات، على طول الحدود البناءة و تتكون هذه الجبال من الانبثاقات البازلتية، و التى تكوّن قيعان المحيطات أثناء عملية انتشار قاع البحار. ۳- جبال تصدّعية: و توجد فى وسط ألواح قارية ثابتة، و أحيانا تتكون الرسوبيات التى تؤدى إلى تكوين مثل هذه الجبال فى أحواض ترسيبية) «۳». (_____ ۱) الوجيز فى الجيولوجيا، ليون

موریه، ترجمهٔ، یوسف خوری و عبد الرحمن حمیدهٔ، دمشق، دار طلاس، الطبعهٔ الأولی، ۱۹۸۷، ص ۵۷۲ و انظر: علوم الأرض و البیئهٔ، فتحی أبو ناصر، عمان، دار الیازوری، الطبعهٔ الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۹، ص ۶۰. (۲) الجیولوجیا للجمیع، عادل حاتم جوزی، بغداد، دار الرشید، ۱۹۸۰، ص ۷۵. (۳) أساسیات علم الجیولوجیا، محمد حسن و آخرون، عمان، مرکز الکتب الأردنی، ۱۹۹۰، ص: ۱۸۶، و انظر: کوکب اسمه الأرض، جورج جامو، ترجمهٔ، الدکتورهٔ هذارهٔ، القاهرهٔ، مؤسسهٔ سجل العرب، ۱۹۷۴، ص: ۱۱۰، و انظر: الأرض و أسرارها، جورجیت بارتلمی، ترجمهٔ، میشیل خوری، دمشق، منشورات وزارهٔ الثقافهٔ، ۱۹۹۱، ص: ۴۰، و انظر:- الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۴۹ و فی الکتاب القیم «الأرض مقدمهٔ للجیولوجیا الطبیعیهٔ»: (لقد حدثت عملیات نشوء الجبال فی التاریخ الجیولوجی الحدیث بعدهٔ مواقع حول العالم، و تشمل هذه الأحزمهٔ الجبلیهٔ الحدیثهٔ الکوردیلیر الأمریکیهٔ، و التی تمتد علی طول الحافهٔ الغربیهٔ للأمریکیتین ... و معظم هذه الأحزمهٔ الجبلیهٔ قد تکونت خلال المائهٔ ملیون سنهٔ الماضیهٔ، و قد ابتدأ بعضها فی التکون، بما فی ذلک الهیمالایا فی مدهٔ لا تزید عن ۴۰ ملیون سنهٔ مضت ... و تتألف أحزمهٔ بناء الجبال عادهٔ من مرتفعات متوازیهٔ من الصخور الرسوبیهٔ و البرکانیهٔ المطویهٔ و المتصدّعهٔ، التی تکون بعض أجزائها قد تحولت تحولا شدیدا، و اقتحمت بأجسام ناریهٔ حدیثهٔ نوعا، و فی معظم الحالات تکون الصخور الرسوبیهٔ قد تراکمت فی بحار عمیقهٔ و قد زاد سمکها عن ۱۵۰۰۰ متر، و کذلک من صخور أقل سمکا تراکمت فی بحار ضحلهٔ، و علاوهٔ علی ذلک فلا بد أن تکون هذه الصخور المشکّلهٔ أکبر عمرا فی معظمها من حادثهٔ بناء الجبال التی تضمنتها، مما یشیر بالضرورهٔ إلی فترهٔ غیر قصیرهٔ من التراکم الهادئ المتبوع بحادثهٔ مفاجأهٔ من الطی و التصدّع) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: هذا طرف من الحدیث عن نشأهٔ الجبال الرسوبیهٔ و الجبال و البرکانیهٔ ... و رأینا کیف أن الجبال الرسوبیهٔ تتکون مما تلقیه الأنهار و الریاح بعد عملیهٔ الحت و التعریهٔ فی الیابسهٔ، و ثوران البراکین فی قاعات البحار و المحیطات، لتکوّن بعد ذلک الجبال، أ لیس هذا إلقاء؟، و دلیلا علی عظمهٔ القرآن الکریم و هو یثبت هذه الحقیقهٔ الجیولوجیهٔ الرائعهٔ، وَ أَلْقی فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ، و ما الجبال البرکانیهٔ إلا- أجسام ضخمهٔ مؤلفهٔ من صخور، و فتات برکانی قذفتها فوهات البراکین بشدّهٔ، ثم تساقطت علی أطرافها و تراکمت فکانت الجبال، أ لیس هذا کذلک إلقاء؟، ألقاه اللّه من البحار و البراکین لتتکون الجبال، فسبحان من أشار إلی هذه الحقیقهٔ الرائعهٔ و سجلها فی کتابه لتکون سابقهٔ فی مضمار إثبات الحقائق العلمیهٔ، فقال تقدست أسماؤه: وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَیْنا فِیها رَواسِیَ.

_____کوکب الأرض، إعداد و نشر، مؤسسهٔ الکویت للتقدم العلمی، الکویت، الطبعهٔ الثانیهٔ، ۱۹۸۷، ص: ۴۴، و انظر: موسوعهٔ عالم المعرفهٔ، بیروت، دار نوبلیس، الطبعهٔ الأولی ۱۹۹۶، ۴/ ۳۲۱. (۱) الأرض مقدمهٔ للجیولوجیا الطبیعیهٔ، تاربوک و لو تجنز، ص: ۵۰۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۰

المبحث الثانی الجبال تحافظ علی توازن الأرض

اشارهٔ

المبحث الثانی الجبال تحافظ علی توازن الأرض قال تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ الْجِبالَ أَوْتاداً (۷) «۱». و قال تعالی: وَ جَعَلْنا فِی الْأَرْضِ رَواسِیَ أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ «۲». و قال تعالی: وَ الْجِبالَ أَرْساها «۳». تسجّل هذه الآیات قاعدهٔ جیولوجیهٔ فی القرآن الکریم، و هذه القاعدهٔ هی: وتدیّهٔ الجبال، فالحق سبحانه و تعالی فی معرض الامتنان علی عباده، و فی سیاق الرحمهٔ التی غمرهم بها یذکّرهم بأنه هو

الـذی جعل الجبال أوتادا، و وزعها بدقة و حکمة فائقة، مما یساعد علی توازن الأرض، بحیث لا تمید و لا تضـطرب، فکما أن الأوتاد تثبت الخیمـة و تعمل علی اسـتقرارها، فکـذلک الجبال جعلها اللّه للأرض کالأوتاد للخیمـة. یقول الإمام القرطبی رحمه اللّه: (أَنْ تَمِیدَ بِهِمْ أی لئلا تمیـد عند الکوفیین، و کراهیة أن تمید علی قول البصـریین، و المید: الاضـطراب یمینا و شـمالا، ماد الشـیء یمید میدا إذا تحرک، و مادت الأغصان تمایلت و ماد الرجل تبختر، قال وهب بن منبه: لما خلق اللّه الأرض فجعلت تمیـد و تمور، فقالت الملائکـة: إن هـذه غیر مقرّة أحدا علی ظهرها فأصـبحت و قد أرسـیت بالجبال، و لم تدر الملائکة مما خلقت الجبال) «۴». و فی «روح المعانی»: (وَ الْجِبـالَ أَوْتـاداً أی کالأوتـاد، ففیـه تشـبیه بلیـغ أیضـا، و المراد أرسـینا الأـرض بالجبـال کمـا یرسـی الـبیت بالأوتـاد) «۵».

(_____ ۱) سورة النبأ، الآیتان ۶، ۷. (۲) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۱. (۳) سورة النازعات، الآیة: ۳۲. (۴) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۵/ ۶۰. (۵) روح المعانی، للآلوسی، ۲۹/ ۱۴، و انظر: التسـهیل لعلوم التنزیـل، محمـد بن أحمـد الغرنـاطی، بیروت، دار الأـرقم، د. ت، ۲/ ۴۴۴. الإعجـاز القرآنی فی ضوء الاکتشـاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۱ و عند ابن کثیر (وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی جعل لها أوتادا أرساها بها و ثبتها و قررها، حتی سکنت و لم تضطرب بمن علیها) «۱». و فی «التفسـیر البیانی»: (و الجبال أرساها، الإرساء، التثبت و الترسـیخ، و قالوا: ألقت السفینة مراسیها إذا استقرت، علی أن المادة یکثر مجیئها فی الجبال، لوضوح الثبات و الرسوخ فیها، و القرآن یسـتغنی أحیانا بالرواسـی عن الجبال، فیشـهد هذا بأن صـفة الرسو تبـدو أوضح ما تبدو فی الجبال) «۲». و فی «البحر المحیـط»: (وَ الْجِبـالَ أَوْتاداً أی ثبتنا الأرض بالجبال، کما ثبت البیت بالأوتاد) «۳». و فی الحـدیث الـذی رواه الترمذی و غیره، عن أنس بن مالک رضـی اللّه عنه عن النبی صـلی اللّه علیه و سـلم قال: «لما خلق اللّه الأرض جعلت تمید فخلق الجبال فعاد بها علیها فاستقرت، فعجبت الملائکة من شدة الجبال قالوا: یا رب هل من خلقک شیء أشد من الجبال قال: نعم، الحدیـد، قالوا: یا رب فهل من خلقک شـیء أشـد من الحدید، قال: نعم، النار، فقالوا: یا رب فهل من شـیء أشد من النار، قال: نعم، الماء قالوا: یا رب فهل من شـیء أشـد من الماء، قال: نعم، الریح، فقالوا: یا رب فهل من خلقک شـیء أشد من الریح، قال: نعم، ابن آدم تصـدق بصدقة بیمینه یخفیها من شـماله» «۴». و معنی الوتـد فی اللغـة: (الوتد بالکسـر و الوتد، ما رز فی الحائط أو الأـرض مـن الخشـب، و الجمع أوتـاد، قـال اللّه تعـالی: وَ الْجِبـالَ أَوْتـاداً ... و وتـدته أنـا أتـده وتـدا وتـدة و وتـدته، أثبتـه) «۵».

(_____ ۱) تفسـیر القرآن العظیم، لابـن کثیر، ۸/ ۳۰۶. (۲) التفسـیر البیانی للقرآن، عائشـة بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، الطبعـة الثانیة، ۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸، ص: ۱۵۲. (۳) البحر المحیط، لأبی حیان الأندلسی، ۹/ ۵۴۱، و انظر: تبصیر الرحمن و تیسیر المنان، علی ابن أحمد المهائی، بیروت، عالم الکتب ۱۹۸۳، ۲/ ۳۱. (۴) رواه الترمذی فی سننه، رقم: (۳۳۶۹)، ۵/ ۴۵۴، و قال أبو عیسی: هذا حدیث غریب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه، و رواه أبو یعلی، أحمد بن علی أبو یعلی الموصلی، تحقیق، حسن سلیم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولی، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۴ رقم: (۴۳۱۰)، ۷/ ۲۸۶. (۵) لسـان العرب، لابـن منظور، ۳/ ۴۴۵. الإعجـاز القرآنی فی ضـوء الاکتشـاف العلمی الحـدیث، ص: ۳۵۲ و فی القـاموس المحیـط: (الوتـد بالفتـح و بالتحریـک و ککتف، ما رز فی الأرض أو الحائط من خشب و أوتاد الأرض جبالها، و من البلاد رؤساؤها) «۱». یتبیّن لنا من خلال هذا العرض، و من معطیات الآیات القرآنیة و ما قاله المفسـرون و أصـحاب المعاجم، أن اللّه سبحانه و تعالی خلق الجبال و جعلها بمثابـة الوتد الذی یشد الخیمة، و الجبال هی بدورها تقوم علی تثبیت الأرض کی لا تمید و تضـطرب، و هذه الحقیقة الجیولوجیة تحدث عنها علماء الجیولوجیا تحت مسمی (وتدیة الجبال).

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ففی کتاب «من الآیات العلمیة»: (أثبتت الدراسات أن کل قارة بها جبالها التی تتمیز بها، و أن هناک سلسلة من الجبال موزّعة علی سـطح الأرض توزعا دقیقا محکما، و أن ارتفاع الجبال یتناسب و مکانه من الکرة الأرضـیة، و نوع الصـخور المکونة له، و

طبیعة الأرض من حوله، و أنه بما توجد بعض الجبال التی لا یزید ارتفاعها علی ألف متر، فهناک مثلا (جبل إفرست) فی سلسلة جبال الهمالایا الذی یقرب ارتفاعها من تسعة آلاف متر، و وجد کذلک أن الجبال الثقیلة دائما أسفلها مواد هشة و ضعیفة، و أن تحت المیاه توجد المواد الثقیلة الوزن، و ذلک حتی تتوزّع الأوزان فی المناطق المختلفة للکرة الأرضیة، و وجد العلماء أن هذا التوزیع یتمشّی مع مرونة القشرة الأرضیة و درجة حرارتها، ثم کانت الحقیقة العلمیة القاطعة التی وصل إلیها العلماء و التی تقرر: أن توزیع الجبال علی الکرة الأرضیة إنما قصد به حفظها من أن تمید إلی الشمس أو تحید عنها، و أنها فعلا السبب الأول و الرئیسی لحفظ توازن الأرض، فکأن الجبال هی أوتاد للأرض تحفظها فی مکانها و تحفظ علیها حرکتها) «۲». و فی کتاب «أساسیات علم الأرض»: (إن التوزیعات فی کثافات القشرة الأرضیة علی أجزاء مختلفة منها یحرز وضعا متوازنا بین أجزاء القشرة الأرضیة فی المناطق المختلفة و هو ما یطلق علیه مصطلح اتزان القشرة الأرضیة ysatsosl. إن الاتزان النظری لکتل القشرة الأرضیة الشاهقة الارتفاع لکلا الجبال و

القارات (_____ ۱) قاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۴۱۳. (۲) من الآیات العلمیة، عبد الرزاق نوفل، القاهرة، مکتبة الأنجلو المصریة، الطبعة الأولی، ۱۹۶۶، ص: ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۳ التی تکون طافیة علی قاعدة صخریة عالیة الکثافة و تخضع لضغط عظیم و فی وضع تجاوز حالة المرونة تکون فیها الأجزاء المرتفعة من سطح القشرة الأرضیة فی حالة توازن مع صخر الطبقة السفلیة الکثیفة، و لکن یجب أن ندرک أن الأحداث الجیولوجیة من وقت لآخر تفسر لنا نظام الاتزان فی القشرة الأرضیة ...) «۱». و یقول الشیخ عبد المجید الزندانی: (لقد تأکد الباحثون عام ۱۹۵۶، أن تحت کل جبل عرقا لهذا الجبل و امتداد له قد غرس فی الطبقة العجینیة أو اللزجة التی تحت طبقة الصخور، و قد جعل اللّه هذا الامتداد تحت کل جبل ماسکا للقارات من أن تطوف أثناء دوران الأرض، فهذه الأوتاد المغروسة فی الطبقة اللزجة التی تحت القارات تثبّت القارات کما یثبت الوتد الخیمة إذا غرس بین التراب، و لکن هذا السرّ الذی لم یتأکد منه الباحثون إلا عام ۱۹۵۶، کما ذکر ذلک الدکتور فاروق الباز المختص فی علم الجیولوجیا و الفضاء، و مدیر معهد سمیس سونیان لعلوم الأرض و الفضاء، إن هذا السر قد ذکره القرآن قبل ألف و أربع مائة عام، فقال تعالی: وَ الْجِبالَ أَوْتاداً أی جعلها اللّه أوتادا فی هذه الأرض) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: حقیقة وتدیّة الجبال تحدث عنها القرآن الکریم فی العدید من الآیات المبارکة، ثم یأتی العلماء لیکتشفوا أن اللّه سبحانه و تعالی جعل الجبال مغروسة فی طبقات الأرض لیتسنّی للعباد أن یعیشوا علی ظهرها، إنه السبق القرآنی فی إثبات الحقائق العلمیة، فسبحان من ثبّت لنا الأرض بالجبال لننعم بوافر السعادة، و نتفیأ ظلال الرحمة الربانیة، إنه إعجاز القرآن الرائع، و صدق ربّ العزة القائل: سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ «۳».

(_____ ۱) أساسیات علم الأرض، الجیولوجیا الفیزیائیة، محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف، ص: ۵۱۶. (۲) کتاب التوحید، عبد المجید الزندانی، ص: ۷۲. (۳) سورة فصلت، الآیة: ۵۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۴ صورة رقم: (۲۴)، توضح وتدیة الجبال، و دورها فی تثبیت و حفظ توازن الأرض. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۵ صورة رقم: (۲۵)، سبحان من جعل هذه الراسیات أوتادا للأرض (۱). الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۶

المبحث الثالث الرواسی الشامخات و الماء الفرات

اشارة

المبحث الثالث الرواسی الشامخات و الماء الفرات قال اللّه تعالی: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً «۱». فی هذه الآیة الکریمة معجزة قرآنیة کبیرة، و إشارة علمیة جیولوجیة فریدة، فالآیة تشیر إلی علاقة متینة بین الجبال الشامخات و الماء الفرات، و الذی یتأمل قوله تعالی: شامِخاتٍ یدرک روعة الإعجاز فی بیان القرآن هذا، فالله سبحانه و تعالی یلفت انتباهنا إلی حقیقة علمیة مرئیة فی عالم الشهادة، فکلما کانت الجبال ذات شموخ و ارتفاع و علو کان نصیب الماء فیها أغزر، و استأهلت لتکون محطة لواردات الثلوج المتراکمة، و ذاک الماء الذی ینساب من قممها و سفوحها یکون عذبا فراتا سائغا للشاربین ... و بجولة فی تفاسیر العلماء، نری دقة هذا الارتباط الوثیق بین شموخ الجبال و غزارة المیاه. یقول ابن کثیر: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ یعنی الجبال أرسی بها الأرض لئلا تمید و تضطرب وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی عذبا زلالا من السحاب، أو مما أنبعه من عیون الأرض) «۲». و عند القرطبی: (رَواسِیَ شامِخاتٍ یعنی الجبال، و الرواسی الثوابت، و الشامخات الطوال، و منه یقال: شمخ بأنفه إذا رفعه کبرا، قال: وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی و جعلنا لکم سقیا، و الفرات، الماء العذب یشرب و یسقی منه الزرع، أی خلقنا الجبال و أنزلنا الماء الفرات) «۳».

(_____ ۱) سورة المرسلات، الآیة ۲۷. (۲) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۸/ ۳۰۳، و انظر: لباب التأویل فی معانی التنزیل، علاء الدین علی بن محمد الخازن، بغداد مکتبة المثنی، د. ت، ۴/ ۳۶۹. (۳) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۱۹/ ۱۶۰، و انظر: تفسیر القرآن، منصور بن محمد السمعانی، تحقیق، یاسر إبراهیم و غنیم عباس الریاض، دار الوطن، ۱۹۹۷، ۶/ ۱۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۷ و فی «روح المعانی»: (شامِخاتٍ مرتفعات، و منه شمخ بأنفه، و وصف جمع المذکر بجمع المؤنث فی غیر العقلاء مطرد، کأشهر معلومات و تنکیرها للتفخیم، أو للإشعار بأن فی الأرض جبالا لم تعرف و لم یوقف علیها، فأرض اللّه تعالی واسعة و فیها ما لم یعلمه إلا اللّه عز و جل، و قیل: للإشعار بأن فی الجبال ما لم یعرف و هو الجبال السماویة، و هو مما یوافق أهل الفلسفة الجدیدة إذ قالوا بوجود جبال کثیرة فی القمر، و ظنّوا وجودها فی غیره، و تعقب بأنه تفسیر بما لم یعرف وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً أی عذبا، و ذلک بأن خلقناه فی أصولها، و أجریناه لکم منها فی أنهار، و أنبعناه فی منابع تستمد مما استودعناه فیها، و قد یفسر بما هو أعم من ذلک، و الماء المنزل من السماء) «۱». و فی تفسیر «أنوار التنزیل»: (وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ جبالا ثوابت طوالا و التنکیر للتفخیم، أو الإشعار بأن فیها ما لم یعرف و لم یر، و قوله تعالی: وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً بخلق الأنهار و المنابع فیها) «۲». و یقول الإمام الرازی: (من الاستدلال بأحوال الجبال، أن بسببها تتولد الأنهار علی وجه الأرض و ذلک أن الحجر جسم صلب، فإذا تصاعدت الأبخرة من قعر الأرض و وصلت إلی الجبل احتبست هناک فلا تزال تتکامل، فیحصل تحت الجبل میاه عظیمة، ثم إنها لکثرتها و قوتها تثقب و تخرج و تسیل علی وجه الأرض، فمنفعة الجبال فی تولد الأنهار هو من هذا الوجه، و لهذا السبب ففی أکثر الأمر أینما ذکر اللّه الجبال قرن بها ذکر الأنهار مثل ما فی هذه الآیة) «۳». إن الإنسان لیصاب بالدهشة عند ما یقرأ تفسیر هؤلاء العلماء رضی اللّه عنهم، و هم یتحدثون عن هذه الحقائق العلمیة الجیولوجیة منذ قرون مضت، و لم یکن فی عصرهم و لا حتی بعدهم بقرون الآلیات و المعدات التقنیة المتطورة، التی من شأنها أن تکشف عن أسرار المیاه و ارتباطها بالجبال الشامخات، و لکنهم یستلهمون هذه المعطیات العلمیة من وحی القرآن العظیم، الذی حوی علم الأولین و علم الآخرین.

(_____ ۱) روح المعانی، للآلوسی، ۲۸/ ۱۷۸، و انظر: فتح الرحمن فی تفسیر القرآن، عبد المنعم تعلیب، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولی ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۵، ۷/ ۳۸۳۶. (۲) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۵/ ۴۳۳. (۳) التفسیر الکبیر، للرازی، ۱۹/ ۸، و انظر: تفسیر مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومی، تحقیق، عبد الرحمن السورتی، بیروت، المنشورات العلمیة، د. ت، ۲/ ۷۱۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۸ إذن، ندرک من معطیات النص القرآنی أن الجبال کلما کانت شامخة عالیة، کان الماء أوفر من جهة، و من جهة أخری کان عذبا فراتا، و لیس ملحا أجاجا، فما ذا قال العلم فی هذا؟.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: إن هذا التصور القرآنی الدقیق، و هذه الإشارة العلمیة الربانیة، قد کشف عنها العلم، و أثبتها علماء الجیولوجیا ... (فهذه الآیة القرآنیة معجزة تربط بین ارتفاع الجبال و تکون الجلید الذی یکلل هاماتها، لانخفاض حرارتها تحت الصفر، فالبرودة تکثف بخار الماء الموجود بالجو علی قمم هذه الجبال، إذا زاد ارتفاعها عند حد خاص یتوقف علی موقعها قدره ۲، ۱، ۷، ۲، ۵، ۵ کم، بالنسبة لجبال النرویج و الألب و الکلیمنجارو علی الترتیب، لأن هذه الارتفاعات هی الحد الأدنی لتکوّن الثلج الدائم لانخفاض حرارتها بالدرجة اللازمة لتکثیف البخار من الهواء الرطب المحیط بها فی هذه المناطق علی الترتیب، و هذا الماء یتجمّد علی هیئة ثلج یغطی القمم و السفوح الشامخة الباردة، و ینصهر هذا الثلج تحت ضغط الجلید العلوی المتراکم فوقه باستمرار، فیسیل الماء العذب علی سفوح هذه الجبال بتأثیر الجاذبیة إلی أسفل، و لن تنفذ هذه الثلوج علی قمم الجبال باستمرار ذوبان أطرافها السفلی، لأنها کما تسیل باستمرار تتجدد أیضا باستمرار عملیة التکثف لبخار الماء من الجو المحیط بهذه القمم، و لو لا هذه الظاهرة العجیبة لجفت الأنهار إذا انقضت فصول الأمطار عند منابعها، و تنکیر الماء فی هذه الآیة یفید العموم، بحیث یشمل کلا من ماء الأمطار و الماء المنحدر من جلید شوامخ الجبال التی تعمل کالإسفنج، لتجمیع و ترشیح الماء العذب النقی من بخار الجو المحیط) «۱». و فی «دائرة المعارف الثقافیة» نجد حول هذه الحقیقة ما یلی: (عند ما تدفع الریاح کتلة هوائیة حارة مشبعة ببخار الماء، و تصادف فی طریقها منطقة جبلیة، تصطدم الکتلة الهوائیة بالجبال فتوقف مسیرتها، لکن الریح تستمر فی دفعها، مما یجبرها علی الارتفاع، و کلما ارتفعت هذه الکتلة انخفضت درجات الحرارة المحیطة، مما یؤدی

(_____ ۱) المعارف الکونیة، إعداد نخبة من العلماء، ص ۲۹۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۵۹ قمم الجبال التی تغطیها الثلوج هی من نعم اللّه لتخزین المیاه علی سطح الأرض. إلی تکثف قسم کبیر من رطوبتها، و تشکیل تراکم غیمی یکلل القمة فی النهایة علی شکل ضباب) «۱». (... إن الارتفاعات العالیة، تؤدی إلی انخفاض درجة حرارة هذه القمم، التی تستطیع بذلک تکثیف بخار الماء فی الهواء الرطب المحیط بها، و هذا الماء المتکثف یتجمد علی هیئة ثلج، یغطی هذه القمم الشامخة و ینصهر هذا الثلج تحت ضغط الطبقات الثلجیة المتراکمة فوقه، و یتحول إلی ماء عذب یسیل علی سفوح الجبال منحدرا بتأثیر الجاذبیة إلی أسفل) «۲».

(_____ ۱) دائرة المعارف الثقافیة، الأرض، بیروت، المرکز الثقافی الحدیث، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰، ۳/ ۴۸. (۲) من دلائل الإعجاز العلمی، موسی الخطیب، ص ۲۵۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۰

الإعجاز:

الإعجاز: إن هذه الحقائق العلمیة التی سلفت، جمعها کتاب اللّه بجملة واحدة: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً، و لیس من المستغرب أن یکشفها العلم الحدیث لأنها تنزیل من لدن العلیم الخبیر، ثم إن هذه الآیات تلفت انتباهنا إلی أن نسبر أغوار الکون، و نکشف عن أسراره و خفایاه لینعم الإنسان بها، فکم هی آلاء اللّه و نعمه الوافرة کثیرة علینا، فالجبال الشاهقات منابع لسیلان الأنهار العذبة النقیة، و جمال الحیاة و زهوتها بهذه الأنهار التی تملأ الودیان و السهول و شق التربة القاحلة فتحیلها إلی جنة خضراء زاهیة ... إنه جمال الکون و بهاؤه المنعکس عن جلال اللّه و جماله ... أما ینبغی أن نطأطئ الرأس إجلالا لإعجاز القرآن فی هذه الآیات الباهرات، و اعترافا بنعم اللّه و آلائه التی أرفدها علینا و أغدقنا بها. صورة رقم: (۲۷)، مشهد رائع یوضح الماء الفرات المنساب من قمم الجبال علی سفوحها فسبحان اللّه العظیم «۱».

(_____ ۱) أخذت هذه الصورة من موقع: dip cipwohs od yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth orderby date D ۴۰۷۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۱ صورة رقم: (۲۸)، مشهد آخر یبین الثلوج التی تکلل هامات الجبال، و ترشح الماء لیکون عذبا فراتا، و صدق اللّه العظیم إذ یقول: وَ جَعَلْنا فِیها رَواسِیَ شامِخاتٍ وَ أَسْقَیْناکُمْ ماءً فُراتاً، هذا خلق اللّه «۱».

(_____ ۱) أخذت هذه الصورة من موقع: dip cipwohs od yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth orderby date D ۸۴۷۰۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۲

المبحث الرابع حرکة الجبال و تعدّد صخورها

اشارة

المبحث الرابع حرکة الجبال و تعدّد صخورها قال تعالی: وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِی أَتْقَنَ کُلَّ شَیْءٍ إِنَّهُ خَبِیرٌ بِما تَفْعَلُونَ «۱». و قال سبحانه: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ کَذلِکَ إِنَّما یَخْشَی اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِیزٌ غَفُورٌ (۲۸) «۲». تشیر الآیة الکریمة الأولی إلی أن للجبال حرکة سریعة، و هی لیست ثابتة جامدة کما یتخیّل أو یظن، و هذه حقیقة قرآنیة سجلها کتاب اللّه تعالی، ثم کشف عنها علماء الجیولوجیا بعد قرون، کما تشیر الآیة الثانیة إلی تعدد صخور الجبال و تعدد ألوانها کذلک، و فی الآیة إشارة إلی إمکانیة تغیر ألوان الصخور مع الزمن، و لنبدأ فی بحث هاتین الآیتین من کتب التفاسیر. یقول ابن کثیر: (وَ تَرَی الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ أی تراها کأنها ثابتة باقیة علی ما کانت علیه، و هی تمر مر السحاب أی تزول عن أماکنها) «۳». و فی «تفسیر بحر العلوم»: (أی تحسبها واقفة مکانها و یقال: مستقرة وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حتی تقع علی الأرض فتستوی، أی فی أعین الناظرین کأنها واقفة) «۴». و فی «إرشاد العقل السلیم»: (وَ هِیَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ حال من ضمیر الجبال فی تحسبها، أو فی جامدة، أی تراها رأی العین ساکنة، و الحال أنّها تمرّ مرّ السّحاب التی

(_____ ۱) سورة النمل، الآیة: ۸۸. (۲) سورة فاطر، الآیتان، ۲۷، ۲۸. (۳) تفسیر القرآن العظیم، لابن کثیر، ۶/ ۱۹۴. (۴) بحر العلوم، للسمرقندی، ۲/ ۶۱۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۳ تسیرها الرّیاح سیرا حثیثا، و ذلک أنّ الأجرام العظام إذا تحرکت نحو سمت لا تکاد تتبین حرکتها، و قد أدمج فی هذا التشبیه تشبیه حال الجبال بحال السّحاب فی تخلخل الأجزاء و انتفاشها) «۱». و أما الآیة الثانیة، فیقول القرطبی: (و الجدد، جمع جدة، و هی الطرائق المختلفة الألوان، و حمر مختلف ألونها، و غرابیب سود، الغربیب الشدید السواد ففی الکلام تقدیم و تأخیر و المعنی، و من الجبال سود غرابیب، و العرب تقول للشدید السواد الذی لونه کلون الغراب، أسود غربیب) «۲». و فی «أنوار التنزیل»: (وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ أی ذو جدد أی خطط و طرائق، یقال: جدة الحمار للخطة السوداء علی ظهره، و قرئ جُدَدٌ بالضم جمع جدیدة، بمعنی الجدة جُدَدٌ بفتحتین و هو الطریق الواضح، بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها بالشدة و الضعف، وَ غَرابِیبُ سُودٌ عطف علی بِیضٌ أو علی جُدَدٌ کأنه قیل: و من الجبال ذو جدد مختلفة اللون، و منها، أی من الجبال، وَ غَرابِیبُ متحدة اللون، و هو تأکید مضمر یفسره ما بعده، فإن الغربیب تأکید للأسود و من حق التأکید أن یتبع المؤکد) «۳». و معنی جدد فی اللغة، ففی «مفردات ألفاظ القرآن»: (جدد، جمع جدة، أی طریق ظاهرة، من قولهم: طریق مجدود، أی مسلوک مقطوع، و منه جادة الطریق) «۴». و أما غرابیب فمعناها: (جمع غربیب، و هو المشبه للغراب فی السواد، کقولک: أسود کحلک الغراب) «۵». و لعل من المفید أن نشیر إلی

أن عددا ليس بالقليل ممن تناول تفسير الآية الأولى، أخضعها إلى عوالم الآخرة و مشاهد النكبة و الخراب التى ستسيطر على الكون إبان قيام (_____ ۱) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، ۴/ ۲۷۶. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى، ۷/ ۲۱۹، و انظر: تفسير القرآن الكريم إعرابه و بيانه، محمد طه الدرة، دمشق، دار الحكمة، ۱۹۸۲ ۱۱/ ۵۹۷. (۳) أنوار التنزيل، للبيضاوى، ۴/ ۴۱۷. (۴) مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهانى، ص: ۱۸۸. (۵) المصدر نفسه، ص: ۶۰۵. الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۶۴ الساعة، و اعتبر مرور الجبال كالسحاب كناية على نسفها و زوالها، و كان منطلق هذا التفسير وقوع الآية فى سياق نصوص قرآنية تتحدث عن مشاهد يوم القيامة. و الحق فى هذه القضية، أن الآية تتحدث عن مرور الجبال و حركتها فى الدنيا و ليس فى أهوال الآخرة، و لسبب بسيط ألا و هو أن اللّه عز و جل قال: وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً ... و الرؤيا هنا رؤيا بصرية، و الحسبان أبدا لا يكون فى الآخرة، إذ إن الآخرة كلها يقين و كلها حق و كلها وقائع مرئية، لا تخضع إلا للييقينيات، أما الحسبان و الشك و الظن، فهى حالات تعترى الناس فى الدنيا، و لا مكان لها يوم الدين، و بناء على هذا فالآية تشير إلى أن الإنسان إذا نظر إلى الجبال، حسبها جامدة لكنها فى واقع الأمر ليست كذلك، إنما هى متحركة حركة سريعة، و هذه الحقيقة كانت غامضة لمن سلف من الناس، و لكن مع التقدم العلمى و الثورة التقنية التى نعيشها اليوم، تأكد للعلماء أن الجبال تتحرك حركة سريعة، ذلك أن الجبال جزء أساسى من الأرض، و لقد ثبت لنا أن الأرض تدور دورانا سريعا، و عليه فإن الجبال مسرعة بسرعة الأرض، و هناك أدلة أخرى على حركة الجبال نقف مع العلماء ليحدثونا عنها.

الحقائق العلمية:

الحقائق العلمية: (لقد شبه الحق الجبال بالسحاب المتحرك تشبيها بليغا، نعرف سره من الحقائق التالية: ۱- حركة الأرض: السحاب كما هو معروف لا يتحرك بذاته، و لكنه يتحرك محمولا على الرياح، و إرسال الرياح يتم بحركتها لتهب من مكان لآخر فتساعد على تكوين و إظهار السحب، ثم تحريك هذا السحاب محمولا على الرياح، و بهذا فالسحاب متحرك راكب الرياح، و بالمثل فالجبال تجرى لأنها تمتطى كوكب الأرض المنطلق فى الفضاء أى بحركة غير ذاتية، و لهذا فالجبال تمر مرّ السحاب، فما أروع التشبيه و ما أعمق الإشارة إلى حركة الأرض و هى تحمل معها الجبال، بينما الناس كانوا يحسبون حتى أن كليهما ساكن و جامد. ۲- إزاحة القارات: لقد ثبت علميا أن القشرة الأرضية تتحرك باستمرار حركة بطيئة، و نستطيع أن نتخيل القارات بجبالها و كأننا معها ركاب مسافرون على ظهر ألواح قارية ضخمة، لطبقة أرضية تدعى (الليثوسفير) بسمك متوسط قدره ۶۰ ميلا تحت أقدامنا، و هذه الألواح تنزلق ببطء، طافية على طبقة الرداء البلاستيكية المنصهرة الإعجاز القرآنى فى ضوء الاكتشاف العلمى الحديث، ص: ۳۶۵ تقريبا، و التى تدعى (الأثينوسفير)، كما أن الجبال قد تصل بجذورها إلى هذه الطبقة لتطفو كما تفعل القشرة، فالقارات بجبالها الطافية فوق الرداء تشبه السفن العملاقة الطافية فوق البحار فى رسوها بل و فى حركتها ... و على هذا فالجبال مع قاراتها تمر طافية على ألواح (الليثوسفير) مرورا بطيئا، لا تستطيع إدراكه فتحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب) «۱». و لقد كشف علم الجيولوجيا حديثا عن الحقيقة العلمية (التى تؤكد التغير المستمر لما يبدو لنا ثابتا و خالدا كالصخور و الجبال، و هذا التغير قد يحدث تدريجيا عبر ملايين السنين، و قد يحدث فجائيا عند حدوث الكوارث الطبيعية كما حدث فى زلزال (ألاسكا) عام ۱۹۶۴، الذى هزّ جبلا عاليا هزا عنيفا لدرجة أن جزءا كبيرا من قمة الجبل تحطم ... إن كل ظواهر التعرية تتم بتقدير إلهى ينظم كل شىء فى ترتيب متقن محكم، فالجبال ليست ساكنة أو دائمة و لكنها تمرّ مرّ السحاب، فهى تتشكل و تزول تدريجيا عبر ملايين السنين، أو تزول بصورة مفاجأة كما فى حالة الكوارث الطبيعية) «۲». و أما قوله تعالى: أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَراتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوانُها وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِيبُ سُودٌ (۲۷) وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ كَذلِكَ إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (۲۸) «۳». فإن هذه الآية تخلق مثيرا فى كيان العلماء لتنبههم إلى حقيقة جيولوجية، قد أشار إليها كتاب الله، و هذه

الحقیقة تتمثل فی اختلاف و تنوع صخور الجبال و ألوانها، و إنما یعود اختلاف ألوانها إلی اختلاف ترکیبها و تکوینها، و لکن منشأها واحد و هو الأرض، و علیه فإن هذا الاختلاف و التنوع وراءه أصل واحد، و فی هذا تأکید علی وحدانیة الخالق سبحانه و تعالی.

(_____ ۱) المعارف الکونیة، نخبة من العلماء، ص ۳۲۲- ۳۲۳، و انظر: کوکب الأرض، حسن أبو العینین، الإسکندریة، مؤسسة الثقافة الجامعیة، الطبعة الحادیة عشر، ۱۹۹۶، ص: ۳۷۶ و ما بعدها، و انظر: قواعد الجیومورفولوجیا العامة، جودت حسنین جودت، الإسکندریة، دار المعرفة الجامعیة، ۱۹۹۶، ص: ۱۰۵- ۱۰۶. (۲) من دلائل الإعجاز العلمی، موسی الخطیب، ص ۲۵۱. (۳) سورة فاطر، الآیتان ۲۷، ۲۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۶ و لقد قسم العلماء الصخور إلی (ثلاثة أنواع رئیسیة: ۱- صخور ناریة:) suoengl (، و هذه الصخور هی صهیر السائل الساخن (الماجما) المنبعث من تحت سطح الأرض و هی عدة أنواع: أ- الصخور الجرانیتیة. ب- الصخور الأندیسیتیة. ت- الصخور البازلتیة. د- الصخور الفلزبرکانیة. و هذه الصخور المتبردة من الصهیر الذی تقترب الأیونات من بعضها و تفقد حریة الحرکة، و عند ما یصل التبرید حدا کافیا تحد قوة الترابط الکیمیائی من حرکة الذرات و تجبرها علی الانتظام فی بنیة بلوریة ... ثم تتصلب تباعا، و تختلف ألوان هذه الصخور فمنها الأخضر و الأبیض و الأحمر هذه من ألوان الجرانیت و یکون البازلت أسودا أو رمادیا قاتما) «۱». (۲- الصخور الرسوبیة:) yratnemideS (، و قد تجمعت هذه الصخور فی الأحقاب المنصرمة فی البحار و هی عدة أنواع: أ- الصخور الرسوبیة الحتاتیة. ب- الصخور الرسوبیة الکیمیائیة. ت- الصخور الرسوبیة العضویة. إن للصخور الرسوبیة أهمیة خاصة فی استنباط تاریخ الأرض، فهی تتکون عند سطح الأرض فی طبقات، و کل طبقة تسجل طبیعة البیئة التی ترسبت فیها وقت ترسبها، و هذه التراکمات التی تسمی طبقات تمثل الخاصیة الوحیدة المیزة للصخور الرسوبیة) «۲». (۳- صخور متحولة:) cihpromateM (، و هذه الصخور فی أصلها کانت رسوبیة أو ناریة بشتی أنواعها ثم تحولت بعد ذلک بسبب الضغط الشدید و الحرارة القویة فی أعماق الأرض إلی صخور متنوعة، و أثناء عملیات التحول الشدید یمکن أن یکون انتقال الأیونات کافیا لیسبب فصل المعادن عن بعضها_____ ...

(۱) الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربوک و لوتجنز، ص ۷۵. (۲) المصدر نفسه، ص ۱۷۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۷ و یتحول صخر (الجرانیت) إلی صخر (النایس)، و یتحول الحجر الطینی إلی (اردواز) و عملیات التحول تسبب کثیرا من التغیرات فی الصخور بما فی ذلک الزیادة فی کثافة الصخور و نمو البلورات الکبیرة و تغیر اتجاه الحبیبات المعدنیة، الذی ینشأ عنه مظهر محزم یسمی بالتورّق، و استبدال المعادن المتکونة فی درجة حرارة منخفضة بأخری متکونة فی درجات حرارة مرتفعة) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: و هکذا فإن الحق سبحانه و تعالی یسجل فی کتابه المجید الحقائق العلمیة المتوالیة، فلقد قرر أن الجبال لیست ثابتة و لا جامدة، إنما تمر مرّ السحاب، و یأتی علماء الجیولوجیا لیکتشفوا هذا القانون الربانی فی حرکة الجبال، ثم إن هذه الحقائق العلمیة، عن الصخور و تشکلها و تلونها و تباینها جمعتها آیة قرآنیة: وَ مِنَ الْجِبالِ جُدَدٌ بِیضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُها وَ غَرابِیبُ سُودٌ، و فی الآیة إشارة إلی ضرورة البحث فی علوم الجیولوجیا و الفیزیاء و الکیمیاء، التی تتشابک هذه العلوم مع بعضها لتصل إلی الکشف عن أسرار و حقائق الکون، الذی أرسی الحق تبارک و تعالی قواعدها بین دفّتی کتابه العظیم.

(_____ ۱) الأرض مقدمة للجیولوجیا الطبیعیة، تاربوک و لوتجنز، ص: ۱۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۶۹

الفصل العاشر الإعجاز القرآنی فی البحار

اشارة

الفصل العاشر الإعجاز القرآنی فی البحار تمهید. المبحث الأول: ظلمات البحار و تنوع الأمواج. المبحث الثانی: مرج البحرین یلتقیان. المبحث الثالث: و البحر المسجور. المبحث الرابع: اهتزاز الأرض بماء السماء. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۱

تمهید

تمهید الماء آیة من آیات اللّه البدیعة، و شارة ناطقة علی عظمة الخالق، فی بث روح الحیاة فی الکائنات کلها، و الحیاة هی سر من أسرار اللّه فی الکون، و بین الماء و الحیاة تلازم وثیق، فلا حیاة بدون ماء و لقد جعل العلیم الخبیر جل جلاله الماء سببا لاستمرار الحیاة و بقائها، فمقوّمات الحیاة و عناصر تکوینها المختلفة، لا یکتب لها البقاء و لا یمکن أن تستنشق روح الحیاة إلا بالماء، فمن الماء الدافق خلق الإنسان و تکوّن، و من الماء مع التراب تزهو دنیا النباتات، و تتکاثر بقیة المخلوقات و تسعد بنعمة الماء الزلال، قال تعالی: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ أَ فَلا یُؤْمِنُونَ «۱». و لقد جعل الحق عز و جل للماء دورة متکاملة لاستمرار الحیاة، بدءا من حرارة الشمس فبخار الماء فتکوین السحب ثم إمطار الماء من السماء، لتتفجر البراعم الخضراء الحیة من أکمامها، و ترتوی الأنعام، و ینعم الإنسان، و تزهو الدنیا، قال تعالی: إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْکِ الَّتِی تَجْرِی فِی الْبَحْرِ بِما یَنْفَعُ النَّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْیا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِیها مِنْ کُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِیفِ الرِّیاحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَیْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۲». و لقد ورد فی القرآن الکریم الحدیث عن الماء العذب و الماء الأجاج المالح، و أخذ الحدیث عن البحار شوطا و مساحة لیست بالقلیلة فی کتاب اللّه تعالی، و ذلک للأهمیة الآنفة، و لسوف یتناول فی هذا الفصل قضایا بحریة عرضها الحق عرضا غایة فی البیان الإعجاز، من ذلک الحدیث عن مرج البحار و التقائها دون امتزاج أو بغی، و ما فیها من دلالات علمیة و قرآنیة، و کذلک الحدیث عن ظلمات البحار المتنوعة، و ما حوت من (_____ ۱) سورة الأنبیاء، الآیة: ۳۰.

(۲) سورة البقرة، الآیة: ۱۶۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۲ عجائب کثیرة کوجود أمواج داخلیة تم الکشف عنها فی زماننا، و قد ذکرها ربنا فی کتابه المجید بکل وضوح، ثم نعرج للحدیث عن قسم القرآن بالبحر المسجور، و الذی تعرف علیه إنسان عصرنا و اکتشف وجود الحمم و البراکین الثائرة الملتهبة فی قیعان البحار، ثم نعرض قضیة اهتزاز التربة بماء السماء و ما رافق هذه العملیة من إعجازات ربانیة. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۳

المبحث الأول ظلمات البحار و تنوع الأمواج

اشارة

المبحث الأول ظلمات البحار و تنوع الأمواج قال تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ «۱». تشیر هذه الآیة الکریمة إلی حقیقة علمیة رائعة فی علم البحار، فهی تحدثنا عن بعض مزایا البحر العجیب، و تکشف لنا طرفا من مشاهده المدهشة، ألا- و هو وجود أمواج داخلیة للبحر، و ظلمات متعددة فیه، و قبل سوق الحقائق العلمیة التی تفسر هذه الآیة و تؤکد حقائقها الثابتة، نستعرض بعض أقوال

أهل العلم من المفسرین لنقف عند رؤیتهم العلمیة لهذه الآیة، و لنری ذلک من خلال کلامهم عن معانی المصطلحات القرآنیة من الناحیة اللغویة. ففی تفسیر «فتح البیان»: (فی بحر لجی، معظم الماء، و الجمع لجج، و هو الذی لا یدرک عمقه، ثم وصف سبحانه و تعالی هذا البحر بصفة أخری فقال: یَغْشاهُ أی یعلو هذا البحر مَوْجٌ فیستره و یغطیه بالکلیة، و الموج: ما ارتفع من الماء، ثم وصف هذا الموج بقوله: مِنْ فَوْقِهِ أی من فوق هذا الموج مَوْجٌ ثان متراکم فیه إشارة إلی کثرة الأمواج و تراکم بعضها فوق بعض، ثم وصف الموج الثانی فقال: مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ فیجتمع حینئذ جوف البحر و أمواجه و السحاب المرتفع فوقه) «۲». و یقول القرطبی رحمه اللّه: (فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ قیل: هو منسوب اللجة، و هو الذی لا یدرک قعره و اللجة معظم الماء، و الجمع لجج، و اللج البحر إذا تلاطمت أمواجه ... یَغْشاهُ مَوْجٌ أی یعلو ذلک البحر اللجی: مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ أی من فوق الموج موج، و من فوق هذا الموج الثانی، سحاب سَحابٌ ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ و المراد (_____ ۱)

سورة النور، الآیة: ۴۰. (۲) فتح البیان فی مقاصد القرآن، للقنوجی، ۹/ ۲۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۴ بهذه الظلمات ظلمة السحاب و ظلمة الموج و ظلمة اللیل و ظلمة البحر، فلا یبصر من کان فی هذه الظلمات شیئا و لا کوکبا ... إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ أی الناظر لَمْ یَکَدْ یَراها أی من شدة الظلمات) «۱». و فی تفسیر «بحر العلوم»: (أَوْ کَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یعنی: مثل الکافر کمثل رجل یکون فی بحر عمیق فی اللیل، کثیر الماء یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ ظُلُماتٌ یعنی یکون فی ظلمة البحر، و ظلمة اللیل، و ظلمة السحاب، فکذلک الکافر فی ظلمة الکفر، و ظلمة الجهل و ظلمة الجور و الظلم، و یقال: یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ یعنی المعاصی، و من فوقه العداوة و الحسد و البغضاء، و مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ یعنی الخذلان من اللّه تعالی. ثم قال: ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ کما قال للمؤمن: نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ فیکون للکافر ظلمة علی ظلمة، قوله ظلمة، و عمله ظلمة، و اعتقاده ظلمة، و مدخله ظلمة، و مخرجه ظلمة و مصیره إلی الظلمة، و هو النار، و یقال: شبه قلب الکافر بالبحر العمیق، و شبه أعضاءه بالأمواج الثلاث، طبع اللّه علی قلوبهم و سمعهم و أبصارهم، فهذه الظلمات الثلاث تمنعه عن الحق، ثم قال: (إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها یعنی لم یکن أقرب إلیه من نفسه، فإذا أبرز یده لم یکد یراها من شدة الظلمة، و مع ذلک لم یر نفسه) «۲». و عند الطبری: (و مثل أعمال هؤلاء الکفار فی أنها عملت علی خطأ و فساد و ضلالة و حیرة من عمالها فیها و علی غیر هدی، مثل ظلمات فی بحر لجّیّ، و نسب البحر إلی اللّجة، وصفا له بأنه عمیق کثیر الماء، و لجة البحر معظمه، یغشاه موج یقول: یغشی البحر موج، من فوقه موج یقول: من فوق الموج موج آخر یغشاه، من فوقه سحاب یقول: من فوق الموج الثانی الذی یغشی الموج الأوّل سحاب، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، و البحر اللجی مثلا لقلب الکافر، یقول: عمل بنیة قلب قد غمره الجهل و تغشّته الضلال و الحیرة کما یغشی هذا البحر اللّجیّ موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فکذلک قلب هذا الکافر الذی مثل عمله مثل هذه الظلمات، یغشاه الجهل (_____ ۱) الجامع لأحکام القرآن، للإمام القرطبی، ۶ / ۱۸۸، و انظر: تفسیر روح البیان، إسماعیل حقی البروسوی، بیروت، دار الفکر، د. ت ۶ / ۱۶۲. (۲) بحر العلوم، للسمرقندی، ۲/ ۵۳۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۵ باللّه بأن اللّه ختم علیه فلا یعقل عن اللّه، و علی سمعه فلا یسمع مواعظ اللّه، و جعل علی بصره غشاوة فلا یبصر به حجج الله، فتلک ظلمات بعضها فوق بعض) «۱». و لو فتشنا عن معنی لُجِّیٍّ فی المعاجم، فسنجد: (لجة البحر حیث لا یدرک قعره، و لج الوادی جانبه، و لج البحر عرضه، و لج البحر الماء الکثیر الذی لا یری طرفاه ... و لجة الأمر، معظمه، و لجة الماء بالضم معظمه، و خص بعضهم به معظم البحر، و کذلک لجة الظلام، و جمعه لج و لجج و لجاج) «۲». و فی «العین»: (و لجة البحر حیث لا ـ ترى أرض و لا ـ جبل، و لجج القوم، دخلوا فی لجة، و بحر لجی أی واسع اللجة) «۳». سبحان اللّه، ما هذا الوصف الدقیق لأمواج البحار و طبائعها، و الذی یتأمل الآیة الکریمة، و یدقق بأقوال المفسرین ثم یربط ذلک فی الزمن الذی نزلت فیه هذه الآیة، و بالعصر الذی قال فیه المفسرون هذا الکلام، یقف مشدوها مستغربا من ذلک، لأنهم یتحدثون عن حقائق العلم التی وصل إلیها إنسان القرن العشرین، و ما یدریهم هم بهذه الأمواج السطحیة و الداخلیة و الظلمات

الدامسة فی أعماق البحر، هل سبروا أغوار البحار و رأوها، هل التقطوا صورا فضائیة و شاهدوها؟ نعم إنهم شاهدوها بمنظار العقیدة و الیقین، و رأوها من خلال مرآة القرآن المعجز الکریم. بوسعنا الآن أن نستنبط من الآیة الکریمة ثلاث حقائق و هی: ۱- هناک أمواج داخلیة فی أعماق البحر تحت الأمواج السطحیة. ۲- و هذه الأمواج غیر موجودة فی أیّ بحر، و إنما یجب أن یکون عمیقا. لُجِّیٍّ. ۳- المناخ الذی یحیط فی تلک المنطقة ملبد بالسحب و الغیوم. تلک هی التصورات القرآنیة حول قضیتنا هذه، و قبل أن نثبت الحقائق العلمیة التی وصل إلیها البحاث، نشیر إلی لفتة لطیفة فی هذا الصدد، و هی قوله تعالی: أَوْ کَظُلُماتٍ ففی الآیة إعجاز لأنها تتحدث عن ظلمات فی أعماق البحر، و لقد تکررت مرتین لتوکید هذه الظلمات، و لم یقل الحق: ظلام، إنما قال: کظُلُماتٍ و هذه

(_____ ۱) جامع البیان، للطبری، ۱۸ / ۱۱۵.

(۲) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۳۵۵. (۳) العین، للفراهیدی، ۶/ ۱۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۶

الظلمات بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ فما هو المقصود من هذه الظلمات، لقد کشف العلم عن السر الکامن من وراء هذه الکلمة و إلیک بیانه.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: (طیف النور، لو طبقت المنشور سینعکس إلی سبعة ألوان، و وجد العلماء أنه إذا وصل إلی عشرة أمتار سیختفی اللون الأحمر قبل تحوله إلی ظلمة، فیصبح لون الدم بعد عشرة أمتار أسودا، فإذا وصل إلی ثلاثین مترا، یبدأ ظلام آخر حیث یختفی اللون البرتقالی و یتحول إلی ظلمة ثانیة، فإذا وصل إلی خمسین مترا، یبدأ ظلام جدید ثالث فیختفی اللون الأصفر، فیصبح ظلام اللون الأحمر فوق ظلام اللون البرتقالی و فوق ظلام اللون الأصفر، ظلمات متراکمة، ثم إذا ما وصل إلی مسافة ۱۰۰ مترا یختفی اللون الأخضر، و إلی عمق خمس مائة متر، تختفی الألوان کلها إلا الأسود، فیبقی ممیزا و کأنه ظل یتحرک أمام الرائی هناک، و علی عمق ۱۰۰۰ متر تنعدم الرؤیا تماما، أ لیست هذه ظُلُماتٌ بَعْضُها فَوْقَ بَعْضٍ إِذا أَخْرَجَ یَدَهُ لَمْ یَکَدْ یَراها لشدة الظلام أو الظلمات المطبقة) «۱». و حول هذه الحقیقة یتحدث کبار علماء البحار فی کتاب کتبه ثلاثون عالما من العلماء المتخصصین فی الملاحة البحریة، و جمع أبحاثهم ریتشارد فیتر «۲» و عنون هذا الکتاب ب «علم المحیطات» و فی تأکید هذه الحقیقة و توضیحها، یقول الکابتن جاک کوستو «۳» فی مبحث من مباحث هذا الکتاب: (عند ما یخترق ضوء النهار البحر فإن اللونین الدافئین الأحمر و البرتقالی یزولان بسرعة و علی عمق ۵۰ مترا لا یبقی غیر الألوان الخضراء و الزرقاء و الأرجوانیة من ألوان الطیف، و مع ذلک إذا أدخلنا الضوء

(_____ ۱) مقتبسة من محاضرة عن البحار للداعیة طارق سویدان، شریط کاسیت. (۲) ریتشارد فیتر، کان منسقا لبرامج ندوات صوت أمریکا لعلم وصف المحیطات، و هو یشغل الآن منصب السکرتیر التنفیذی لمجلس شئون المحیطات بالأکادیمیة القومیة للعلوم و المجلس القومی للبحث العلمی. انظر: مقدمة المترجم ص: ۶. (۳) جاک کوستو، مدیر متحف المحیطات فی موناکو عام ۱۹۴۳، أثناء خدمته فی البحریة الفرنسیة اخترع الکابتن کوستو الرئة المائیة و منذ عام ۱۹۵۰ و هو یشغل منصب قبطان سفینة کالیبسو لبعثات مسح المحیطات، و کالیبسو هو الاسم الذی اختاره لمرکبته التی تغوص تحت الماء. انظر: المترجم ص: ۱۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۷

صناعیا تحت الماء، فإن الأصقاع و حیوانات البحر العمیقة سرعان ما تدب فیها الحیاة بصبغة زاهیة لم یکن فی الحسبان أن تکشف عن نفسها، و علی عمق ثلاثمائة متر یشع ضوء أحادی بلون کاف نستطیع به أن نری أشکال الصخور أو حرکة الأسماک، و علی عمق ألف متر و حتی فی أفضل الظروف و أنسبها، فالیل أبدی للعین البشریة، فالرؤیة تکون أحیانا سیئة فی مصبات الخلجان و الموانئ أو المدن، و لکن الماء یکون صافیا بصفة عامة أو شدید الصفاء فی المحیط المفتوح أو العمق الأخضر، و عند ما یبدو الماء صافیا کالبلور فإن الرؤیة لا تزید عادة علی ثلاثین مترا للغواصین شأنها فی ذلک شأن ضباب مدینة مثل لندن) «۱». سبحان اللّه، من أخبر محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذه الظلمات فی البحر؟. إن الذی أخبره عن الظلمات البحریة هو الذی أنبأه عن الأمواج الداخلیة، و عن

العلاقة بین السحب الجویة و الأمواج. قال تعالی: أَوْ كَظُلُماتٍ فِی بَحْرٍ لُجِّیٍّ یَغْشاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحابٌ الآیة تتحدث عن وجود أمواج داخلیة فی أعماق البحر، و أخری سطحیة من فوقها سحاب، فما ذا قال العلم فی ذلک؟. فی کتاب «علم المحیطات» عقد فصل بعنوان «الأمواج» و تحدث عن الأمواج بنوعیهما الخارجیة و الداخلیة، أما عن الأمواج الداخلیة فقال: (لقد تکلمنا لحد الآن عن الأمواج التی تقع فی المنطقة الواقعة بین سطح الماء و الهواء، و لکن یمکن للأمواج أن تمتد بین أی سائلین مختلفی الکثافة، فمثلا بین الزئبق و الهواء، و بین النفط و الماء، و بین طبقات ماء المحیط ذات درجات الکثافة المختلفة، و کلما کان الاختلاف کبیرا فی الکثافة بین السائلین، کلما انتقلت الأمواج بصورة أسرع، فمثلا لکون الزئبق کثیف جدا بالمقارنة مع الهواء فإن الأمواج فوق الزئبق ستنتقل بسرعة کبیرة، و من جهة أخری فالماء أکثف من الزیت بکثیر لذلک سوف تتحرک الأمواج بین السائلین بصورة بطیئة، و عند تواجد طبقتین من ماء المحیط ذات درجات کثافة مختلفة قلیلا، یمکن أن تتکون الأمواج بین هاتین الطبقتین و تدعی هذه الأمواج الداخلیة) lanretni (و تنتشر ببطء متناه) evaw «۲».

(۱) علم المحیطات، ریتشارد فیتر، ترجمة، میشیل تکلا، القاهرة، مطبوعات کتابی، د. ت، ص: ۲۰. (۲) علم المحیطات، کیث ستو، ترجمة، تلفان عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶، ص: ۵۲۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۸ (و لقد تحدث العلماء عن صنف من الأمواج الداخلیة و یدعی أمواج التسونامی) imanust (و هی نوع من الأمواج التی تسیر بسرعة هائلة تبلغ ۶۰۰ قدم فی الثانیة، و تحدث فی الطبقات العمیقة من المحیطات نتیجة الزلازل و البراکین و أحیانا الانفجارات الذریة، و هذه الأمواج قلیلة الحدوث، إلا أنها خطیرة جدا، و ینشأ عنها خسائر فادحة، علاوة علی أنه لا یمکن التنبؤ بها) «۱». و فی کتاب «الماء و الحیاة بین العلم و القرآن»: (و نحن نعلم بأن هناک أمواجا علی سطح البحر تعرفها جمیعا، و هی صغیرة الحجم بالنسبة لما کشفه العلم سنة ألف و تسعمائة بواسطة علماء (إسکندینافة) و هی الأمواج الداخلیة فی أعماق البحر المحیط، و دعم ذلک ما قامت به الأقمار الصناعیة من استشعار عن بعد، و تصویر لهذا النوع الجدید من الأمواج سنة ألف و تسعمائة و ثلاث و سبعین و الذی ما عرفه إنسان قبل التاریخ و لا بعده إلا منذ سبع سنوات فقط، و طول هذه الأمواج السحیقة العملاقة یبلغ عشرة کیلومترات، و سمکها آلاف الأمتار ... و المسافة بین الموجة السحیقة و الأخری المجاورة لها فی الأعماق تبلغ ۳- ۴ ک. م، و هذا نوع کبیر جدا إذا قورن بالأمواج السطحیة التی توجد فوق سطح المحیط، و التی ما کنا نعرف غیرها من أنواع الأمواج إلا أخیرا، و هذا النوع السحیق یسود فی البحار المظلمة، مثل المحیط الهادی و الأطلنطی، فالمحیط الهادی سحیق الغور و أعمق مناطق العالم تقع فیه، و هو أخدود (الماریاناز) الذی یصل عمقه إلی ۳۶۰۵۶ قدما، و هذه المناطق المظلمة هی التی یستحیل وصول ضوء الشمس إلیها، لعمقها الشدید، و تراکم طبقات المیاه الکثیفة، و قیام الطبقة السطحیة من المحیط بإعکاس ضوء الشمس ... و لذلک فقد صمم الخالق الأعظم أنواع الأسماک هناک بلا عیون، لأنها لا تستخدمها فی الرؤیة، و تعیش هذه الأسماک هناک بسمعها و لکن لا تبصر، و هذا الظلام لا یکون کما رأینا فی کل بحار الدنیا، و إنما البحار العمیقة فقط، و الغریب أن محمدا صلی اللّه علیه و سلم قال بذلک رغم أن ما یحیط بالجزیرة العربیة من الشرق هو الخلیج العربی و هو لیس بحرا لجیا، و البحر الأحمر من الغرب، و هو بحر داخلی قلیل العمق، و بحر العرب من الجنوب و هو الآخر لیس بحرا لجیا ... إنه لإعجاز حقا أن یخبرنا القرآن منذ ألف و أربعمائة عام بتلک الظاهرة، فالظلمات

(۱) علم البحار و المحیطات، میلاد سعید الرماح، لیبیا، نشر القوات البحریة، ۱۹۷۹، ص: ۶۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۷۹ التی ذکرها القرآن لا توجد فی البحار المحیطة بمهبط رأس الرسول صلی اللّه علیه و سلم و موطنه، فمن کشف لمحمد هذه الأسرار؟ و من کشف له عن ظلمات السحب فی هذه المناطق التی یتمیز مناخها بالاضطرابات و الأعاصیر و تراکم السحب السوداء فی سماءها؟ إنه اللّه سبحانه و تعالی الذی أخبره عن طریق الوحی بکل ذلک و جعله سهل الفهم علی حسب مدارک ابن الصحراء، و ابن عصر الفضاء

علی حد سواء) «۱».

الإعجاز:

الإعجاز: لقد أثبت القرآن الکریم أن هناک أمواجا داخلیة غیر الأمواج السطحیة، و هذه الأمواج تتواجد فی المحیطات العمیقة اللجیة، و التی تتلبد سماؤها بالغیوم، أما البحار التی قعرها قریب و سماؤها صافیة، فلا یوجد فیها أمواج داخلیة، و هذا ما أکده العلم و قرره، فالأمواج الداخلیة تتواجد فی المحیط الهادی و الأطلنطی ... فهل ملک محمد صلی اللّه علیه و سلم الأقمار الصناعیة لتصویر هذه الأمواج أم أنه وحی السماء (_____. ۱) انظر: الماء و الحیاة بین العلم و القرآن، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۵، ص ۱۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۰

المبحث الثانی مرج البحرین یلتقیان

اشارة

المبحث الثانی مرج البحرین یلتقیان قال تعالی: «مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ یَلْتَقِیانِ (۱۹) بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ (۲۰) فَبِأَیِّ آلاءِ رَبِّکُما تُکَذِّبانِ (۲۱) یَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجانُ (۲۲)» «۱». و قال تعالی: أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَراراً وَ جَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَ جَعَلَ لَها رَواسِیَ وَ جَعَلَ بَیْنَ الْبَحْرَیْنِ حاجِزاً أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَکْثَرُهُمْ لا یَعْلَمُونَ «۲». و قال تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً «۳». فی هذه الآیات إعجاز علمی رائع فی عالم البحار، حیث إنها تتحدث عن بحرین یختلطان لکن دون امتزاج، بسبب وجود برزخ بینهما، و قبل أن نثبت الحقائق العلمیة التی تفسر هذه الآیات، نورد أقوال المفسرین لنری کیف فهموا هذه الآیات القرآنیة التی تتضمن بعض الظواهر الکونیة، و لنقف عند التحلیل اللغوی لبعض المصطلحات القرآنیة هنا. قال الطبری رحمة اللّه: (و اللّه الذی خلط البحرین، فأمرج أحدهما فی الآخر، و أفاضه فیه، و أصل المرج الخلط، ثم یقال للتخلیة: مرج، لأن الرجل إذا خلی الشیء حتی اختلط بغیره، فکأنه قد مرجه ... و إنما قیل للمرج مرج من ذلک، لأنه یکون فیه أخلاط من الدوابّ، و یقال: مرجت دابتک: أی خلیتها تذهب حیث شاءت) «۴». (_____ ۱) سورة الرحمن، الآیات: ۱۹- ۲۲. (۲) سورة النمل، الآیة: ۶۱. (۳) سورة الفرقان، الآیة: ۵۳. (۴) جامع البیان، للطبری، ۱۸/ ۱۵، و انظر: معانی القرآن، لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج، تحقیق، عبد الجلیل شلبی، بیروت عالم الکتب، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸، ۵/ ۱۰۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۱ و قال الزمخشری: (مرج البحرین، أرسل البحر المالح و البحر العذب، متجاورین متلاقیین لا فصل بین الماءین فی مرأی العین، بَیْنَهُما بَرْزَخٌ حاجز من قدرة اللّه تعالی لا یَبْغِیانِ لا یتجاوزان حدّیهما و لا یبغی أحدهما علی الآخر بالممازجة) «۱». و عند الرازی: (مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلاهما و أرسلهما یقال: مرجت الدابة إذا خلیتها ترعی و أصل المرج الإرسال و الخلط، سمی الماءین الکبیرین الواسعین بحرین، قال ابن عباس: مرج البحرین أی أرسلهما فی مجاریهما کما ترسل الخیل فی المرج و هما یلتقیان، و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ و المقصود من الفرات البلیغ فی العذوبة حتی یصیر إلی الحلاوة، و الأجاج نقیضه، و أنه سبحانه بقدرته یفصل بینهما و یمنعهما التمازج، و جعل من عظیم اقتداره برزخا حائلا من قدرته، و هاهنا سؤالات: السؤال الأول: ما معنی قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً؟ الجواب: هی الکلمة التی یقولها المتعوذ و قد فسرناها، و هی هاهنا واقعة علی سبیل المجاز، کأن کل واحد من البحرین یتعوذ من صاحبه و یقول له حجرا محجورا، کما قال: لا یَبْغِیانِ أی لا یبغی أحدهما علی صاحبه بالممازجة، فانتفاء

البغی ثمة کالتعوذ، و هاهنا جعل کل واحد منهما فی صورة الباغی علی صاحبه، فهو یتعوذ منه و هی من أحسن الاستعارات) «۲». و فی «أنوار التنزیل»: (خلاهما متجاورین متلاصقین بحیث لا یتمازجان، من مرج دابته إذا خلاها، هذا عَذْبٌ فُراتٌ قامع للعطش، من فرط عذوبته وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ بلیغ الملوحة و قرئ مِلْحٌ علی فعل، و لعل أصله مالح فخفف کبرد فی بارد، وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً حاجزا من قدرته، وَ حِجْراً مَحْجُوراً و تنافرا بلیغا، کأن کلا منهما یقول للآخر ما یقوله المتعوذ للمتعوذ عنه، و قیل: حدا محدودا، و ذلک کدجلة تدخل البحر فتشقه فتجری فی خلاله فراسخ لا یتغیر طعمها و قیل: المراد بالبحر العذب، النهر العظیم مثل النیل و بالبحر الملح البحر الکبیر، و بالبرزخ ما یحول بینهما من الأرض فتکون القدرة فی الفصل و اختلاف الصفة، مع أن مقتضی طبیعة أجزاء کل عنصر أن تضامت و تلاصقت و تشابهت فی الکیفیة) «۳».

(۱) الکشاف، للزمخشری، ۴/ ۴۵، و انظر: معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز، عبد الکریم الأسعد، الریاض، دار المعراج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸، ۳/ ۹۳۵. (۲) التفسیر الکبیر، للرازی، ۲۴/ ۴۷۵. (۳) أنوار التنزیل، للبیضاوی، ۴/ ۲۲۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۲ و نفس المعنی فی «تفسیر القرآن»: (وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ أی خلط البحرین، و قیل: أرسل البحرین، و قوله: هذا عَذْبٌ فُراتٌ العذب، یسمی کل ماء عذب فراتا، و یسمی کل ماء ملح بحرا، و أُجاجٌ أی شدید الملوحة، و قیل: مرّ، و قوله: وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً الیبس بین البحرین و البرزخ هو الحاجز، و قوله: وَ حِجْراً مَحْجُوراً أی مانعا ممنوعا) «۱». و نحلل بعض المصطلحات القرآنیة الواردة هنا مثل: مرج، و أجاج، و برزخ من المعاجم: ففی «لسان العرب»: (مرج، مرج الدین و الأمر اختلط و اضطرب، و منه الهرج و المرج، و یقال إنما یسکن المرج لأجل الهرج، ازدواجا للکلام ... و المرج الخلط و مرج اللّه البحرین العذب و الملح: خلطهما حتی التقیا) «۲». و معنی الأجاج، من الأجة (و الأجة الاختلاط و شدة الحر، و قد ائتج النهار و تأج و تأجج، و ماء أجاج، ملح مر) «۳». و فی «مختار الصحاح»: (الأجیج تلهب النار، و قد أجت تؤج أجیجا، و أججها غیرها فتأججت و ائتجت، و ماء أجاج أی ملح مر) «۴». و أما البرزخ فهو: (البرزخ ما بین کل شیئین، و فی الصحاح، الحاجز بین الشیئین، و البرزخ ما بین الدنیا و الآخرة قبل الحشر من وقت الموت إلی البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ ... و البرزخ ما بین کل شیئین، و منه قیل للمیت: هو فی برزخ لأنه بین الدنیا و الآخرة ... و البرازخ جمع برزخ، و قوله تعالی: بَیْنَهُما بَرْزَخٌ لا یَبْغِیانِ یعنی حاجزا من قدرة اللّه سبحانه و تعالی، و قیل: أی حاجز خفی) «۵». یتّضح لنا من هذا العرض أن المقصود من قوله تعالی: مَرَجَ أی خلط، و بَرْزَخ أی حاجزا، و لزیادة الإیضاح نقول: إن کلمة البحر إذا أطلقت فی لغة العرب، تنصرف إلی البحر المعهود ذی الماء الکثیف المالح، أما إن خصصت بقید، کقولنا: «بحر

(۱) تفسیر القرآن، للإمام أبی مظفر السمعانی، تحقیق، یاسر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم، الریاض، نشر دار الوطن، الطبعة الأولی ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷، ۴/ ۲۶. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۲/ ۳۶۴. (۳) القاموس المحیط، للفیروزآبادی، ۱/ ۲۲۹. (۴) مختار الصحاح، للرازی، ۱/ ۳. (۵) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۳ عذب» فینصرف المعنی إلی المخصص و إلی المقید، فالبحر العذب أی النهر، و هذا ما رأیناه فی بعض التفاسیر، و بوسعنا الآن بعد هذه الإشارات أن نحلل الآیات القرآنیة، ثم نثبت الحقائق العلمیة علی ضوء ذلک. تتحدّث الآیة الأولی عن بحرین یلتقیان و یختلطان، إلا أن هذا الاختلاط کان سلمیا، لا ظلم فیه و لا بغی و لا تعدّی علی حقوق أحد، فلم یبغ أحدهما علی الآخر بوجود البرزخ، الحاجز بینهما و المعنی نفسه تتحدث عنه الآیة الثانیة، فهی تشیر إلی وجود حاجز بین البحرین، إن هذه الحقیقة العلمیة اعتقد بها المسلمون قدیما، کما رأینا من عرض أقوال المفسرین لکنهم لم یروها فی عالم الشهادة، فاعتقادهم بها کان نابعا من یقینهم الجازم الذی لا یخامره أدنی ریب، أن هذا الکلام هو کلام الخالق العظیم، و بالتالی فحقائقه کلها صادقة و واقعة، فالرجل کان ینظر فی البحر، أو یرکبه فلا یری حواجز و لا فواصل فیه، إلی أن جاء العلم الحدیث و کشف عن هذه الحقیقة الکونیة و المعجزة القرآنیة، و أثبت أن هناک حواجز حقیقیة بین البحار.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: (نشرت بعثة (السیر جون أمری) مع بعثة الجامعة المصریة بخفر السواحل لدراسة أعماق البحر الأحمر و المحیط الهندی فی جنوب عدن، و بعض الملاحظات التی تسترعی النظر و مما جاء أن البعثة وجدت المیاه فی خلیج العقبة تختلف فی خواصها و ترکیبها الطبیعیة و الکیمیائیة عن المیاه فی البحر الأحمر، و حققت البعثة بواسطة قیاس الأعماق، وجود حاجز مغمور عند مجمع البحرین یبلغ ارتفاعه أکثر من ألف متر و تبعد قمته نحو ۳۰۰ متر عن سطح البحر. و تماثل هذه النتیجة ما وصلت إلیه السفینة (مباحث) فی رحلتها الأولی فی المحیط الهندی و البحر الأحمر، إذ حققت وجود حاجز مغمور بین البحرین، و أثبتت المشاهد بالتحلیل الکیمیائی، أن میاه المحیط الهندی تختلف فی خواصها الطبیعیة و (الکیمیائیة) عن میاه البحر الأحمر، و یعلل علماء البحار الاختلاف فی خواص الماء فی المحیط الهندی و البحر الأحمر، و فی خواصه فی خلیج العقبة و البحر الأحمر بوجود الحاجز المغمور عند ملتقی کل بحرین) «۱ (_____». ۱)

لفتات علمیة من القرآن، یعقوب یوسف، الریاض، الدار السعودیة للنشر و التوزیع، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۷، ص: ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۴ هذا عن التقاء البحرین، لکن ما معنی قوله تعالی: وَ هُوَ الَّذِی مَرَجَ الْبَحْرَیْنِ هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ وَ جَعَلَ بَیْنَهُما بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً. هذه الآیة تتحدث عن التقاء نهر و بحر هذا عَذْبٌ فُراتٌ وَ هذا مِلْحٌ أُجاجٌ و هما مختلطان لکن فی نفس الوقت یوجد بینهما فاصل، برزخ. إن هذا المفهوم القرآنی، فسّره العلم الحدیث و أکد حقائقه الثابتة ... فقد أثبتت الدراسات أن البحر الأبیض المتوسط فی لقائه مع المحیط الأطلسی عند مضیق جبل طارق بینهما برزخ، و من خلال التحلیل الکیمیائی لمیاه کل منهما و جدوا أن البحر الأبیض المتوسط بالمقارنة مع المحیط الأطلسی حار و یختلف فی ملوحته، فالبحر المتوسط أکثر ملوحة من الأطلسی و أکثر حرارة، و یختلف کل منهما فی الکائنات الحیة. (أما بالنسبة لالتقاء الأنهار مع البحار و اختلاطهما مع وجود البرزخ فقد أصبحت هذه الحقیقة من القضایا الثابتة علمیا و یعبر عنها بالاصطلاح العلمی ب ظاهرة التوتر السطحی) noisneT ecafruS (، و ملخصها ما یلی: أن کلا من الماء العذب و الملح، نظرا لاختلاف کثافتهما لا یتحد مع الآخر و لا یختلط به، و إنما تنزع جزئیات الماء فی کل منهما إلی الانکماش و التجاذب محدثة توترا فی سطح کل منهما الأمر الذی یکوّن أغلفة شفافة فاصلة بین الکتلتین لا یمکن رؤیتها و بذلک لا تبغی إحداهما علی الأخری بالاختلاط ... و فی الخلیج العربی تندفع الأنهار الجوفیة العذبة قرب البحرین و قطر، فی میاه الخلیج المالحة دون أن یختلط أحدهما بالآخر، و عند ملتقی نهر (الکنج و الجامونا) و فی مدینة (الله‌آباد) یتّحد ماء النهرین مع بقاء غشاء التمدد السطحی، فاصلا بینهما طوال مسیرتهما و عند لقاء نهر النیل بمیاه البحر المتوسط المالح، یندفع خط من الماء الحلو و یشق طریقه وسط میاه البحر المالحة دون أن یختلط بها، و فی باکستان الشرقیة یسیر نهران من (تشاتغام) إلی مدینة (أرکان) فی (بورما) و یمکن مشاهدة النهرین فی نهر واحد، یفصل بینهما شریط من الماء الملحی یسیر کل من الماء العذب و الملح فی جانب دون اختلاط أو ذوبان، و عند حدوث المد البحری بفعل جاذبیة القمر لیلا، یرتفع مستوی الماء البحری عند الشواطئ و بالتالی عند أفواه الأنهار التی تصب فی الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۵ البحار، و تندفع میاه البحر المالحة متوغلة فی عمق مصب النهر العذب لمسافات کبیرة فوق ماء النهر، و یبقی الملح ملحا و العذب عذبا) «۱». و فی کتاب «علم البحار» عقد فصل بعنوان (أنهار عظیمة فی البحر) و تحدث عن وجود العدید من الأنهار فی البحار و الخلجان و المحیطات، و مما جاء فیه: (توجد أعظم أنهار الدنیا فی البحر، و یبدو نهر (المیسیسیبی)، أو حتی نهر (النیل)، أو نهر (الأمازون) بجانبها و کأنه غدیر، و یبدو غریبا أن تستطیع تیارات من المیاه أن تتحرک لمثل هذا البعد خلال میاه أخری دون أن تختلط بها، و فی بعض الأحیان تتمیز ضفتاه بوضوح یشبه تقریبا وضوحها لو کان المجری علی الأرض، و قد توقفت مرة باخرة خفر السواحل الأمریکیة المسماة (تمبا) علی حافة أحد هذه الأنهار البحریة الغریبة، لقیاس درجة حرارة الماء و کانت درجة الحرارة عند

مقدم الباخرة ۵۶ درجة، و عند مؤخرتها ۳۴ درجة فقط، و قد يختلف أيضا تيار الماء المتحرك فی لونه عن ماء البحر المحيط به، و فی بعض الأحيان يكون سطحه هائجا، أو قد يغطيه الضباب، و أعظم الأنهار البحرية هذه هو تيار الخليج، فهو ينساب خارجا من خليج (المكسيك بين كوبا و فلوريدا)، و هناك يتحرك بسرعة خمسة كيلومترات فی الساعة، أو بسرعة مشی الإنسان العادية، و عرضه ۱۴۵ كيلومترا، و عمقه فی بعض الأماكن من ۸۰۰ متر، و يمر بليون طن من الماء تقريبا على طول ساحل (فلوريدا) كل دقيقة ... و يحمل تيار الخليج عند انسيابه من البحار الحارة ماء دافئا، و يحتفظ بجزء كبير من دفئه و هو يعبر المحيط (الأطلسی)، و توجد أنهار عظيمة فی المحيط (الهادی) أيضا) «۲». لكن فی نهاية الآية نجد إشارة أخرى هی قوله تعالى: وَ حِجْراً مَحْجُوراً و هذه الإشارة تعتبر زيادة عن الآيتين السابقتين، فما معنى وَ حِجْراً مَحْجُوراً؟. الحجر لغة: (المنع، و أصل الحجر فی اللغة، ما حجرت عليه أی منعته من أن يوصل إليه، و كل ما منعته منه) «۳ (_____». ۱) الماء و الحياة بين العلم و القرآن، عبد العليم عبد الرحمن خضر، ص: ۱۶۷، و ما بعدها. (۲) علم البحار، هاشم أحمد محمد، نشر: هلا بوك شوب، د. ت، ص: ۳۵. (۳) لسان العرب، لابن منظور، ۳/ ۵۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۸۶ فالحجر المحجور: هو المكان الذی يمنع الدخول إليه و الخروج منه، و هذا المعنى القرآنی أثبته العلم الحديث فی أبحاثه و دراساته البحرية. (و ذلك يتم عند التقاء النهر العذب بالبحر المالح فتتشكل منطقة ثالثة ليست بحرا و لا نهرا تسمى (منطقة المصب) فيتضح للرائی النهر و يتميز عن البحر، لكن منطقة المصب تختلف عن البحر و النهر من ناحية الكثافة و الملوحة و حتى فی الكائنات الحية، و هنا تظهر ومضة الإعجاز القرآنی فی قوله سبحانه و تعالى: وَ حِجْراً مَحْجُوراً فمما ثبت أن الكائنات الحية التی تعيش فی منطقة النهر لو دخلت فی منطقة المصب لماتت، و كذلك فإن الكائنات الحية التی تعيش فی منطقة البحر لو دخلت منطقة المصب تموت، و الكائنات الحية التی فی منطقة المصب لو دخلت منطقة النهر أو البحر تموت أ ليس حجرا محجورا، لا إله إلا اللّه و سبحان الخالق العظيم، ما أدرى محمدا بهذه المعلومات البحرية و هذه الخصائص العلمية، إنه الحق) «۱». و فی كتاب «علم المحيطات»: (الفرق بين البحار و المصبات يرجع إلى مسألة الحجم، و يحدّد الدوران فی بحر ما، فيما إذا كان معدل التبخر يزيد على معدل الماء العذب الذی يدخل البحر، فإذا كان التبخر أكبر، فإن المياه السطحية ستصبح أكثر ملوحة باستمرار و تغطس، و تجدد مياه القاع، أما إذا كان الماء العذب الداخل أكبر فإن مياه السطح تميل إلى أن تبقى على السطح، و تميل مياه القاع إلى أن تكون راكدة و عديمة الحياة، و بصورة خاصة إذا كان البحر مفصولا عن المحيط بواسطة عتبة ضحلة، و توجد المصبات عادة فی الأماكن التی يمتزج فيها الماء العذب مع الماء المالح، و هی المناطق التی تكون أكثر عرضة لتأثيرات التلوث) «۲».

الإعجاز:

الإعجاز: من الذی أخبر محمدا صلى اللّه عليه و سلم بهذه القوانين البحرية و بهذه التفاصيل العلمية؟ و هو النبی الأمی الذی لم يركب البحر قط، بل كان يعيش بين بحار من الرمال و الجبال الجرداء ... إن الذی أنبأه بذلك هو العليم الخبير، الذی أذن لإنسان عصرنا أن يكشف (_____ ۱) لقطة من محاضرة الداعية الإسلامی الكويتی طارق سويدان عن البحار، شريط كاسيت. (۲) علم المحيطات، كيث ستو، ترجمة، تلفات عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶، ص: ۴۸۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۸۷ عن بعض وجوه إعجاز القرآن الكريم ليتحقق قول اللّه تعالى: سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ. صورة رقم: (۳۰)، تظهر مكان التقاء نهر الميسيسيبی بالبحر (دلتا المسيسبی) الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۸۸

المبحث الثالث و البحر المسجور

اشارة

المبحث الثالث و البحر المسجور قال تعالی: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ «۱». هذا قسم اللّه سبحانه و تعالی بالبحر، و قد وصف هذا البحر بأنه مسجور، و القسم کما هو معلوم یؤتی به للتوکید، و کلام اللّه لا یحتاج لتوکید، و من أصدق من اللّه قیلا، لکن لینبه الغافلین و یرشد الطائعین، و یقیم الحجة علی الکافرین. و هذا التوکید علی أن البحر مسجور، سیق فی معرض الحدیث عن دلائل قدرة اللّه و عظمته و تهدید الکافرین المعرضین عن دین اللّه و شرعه، فهو حدیث عن بحر مسجر فی الدنیا، غیر الحدیث المعهود عن قیام الساعة و نهایة الحیاة و دمار الکون و تسجیر البحار و ذلک فی قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ «۲» فهذه الآیة تتحدث عن نهایة الکون و تسجیر البحار، و إذا، کما هو معروف ظرف لما یستقبل من الزمن، أی فی المستقبل إبان خراب الکون ستسجر البحار و تتحول کلها إلی کتل ناریة. و ما یهمنا هنا، هو قسم اللّه عز و جل بوجود بحر مسجور فی الأرض التی تقلنا، و هذا البحر بل و البحار بان تسجیرها فی زمن العلم، لکن قبل التعرض للحقائق العلمیة فی ذلک، سنتعرف علی معنی المسجور لغة من خلال تحلیل العلماء لهذه الکلمة فی تفاسیرهم و کتب اللغة. یقول الإمام الطبری: (اختلف أهل التأویل فی معنی البحر المسجور، فقال بعضهم: الموقد، و تأوّل ذلک و البحر الموقد المحمی، ذکر من قال ذلک عن سعید بن المسیب، قال: قال علیّ رضی اللّه عنه لرجل من الیهود: أین جهنم؟ فقال: البحر، فقال: ما أراه إلا صادقا، و البحر المسجور و إذا البحار سجرت مخففة ... و عن مجاهد،

(_____ ۱) سورة الطور، الآیة: ۶. (۲) سورة التکویر، الآیة: ۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۸۹ وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال: الموقد) «۱». و فی «إرشاد العقل السلیم»: (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ أی المملوء و هو البحر المحیط أو الموقد) «۲». و یقول الزمخشری: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (أی المملوء، و قیل الموقد) «۳». و عند القرطبی: (وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ قال مجاهد: الموقد المحمی بمنزلة التنور المسجور ... و قال عبد اللّه بن عمرو: لا یتوضأ بماء البحر لأنه طبق جهنم) «۴». و فی «مفردات ألفاظ القرآن»: (السجر، تهییج النار، یقال: سجرت التنور، و منه وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ) «۵». و فی «لسان العرب»: (سجره ملأه، سجرت النهر ملأته، و قوله تعالی: وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ لا وجه له إلا أن تکون ملئت نارا، و قوله تعالی: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ جاء فی التفسیر أن البحر یسجر فیکون نار جهنم، سجر یسجر و انسجر امتلأ، و کان علی بن أبی طالب علیه السّلام یقول: المسجور بالنار أی مملوء، قال المسجور فی کلام العرب المملوء و قد سکرت الإناء و سجرته إذا ملأته) «۶». إذن یتضح لنا من هذا الکلام، أن المقصود بالمسجور هو الموقد أو المهیج بالنار، و قسم اللّه سبحانه و تعالی هذا فیه دلالة صریحة علی وجود بحار مسجرة بالنیران، إذ أن المقصود بالبحر المسجور هنا هو من بحار الدنیا و لیس الآخرة، و قد شاء اللّه سبحانه و تعالی أن تتجلّی هذه الحقیقة القرآنیة فی عصر العلم، و یصل علماء البحار إلی التأکد الجازم من وجود براکین ملتهبة بالنار فی القیعان.

(_____ ۱) جامع البیان، للطبری، ۲۷/ ۱۰، و انظر: صفوة التفاسیر، للصابونی، بیروت، دار إحیاء التراث، الطبعة الأولی، ۱۹۹۵، ۳/ ۱۸۶. (۲) إرشاد العقل السلیم، لأبی السعود، ۸/ ۱۴۶. (۳) الکشاف للزمخشری، ۴/ ۲۲، و انظر: الدر المصون، محمد السمین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴، ۶/ ۱۹۵. (۴) الجامع لأحکام القرآن، للقرطبی، ۹/ ۴۲. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۲۲۷. (۶) لسان العرب، لابن منظور، ۴/ ۳۴۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۰

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: یقول الدکتور جمال الدین الفندی فی کتابه «طبیعیات البحر و ظواهره»: (أثبتت الدراسات أن فی قشرة قاع المحیط یوجد بعض الثغرات أو الشقوق العمیقة، نتیجة التصدع بتقلصات القشرة لإحداث التوازن و اختلافات الحرارة، و ما یتبع هذه الاختلافات من تمدّد بالتسخین و تقلص بالبرودة، و علی طول مثل هذه الأماکن المتمددة الضعیفة، تندفع الحمم البرکانیة المنصهرة

من باطن الأرض من خلال قشرة القاع ثم تنبثق متدفقة فی البحر، إلا أنها تلقی مقاومة بسبب ثقل مياه البحار، و برغم ذلك فإن براكين البحر أيضا تقذف حممها إلى أعلى، كما تبنى فوهاتها المخروطية صاعدة نحو السطح بتوالى تراكم الحمم المنصهرة، و قد تسبب الانفجارات البركانية نسف الجزر أو اختفائها، و من أمثلة ذلك ما حدث فی عام ۱۸۸۳ عند ما انفجرت جزيرة (كاراكاتوا) من مجموعة جزر الهند الشرقية برمتها، و بعد يومين من تعاقب الانفجارات البركانية أصبحت هذه الجزيرة التی كانت تعلو سطح البحر بنحو ۱۴۰۰ قدم، مجرد شعبة منخفضة عن سطح الماء بنحو ۱۰۰۰ قدم، و لم يبق ظاهرا منها إلا جزء من حافة قمتها الأصلية) «۱». و عقد فصلا جورج جامو فی كتابه «كوكب اسمه الأرض» تحت عنوان: جهنم تحت أقدامنا، و تحدث فيه عن تسجير قاع البحر، و النار و البراكين النشطة فيه، يقول فی مطلعه: (ازدياد الحرارة مع العمق: إن سحب الدخان الأسود المتصاعد من فوهات البراكين الثائرة، و الحمم الملتهبة المتدفقة على جوانبها، و عيون المياه الساخنة، كل هذا دعا الأقدمين إلى الاعتقاد بوجود نار متقدة ليست بعيدة تحت أقدامنا أعدت للخاطئين ...) «۲». و فی «موسوعة الظواهر الطبيعية»: (و لانفجار البراكين فی قيعان المحيطات و البحار أثر نشوء الأمواج العالية و السريعة، التی تحطم و تكتسح ما تصادفه فی طريقها ... أما البراكين أو جبال النار فهی المنافذ التی تقذف منها المواد الأرضية الباطنية المنصهرة، عند ما يشتد ضغطها) «۳».

(_____ ۱) طبيعيات البحر و ظواهره، محمد جمال الدين الفندی، ص: ۲۱۰، و انظر: البحار و ما فيها، روبرت كاون، ترجمة عبد الحافظ حلمی القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۴، ص: ۱۱۷. (۲) كوكب اسمه الأرض، جورج جامو، ص: ۷۴. (۳) موسوعة الظواهر الطبيعية، خليل بدوی، عمان، دار عالم الثقافة، الطبعة الأولى، ۲۰۰۰، ص: ۸۰، و انظر: كوكب الأرض، مؤسسة الكويت للتقدم العلمی، ص: ۳۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۱

الإعجاز:

الإعجاز: لقد قرر كتاب اللّه تعالى أن قاع البحار مسجرة بالنار، و لم يكن يعلم قبل و مع نزول القرآن الكريم هذه الحقيقة العظمى، حتى بداية القرن العشرين حيث تبين للعلماء أن قاع البحار مسجرة و مضطرمة بالنيران، غير أن الحق قرّر هذه الحقيقة البحرية بقوله: وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ، فمن الذی أخبر محمدا صلى اللّه عليه و سلم بأن البحر قاعه ملتهب و متفجر بالبراكين التی تقذف الحمم النارية، و رسول اللّه لم يركب البحر قط، و لم يكن فی عصره غواصات بحرية تصور تلك المشاهد العجيبة فی قاع البحر؟ إنه الحق. رسم يوضح البراكين تحت البحار الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۲

المبحث الرابع اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء

اشارة

المبحث الرابع اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ «۱». و قال سبحانه و تعالى: وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ إِنَّ الَّذِی أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ «۲». فی هاتين الآيتين حقائق علمية و عطاءات جيولوجيا مدهشة، فالقرآن يصف سطح الأرض بأنه هامد و خاشع، ثم إنه يعقب على ذلك بحيث إذا نزل ماء السماء، حدث فی الأرض اهتزاز مما يؤدی إلى زيادة فی الأرض. هذه الصورة القرآنية هی صورة وصفية لأدق الحقائق العلمية، التی وفّق إنسان عصرنا للكشف عنها و التعرف على مراحلها بدقة، و حری بنا أن نقف عند ما قاله المفسرون و أصحاب اللغة فی هاتين الآيتين الكريمتين. يقول الإمام الطبری: (و ترى الأرض يا محمد يابسة

دارسة الآثار من النبات و الزرع، و أصل الهمود الدروس و الدثور، و يقال منه: همدت الأرض تهمد همودا) «۳». و عند الرازی: (وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً و همودها يبسها و خلوها من النبات و الخضرة فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و الاهتزاز الحركة على سرور فلا يكاد يقال اهتز فلان لكيت و كيت إلا إذا كان الأمر من المحاسن و المنافع فقوله: اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أی تحركت بالنبات و انتفخت، أما قوله: وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ فهو

(۱) سورة الحج، الآية: ۵. (۲) سورة فصلت، الآية: ۳۹. (۳) جامع البيان، للطبری، ۱۷/ ۸۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۳ مجاز، لأن الأرض ينبت منها و اللّه تعالى هو المنبت لذلك، لكنه يضاف إليها توسعا، و معنى مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ من كل نوع من أنواع النبات من زرع و غرس، و البهجة حسن الشیء و نضارته، و البهيج بمعنى المبهج) «۱». و قال الإمام القرطبی: (الاهتزاز: شدّة الحركة، يقال: هززت الشیء فاهتز، أی حركته فتحرك و هزّ الحادی الإبل هزيزا فاهتزت هی إذا تحركت فی سيرها بحدائه، و اهتز الكوكب فی انقضاضه و كوكب هازّ، فالأرض تهتز بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفية فسماه اهتزازا مجازا ... و الاهتزاز فی النبات أظهر منه فی الأرض، وَ رَبَتْ أی ارتفعت و زادت و قيل: انتفخت و المعنى واحد، و أصله الزيادة، ربا الشیء يربو ربوّا أی زاد، و منه الربا و الرّبوة) «۲». و يقول سيد قطب رحمه اللّه فی تفسيره «الظلال»: (الهمود درجة بين الحياة و الموت، و هكذا تكون الأرض قبل الماء، و هو العنصر الأصيل فی الحياة و الأحياء، فإذا نزل عليها الماء اهتزت و ربت، و هی حركة عجيبة سجّلها القرآن قبل أن تسجّلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز، و هی تشرب الماء فتنتفخ و تربو ثم تفتح بالحياة عن النبات من كل زوج بهيج، و هل أبهج من الحياة و هی تتفتح بعد الكمون، و تنتفض بعد الهمود) «۳». و أما الآية الثانية و التی ذكرت خاشِعَةً دون هامِدَةً فيقول الإمام الرازی: (الخشوع التذلل و التصاغر، و استعير هذا اللفظ لحال الأرض حال خلوها عن المطر و النبات فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أی تحركت بالنبات، و ربت، انتفخت لأن النبت إذا قرب أن يظهر ارتفعت له الأرض و انتفخت، ثم تصدعت عن النبات، ثم قال: إِنَّ الَّذِی أَحْياها لَمُحْيِ الْمَوْتى يعنی أن القادر على إحياء الأرض بعد موتها هو القادر على إحياء هذه الأجساد بعد موتها) «۴».

(۱) التفسير الكبير، للرازی، ۲۳/ ۲۰۷، و انظر: محاسن التأويل، محمد القاسمی، بيروت، دار الفكر، الطبعة الأولى، ۱۹۷۸، ۱۲/ ۹. (۲) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبی، ۱۲/ ۵. (۳) فی ظلال القرآن، سيد قطب، ۴/ ۲۴۱۱. (۴) التفسير الكبير، للرازی، ۲۷/ ۵۷۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۳۹۴ و فی تفسير «النكت و العيون»: (وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً خاشعة، أی ذليلة بالجدب لأنها مهجورة) «۱». و بالعودة إلى معاجم اللغة نتبين معنى كل من «خاشعة، و هامدة، و اهتزت، و ربت»، أما معنى خاشعة، ففی لسان العرب: (الخاشعة المتغبرة المتهشمة و أراد المتهشمة النبات، و بلدة خاشعة أی مغبرة لا منزل بها، و إذا يبست الأرض و لم تمطر قيل قد خشعت قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ و العرب تقول: رأينا أرض بنی فلان خاشعة) «۲». و أما هامدة، ففی «مفردات ألفاظ القرآن»: (أرض هامدة: لا نبات فيها، و نبات هامد: يابس، قال تعالى: وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً «۳». و فی كتاب «العين»: (الهمود الموت كما همدت ثمود، و رماد هامد إذا تغير و تلبد، و ثمرة هامدة إذا اسودت و عفنت، و أرض هامدة مقشعرة لا نبات فيها إلا يبيس متحطم، و الهامد من الشجر اليابس) «۴». و معنى اهتزت أی (تحركت، و اهتز النبات: إذا تحرك لنضارته قال تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ) «۵». و معنى ربت (ربا: إذا زاد و علا قال تعالى: فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَيْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ أی زادت زيادة المتربی) «۶». هذا هو التحليل اللغوی لمفردات الآية الكريمة، و تلك هی معانيها فی كتب المفسرين، و لنا أن نستخلص بعض النتائج من معطيات هذه النصوص القرآنية، بعد ما سلف من توضيح العلماء.

(۱) تفسير النكت و العيون، على بن

محمد الماوردی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت، ۵/ ۱۸۴. (۲) لسان العرب، لابن منظور، ۸/ ۷۲، و انظر: المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن، عبد العزیز السیروان، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶، ص: ۴۲۸. (۳) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۸۴۵. (۴) العین، للفراهیدی، ۴/ ۳۱، و انظر: تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم، سمیح عاطف الزین، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴، ص: ۸۹۹. (۵) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، ص: ۸۴۰. (۶) المصدر نفسه، ص: ۳۴۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۵ أولا: عند ما تکون الأرض هامدة لا حراک فیها، فإذا أنزل اللّه علیها الماء أحدثت أولا اهتزازا. ثانیا: المرحلة الثانیة بعد الاهتزاز تربو، أی تزداد. ثالثا: المرحلة الثالثة بعد الزیادة تنتج الزروع و الثمار، و تکثر المحاصیل و یزداد الإنتاج. و یشار إلی قضیة هامة و هی: أن هناک فرقا دقیقا بین الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، فالأرض الهامدة هی الیابسة القاحلة التی لا حیاة فیها، بسبب ما أصابها من جدب و قحط و انعدام الماء، و هذا بخلاف الأرض الخاشعة التی یوجد فیها النباتات و الزروع، إلا أن العطش و قلة الماء و ندرة الأمطار جعلتها مصفرة الأوراق، ذابلة الأغصان، بأمسّ الحاجة إلی قطرات الماء، و هذا المشهد هو مشهد الخشوع و الانکسار فی الأرض، و یستلهم هذا المعنی من معطیات ما مرّ من المعاجم.

الحقائق العلمیة:

الحقائق العلمیة: ما هو الاکتشاف العلمی الدقیق فی هذا الصدد، لمعرفة ذلک سنثبت هنا لقطة من محاضرة الشیخ عبد المجید الزندانی حول هذه الآیة، ناقلا لنا الاکتشافات العلمیة الدقیقة لتفسیر و توضیح معانی هذه الآیة الکریمة. یقول: فی عام ۱۸۲۷ اکتشف العلماء أن حبیبات الطین تهتز، و ترکیب حبیبات الطین ما یلی: الحبیبة: هی أصغر جزء من الطین بعد أن تفتته إلی أجزاء صغیرة، فالطین مکون من هذه الحبیبات فهی صغیرة جدا لا ترى بالعین، قطرها: ثلاثة من ألف من المیلیمتر، هذه الحبیبة الطینة تترکب من صحائف معدنیة بعضها فوق بعض، و إذا نزل المطر شحن الأرض بشحنات کهربائیة، هذه الشحنات الکهربائیة تختلف بسبب ترکیب المعادن الموجودة فی الحبیبات، فیحدث نوع من التنافر بین هذه الحبیبات فتهتز الحبیبات، ما سبب الاهتزاز؟ یقول: الشحنات الکهربائیة و دخول الماء من عدة جهات یحدث اهتزازا، و هذا الاهتزاز بعده ینشأ دخول الماء بین الصحائف، أی یسمح هذا الاهتزاز بدخول الماء بین الصحائف و إذا دخل الماء بین الصحائف تنمو هذه الحبیبة و تربو، و الربا کما أشرنا هی الزیادة، أی تربو بالماء الذی دخل بین الصحائف، و بعد أن تربو تحاط بغلاف من الماء، فتعتبر کل حبیبة من الحبیبات مخزنا للماء تمد النبات طوال الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۶ شهرین أو ثلاثة أشهر، و إلا من أین یجد النبات مددا لو لا تحول حبیبات التربة إلی مخازن ماء تمد النبات بالحیاة، و بالتالی یستمرّ النبات فی النمو، ثم بعد ذلک قال: ثلاث خطوات نستنتجها من هذا: ۱- اهتزاز. ۲- زیادة، تربو الحبیبات. ۳- ثم إنبات للنبات. و إلی هذا تشیر الآیة القرآنیة وَ تَرَی الْأَرْضَ هامِدَةً فَإِذا أَنْزَلْنا عَلَیْهَا الْماءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ کُلِّ زَوْجٍ بَهِیجٍ. من أخبر محمدا صلی اللّه علیه و سلم بهذا، إذن، الذین یکتبون تاریخ العلم علیهم أن یقولوا: اهتزازات ذکرها اللّه فی قرآنه نزل بها الوحی علی قلب محمد صلی اللّه علیه و سلم) «۱». و أما عن میکانیکیة انتفاخ التربة، فإن عملیة الانتفاخ تتم بسبب (وجود الشحنات السالبة فوق سطح المعدن الطینی، و التی هی السبب الرئیسی فی جذب الأیونات الموجبة القابلة للتبدل الموجودة فی ماء التربة، و ذلک لمعادلة الشحنة السالبة الموزعة علی سطوح حبیبات التربة. إن وجود الطبقة المزدوجة من الأیونات الموجبة و السالبة، یؤثر علی بعض خواص التربة منها خاصیة الانتفاخیة، حیث إن (الأیونات) الحرة إذا ما تعرضت للماء فإنها ستؤدی إلی نمو الطبقة (الأیونیة) المزدوجة بشکل کبیر، و هذا النمو سیدفعها إلی التحرک بعیدا عن سطح المعدن الطینی و بالتالی یؤدی إلی تباعد الجزیئات عن بعضها البعض، و بذلک یزداد حجم التربة و یحصل الانتفاخ و یتم إنبات النبات) «۲».

(_____ ۱) محاضرة الشیخ عبد المجید

الزندانی بعنوان: إنه الحق، شریط کاسیت. (۲) الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، أحمد الدلیمی، الموصل، مطبعة الزهراء، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰، ص: ۲۱، و انظر: الجغرافیة الحیویة حسن أبو سمور، عمان، دار صفاء، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه، ۱۹۹۹، ص: ۸۰، و انظر: مورفولوجیا النباتات الزهریة، مصطفی الحدیدی، الریاض، دار المریخ، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴، ص: ۴۶۳، و انظر: فسیولوجیا النبات، علی الهلالی، الریاض، النشر العلمی و المطابع، ۱۴۲۰ ه، ص: ۲۲۶، و انظر: فسیولوجیا النبات، روبرت دیفلین و فرانسیس ویزام، ترجمة، محمد شرقاوی و آخرون، القاهرة المجموعة العربیة للنشر، ۱۹۸۵، ص: ۸۰۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۷

الإعجاز:

الإعجاز: إن هذا السبق القرآنی فی تصنیف التربة الطینیة و نباتاتها، إلی أرض خاشعة و أرض هامدة، ثم الوصف الدقیق لعملیة اهتزاز التربة و انتفاخها بسبب ماء السماء، لا یمکن أن یعرفه إنسان مضی عصره منذ أکثر من أربعة عشر قرنا، و لا بد لمن یکتشف هذه الحقائق الیوم، و یتعرّف علی أسرارها أن یعلن الإیمان باللّه تعالی و التصدیق بنبوة محمد صلی اللّه علیه و سلم. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۸

الخاتمة

الخاتمة و أخیرا فهذا ما قد ألهمنیه ربی سبحانه و تعالی، من الدراسة فی قضایا الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، و التی تربط صفحات الکون المفتوح بصفحات القرآن المقروء، و هذا الربط یسهم فی إبراز آیات العظمة الإلهیة و دلائل الوحدانیة، لینطق کل جزء من هذا العالم المدهش، بروعة الإبداع و تألّق الصنعة. و القرآن دعانا إلی التدبر و التمعن و التفکیر فی العالم حولنا، لنشاهد ید القدرة التی خلقت الخلق فی نظام رتیب، و دقة بالغة، و ألا نکون من الغافلین عن هذه الآیات، قال تعالی: وَ کَأَیِّنْ مِنْ آیَةٍ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ یَمُرُّونَ عَلَیْها وَ هُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ «۱». لقد رأینا کثیرا من الحقائق العلمیة، التی تکشّفت للعلماء فی عصرنا، قد سبقهم القرآن لإثباتها و تقریر واقعها، لکن الذی قدمه العلماء هو الکشف عما هو موجود، و مع الأسف فإن الذی یکشف أسرار هذا الکون، و ینقّب عن غوامضه و خفایاه هم غیر المسلمین، فبعد أن برع أسلافنا فی العلوم الکونیة و الطبیعیة، و خلّفوا لنا ثروة هائلة من المخطوطات، قام الغرب بترجمتها و الاستفادة منها فأصبحت منارة لبدایة طریق النهضة و الثورة العلمیة، فی حین نجد أن المسلمین أعرضوا عن تراثهم التجریبی هذا؟. لقد قدّم علماؤنا جزاهم اللّه خیرا کمّا هائلا من الأحکام التشریعیة و العلمیة، و استنبطوا الأحکام الفقهیة الکثیرة من آیات الأحکام فی کتاب اللّه و سنة المصطفی صلی اللّه علیه و سلم فترکوا لنا آلاف المجلدات و عمروا المکتبة الإسلامیة و أثروها بخدمتهم للقرآن الکریم و للسنة المطهرة. لکن لنتساءل إذا کان الفقهاء قد استنبطوا من آیات الأحکام تشریعا ینظم حیاة الفرد المسلم و الأمة المسلمة، فلما ذا لا یقوم غیر الفقهاء من العلماء، و یتشرفوا بخدمة

(_____ ۱) سورة یوسف، الآیة: ۱۰۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۳۹۹ القرآن الکریم باستنباط الإعجاز العلمی المستور وراء کل آیة علمیة أو کونیة فی القرآن الکریم، و کما هو معلوم أن الآیات الکونیة تفوق آیات الأحکام بکثیر. إن کلمة الحج علی سبیل المثال، ورد ذکرها فی القرآن تسع مرات، فکان نتیجة ذلک أن سطّر حولها مئات المجلدات و الموسوعات الفقهیة، فکیف إذا درسنا البحر و الأرض و الشمس و النجوم و الإنسان و النبات ... و التی ذکرها القرآن الکریم عشرات المرات فما ذا تکون النتیجة؟ إن کثیرا من أبنائنا الذین برعوا فی العلوم الکونیة، تراهم منبهرین بما عند غیرنا من حضارة، و متی یعود أمثال هؤلاء إلی رشدهم، و یعکفوا علی کتاب ربهم لیخدموه بما قد نالوا من معارف کونیة فیسخر الفیزیائی قوانینه لدراسة الآیات الفیزیائیة فی القرآن، و یدرس الفلکی مواقع و أنواع

النجوم و الکواکب بما یستلهمه من إشارات القرآن و معطیاته، و یقف الطبیب بعلمه علی الوصف القرآنی لخلق الإنسان و یشاهد عالم الزراعة و النبات العرض القرآنی لعالم النبات فی صفحاته ... و قد بدت و لله الحمد بوادر هذا الاتجاه فی عصرنا الحدیث، فرأینا بعض المجامع العلمیة تتجه إلی خدمة هذا الأمر، حیث وجدنا فی مصر و السعودیة و غیرهما من البلاد، من یبذل جهودا مشکورة لإظهار الإعجاز العلمی فی الکتاب و السنة، و لکن الأمر یحتاج إلی مزید من البحث و التنقیب فی هذا المجال الرائع الأخّاذ. و لقد احتوت هذه الرسالة عشرة فصول، الثلاثة الأولی منها کانت دراسة تاریخیة للإعجاز فی القرآن الکریم، و السبعة الأخری للتطبیقات المعاصرة، أما الفصل الأول فقد تحدثت فیه عن مفهوم المعجزة و حدّها کما وضعه العلماء، و عن الفارق بین معجزات الأنبیاء و معجزات نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم، کما تحدثت عن تحدی القرآن الکریم للعرب أن یأتوا مثله، و مراحل هذا التحدی، و إیضاح عجزهم عن ذلک و اعترافهم هم و العالم بعظمة القرآن العظیم، و فی الفصل الثانی تعرضت للحدیث عن منشأ إعجاز القرآن، و کیف أن القول بالصرفة کان الباعث الأول لظهور هذا المصطلح، و سقت ردود العلماء لمن قال بالصرفة، ثم استعرضت وجوه القرآن الکریم مبینا اختلاف العلماء فی تعدد هذه الوجوه، و فی الفصل الثالث رکزت علی الإعجاز العلمی فی القرآن، و عرضت أبرز من تناوله من العلماء القدامی و المعاصرین، و بینت أنهم سلکوا فی قضیة الإعجاز العلمی ثلاثة مسالک، مسلک یدعو للعمل علی إظهار الإعجاز العلمی فی القرآن الکریم، إلا أنه وقع فی مطبات کثیرة و شطط غیر محمود، عند ما أخضع الآیات القرآنیة للنظریات المعاصرة مما صح منها و مما لم یثبت، و بذلک یکون الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۰ قد تجاوز الحد و تعسف و غالی فی منهجه هذا، و آخرون تبنوا قضیة الإعجاز و لکن بتحفظ و حذر، فلم یأخذوا من قضایا العلم إلا ما ارتقی إلی مستوی الحقیقة العلمیة القطعیة، دون الفرضیات أو النظریات، و هؤلاء قد أصابوا فی منهجهم و عملهم هذا، و فریق ثالث ضرب بقضیة الإعجاز العلمی عرض الحائط و اعتبرها نوعا من أنواع السذاجة و تضییع الأوقات، و هؤلاء قد جانبوا الصواب بمنهجهم هذا لأنهم أنکروا ما هو موجود بل ذاخر به کتاب اللّه تعالی، و ختم الفصل بالترجیح بین هذه المسالک. و جاء الفصل الرابع بمدخل عرض فیه أهمیة الإعجاز العلمی و الدعوة إلیه فی عصرنا، و أن الإسلام هو دین توج رسالته بالعلم، کما تحدث هذا الفصل عن التطبیقات المعاصرة لقضایا الإعجاز و بالشروط و الضوابط التی وضعها علماء التفسیر لذلک، فکان فیه الحدیث عن الجانب الفلکی فی کتاب اللّه تعالی من حیث مولد الکون و منشئه، و تمدد الکون و توسعه، و نهایة الکون و فناؤه، و کل ذلک بین القرآن و العلم، و أما الفصل الخامس فقد تعرض للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی الشمس من حیث تحرکاتها و انتقالاتها، و توهجها و لهیبها، و إشارة القرآن إلی تعدد الشموس و الأقمار، ثم الحدیث عن موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم، و أما الفصل السادس فقد تحدث عن الإعجاز القرآنی فی الأرض، و ذلک من جهة کرویتها، و دورانها، و جاذبیها، و غلافها الجوی، و نقصانها و تآکلها ثم موتها، و فی الفصل السابع تعرضت للحدیث عن الإعجاز القرآنی فی القمر، و أظهرت سبق القرآن فی إثباته لإنارة القمر و کیف یستمد نوره من الشمس، و لا نور ذاتی له، ثم تحدثت عن انشقاقه و منازله جمعه فی آخر عهده مع الشمس ثم موته. و کان الحدیث فی الفصل الثامن عن إعجاز القرآن فی الریاح، و أشرت إلی أنواع الریاح بین القرآن و العلم، و إلی تکوین السحب و أنواعها بین القرآن و العلم، ثم تعرضت للحدیث عن لفتات إعجازیة فی البرد و البرق، و فی الفصل التاسع تحدثت عن الجبال و طرق تکوینها، و کیف أن الخالق جل جلاله جعلها سببا لتثبیت الأرض و قرارها، ثم أوضحت السر القرآنی فی ربطه بین الجبال الشامخات و الماء الفرات، و ختمت الفصل بالحدیث عن حرکة الجبال و تعدد صخوره، و جاء الفصل العاشر و الأخیر للحدیث عن البحار و ما أودع اللّه سبحانه فیها من عجائب و أسرار، کتلک الظلمات المتعاقبة و الأمواج المتنوعة سواء داخل البحر أو علی سطحه، و کیف سجل الحق جل جلاله حقیقة التقاء البحار دون امتزاج بسبب الحاجز المائی بینها، ثم تعرضت للحدیث عن البحر الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۱ المسجور و ما کشف عنه العلماء فی هذا الصدد، و ختم الفصل بالإشارة إلی حقیقة اهتزاز الأرض بماء السماء و سبب ذلک بین القرآن و العلم. علما أن هذا العمل قد دعّم بصور علمیة شارحة، فالآیات التی نتحدث عن إعجاز القرآن فیها

نعرض لها من الصور العلمیة ما ینسجم و یتوافق معها، کذلک من الجداول و الإحصائیات العلمیة ما یوضح جانب الإعجاز العلمی فیها قدر الإمکان، بالإضافة إلی اللقاءات و المقابلات الشخصیة مع بعض العلماء البارزین فی هذا المجال. و فی هذه الرسالة جمعت تلک الفصول و عمدت فیها لإبراز ثلاثة وصایا أو جوانب: الجانب الأول: أن فی القرآن أنباء و حقائق علمیة ستبقی متجددة مساورة للرکب الحضاری و العلم الإنسانی مدی الدهر، فإعجازاته مستمرة مع کل جیل، فما رأینا نحن الآن من حقائق علمیة کشف عنها العلماء و وجدنا أن القرآن ذکرها قد غابت عن أسلافنا، و إن هناک حقائق لم تظهر بعد تعتبر بالنسبة لنا فی تلافیف الغیب المستقبلی و التی ستکون مشاهدة و مرئیة للأجیال القادمة من أبنائنا. الجانب الثانی: بناء علی هذا، فإن البحث فی هذا الموضوع مفتوح بل هو خصب، لذلک أهیب بذوی الاختصاص، و أولی الأمر من قادة المسلمین بتهیئة الجوّ المناسب، و تسخیر أدوات البحث العلمی للبحّاث و الدارسین فی جوانب الإعجاز العلمی فی القرآن، و توفیر الإمکانات البحثیة فی سبیل تحقیق ذلک الهدف. الجانب الثالث: فإن ما قدمته فی رسالتی المتواضعة هذه، إن خدم المکتبة الإسلامیة فی شیء و انتفع بها الناس من المسلمین و غیرهم، فذلک رجائی و أملی فی دنیای و آخرتی، و إن تکن الأخری فمعذرتی إلی خالقی و مولای جل جلاله، فإنا قد کوّنا علی الخطأ و الضعف و عزائی فی ذلک عفو من اللّه جل جلاله و رحمة و رضوان تشملنی یوم الدین. و آخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمین، و الصلاة و السلام علی المبعوث بالمعجزات الباهرات رحمة للعالمین و آله و صحبه و التابعین. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۳

الفهارس

اشارة

الفهارس فهرس الآیات. فهرس الأحادیث. فهرس المصادر و المراجع. فهرس الموضوعات. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۵

فهرس الآیات

فهرس الآیات الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱- وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا/ البقرة/ ۲۳، ۲۴/ ۲۲، ۲۴، ۴۷ ۲- هُوَ الَّذِی خَلَقَ لَکُمْ ما فِی الْأَرْضِ/ البقرة/ ۲۹/ ۱۲۰، ۱۲۱ ۳- إِنَّ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ البقرة/ ۱۶۴/ ۲۲۴، ۲۷۵ ۴- وَ إِذا قِیلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ/ البقرة/ ۱۷۰/ ۱۰۴ ۵- یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِیَ/ البقرة/ ۱۸۹/ ۸۹ ۶- إِذْ قالَتِ الْمَلائِکَةُ یا مَرْیَمُ/ آل عمران/ ۴۵/، ۴۸، ۹ ۷- وَ رَسُولًا إِلی بَنِی إِسْرائِیلَ أَنِّی/ آل عمران/ ۴۹/ ۵، ۶ ۸- کَمَثَلِ رِیحٍ فِیها صِرٌّ أَصابَتْ/ آل عمران/ ۱۱۷/ ۲۲۵ ۹- وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ/ آل عمران/ ۱۹۱/ ۷۳، ۱۰۵ ۱۰- أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ/ النساء/ ۸۲/ ۱۶، ۵۸ ۱۱- یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمْ/ النساء/ ۱۷۴/- ۱۲- إِذْ قالَ اللَّهُ یا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ/ المائدة/ ۱۱۰/ ۱۰ ۱۳- وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ/ الأنعام/ ۳۵/ ۵ ۱۴- ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْءٍ/ الأنعام/ ۳۸/ ۸۷، ۹۵ ۱۵- وَ ما مِنْ دَابَّةٍ فِی الْأَرْضِ/ الأنعام/ ۳۸/ ۷۴، ۸۸ ۱۶- وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلَّا فِی/ الأنعام/ ۵۹/ ۷۸ ۱۷- فَمَنْ یُرِدِ اللَّهُ أَنْ یَهْدِیَهُ یَشْرَحْ/ الأنعام/ ۱۲۵/ ۱۹۹ ۱۸- إِنَّ الَّذِینَ کَذَّبُوا بِآیاتِنا/ الأعراف/ ۴۰/ ۱۹۷ ۱۹- إِنَّ رَبَّکُمُ اللَّهُ الَّذِی خَلَقَ/ الأعراف/ ۵۴/ ۱۰۰ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۶ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۲۰- وَ هُوَ الَّذِی یُرْسِلُ الرِّیاحَ/ الأعراف/ ۵۷/ ۲۲۵، ۲۲۹ ۲۳۳ ۲۱- وَ إِلی عادٍ أَخاهُمْ هُوداً/ الأعراف/ ۶۵، ۷۰/ ۷ ۲۲- فَأَرْسَلْنا عَلَیْهِمُ الطُّوفانَ/ الأعراف/ ۱۳۳/ ۶ ۲۳- یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اسْتَجِیبُوا/ الأنفال/ ۲۴/ ۹۸، ۱۱۱ ۲۴- وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا قالُوا/ الأنفال/ ۳۱/ ۱۷ ۲۵- هُوَ الَّذِی جَعَلَ الشَّمْسَ ضِیاءً/ یونس/ ۵/ ۷۱، ۱۵۴، ۱۵۸، ۲۰۴، ۲۱۵ ۲۶- قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ/ یونس/ ۱۶/ ۱۷ ۲۷- وَ جَرَیْنَ

بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ/ يونس/ ۲۲/ ۲۲۶ ۲۸- وَ ما كانَ هـذَا الْقُرْآنُ أَنْ/ يونس/ ۳۷/ ۱۶ ۲۹- أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ/ يونس/ ۳۸/ ۲۱، ۲۲، ۲۳ ۳۰- قُلِ انْظُرُوا ما ذا فِي السَّماواتِ/ يونس/ ۱۰۱/ ۹۳، ۱۱۳ ۳۱- أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ/ هود/ ۱۳/ ۱۹، ۲۳، ۴۷ ۳۲- وَ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ/ يوسف/ ۱۰۵/ ۲۹۶ ۳۳- وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ/ الرعد/ ۳/ ۸۴، ۱۷۵، ۱۸۰، ۲۵۲ ۳۴- هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ/ الرعد/ ۱۲، ۱۳/ ۲۴۵ ۳۵- وَ ما كانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ/ الرعد/ ۳۸/ ۵ ۳۶- الر كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ/ إبراهيم/ ۱/ ۶۷، ۹۸، ۱۱۱ ۳۷- مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ/ إبراهيم/ ۱۸/ ۲۲۵ ۳۸- وَ سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ/ إبراهيم/ ۳۳/ ۱۴۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۷ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۳۹- وَ قالُوا يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ/ الحجر/ ۶/ ۲۵ ۴۰- وَ لَوْ فَتَحْنا عَلَيْهِمْ باباً/ الحجر/ ۱۴، ۱۵/ ۱۹۶، ۲۰۱ ۴۱- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا/ الحجر/ ۱۹/ ۱۸۰ ۴۲- وَ أَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَواقِحَ/ الحجر/ ۲۲/ ۸۲، ۸۳، ۲۲۵، ۲۲۶ ۴۳- فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ/ الحجر/ ۲۹/ ۷۱ ۴۴- وَ أَلْقى فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ/ النحل/ ۱۵/ ۲۵۲ ۴۵- وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً/ النحل/ ۸۹/ ۷۴، ۸۷، ۹۵، ۹۸ ۴۶- وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ/ النحل/ ۱۰۱، ۱۰۲/ ۱۷ ۴۷- قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ/ النحل/ ۱۰۲/ ۱۸ ۴۸- وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ/ النحل/ ۱۰۳/ ۱۸ ۴۹- إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي/ الإسراء/ ۹/ ۹۸، ۱۱۱ ۵۰- وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهارَ آيَتَيْنِ/ الإسراء/ ۱۲/ ۲۰۴، ۲۰۶ ۵۱- وَ لا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ/ الإسراء/ ۳۶/ ۱۰۴ ۵۲- وَ لا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً/ الإسراء/ ۳۷/ ۲۵۱ ۵۳- قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ/ الإسراء/ ۸۸/ ۱۹، ۴۷، ۵۱، ۵۲، ۵۲ ۵۴- وَ لَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ/ الكهف/ ۲۵/ ۲۱۸ ۵۵- وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَياةِ/ الكهف/ ۴۵/ ۲۳۱ ۵۶- وَ يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبالَ/ الكهف/ ۴۷/ ۱۴۲ ۵۷- ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ/ الكهف/ ۵۱/ ۱۱۳ ۵۸- فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ/ مريم/ ۲۷، ۳۲/ ۱۰ ۵۹- وَ ما تِلْكَ بِيَمِينِكَ يا مُوسى طه/ ۱۷، ۲۲/ ۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۸ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۶۰- وَ أَلْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ/ طه/ ۶۹/ ۲۵۳ ۶۱- وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ فَقُلْ/ طه/ ۱۰۵/ ۱۴۲ ۶۲- أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ/ الأنبياء/ ۳۰/ ۷۹، ۱۱۴، ۱۲۵ ۶۳- وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ/ الأنبياء/ ۳۰/ ۲۷۵ ۶۴- وَ جَعَلْنا فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ/ الأنبياء/ ۳۱/ ۲۵۹ ۶۵- وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً/ الأنبياء/ ۳۲/ ۱۹۶، ۲۰۱ ۶۶- وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ/ الأنبياء/ ۳۳/ ۱۸۳ ۶۷- يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ/ الأنبياء/ ۱۰۴/ ۱۴۰، ۱۴۲ ۶۸- وَ تَرَى الْأَرْضَ هامِدَةً/ الحج/ ۵/ ۲۹۲ ۶۹- وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ/ الحج/ ۲۷/ ۱۸۰ ۷۰- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ/ الحج/ ۶۵/ ۱۹۳ ۷۱- فَكَسَوْنَا الْعِظامَ لَحْماً/ المؤمنون/ ۱۴/ ۱۰۰ ۷۲- لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ/ النور/ ۲۹/ ۵۷ ۷۳- أَوْ كَظُلُماتٍ فِي بَحْرٍ/ النور/ ۴۰/ ۹۹، ۲۷۶، ۲۷۹ ۷۴- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي/ النور/ ۴۳/ ۹۹، ۲۳۷، ۲۴۵ ۷۵- وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا/ الفرقان/ ۴، ۵/ ۲۵ ۷۶- وَ قالُوا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ/ الفرقان/ ۵/ ۱۸، ۲۸ ۷۷- أَ لَمْ تَرَ إِلى رَبِّكَ كَيْفَ/ الفرقان/ ۴۵/ ۴۶/ ۱۸۳، ۱۸۶ ۷۸- وَ هُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ/ الفرقان/ ۵۳/ ۸۱، ۲۸۲ ۷۹- تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ/ الفرقان/ ۶۱/ ۱۵۴، ۱۵۸ ۸۰- وَ إِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ/ الشعراء/ ۸۰/ ۷۰ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۰۹ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۸۱- قالُوا إِنَّما أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ/ الشعراء/ ۱۵۳، ۱۵۶/ ۸ ۸۲- وَ أَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا/ النمل/ ۱۰/ ۲۵۳ ۸۳- وَ وَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ/ النمل/ ۱۶، ۱۹/ ۹ ۸۴- أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ/ النمل/ ۶۱/ ۱۹۰، ۱۹۱، ۲۸۲ ۸۵- وَ تَرَى الْجِبالَ تَحْسَبُها/ النمل/ ۸۸/ ۱۴۲، ۱۸۳، ۱۸۶، ۲۶۹ ۸۶- فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ/ القصص/ ۲۹، ۳۲/ ۷ ۸۷- أَ وَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ/ العنكبوت/ ۱۹/ ۱۱۳ ۸۸- قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ/ العنكبوت/ ۲۰/ ۱۱۳ ۸۹- وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ/ الروم/ ۲۵/ ۱۴۲ ۹۰- وَ هُوَ الَّذِي يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ/ الروم/ ۲۷/ ۱۴۰ ۹۱- وَ مِنْ آياتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ/ الروم/ ۴۶/ ۲۲۵، ۲۲۹ ۹۲- اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّياحَ/ الروم/ ۴۸/ ۸۳، ۲۲۵، ۲۳۳، ۲۳۶ ۹۳- خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ/ لقمان/ ۱۰/ ۱۹۲ ۹۴- وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ/ لقمان/ ۲۹/ ۱۴۸ ۹۵- فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً/ الأحزاب/ ۹/ ۲۲۵ ۹۶- إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمانَةَ/ الأحزاب/ ۷۲/ ۲۵۱ ۹۷- وَ لِسُلَيْمانَ الرِّيحَ غُدُوُّها/ سبأ/ ۱۲/ ۹ ۹۸- يُولِجُ اللَّيْلَ فِي/ فاطر/ ۱۳/ ۱۷۶ ۹۹- أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ/ فاطر/ ۲۷، ۲۸/ ۲۶۹، ۲۷۱ ۱۰۰- أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما/ فاطر/ ۳۷/ ۲۵ ۱۰۱- وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ/ يس/ ۳۸/ ۸۵، ۱۴۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۰ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱۰۲- وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ/ يس/ ۳۹/ ۲۱۵ ۱۰۳- وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ/ يس/ ۴۰/ ۷۹، ۱۷۹ ۱۰۴- لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي/ يس/ ۴۰/ ۱۵۲، ۱۶۷، ۲۲۰ ۱۰۵- خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ الزمر/ ۵/ ۱۷۵، ۱۸۳ ۱۰۶- قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ/ الزمر/ ۹/ ۱۰۴ ۱۰۷- اللَّهُ

نَزَّلَ أَحْسَنَ/ الزمر/ ۲۳/ ۴۸، ۵۸ ۱۰۸- قُلْ أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي/ الزمر/ ۶۱/ ۵۰ ۱۰۹- الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ/ غافر/ ۶۴/ ۱۹۰ ۱۱۰- لَخَلْقُ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ/ غافر/ ۷۵/ ۷۲ ۱۱۱- حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ/ فصلت/ ۱، ۵/ ۲۷ ۱۱۲- قُلْ أَ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ/ فصلت/ ۹، ۱۱/ ۱۱۷، ۱۱۹ ۱۱۳- ثُمَّ اسْتَوى إِلَى السَّماءِ وَ هِيَ/ فصلت/ ۱۱/ ۷۹، ۱۱۶ ۱۱۴- وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا/ فصلت/ ۲۶/ ۴۸ ۱۱۵- وَ مِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهارُ/ فصلت/ ۳۷/ ۱۴۶، ۱۵۹، ۱۶۰، ۲۰۳ ۱۱۶- وَ مِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى/ فصلت/ ۳۹/ ۲۹۲ ۱۱۷- سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي/ فصلت/ ۵۳/ ب، ۹۵، ۱۶۷، ۲۶۱ ۱۱۸- وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ/ الجاثية/ ۵/ ۲۲۴ ۱۱۹- وَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّماواتِ/ الجاثية/ ۱۳/ ۹۳ ۱۲۰- فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا/ محمد/ ۱۹/ ۱۰۵ ۱۲۱- أَ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّماءِ/ ق/ ۶/ ۹۵، ۲۷، ۱۹۲ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۱ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱۲۲- وَ الْأَرْضَ مَدَدْناها وَ أَلْقَيْنا/ ق/ ۷/ ۲۵۲ ۱۲۳- وَ الذَّارِياتِ ذَرْواً/ الذاريات/ ۱، ۴/ ۲۳۰ ۱۲۴- وَ السَّماءِ ذاتِ الْحُبُكِ/ الذاريات/ ۷/ ۱۸۴، ۱۹۷ ۱۲۵- وَ فِي الْأَرْضِ آياتٌ لِلْمُوقِنِينَ/ الذاريات/ ۲۰/ ۱۷۴ ۱۲۶- وَ فِي أَنْفُسِكُمْ أَ فَلا تُبْصِرُونَ/ الذاريات/ ۲۱/ ۷۲ ۱۲۷- وَ السَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ وَ إِنَّا/ الذاريات/ ۴۷/ ۸۳، ۱۲۷، ۱۲۸ ۱۲۸- وَ الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ/ الطور/ ۶/ ۲۸۹ ۱۲۹- اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ/ القمر/ ۱/ ۱۳، ۷۹، ۲۰۹، ۲۱۱ ۱۳۰- فَفَتَحْنا أَبْوابَ السَّماءِ/ القمر/ ۱۱/ ۱۹۷ ۱۳۱- وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ/ القمر/ ۱۷/ ۶۲ ۱۳۲- إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً/ القمر/ ۱۹/ ۲۲۵ ۱۳۳- الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ بِحُسْبانٍ/ الرحمن/ ۵/ ۷۱ ۱۳۴- وَ السَّماءَ رَفَعَها وَ وَضَعَ/ الرحمن/ ۷/ ۱۵۲، ۱۵۳ ۱۳۵- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ/ الرحمن/ ۱۹، ۲۰/ ۸۱ ۱۳۶- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيانِ/ الرحمن/ ۱۹، ۲۲/ ۲۸۲ ۱۳۷- كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ/ الرحمن/ ۲۶/ ۱۶۸ ۱۳۸- يا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ/ الرحمن/ ۳۳/ ۲۰۰، ۲۰۱، ۲۱۳ ۱۳۹- فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّماءُ فَكانَتْ/ الرحمن/ ۳۷/ ۱۴۴، ۱۶۸ ۱۴۰- إِذا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا/ الواقعة/ ۴، ۵/ ۱۴۱ ۱۴۱- لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا/ الحديد/ ۲۵/ ۱۰۶ ۱۴۲- يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ/ المجادلة/ ۱۱/ ۱۰۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۲ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱۴۳- لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ/ الحشر/ ۲۱/ ۲۵۱ ۱۴۴- هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ/ الجمعة/ ۲/ ۸۷ ۱۴۵- اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ/ الطلاق/ ۱۲/ ۷۹ ۱۴۶- الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَماواتٍ/ الملک/ ۳/ ۱۷۶ ۱۴۷- وَ قالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ/ الملک/ ۱۰/ ۱۰۵ ۱۴۸- أَ لا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَ هُوَ/ الملک/ ۱۴/ ۱۰۹ ۱۴۸- وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبالُ/ الحاقة/ ۱۴/ ۱۴۱ ۱۴۹- وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ/ الحاقة/ ۴۱، ۵۶/ ۱۸ ۱۵۰- يَوْمَ تَكُونُ السَّماءُ كَالْمُهْلِ/ المعارج/ ۸/ ۱۶۹ ۱۵۱- وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً/ نوح/ ۱۶/ ۱۵۴، ۱۵۸، ۲۰۴ ۱۵۲- لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ/ الجن/ ۱۲/ ۳ ۱۵۳- إِنْ هذا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ/ المدثر/ ۲۵/ ۲۹ ۱۵۴- بَلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ/ القيامة/ ۴/ ۱۱۰ ۱۵۵- وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ/ القيامة/ ۹/ ۱۶۸، ۲۲۰، ۲۲۲ ۱۵۶- فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ/ المرسلات/ ۸/ ۱۴۱ ۱۵۷- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفاتاً/ المرسلات/ ۲۵، ۲۷/ ۱۹۰، ۱۹۱ ۱۵۸- وَ جَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ/ المرسلات/ ۲۷/ ۲۶۴، ۲۶۶، ۲۶۸ ۱۵۹- أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً/ النبأ/ ۶، ۷/ ۲۵۹ ۱۶۰- وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهَّاجاً/ النبأ/ ۱۳/ ۱۵۴ ۱۶۱- أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّماءُ/ النازعات/ ۲۷، ۳۰/ ۱۱۹ ۱۶۲- وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذلِكَ دَحاها/ النازعات/ ۳۰/ ۱۷۵، ۱۷۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۳ الآیة السورة رقم الآیة رقم الصفحة ۱۶۳- وَ الْجِبالَ أَرْساها/ النازعات/ ۳۲/ ۲۵۹ ۱۶۴- إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ/ التكوير/ ۱/ ۱۴۱، ۱۶۸، ۱۶۹، ۱۷۲ ۱۶۵- وَ إِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ/ التكوير/ ۶/ ۷۷، ۲۸۹، ۲۹۰ ۱۶۶- فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ/ التكوير/ ۱۵، ۱۶/ ۱۸۳ ۱۶۷- وَ إِذَا الْبِحارُ فُجِّرَتْ/ الانفطار/ ۳ ۱۶۸- يا أَيُّهَا الْإِنْسانُ ما غَرَّكَ/ الانفطار/ ۶، ۸/ ۷۱ ۱۶۹- إِذَا السَّماءُ انْشَقَّتْ/ الانشقاق/ ۱/ ۷۷ ۱۷۰- وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ/ الانشقاق/ ۳، ۴/ ۲۵۲، ۲۵۳ ۱۷۱- فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ/ الانشقاق/ ۱۶، ۲۱/ ۲۰۰ ۱۷۲- وَ الْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ/ الانشقاق/ ۱۸، ۱۹/ ۲۰۹، ۲۱۳ ۱۷۳- وَ إِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ/ الغاشية/ ۱۸/ ۱۹۲ ۱۷۴- وَ الْأَرْضِ وَ ما طَحاها/ الشمس/ ۶/ ۱۷۹ ۱۷۵- اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ/ العلق/ ۱/ ۸۷، ۱۰۴ ۱۷۶- يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَراشِ/ القارعة/ ۴، ۵/ ۱۴۱ ۱۷۷- وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ/ الفيل/ ۳/ ۷۹ ۱۷۸- تَرْمِيهِمْ بِحِجارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ/ الفيل/ ۴/ ۷۹ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۴

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث الحديث رقم الصفحة ۱- اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا ۲۲۶ ۲- اللهم إنی أعوذ بک من علم لا ينفع/ ۱۰۴ ۳- أشعر كلمة قالتها العرب/ ۳۳ ۴- أن النبی صلی اللّه عليه و سلم كان يقوم يوم الجمعة/ ۱۳ ۵- انشق القمر و نحن مع النبی صلی اللّه عليه و سلم/ ۱۴، ۲۱۰ ۶- إنها ستكون فتنة فقلت: ما المخرج/ ۷۵، ۹۵ ۷- رأيت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم و حانت الصلاة/ ۱۰ ۸- سمعت صوت رسول اللّه صلی اللّه عليه و سلم ضعيفا/ ۱۲ ۹- عطش الناس يوم الحديبة/ ۱۱ ۱۰- فانطلق أنيس حتی أتی مكة/ ۳۴ ۱۱- قلت لأنس: كم كنتم قال: ۱۱ ۱۲- كان المسجد مسقوفا علی جذوع من نخل/ ۱۳ ۱۳- كنا مع النبی صلی اللّه عليه و سلم ثلاثين و مائة/ ۱۱ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۱۵

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع أولا: القرآن الكريم ثانيا: الكتب الآتية ۱- الآحاد و المثانی، أحمد بن عمرو بن الضحاك الشيبانی، الرياض، دار الراية، تحقيق، باسم فيصل الجوابرة الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۲- آفاق فلكية، فوزية محمد الرويح، الكويت، جامعة الكويت، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۳- أبجد العلوم فی بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجی، بيروت، دار الكتب العلمية تحقيق، عبد الجبار زكار، ۱۹۷۸. ۴- الإتقان فی علوم القرآن، جلال الدين السيوطی، بيروت، عالم الكتاب، د. ت. ۵- الأجرام السماوية، غيدو روجيری، ترجمة، عبد اللطيف أبو عرقوب، طرابلس، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴. ۶- أجمل تاريخ للكون، جويل دورونی و آخرون، ترجمة، موسی خوری، بيروت، دار الكتاب العربی، ۱۹۹۶. ۷- أحاديث حول اللامرئی، جان أودوز و آخرون، ترجمة، نور الدين عبيد، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰ دمشق، مكتبة الأهلی. ۸- احتمالات نهاية الكون، إعداد قسم التأليف و الترجمة فی دار الرشيد، دمشق- بيروت، دار الرشيد، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. ۹- إحياء علوم الدين، الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بيروت، دار الفكر ۱۹۹۵. ۱۰- إرشاد العقل السليم تفسير القرآن الكريم، محمد بن مصطفی العمادی أبو السعود، بيروت دار إحياء التراث العربی، د. ت. ۱۱- الأرصاد الجوية، محمد أحمد النطاح، ليبيا، الدار الجماهيرية، الطبعة الأولی، ۱۹۹۰. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۱۶ ۱۲- الأرصاد الجوية، محمد الهونی و إبراهيم سويدان، ليبيا، نشر القوات البحرية، ۱۹۷۹. ۱۳- الأرض، إبراهيم حلمی غوری، بيروت، دار الشرق العربی، د. ت. ۱۴- الأرض فی رحاب الكون، يمنی زهار، بيروت، دار الآفاق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸. ۱۵- الأرض و أسرارها، جورجيت بارتلمی، ترجمة، ميشيل خوری، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ۱۹۹۱. ۱۶- الأرض، مقدمة للجيولوجيا الطبيعية، تاربون لوتجنز، ترجمة، عمر سليمان حمودة و آخرون مطبعة مالطا، مالطا، ۱۹۸۴. ۱۷- الأرض الهامدة و الأرض الخاشعة، أحمد الدليمی، الموصل، مطبعة الزهراء، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰. ۱۸- الأساس فی التفسير، سعيد حوی، القاهرة، دار السلام، الطبعة الثانية، ۱۹۸۹. ۱۹- أساسيات علم الأرض، الجيولجيا الفيزيائية، محمد بن عبد الغنی عثمان مشرف. ۲۰- أساسيات علم الجيولوجيا، محمد حسن و آخرون، عمان، مركز الكتب الأردنی، ۱۹۹۰. ۲۱- الاستمطار، محمد فياض و أحمد خليل، الكويت، دار سعادة الصباح الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۲- أسرار الأرصاد الجوية الموسوعة العلمية المبسطة، ترجمة، عيسی طنوس، بيروت، دار الحقائق الطبعة الأولی، ۱۹۸۷. ۲۳- الإسلام و قوانين الوجود، محمد جمال الدين الفندی، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتب، ۱۹۸۲. ۲۴- الإسلام يتحدی، وحيد الدين خان، القاهرة، دار البحوث العلمية، ترجمة، ظفر الإسلام خان، الطبعة الثانية، ۱۳۹۳ ه/ ۱۹۷۳. ۲۵- إشارات الإعجاز فی مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسی، بيروت، دار المحراب للطباعة، تحقيق، إحسان قاسم الصالحی د. ت. ۲۶- أضواء البيان فی إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطی، بيروت، عالم الكتاب، د. ت. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۱۷ ۲۷- الأطلس الفلكی، عصام الميدانی، دمشق، دار دمشق، ۱۹۹۶. ۲۸- الإعجاز العلمی فی الإسلام، محمد كامل عبد الصمد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۹- الإعجاز العلمی فی القرآن الكريم، سليمان الطراونة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰. ۳۰- الإعجاز فی دراسات السابقين،

عبد الکریم الخطیب، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵. ۳۱- إعجاز القرآن، محمد بن الطیب الباقلانی، بیروت، دار إحیاء العلوم، تعلیق، محمد سکر، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۳۲- إعجاز القرآن و البلاغة النبویة، لمصطفی صادق الرافعی، بیروت، دار الکتاب العربی، د. ت. ۳۳- أعلام الحضارة، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۱. ۳۴- الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء من العرب و المستعربین و المستشرقین، خیر الدین الزرکلی، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة السادسة، ۱۹۸۴. ۳۵- أعماق الکون، سعد شعبان، القاهرة، دار الکتاب العربی، د. ت. ۳۶- الله و الکون، محمد جمال الدین الفندی، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتب، الطبعة الثانیة ۱۹۸۷. ۳۷- الإنسان بین العلم و الدین، شوقی أبو خلیل، بیروت- دمشق، دار الفکر، الطبعة الرابعة ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹. ۳۸- الانفجار الکبیر، أمید شمشک، ترجمة، أورخان محمد علی، عمّان، دار البشیر، الطبعة الأولی ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۳۹- أنوار التنزیل، عبد الله بن عمر البیضاوی، تحقیق، عبد القادر عرفات، بیروت، دار الفکر ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۴۰- الأوائل، علی جمعة الخویلد، بیروت، الدار العربیة للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸. ۴۱- البحار و ما فیها، روبرت کاون، ترجمة عبد الحافظ حلمی القاهرة، مؤسسة سجل العرب ۱۹۷۴. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۸ ۴۲- بحر العلوم، نصر بن محمد السمرقندی، تحقیق، محمود مطرجی، بیروت، دار الفکر العربی ۱۹۹۷. ۴۳- البحر المحیط، محمد بن علی ابن حیان الأندلسی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الثانیة ۱۹۸۳. ۴۴- بحوث منهجیة فی علوم القرآن، موسی إبراهیم، عمّان، دار عمار، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۶ ه ۱۹۹۶. ۴۵- بدائع التفسیر، ابن قیم الجوزیة، تحقیق، یسری السید أحمد، الریاض، دار ابن الجوزی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. ۴۶- بدایة الکون، جون فایفر، ترجمة، محمد الشحات، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۵. ۴۷- البدایة و النهایة، إسماعیل بن عمر بن کثیر القرشی أبو الفداء، بیروت، مکتبة المعارف، د. ت. ۴۸- البرهان فی علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزرکشی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد إبراهیم، ۱۳۹۱ ه. ۴۹- البرهان الکاشف عن إعجاز القرآن، کمال الدین عبد الواحد الزملکانی، بغداد، مطبعة العانی، تحقیق، أحمد مطلوب و خدیجة الحدیثی، الطبعة الأولی، ۱۳۹۴ ه/ ۱۹۷۴. ۵۰- بلوغ سنن الرشد فی المجرة، تمثی فرس، ترجمة، هنری مطر، عمّان، مرکز الکتب الأردنی ۱۹۹۰. ۵۱- بهجة المعرفة، موسوعة علمیة مصورة، الأرض، لیبیا، الشرکة العامة للنشر، ۱۹۸۳. ۵۲- البیان فی علوم القرآن، محمد علی الحسن، بیروت، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸. ۵۳- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدین السید محمد مرتضی الحسینی الزبیدی، بیروت دار الفکر، تحقیق، علی شیری ۱۴۱۴ ه. ۵۴- تأویل مختلف الحدیث، عبد الله بن مسلم بن قتیبة، بیروت، المکتب الإسلامی، تحقیق، محمد الأصفر، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹. ۵۵- تبصیر الرحمن و تیسیر المنان، علی بن أحمد المهائی، بیروت، عالم الکتب ۱۹۸۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۱۹ ۵۶- التحریر و التنویر، محمد الطاهر ابن عاشور، بیروت، مؤسسة التاریخ، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۵۷- التسهیل لعلوم التنزیل، محمد بن أحمد الغرناطی، بیروت، دار الأرقم، د. ت. ۵۸- التصویر الفنی فی القرآن الکریم، لسید قطب، القاهرة، دار الشروق، ۱۹۹۷. ۵۹- تفسیر البشائر، علی الشربجی، دمشق، دار البشائر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه. ۶۰- تفسیر بن بادیس، عبد الحمید بن بادیس، بیروت، دار الفکر، الطبعة الثالثة، ۱۳۹۹ ه ۱۹۷۹. م. ۶۱- تفسیر ابن عباس، إعداد، عبد العزیز بن عبد الله الحمیدی، مکة المکرمة، مرکز البحث العلمی، د. ت. ۶۲- التفسیر البیانی للقرآن، عائشة بنت الشاطئ، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة، ۱۳۸۸ ه/ ۱۹۶۸. ۶۳- تفسیر جزء عمّ، محمد عبده، بیروت، دار الهلال، ۱۹۸۵. ۶۴- تفسیر الجلالین، محمد بن أحمد بن محمد المحلی و جلال الدین السیوطی، القاهرة، دار الحدیث، الطبعة الأولی، د. ت. ۶۵- تفسیر روح البیان، إسماعیل حقی البروسوی، بیروت، دار الفکر، د. ت. ۶۶- تفسیر السراج المنیر، للخطیب الشربینی، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، د. ت. ۶۷- التفسیر الشامل، أمیر عبد العزیز، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰. م. ۶۸- تفسیر الشعراوی، القاهرة، أخبار الیوم، د. ت. ۶۹- التفسیر العلمی للقرآن، أحمد عمر أبو حجر، دمشق، دار قتیبة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه ۱۹۹۱ م. ۷۰- تفسیر غرائب القرآن و رغائب الفرقان، نظام الدین الحسن بن محمد القمی النیسابوری تحقیق، زکریا عمیرات، بیروت، دار الکتب العلمیة، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۷۱- تفسیر غریب

القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتیبة، بیروت، دار الهلال، ۱۹۹۱. ۷۲- تفسیر القرآن، لأبی مظفر السمعانی، تحقیق، یاسر بن إبراهیم و غنیم بن عباس غنیم الریاض دار الوطن، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۰ ۷۳- تفسیر القرآن، عز الدین بن عبد السلام الدمشقی، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الأولی ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۷۴- تفسیر القرآن، منصور بن محمد السمعانی، تحقیق، یاسر إبراهیم و غنیم عباس الریاض، دار الوطن، ۱۹۹۷. ۷۵- تفسیر القرآن العظیم، إسماعیل بن عمر بن کثیر، بیروت، دار الفکر، ۱۴۰۱ ه. ۷۶- تفسیر القرآن الکریم، محمد علی الدرة، دمشق، دار الحکمة، ۱۹۸۲. ۷۷- تفسیر القرآن الکریم، محمود شلتوت، القاهرة، دار الشروق، الطبعة السادسة، ۱۳۹۴ ه ۱۹۷۴ م. ۷۸- تفسیر القرآن الکریم إعرابه و بیانه، محمد طه الدرة، دمشق، دار الحکمة، ۱۹۸۲. ۷۹- التفسیر الکاشف، محمد جواد مغنیة، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الرابعة، ۱۹۹۰. ۸۰- التفسیر الکبیر، محمد فخر الدین الرازی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳. ۸۱- تفسیر مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومی، تحقیق، عبد الرحمن السورتی، بیروت، المنشورات العلمیة، د. ت. ۸۲- تفسیر المراغی، أحمد مصطفی مراغی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه، ۱۹۹۸. ۸۳- تفسیر مفردات ألفاظ القرآن الکریم، سمیح عاطف الزین، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الثالثة، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴. ۸۴- تفسیر المنار، محمد رشید رضا، بیروت، دار الفکر، الطبعة الثالثة، د. ت. ۸۵- التفسیر المنیر، وهبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، الطبعة الأولی ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱. ۸۶- تفسیر النکت و العیون، علی بن محمد الماوردی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۸۷- التفسیر الواضح المسیر، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۸۸- التفسیر الواضح، محمد محمود حجازی، القاهرة، مطبعة الاستقلال، الطبعة السادسة ۱۹۶۹. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۱ ۸۹- التفسیر الوسیط، وهبة الزحیلی، بیروت، دار الفکر المعاصر، ۲۰۰۰ ۹۰- التفسیر و المفسرون، محمد حسن الذهبی، القاهرة، دار الکتب الحدیثة، الطبعة الأولی، ۱۳۸۱ ه/ ۱۹۶۱. ۹۱- تنویر الأذهان من تفسیر روح البیان، اختصار محمد علی الصابونی، القاهرة، دار الصابونی، الطبعة الأولی، ۱۹۸۸. ۹۲- التوقیف علی مهمات التعاریف، محمد عبد الرءوف المناوی، دمشق- بیروت، دار الفکر المعاصر، تحقیق، محمد رضوان الدایة الطبعة الأولی، ۱۴۱۰ ه. ۹۳- الثقب الأسود، محمد رضوان المصری، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶. ۹۴- الثقوب السوداء و الأکوان الطفلة، سیتفن هوکنغ، ترجمة، حاتم النجدی، دمشق، دار المعارف للطباعة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸. ۹۵- الثقوب الکونیة السوداء، فائز فوق العادة، دمشق، دار المعرفة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۸ م. ۹۶- ثلاث رسائل فی الإعجاز، الرسالة الشافیة، للجرجانی، تحقیق، محمد خلف الله و محمد سلام القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة ۱۳۸۷ ه/ ۱۹۶۸ م. ۹۷- جامع البیان عن تأویل آی القرآن، محمد بن جریر بن یزید الطبری، بیروت، دار الفکر ۱۴۰۵ ه. ۹۸- الجامع لأحکام القرآن، محمد بن فرح القرطبی، تحقیق، أحمد عبد العلیم البردونی، القاهرة، دار الشعب، الطبعة الثانیة، ۱۳۷۲ ه. ۹۹- الجغرافیة الحیویة، حسن أبو سمور، عمان، دار صفاء، الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹ م. ۱۰۰- الجغرافیة الفلکیة، أمین طربوش، دمشق، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶ م. ۱۰۱- الجغرافیة المناخیة و النباتیة، عبد العزیز شرف، الإسکندریة، دار الجامعات المصریة، الطبعة الحادیة عشر، ۱۹۸۵ م. ۱۰۲- الجواب الصحیح لمن بدل دین المسیح، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، الریاض، دار العاصمة الطبعة الأولی، ۱۴۱۴ ه، تحقیق علی حسن ناصر و آخرون. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۲ ۱۰۳- الجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبی، بیروت، مؤسسة الأعلمی، د. ت. ۱۰۴- جواهر القرآن، الإمام أبی حامد محمد بن محمد بن الغزالی الطوسی، بیروت، دار إحیاء علوم الدین، تحقیق، محمد رشید رضا القبانی، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۹۶ م. ۱۰۵- الجواهر فی تفسیر القرآن الکریم، طنطاوی جوهری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۲ ه/ ۱۹۹۱. ۱۰۶- الجو و تقلباته، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۸. ۱۰۷- الجیولوجیا للجمیع، عادل حاتم جوزی، بغداد، دار الرشید، ۱۹۸۰. ۱۰۸- الجیولوجیا و الکائنات الحیة، دولت عبد الرحیم إبراهیم، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتب، ۱۹۹۵. ۱۰۹- حاشیة الشهاب علی البیضاوی، لشهاب الدین أحمد بن عمر الخفاجی، تحقیق، عبد الرزاق المهدی، بیروت، دار

الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۳۱۷ ه/ ۱۹۹۷. ۱۱۰- حاشیة الصاوی، علی الجلالین، تحقیق، علی الصباغ، بیروت، دار الجیل، د. ت. ۱۱۱- حاشیة محی الدین شیخ زاده علی تفسیر الإمام البیضاوی، تحقیق، محمد شاهین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹ م. ۱۱۲- الحرارة و الدینامیکا الحراریة، مارک وزنماسکی و ریتشارد دیثمان، ترجمة، محسن سالم رضوان، القاهرة، دار ماکجروصیل الطبعة الأولی، ۱۹۸۲ م. ۱۱۳- الحیوان، عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ، بیروت، دار الهلال، تحقیق، یحیی الشامی، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷. ۱۱۴- خلق الکون، محمد باسل الطائی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۱۵- دائرة المعارف الثقافیة، الأرض، بیروت، المرکز الثقافی الحدیث، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰. ۱۱۶- دائرة معارف القرن الواحد و العشرین، القوی الفیزیائیة، بیروت، دار الکتاب اللبنانی، د. ت. ۱۱۷- دراسات فی علوم القرآن الکریم، فهد الرومی، الریاض، مکتبة التوبة، الطبعة السابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۳ ۱۱۸- الدر المصون، محمد السمین، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴ م. ۱۱۹- الدر المنثور، عبد الرحمن بن جلال الدین السیوطی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۳. ۱۲۰- الدرر الکامنة فی أعیان المائة الثامنة، أحمد بن علی ابن حجر العسقلانی، بیروت، دار الکتب العلمیة، تحقیق، عبد الوارث محمد علی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷ م. ۱۲۱- الدقائق الثلاث الأولی من عمر الکون، ستیفن ونبرغ، ترجمة، وائل الأتاسی، دمشق منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۶. ۱۲۲- دلائل الإعجاز فی علم المعانی، للإمام البلاغی عبد القاهر الجرجانی، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، یاسین الأیوبی، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۲۳- دلیل فیلیب للنجوم و الکواکب، باتریک مور، ترجمة، عبد القوی عیاد الریاض، النشر العلمی و المطابع، الطبعة الأولی، ۱۴۲۱ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۲۴- الدینامیکا الحراریة، فرانسیس و ستون سیرس، ترجمة، رضا جاد جرجس و طاهر مجید الشریتی، البصرة، طبع کلیة التربیة جامعة البصرة، د. ت. ۱۲۵- الدینامیکا الحراریة، أبوت فان هیس، ترجمة، أحمد فؤاد باشا و سعید بسیونی الجزائری القاهرة، الدار الدولیة للنشر، الطبعة الرابعة، ۱۹۹۸. ۱۲۶- رحلة فی الکون و الحیاة، أحمد محمد عوف، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۶ م. ۱۲۷- روح المعانی و السبع المثانی، محمد الألوسی أبو الفضل، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت. ۱۲۸- زاد المسیر فی علم التفسیر، عبد الرحمن بن علی بن محمد الجوزی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۴ ه. ۱۲۹- الزلزال الکونی الأعظم، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی ۱۴۱۳ ه/ ۱۹۹۳. ۱۳۰- السحب، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۸. ۱۳۱- سر الفصاحة، عبد الله بن سنان الخفاجی الحلبی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۲ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۴ ۱۳۲- السماء فی اللیل، عبد القادر عابد و علی عبندة، عمان، دار الفرقان، الطبعة الأولی ۱۴۰۵ ه/ ۱۹۸۵. ۱۳۳- سنن البیهقی الکبری، أحمد بن الحسین بن علی بن موسی البیهقی، مکة المکرمة، دار الباز تحقیق، محمد عبد القادر عطا، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۴. ۱۳۴- سنن الترمذی، محمد بن عیس الترمذی السلمی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق أحمد شاکر و آخرون، د. ت. ۱۳۵- سنن الدارمی، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمی، بیروت، دار الکتاب العربی، الطبعة الأولی ۱۴۰۷ ه. ۱۳۶- سیر أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبی، بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق، شعیب الأرناءوط و محمد نعیم. ۱۳۷- السیرة الحلبیة، علی بن برهان الدین الحلبی، بیروت، دار المعرفة، ۱۴۰۰ ه. ۱۳۸- السیرة النبویة، عبد الملک بن هشام الحمیری، بیروت، دار الجیل، تحقیق، طه سعد، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه. ۱۳۹- شذرات الذهب فی أخبار من ذهب، عبد الحی ابن العماد الحنبلی الدمشقی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۱۴۰- شرح المواقف، لعلی بن محمد الجرجانی، القاهرة، منشورات الشریف الرضی، الطبعة الثانیة ۱۳۷۳ ه. ۱۴۱- الشفا بتعریف حقوق المصطفی، للقاضی أبی الفضل عیاض بن موسی الیحصبی، بیروت، دار الکتاب العربی، تحقیق، علی محمد البجاوی، د. ت. ۱۴۲- الشمس، إبراهیم غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت. ۱۴۳- الشموس المتفجرة، إسحاق عظیموف، ترجمة السید عطا، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴ م. ۱۴۴- صانعوا التاریخ، سمیر شیخانی، بیروت، مؤسسة عز الدین، ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۶. ۱۴۵- صحیح البخاری، محمد بن إسماعیل البخاری، بیروت، دار الیمامة، تحقیق، مصطفی البغا الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷/

۱۹۸۷. ۱۴۶- صحیح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التمیمی البستی، بیروت، مؤسسة الرسالة، تحقیق شعیب الأرناءوط، الطبعة الثانیة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۵ ۱۴۷- صحیح ابن خزیمة، محمد بن إسحاق بن خزیمة النیسابوری، بیروت، المکتب الإسلامی تحقیق، محمد مصطفی الأعظمی، ۱۳۹۰ ه. ۱۴۸- صحیح مسلم، مسلم بن الحجاج القشیری النیسابوری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت. ۱۴۹- صفوة التفاسیر، للصابونی، بیروت، دار إحیاء التراث، الطبعة الأولی، ۱۹۹۵. ۱۵۰- ضحی الإسلام، أحمد أمین، القاهرة، النهضة المصریة، الطبعة السابعة، ۱۹۶۱. ۱۵۱- طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد، عبد الرحمن الکواکبی، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۴. ۱۵۲- طبقات الشافعیة، لأبی بکر أحمد بن محمد بن عمر، بیروت، عالم الکتاب تحقیق، الحافظ عبد العلیم خان، الطبعة الأولی، ۱۴۰۷ ه. ۱۵۳- طبقات الفقهاء، إبراهیم بن علی بن یوسف الشیرازی، بیروت، دار القلم، تحقیق، خلیل المیس، د. ت. ۱۵۴- الطبیعة الجویة، محمد جمال الدین الفندی، الکویت، مکتبة الفلاح الطبعة الثانیة، ۱۹۷۷. ۱۵۵- طبیعیات البحر و ظواهره، محمد جمال الدین الفندی. ۱۵۶- طرائف علم الفلک، فیکتور کوماروف، ترجمة عبد الله حبة، موسکو، دار میر، ۱۹۸۵. ۱۵۷- الطقس و المناخ، محمد عیاد مقیلی، لیبیا، نشر الجامعة المفتوحة، ۱۹۹۲. ۱۵۸- الطقس، فورس إیک، ترجمة، نبیلة منسی، بیروت، معهد الإنماء العربی، ۱۹۸۱. ۱۵۹- العالم الذی نقطنه، رینیه غویر، ترجمة، خلیل الفریجات، دمشق، منشورات وزارة الثقافة ۱۹۸۱. ۱۶۰- عالم المعرفة، الکون، کارل ساغان، ترجمة، نافع أیوب لبس، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة، ۱۴۱۴ ه/ ۱۹۹۳ م. ۱۶۱- عالم المعرفة، النهایة، فرانک کلوز، ترجمة، مصطفی إبراهیم فهمی، الکویت، المجلس الوطنی للثقافة و الفنون، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۶ ۱۶۲- العبر فی خبر من غبر، محمد بن أحمد بن عثمان بن قایماز الذهبی، الکویت، مطبعة حکومة الکویت، تحقیق، صلاح الدین المنجمد، الطبعة الثانیة، ۱۹۴۸. ۱۶۳- عقائد الثلاث و السبعین فرقة، لأبی محمد الیمنی، المدینة المنورة، مکتبة العلوم و الحکم، تحقیق محمد الغامدی، الطبعة الثانیة ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۱۶۴- علم البحار، هاشم أحمد محمد، نشر هلا بوک شوب، د. ت. ۱۶۵- علم البحار و المحیطات، میلاد سعید الرماح، لیبیا، نشر القوات البحریة، ۱۹۷۹. ۱۶۶- علم الفلک، عبد السلام غیث، عمان، جامعة الیرموک، ۱۹۹۲. ۱۶۷- علم الفلک، هاشم أحمد، بیروت، هلابون، د. ت. ۱۶۸- علم الفلک العام، مرفت السید عوض و مصطفی کمال محمود، القاهرة، دار الفکر العربی الطبعة الأولی، ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۶۹- علم الفلک و فلسفة النسق الکونی، فائز فوق العادة، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی الطبعة الأولی، ۱۹۹۲. ۱۷۰- علم الفلک و الکون، عواد الزحلف، عمان، دار المناهج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۷۱- علم المحیطات، ریتشارد فیتر، ترجمة، میشیل تکلاء القاهرة، مطبوعات کتابی، د. ت. ۱۷۲- علم المحیطات، کیث ستو، ترجمة، تلفات عناد أحمد، البصرة، نشر جامعة البصرة، ۱۹۸۶. ۱۷۳- علوم الأرض و البیئة، فتحی أبو ناصر، عمان، دار الیازوری، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه ۱۹۹۹ م. ۱۷۴- العلوم الجویة و تطبیقاتها، محمد أحمد الشهاوی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰ م. ۱۷۵- العلوم فی القرآن، محمد جمیل الحبال و مقداد الجواری، بیروت، دار النفائس، الطبعة الأولی ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۷۶- العواصف و الأعاصیر، علی حسن موسی، دمشق، دار الفکر، ۱۹۸۹. ۱۷۷- غایة البیان فی تفسیر القرآن، حسن علوان و آخرون، الدوحة، مطابع قطر الوطنیة، د. ت. ۱۷۸- الغلاف و الطقس و المناخ، بیری شوری، ترجمة، عبد القادر علی، طبع الهیئة العامة لشئون المطابع الأمیریة، القاهرة، ۱۹۹۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۷ ۱۷۹- الفائق فی غریب الحدیث، محمود بن عمر الزمخشری، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، علی البجاوی، و محمد إبراهیم، الطبعة الثانیة، د. ت. ۱۸۰- فتح الباری شرح صحیح البخاری، أحمد بن علی بن حجر العسقلانی، القاهرة، دار الریان تعلیق، محمد فؤاد عبد الباقی، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۸. ۱۸۱- فتح البیان فی مقاصد القرآن، صدیق بن حسن القنوجی، صیدا، المکتبة العصریة ۱۹۹۲. ۱۸۲- فتح الرحمن فی تفسیر القرآن، عبد المنعم تعلیب، القاهرة، دار السلام، الطبعة الأولی ۱۴۱۶ ه/ ۱۹۹۵ م. ۱۸۳- فتح القدیر، محمد بن علی الشوکانی، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، د. ت. ۱۸۴- الفتوحات الإلهیة، سلیمان بن عمر العجیلی، بیروت، دار الفکر، ۱۴۱۵ ه/

۱۹۹۴. ۱۸۵- الفرق بین الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد محی الدین عبد الحمید، د. ت. ۱۸۶- فسیولوجیا النبات، روبرت دیفلین و فرانسیس ویزام، ترجمة، محمد شرقاوی و آخرون، القاهرة المجموعة العربیة للنشر، ۱۹۸۵. ۱۸۷- فسیولوجیا النبات، علی الهلال، الریاض، النشر العلمی و المطابع، ۱۴۲۰ ه. ۱۸۸- الفصل فی الملل و الأهواء و النحل، علی بن أحمد بن حزم الظاهری، بیروت، دار المعرفة الطبعة الثانیة، ۱۳۹۵ ه/ ۱۹۷۵ م. ۱۸۹- الفضاء و الشهب، محمد فتحی عوض الله، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتب، ۱۹۷۳ م. ۱۹۰- فضل العلم و العلماء، لابن قیم الجوزیة، جمع و ترتیب صالح الشامی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه/ ۲۰۰۱ م. ۱۹۱- فکرة إعجاز القرآن، نعیم الحمصی، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۰ ه ۱۹۸۰ م. ۱۹۲- الفهرست، محمد بن إسحاق أبو الفرج الندیم، بیروت، دار المعرفة، ۱۳۹۸ ه/ ۱۹۷۸ م. ۱۹۳- الفوائد المشوق إلی علوم القرآن، محمد بن أبی بکر بن أیوب الزرعی ابن القیم، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۱۹۴- فی ظلال القرآن، سید قطب، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الخامسة و العشرون، ۱۴۱۷ ه ۱۹۹۶. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۸ ۱۹۵- قالوا فی الإسلام و القرآن و الرسول، حسین سلیم، بیروت، دار رشاد برسن، ۲۰۰۲. ۱۹۶- القاموس المحیط، محمد بن یعقوب الفیروزآبادی، بیروت، دار الفکر، ۱۹۹۵. ۱۹۷- قبس من نور القرآن، محمد علی الصابونی، بیروت، مؤسسة الریان، الطبعة الرابعة، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸ م. ۱۹۸- القرآن الکریم أضواء علی الشرق و الغرب، محمد قبیسی، بیروت، مؤسسة الرحاب الحدیثة الطبعة الأولی، ۱۹۹۶. ۱۹۹- قصة الکون عجب و بهاء، کلیفورد سیماک، ترجمة، عبد القوی عیاد، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۷۵. ۲۰۰- قصة نشوء الکون، مخلص الریس و علی موسی، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولی، ۱۹۹۰. ۲۰۱- القمر، إبراهیم، حلمی غوری، بیروت، دار الشرق العربی، د. ت. ۲۰۲- القمر، محمد علی المغربی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانیة، ۱۹۶۶. ۲۰۳- قواعد الجیومورفولوجیا العامة، جودت حسنین جودت الإسکندریة، دار المعرفة الجامعیة ۱۹۹۶. ۲۰۴- کتاب التوحید، عبد المجید الزندانی، دمشق، دار الخیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۰ م. ۲۰۵- کتاب العین، الخلیل بن أحمد الفراهیدی، تحقیق، مهدی المخزومی و إبراهیم السامرائی بیروت، دار الهلال، د. ت. ۲۰۶- الکشاف، محمود بن عمر الزمخشری، بیروت، دار إحیاء التراث العربی، الطبعة الأولی ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷ م. ۲۰۷- کوکب اسمه الأرض، جورج جامو، ترجمة، الدکتورة هذارة، القاهرة، مؤسسة سجل العرب، ۱۹۷۴. ۲۰۸- کوکب الأرض، حسن أبو العینین، الإسکندریة، مؤسسة الثقافة الجامعیة، الطبعة الحادیة عشر، ۱۹۹۶. ۲۰۹- کوکب الأرض، إعداد و نشر، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الکویت، الطبعة الثانیة ۱۹۸۷. ۲۱۰- الکون، هوبرت ریفرز، ترجمة درویش الحلوجی، القاهرة، دار المستقبل العربی، الطبعة الأولی ۱۹۹۶ م. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۲۹ ۲۱۱- الکون البحث عن لحظة المیلاد، هوبرت ریفز، ترجمة، درویش الحلّوجی، القاهرة، المستقبل العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۶. ۲۱۲- الکون ذلک المجهول، جلال عبد الفتاح، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۹۴. ۲۱۳- الکون و أحجار الفضاء، محمد فتحی عوض، دمشق، دار الوثبة، الطبعة الثانیة، ۱۹۸۳. ۲۱۴- الکون و الإعجاز العلمی فی القرآن، منصور حسب النبی، القاهرة، دار الفکر العربی، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۱. ۲۱۵- الکون و الطاقة، إعداد المکتب العالمی للبحوث، بیروت، المکتب العالمی ۱۴۱۰ ه/ ۱۹۸۹. ۲۱۶- کیف نتعامل مع القرآن العظیم، د. یوسف القرضاوی، القاهرة، دار الشروق، الطبعة الأولی ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۹ م. ۲۱۷- لباب التأویل فی معانی التنزیل، علاء الدین علی بن محمد الخازن، بغداد مکتبة المثنی، د. ت. ۲۱۸- لباب النقول فی أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبی بکر بن محمد السیوطی، بیروت، دار إحیاء العلوم، د. ت. ۲۱۹- اللباب فی علوم الکتاب، عمر بن علی الدمشقی، تحقیق، علی معوض و آخرون، بیروت دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۲۲۰- لسان العرب، محمد بن مکرم بن منظور، بیروت، دار صادر، الطبعة الأولی، د. ت. ۲۲۱- لفتات علمیة من القرآن، یعقوب یوسف، الریاض، الدار السعودیة للنشر و التوزیع، الطبعة الثانیة، ۱۹۹۷. ۲۲۲- لوامع الأنوار البهیة، محمد السفارینی الحنبلی، بیروت، المکتب الإسلامی، الطبعة الثالثة ۱۴۱۱ ه/ ۱۹۹۱. ۲۲۳- ما هی الجیولوجیا، ولیم ماثیوز، ترجمة مختار رسمی ناشد، القاهرة، الهیئة المصریة

العامة للکتب، ۱۹۹۵. ۲۲۴- الماء و الحیاة بین العلم و القرآن، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۵. ۲۲۵- مباحث فی إعجاز القرآن، مصطفی مسلم، جدة، دار المنارة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه ۱۹۸۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۰ ۲۲۶- مباحث فی علوم القرآن، صبحی الصالح، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة العشرون ۱۹۹۷. ۲۲۷- مباحث فی علوم القرآن، مناع القطان، الریاض، مکتبة المعارف الطبعة الأولی، ۱۴۱۳ ه ۱۹۹۲ م. ۲۲۸- مبادئ الطاقة الشمسیة و تطبیقاتها، سهیل فاضل و إلیاس الکبة، بیروت، دار الحداثة، الطبعة الثالثة، ۱۹۸۷. ۲۲۹- مبادئ المناخ الطبیعی، إبراهیم العرود، عمان، دار الشروق، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۲۳۰- المجرات و الکوازرات، ولیام کاوفمان، ترجمة، عبد الکریم السامرائی، بغداد، دار الشئون الثقافیة العامة، الطبعة الأولی، ۱۹۸۹. ۲۳۱- مجلة العربی، الکویت، العدد ۳۱۳ دیسمبر، ۱۹۸۴. ۲۳۲- مجمع البیان فی تفسیر القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسی، تحقیق هاشم المحلاتی، طهران المکتبة العلمیة، د. ت. ۲۳۳- المجموعة الشمسیة و احتمالات الحیاة علیها، زین العابدین متولی، القاهرة، مرکز جامعة القاهرة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۳۴- المجموعة الشمسیة و مجال الجاذبیة الکونیة، الأمین محمد کعورة، القاهرة، المکتب المصری الحدیث، د. ت. ۲۳۵- محاسن التأویل، محمد القاسمی، بیروت، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۹۷۸. ۲۳۶- المحرر الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، عبد الحق بن عطیة، تحقیق، عبد الله الأنصاری و عبد العال إبراهیم، الدوحة، مطابع قطر الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸. ۲۳۷- المحیرات الفلکیة، عبد الرحیم بدر، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۸۴. ۲۳۸- المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، بیروت، دار الأمیر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۳۹- المحیط الکونی و أسراره، نجیب زبیب، ص ۶۷، و انظر: فی أعماق الفضاء، عبد الحمید سماحة بیروت، دار الشروق، الطبعة الثالثة ۱۴۰۱ ه/ ۱۹۸۰. ۲۴۰- مختار الصحاح، محمد بن أبی بکر الرازی، بیروت، مکتبة لبنان ناشرون، تحقیق، محمود خاطر، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۵. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۱ ۲۴۱- مدارک التنزیل و حقائق التأویل، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفی، بیروت، دار النفائس د. ت. ۲۴۲- مدخل إلی علم المناخ، ضاری العجمی و محمود صفر، الکویت، مکتبة الکویت، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۷. ۲۴۳- مراح لبید لکشف معنی القرآن المجید، محمد بن عمر نووی الجاوی، تحقیق، محمد أمین الضناوی، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۷. ۲۴۴- المستشرقون، نجیب العقیقی، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة د. ت، ۲/ ۱۰۲. ۲۴۵- مسند أبی یعلی، أحمد بن علی أبو یعلی الموصلی، تحقیق، حسن سلیم أسد، دمشق، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولی، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۴. ۲۴۶- مسند أحمد، أحمد بن حنبل الشیبانی، القاهرة، مؤسسة قرطبة، د. ت. ۲۴۷- مسند الشافعی، محمد بن إدریس الشافعی، بیروت، دار الکتب العلمیة، د. ت. ۲۴۸- مسند عبد بن الحمید، عبد بن حمید بن نصر الکسی، القاهرة، مکتبة السنة، تحقیق، صبحی السامرائی و محمود الصعیدی، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. ۲۴۹- مشاهیر القرن العشرین، محمد بوذینة، تونس، مطبعة تونس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴. ۲۵۰- مشهد الریاح و تصریفها، عبد الکریم العثمان، الریاض، الدار العالمیة للکتاب الإسلامی الطبعة الأولی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۵۱- المصباح المنیر، أحمد بن محمد بن علی المقری الفیومی، بیروت، المکتبة العلمیة، د. ت. ۲۵۲- المعارف الکونیة، إعداد، نخبة من العلماء، القاهرة، دار الفکر العربی، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۸. ۲۵۳- معالم التنزیل، حسین بن مسعود البغوی، تحقیق، خالد العک، بیروت، دار المعرفة، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷. ۲۵۴- معانی القرآن، لأبی إسحاق إبراهیم بن الری الزجاج، تحقیق، عبد الجلیل شلبی، بیروت عالم الکتب، الطبعة الأولی، ۱۴۰۸ ه/ ۱۹۸۸. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۲ ۲۵۵- معانی القرآن، یحیی بن زیاد الفراء، بیروت، عالم الکتب، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۳ ه. ۲۵۶- معانی القرآن الکریم، لأبی جعفر النحاس، تحقیق، محمد علی الصابونی، مکة المکرمة، نشر جامعة أم القری، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه. ۲۵۷- المعجزة الخالدة، حسن ضیاء الدین عتر، بیروت، دار ابن حزم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹. ۲۵۸- المعجزة القرآنیة، محمد حسن هیتو، بیروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه ۱۹۸۹. ۲۵۹- المعجزة الکبری، محمد أبو زهرة، القاهرة، دار الفکر العربی، د. ت. ۲۶۰- معجم أعلام المورد، منیر بعلبکی، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۹۲. ۲۶۱- معجم الأدباء، یاقوت

بن عبد الله الرومی البغدادی، بیروت، دار صادر، د. ت. ۲۶۲- المعجم الجامع لغریب مفردات القرآن، عبد العزیز السیروان، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الأولی، ۱۹۸۶. ۲۶۳- معجم الفرق الإسلامیة، شریف یحیی الأمین، بیروت، دار الأضواء، الطبعة الأولی، ۱۴۰۶ ه/ ۱۹۸۶. ۲۶۴- المعجم الکبیر، سلیمان بن أحمد أبو القاسم الطبرانی، تحقیق، حمدی السلفی، الموصل، مکتبة العلوم و الحکم، الطبعة الثانیة، ۱۴۰۴ ه/ ۱۹۸۳. ۲۶۵- معجم مقاییس اللغة، لأبی الحسین أحمد بن فارس، بیروت، دار الجیل، تحقیق، عبد السلام هارون، د. ت. ۲۶۶- معرض الإبریز من الکلام الوجیز عن القرآن العزیز، عبد الکریم الأسعد، الریاض، دار المعراج، الطبعة الأولی، ۱۴۱۹ ه/ ۱۹۹۸. ۲۶۷- المغرب فی ترتیب المعرب، ناصر الدین بن علی المطرز، تحقیق، محمد فاخوری و عبد المجید مختار، حلب، مکتبة أسامة بن زید، الطبعة الأولی، ۱۹۷۹. ۲۶۸- مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهانی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق، دار القلم الطبعة الثانیة، ۱۴۱۸ ه/ ۱۹۹۷. ۲۶۹- مفکرون من عصرنا، سامی خشبة، القاهرة، المکتبة الأکادیمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۲۲ ه ۲۰۰۱. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۳ ۲۷۰- مقالات الإسلامیین و اختلاف المصلین، أبو الحسن الأشعری، صیدا- بیروت، المکتبة العصریة، تحقیق، محی الدین عبد الحمید، د. ت. ۲۷۱- المقدمة، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، بیروت- صیدا، المکتبة العصریة، تحقیق، درویش جویدی، ۱۴۲۲ ه. ۲۷۲- مقدمة فی علم الفلک، توماس آرنی، ترجمة، د. أحمد الحصری، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۸. ۲۷۳- المکان و الزمان فی العالم الکونی الحدیث، ب. د. دیفیس، ترجمة، أدهم السمان، دمشق مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولی، ۱۴۰۹ ه/ ۱۹۸۸. ۲۷۴- الملل و النحل، محمد بن عبد الکریم الشهرستانی، بیروت، دار المعرفة، تحقیق، محمد کیلانی ۱۴۰۴ ه. ۲۷۵- من الآیات العلمیة، عبد الرزاق نوفل، القاهرة، مکتبة الأنجلو المصریة، الطبعة الأولی، ۱۹۶۶. ۲۷۶- من الذرة إلی المجرة، حمادة العائدی، عمان، دار الفکر، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۷۷- من الذرة إلی المجرة، محمد صالح المحب، بیروت، دار الفکر اللبنانی، د. ت. ۲۷۸- من دلائل الإعجاز العلمی فی القرآن و السنة، موسی الخطیب، القاهرة، مؤسسة الخلیج العربی، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴. ۲۷۹- مناهل العرفان فی علوم القرآن، محمد عبد العظیم الزرقانی، بیروت، دار الفکر، تحقیق، مکتب البحوث و الدراسات، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۲۸۰- المنظومة الشمسیة، سمیر عازار، بیروت، دار النهار، ۱۹۹۱. ۲۸۱- المنظومة الشمسیة، عبد الأمیر المرتضی المؤمن، دبی، الإمارات العربیة المتحدة، الطبعة الأولی ۱۹۹۷. ۲۸۲- المنظومة الشمسیة، علی موسی و مخلص الریس، دمشق، دار دمشق، الطبعة الأولی، ۱۴۰۳ ه/ ۱۹۸۳. ۲۸۳- من علم الفلک القرآنی، عدنان الشریف، بیروت، دار العلم للملایین، الطبعة الثالثة، ۱۹۹۷. ۲۸۴- المنهج الإیمانی للدراسات الکونیة، عبد العلیم عبد الرحمن خضر، جدة، الدار السعودیة، الطبعة الثالثة، ۱۴۰۷ ه/ ۱۹۸۷. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۴ ۲۸۵- الموافقات فی أصول الشریعة، إبراهیم بن موسی بن محمد اللخمی الغرناطی الشاطبی، بیروت دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ۱۴۲۰ ه/ ۱۹۹۹ م. ۲۸۶- موجز فی تاریخ الزمان، ستیفن هوکنغ، ترجمة، مصطفی فهمی، القاهرة، مکتبة الأسرة ۲۰۰۱. ۲۸۷- مورفولوجیا النباتات الزهریة، مصطفی الحدیدی، الریاض، دار المریخ، ۱۴۱۴ ه، ۱۹۹۴ م. ۲۸۸- موسوعة الظواهر الطبیعیة، خلیل بدوی، عمان، دار عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۲۰۰۰. ۲۸۹- موسوعة عالم المعرفة، بیروت، دار نوبلیس، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۲۹۰- موسوعة غینیس فی علم الفلک، باتریک موور، ترجمة، مرکز التعریب و البرمجة، بیروت، الدار العربیة للعلوم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ۲۹۱- الموسوعة الفلکیة، خلیل بدوی، عمّان، عالم الثقافة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۹۲- الموسوعة الکاملة الکون، بیروت نوبیلس، الطبعة الأولی، ۱۹۹۷. ۲۹۳- موسوعة الکون و الفضاء و الأرض، موریس شربل و رشید فرحات، بیروت، دار الفکر العربی، الطبعة الأولی، ۱۹۹۹. ۲۹۴- موسوعة الکویت العلمیة للکیمیاء، الکویت، مؤسسة الکویت للتقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۸۶. ۲۹۵- موطأ مالک، مالک بن أنس الأصبحی، القاهرة، دار إحیاء التراث العربی، تحقیق، محمد فؤاد عبد الباقی، د. ت. ۲۹۶- المیکروکمبیوتر و علم الفلک، محمد رشاد الدین مصطفی، بیروت، دار الراتب، د. ت. ۲۹۷- النبوات، أحمد بن عبد الحلیم بن تیمیة، القاهرة، المطبعة السلفیة، د. ت. ۲۹۸- النجم الغریب مولد الشمس و موتها، جون غریبین، ترجمة، فائز فوق العادة، دمشق، دار الشیخ، الطبعة الأولی،

۱۹۸۸. ۲۹۹- نحن و الکون، عبد الوهاب سلیمان، الکویت، مؤسسة الکویت التقدم العلمی، الطبعة الأولی ۱۹۹۶. ۳۰۰- نشأة الکون، السموات السبع، محمد جمال الدین الفندی، القاهرة، الهیئة المصریة العامة للکتاب، ۱۹۷۳. الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۵ ۳۰۱- هذا خلق الله، الدکتور عبد الحلیم کامل، القاهرة، المکتبة الأکادیمیة، الطبعة الأولی، ۱۹۹۴. ۳۰۲- هل من کائنات عاقلة خارج الأرض، نزار دندش، بیروت، دار المؤلف، الطبعة الأولی ۱۴۲۰ ه/ ۲۰۰۰. ۳۰۳- هل نحن وحدنا فی هذا الکون، محمد عبده یمانی المنامة، بیت القرآن، الطبعة الأولی، ۱۴۱۷ ه/ ۱۹۹۶. ۳۰۴- الوجیز فی تفسیر الکتاب العزیز، علی بن أحمد الواحدی، تحقیق، صفوان داودی، دمشق دار القلم، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه. ۳۰۵- الوجیز فی الجیولوجیا، لیون موریه، ترجمة، یوسف خوری و عبد الرحمن حمیدة، دمشق، دار طلاس، الطبعة الأولی، ۱۹۸۷. ۳۰۶- الوسیط فی تفسیر القرآن المجید، علی بن أحمد الواحدی النیسابوری، تحقیق، علی معوض و آخرون، بیروت، دار الکتب العلمیة، الطبعة الأولی، ۱۴۱۵ ه/ ۱۹۹۴ م. ثالثا: مواقع الإنترنت. /dopa/ pa ۰۱۰۶۰۹ . ۱- ptth://: www .nayabla .oc /ea /nayabla /۲۰۰۲ /۱۱ /۳۰ /wnm .۱۱ mth vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۲. lmth .۹۹۰۴۱۹ pa /dopa /vog .asan .cfsg .prwtna //:ptth -۳ . lmth. ۰۱۰۴۲۳ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۴. lmth .۰۱۰۲۰۴ pa /dopa /vog .asan .cfsg .prwtna //:ptth -۵ . lmth. ۰۰۱۱۱۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۶. lmth .۹۶۰۵۲۰ pa /dopa /vog .asan .cfsg .prwtna //:ptth -۷ . lmth. ۰۳۰۳۱۰ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۸. lmth .۹۵۰۷۲۴ pa /dopa /vog .asan .cfsg .prwtna //:ptth -۹ . lmth. ۰۱۰۵۰۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۱۰. lmth .۹۵۰۶۲۸ pa /dopa /vog .asan .cfsg .prwtna //:ptth -۱۱ . lmth. ۰۱۰۵۰۸ pa/ dopa/ vog. asan. cfsg. prwtna//: ptth- ۱۲. MTH .۹ EGAPWEN /moc .s serprekcedelbuod .www //:ptth -۱۳ . mth. iiawaH/ moc. sserprekcedelbuo d. www//: ptth- ۱۴. lmth .weivrevo /gro .stenalpenin .www //:ptth -۱۵ . mth. egapemoh/ gne/ ralos/ moc. sepacstenalp//: ptth- ۱۶. mth .yawyklim /sd /pac /ralos /moc .sepacstenalp //:ptth -۱۷ . .mth .murbrehsag /sotohp /skaep /aidepolcycne /moc .yrawkaep .www //:ptth -۱۸ mth .mehc /۱ - mehc /yrassolg /yrtsimehc -lareneg /aymek /ten .aibaraloohcs .www //:ptth -۱۹ . yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth -۲۰ cipwohs od ۳۲۹ dip Detad ybredro . dna yrellaG eman ? php .z /sw .oooziz .www //:hHh -۲۱ cipwohs od ۲۰۳۵ dip Detad yb redro . yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth -۲۲ cipwohs od ۴۰۷۴ dip Detad ybredro . yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth -۲۳ cipwohs od ۴۱۱۳ dip Detad ybredro . yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth -۲۴ cipwohs od ۳۲۳ dip Detad ybredro . yrellaG eman ?php .z /sw .oooziz //:ptth -۲۵ cipwohs od ۴۰۷۷ dip .Detad ybredro الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۷

الفهرس

الفهرس الموضوع/ الصفحة الإهداء/ ۵ مقدمة/ ۷ مقدمة/ ۱۰ مقدمة/ ۱۱ المقدمة/ ۱۳ خطّة البحث/ ۱۷ الفصل الأوّل: مفهوم المعجزة/ ۲۱ تمهید/ ۲۳ المبحث الأول: تعریف المعجزة/ ۲۵ المعجزة اصطلاحا/ ۲۶ المبحث الثانی: الفرق بین معجزة النبی و معجزات الأنبیاء السابقین علیهم السّلام/ ۲۹ أولا- معجزات الأنبیاء علیهم السّلام/ ۲۹ ثانیا: معجزات نبینا محمد صلی اللّه علیه و سلم/ ۳۴ المعجزات الحسیة/ ۳۴ ۱- نبع الماء/ ۳۵ ۲- تکثیر الطعام/ ۳۶ ۳- حنین الجذع/ ۳۷ ۴- انشقاق القمر/ ۳۸ المبحث الثالث: مراحل التحدی بالقرآن

الکریم/ ۴۲ المرحلة الأولی/ ۴۵ المرحلة الثانیة/ ۴۶ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۸ المرحلة الثالثة/ ۴۸ القدر المعجز عند المعتزلة/ ۵۱ المبحث الرابع: عجز المشرکین و اعترافهم بعظمة القرآن/ ۵۳ ۱- اعتراف بلغاء المشرکین بإعجاز القرآن/ ۵۵ أولا- عتبة بن ربیعة/ ۵۵ ثانیا- الولید بن المغیرة/ ۵۷ ثالثا- النضر بن الحارث/ ۵۸ أذی النضر للرسول صلی اللّه علیه و سلم/ ۵۸ ۲- اعتراف فصحاء العرب المؤمنین بإعجاز القرآن/ ۶۰ أولا- عمر الخطاب رضی اللّه عنه/ ۶۰ ثانیا- الطفیل بن عمرو الدوسی/ ۶۲ ثالثا- لبید بن ربیعة/ ۶۳ رابعا- أنیس أخو أبی ذر الغفاری/ ۶۴ الفصل الثانی: نشأة مصطلح إعجاز القرآن/ ۶۹ تمهید/ ۷۱ المبحث الأول: الصّرفة و القائلون بها/ ۷۳ الصّرفة لغة/ ۷۳ الصرفة اصطلاحا/ ۷۴ القائلون بالصرفة/ ۷۵ ۱- النظام/ ۷۵ ۲- الشریف المرتضی من الشیعة/ ۷۸ ۳- ابن حزم الأندلسی الفقیه الظاهری/ ۷۹ ۴- ابن سنان الخفاجی/ ۸۰ المبحث الثانی: نقد مذهب الصرفة/ ۸۳ أولا: الرد علی النظّام و من حذی حذوه/ ۸۳ ثانیا: الرد علی المرتضی و من شایعه/ ۸۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۳۹ المبحث الثالث: أوجه إعجاز القرآن/ ۹۲ هل من جهة أسلوبه و دقة عبارته و کلامه؟/ ۹۲ أم أن الإعجاز جاء من جهة ألفاظه؟/ ۹۲ أم أن الإعجاز جاء من جهة المعانی التی تضمنها القرآن الکریم؟/ ۹۲ أولا- وجوه إعجاز القرآن کما حددها الإمام الباقلانی/ ۹۴ ثانیا- القاضی عیاض و وجوه إعجاز القرآن/ ۹۹ الرأی المختار فی تحدید أوجه إعجاز القرآن/ ۱۰۲ الفصل الثالث: الإعجاز العلمی بین المؤیدین و المعارضین/ ۱۰۵ تمهید/ ۱۰۷ المبحث الأول: أبرز المؤیّدین من العلماء القدامی/ ۱۰۹ أولا- الإمام أبو حامد الغزالی/ ۱۰۹ ثانیا- فخر الدین الرازی/ ۱۱۲ ثالثا- الإمام الزرکشی/ ۱۱۴ رابعا- الإمام السیوطی/ ۱۱۶ المبحث الثانی: أبرز المؤیدین من العلماء المعاصرین/ ۱۱۸ أولا- الإمام محمد عبده/ ۱۱۸ ثانیا- عبد الرحمن الکواکبی/ ۱۲۰ القسم الثانی: المثبتون من العلماء المعاصرین باعتدال أولا- وحید الدین خان/ ۱۲۳ ثانیا- الدکتور محمد جمال الدین الفندی/ ۱۲۵ ثالثا- الشیخ أحمد مصطفی المراغی/ ۱۲۷ المبحث الثالث: أبرز المعارضین من العلماء القدامی و المعاصرین/ ۱۳۰ أولا- المعارضون من العلماء القدامی/ ۱۳۰ الإمام أبو إسحاق إبراهیم بن موسی الغرناطی الشاطبی/ ۱۳۰ ثانیا- المعارضون من العلماء المعاصرین/ ۱۳۲ ۱- الشیخ محمود شلتوت/ ۱۳۲ ۲- سید قطب/ ۱۳۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۴۰ ۳- محمد عبد العظیم الزرقانی/ ۱۳۷ ۴- محمد رشید رضا/ ۱۳۹ المبحث الرابع: أدلة الفریقین/ ۱۴۱ أولا- من أدلة المؤیدین للتفسیر العلمی/ ۱۴۱ ثانیا- من أدلة المعارضین للتفسیر العلمی/ ۱۴۲ الترجیح/ ۱۴۳ الفصل الرابع: الإعجاز القرآنی فی علم الفلک/ ۱۵۱ تمهید/ ۱۵۳ المبحث الأول: بین الإسلام و العلم/ ۱۵۵ أولا- الإسلام دین العلم/ ۱۵۵ ثانیا- الإعجاز العلمی سبیل من سبل الدعوة/ ۱۵۸ ثالثا- ضوابط التفسیر العلمی للقرآن/ ۱۶۱ المبحث الثانی: مولد الکون و نشأته بین القرآن و العلم/ ۱۶۶ مراحل الخلق أولا- مرحلة الرتق و الفتق/ ۱۶۷ ثانیا- مرحلة خلق السموات و الأرض/ ۱۷۱ ثالثا- مرحلة دحو الأرض/ ۱۷۳ الحقائق العلمیة/ ۱۷۷ الإعجاز/ ۱۸۱ المبحث الثالث: تمدد الکون و توسعه/ ۱۸۴ الحقائق العلمیة/ ۱۸۶ الإعجاز/ ۱۹۰ المبحث الرابع: نهایة الکون بین القرآن و العلم/ ۱۹۳ الإعجاز/ ۲۰۱ الفصل الخامس: الإعجاز القرآنی فی الشمس/ ۲۰۷ تمهید/ ۲۰۹ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۴۱ المبحث الأول: تحرکات الشمس و انتقالاتها/ ۲۱۰ تحرکات الشمس و انتقالاتها/ ۲۱۱ الحقائق العلمیة/ ۲۱۴ حرکات الشمس/ ۲۱۴ الإعجاز/ ۲۱۶ المبحث الثانی: الشمس متوهجة ملتهبة/ ۲۱۹ الحقائق العلمیة/ ۲۲۱ الإعجاز/ ۲۲۵ المبحث الثالث: تعدد الشموس و الأقمار/ ۲۲۶ الحقائق العلمیّة/ ۲۲۸ الإعجاز/ ۲۳۵ المبحث الرابع: موت الشمس و نهایتها بین القرآن و العلم/ ۲۳۷ الحقائق العلمیة/ ۲۴۰ الإعجاز/ ۲۴۲ الفصل السادس: الإعجاز القرآنی فی الأرض/ ۲۴۳ تمهید/ ۲۴۵ المبحث الأول: کرویة الأرض/ ۲۴۶ الحقائق العلمیة/ ۲۵۳ الإعجاز/ ۲۵۴ المبحث الثانی: حرکة الأرض و دورانها/ ۲۵۶ الحقائق العلمیة/ ۲۶۱ الإعجاز/ ۲۶۳ المبحث الثالث: جاذبیة الأرض/ ۲۶۴ الحقائق العلمیة/ ۲۶۸ الإعجاز/ ۲۷۰ المبحث الرابع: الغلاف الجوی و منافذه للأرض/ ۲۷۱ الحقائق العلمیة/ ۲۷۴ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاکتشاف العلمی الحدیث، ص: ۴۴۲ الإعجاز/ ۲۷۸ الفصل السابع: الإعجاز القرآنی فی القمر/ ۲۸۱ تمهید/ ۲۸۳ المبحث الأول: القمر منیر/ ۲۸۴ الحقائق العلمیة/ ۲۸۸ الإعجاز/ ۲۸۹ المبحث الثانی: انشقاق القمر/ ۲۹۱ الحقائق العلمیة/ ۲۹۳ الإعجاز/ ۲۹۶ المبحث الثالث:

منازل القمر/ ۲۹۸ الحقائق العلمية/ ۲۹۹ الإعجاز/ ۳۰۳ المبحث الرابع: و جمع الشمس و القمر/ ۳۰۴ الحقائق العلمية/ ۳۰۵ الإعجاز/ ۳۰۶ الفصل الثامن: الإعجاز القرآنی فی الرياح/ ۳۰۷ تمهيد/ ۳۰۹ المبحث الأول: أنواع الرياح بين القرآن و العلم/ ۳۱۱ الحقائق العلمية/ ۳۱۵ الإعجاز/ ۳۱۹ المبحث الثانی: تكوين السحب و أنواعها بين القرآن و العلم/ ۳۲۰ الحقائق العلمية/ ۳۲۲ أنواع السحب من حيث النشأة/ ۳۲۳ الحقائق العلمية/ ۳۲۸ أنواع الغيوم/ ۳۲۹ الإعجاز/ ۳۳۱ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۴۳ المبحث الثالث: البرق و البرد بين القرآن و العلم/ ۳۳۳ الحقائق العلمية/ ۳۳۵ الإعجاز/ ۳۳۸ الفصل التاسع: الإعجاز القرآنی فی الجبال/ ۳۳۹ تمهيد/ ۳۴۱ المبحث الأول: تكوين الجبال/ ۳۴۳ الحقائق العلمية/ ۳۴۵ الإعجاز/ ۳۴۹ المبحث الثانی: الجبال تحافظ على توازن الأرض/ ۳۵۰ الحقائق العلمية/ ۳۵۲ الإعجاز/ ۳۵۳ المبحث الثالث: الرواسی الشامخات و الماء الفرات/ ۳۵۶ الحقائق العلمية/ ۳۵۸ الإعجاز/ ۳۶۰ المبحث الرابع: حركة الجبال و تعدّد صخورها/ ۳۶۲ الحقائق العلمية/ ۳۶۴ الإعجاز/ ۳۶۷ الفصل العاشر: الإعجاز القرآنی فی البحار/ ۳۶۹ تمهيد/ ۳۷۱ المبحث الأول: ظلمات البحار و تنوع الأمواج/ ۳۷۳ الحقائق العلمية/ ۳۷۶ الإعجاز/ ۳۷۹ المبحث الثانی: مرج البحرين يلتقيان/ ۳۸۰ الحقائق العلمية/ ۳۸۳ الإعجاز/ ۳۸۶ المبحث الثالث: و البحر المسجور/ ۳۸۸ الإعجاز القرآنی فی ضوء الاكتشاف العلمی الحديث، ص: ۴۴۴ الحقائق العلمية/ ۳۹۰ الإعجاز/ ۳۹۱ المبحث الرابع: اهتزاز الأرض بنزول ماء السماء/ ۳۹۲ الحقائق العلمية/ ۳۹۵ الإعجاز/ ۳۹۷ الخاتمة/ ۳۹۸ الفهارس فهرس الآيات/ ۴۰۵ فهرس الأحاديث/ ۴۱۴ قائمة المصادر و المراجع/ ۴۱۵ الفهرس/ ۴۳۷

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱). قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷). مؤسّس مُجتمَع "القائميّة "الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آبادی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم. مركز "القائميّة "للتحرِّی الحاسوبیّ– بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجی الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دينيّة، ثقافيّة و علميّة... الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشَّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة –فی المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت– عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و... – مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التی يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فی آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَی. – من الأنشطة الواسعة للمركز: الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فی الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و... د) إبداع الموقع

الانترنتی" القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عـدّة مَواقِعَ اُخرَ ه) إنتـاج المُنتَجـات العرضـیّة، الخَطابـات و... للعرض فی القنوات القمریّة و) الإطلاق و الـدَّعم العلمیّ لنظام إجابـة الأسـئلة الشـرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴) ز) ترسـیم النظـام التلقائیّ و الیـدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصـیرة SMS ح) التعـاون الفخریّ مع عشـراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسـجد جَمکرانَ و... ط) إقامـة المؤتمَرات، و تنفیذ مشـروع" مـا قبـلَ المدرسـة "الخـاصّ بالأطفال و الأحـداث المُشارِکین فی الجلسـة ی) إقامـة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضـوراً و افتراضـاً) طیلـة السَّنَة المکتـب الرّئیسـیّ: إیران/أصـبهان/ شـارع"مسـجد سـیّد/ "مـا بیـنَ شـارع"پنـج رَمَضـان" ومُفترَق"وفائی/"بنایـة"القائمیّة "تاریخ التأسـیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریـة القمریّة) رقـم التسـجیل: ۲۳۷۳ الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶ الموقــع: www.ghaemiyeh.com البریـد الالـکترونی: Info@ghaemiyeh.com المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com الهــاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱) الفــاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱) مکتــب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱) التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹ امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱) ملاحَظة هامّة: المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لإعانتهم – فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والدراسات الکمبیوتریة
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹